

بسم الله الرحمن الرحيم

شعبة الدراسات الإسلامية
وحدة الاجتماع المعاصر والمشكلات
الإنسانية



جامعة محمد الخامس - أكادير
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
الرباط

ملخص الأشرطة :

الفكر الإسلامي عند بديع الزمان النورسي من خلال رسائل النور

تحت إشراف فضيلة الأستاذ:
الدكتور: محمد قجوي

إعداد الطالب:
أسامة الروكي

السنة الدراسية: 1433-1434 هـ / 2012-2013 م

إهداء

إلى من سهر الليالي، ونسي الغوالي، وكحل سندي الموالي، وحمل همي
غير مبالي، بذر التمام،

والذي الغالي العزيز حفصه الله .

إلى من أثقلت الجفون سمرًا، وحملت الفؤاد هما، وجاهدت الأيام صبرًا،
وشغلت البال فكرًا، ورفعت الأيدي دعاءً، وأيقنت بالله أملاً. أغلى
الغوالي وأحب الأحاب،

أمي العزيزة الغالية أكل الله عمرها .

إلى رفيقة الدرب زوجتي نبع الأمان ورمز الصبر والعطاء
إلى ورود المحبة، وينايع الوفاء، إلى من رافقوني في السراء والضراء، إلى
اصدق الأصدقاء،

إخوتي وأخواتي

إلى القلعة الحصينة التي الجأ إليها عند شدتي، أصدقائي الأعزاء.
إلى الأسرة الصغيرة والكبيرة.
إلى كلاب العلم

إليكم جميعاً أهذي هذا العمل راجياً من الله عز وجل القبول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة:

الحمد لله حمداً كثيراً مباركاً فيه والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد :

إن دخول العالم الإسلامي إلى معترك العالم الحديث في الغرب، وبعد الحركات الاستعمارية التي اجتاحت المعمور؛ جعله يُحس بضرورة إصلاح ما أفسده التخلف والتعاس عن مواكبة ركب الحياة، ويستشعر ما آل إليه أمر أمة أريد لها الريادة والقيادة في الأرض؛ أمة تناست دورها ومسؤوليتها ، وقنعت بالخنوع والاستسلام .

ومن داخل الشعور بأحوال المسلمين، وما هم عليه من تخاذل وضعف وهوان؛ انبثقت مظاهر الوعي لدى دعاة الإصلاح في العالم الإسلامي. فكانت الدعوة إلى إنقاذ الإيمان و إلى الرجوع للأخلاق الفضيلة وترك الفكر العلماني الذي زرعه المستعمر ، والعمل على بعث الروح الإسلامية في مواجهة الحضارة الغربية الغازية بأفكارها الهدامة.

وقد انطلقت الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي - عموماً - خلال القرن التاسع عشر، وأوائل العشرين، وكان شعارها التغيير والتجديد، والإسهام في الحضارة الحديثة، مع الحفاظ على الهوية الإسلامية.

و بديع الزمان النورسي من يعتبر من أعظم الشخصيات الإسلامية التي برزت في الأمة الإسلامية لتعيد إلى المسلمين شروق الإسلام وإشراق مبادئه وحقائقه ، لهم في يقول النورسي رحمه الله : لو أن لي ألف روح لما ترددت أن أجعلها فداء لحقيقة واحدة من حقائق الإسلام ، وقال أيضاً : "لقد ضحيت حتى بأخوتي في سبيل تحقيق سلامة إيمان المجتمع، فليس في قلبي حب الجنة ولا الخوف من جهنم، بل انني على استعداد لأضحى ليس فقط بسعيد واحد بل بألف سعيد في سبيل إيمان المجتمع التركي البالغ خمس وعشرون مليوناً. ولئن ظل قرآننا دون جماعة تحمل رايته على سطح الارض فلا ارغب حتى في الجنة اذ ستكون هي ايضاً سجناً لي ، وإن رأيت إيمان امتنا في خير وسلام فاني ارض ان أحرق في لهيب جهنم اذ بينما يحترق جسدي يرقل قلبي في سعادة وسرور"¹

فبديع الزمان النورسي مفكر إسلامي كبير، وإمام من أئمة الإصلاح والتربية في العصر الحديث، وهب حياته لمجتمعه وامتهن وسخر طاقاته الفكرية لبناء القيم والأخلاق، والمثل العليا، وسبل مواهبه العلمية وقدراته الفكرية لإصلاح واقعه المعاصر إصلاحاً قوامه القرآن والسنة، ومنهجه السيرة وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم... إصلاحاً تمتد ظلاله من الفرد إلى الأسرة إلى المجتمع ... إصلاحاً يستمد أصوله وقواعده وأسس وأدواته ووسائله من مفاهيم القرآن الكريم ومضامين السنة النبوية الشريفة.

¹ - السيرة الذاتية ص 505

لقد ترك بديع الزمان النورسي تراثا فكريا غزيرا كثيرا في مختلف المجالات الفكرية والعلمية وغيرها، لك قطب رحاها الذي تدور عليه هو الإصلاح ومنهجه ومضمونه وأسلوبه، إصلاح النفس، والفكر، والسلوك، إصلاح التدبير والتخطيط وتسيير شؤون الحياة في ضوء مكارم الإسلام وأحكامه الربانية الخالدة.

وقد حفظ لنا التراث الفكري الغزير المتميز في رسائل النور التي تعتبر ذخيرة واسعة وسجلا كبيرا لفكر بديع الزمان النورسي، وقد أقبل الناس من أصدقاء النورسي وتلاميذته وأتباعه وغيرهم من محبيه والمقدرين لفكره ورسائله أقبلا على هذه الرسائل قراءة، ودراسة، يقتبسون من أنوارها، ويغترفون من معينها، حتى صارت معالمها واضحة، وملامحها بادية، ومقاصدها بينة، ومنهجها جليلة ... إن رسائل النور مدرسة فكرية تربوية إصلاحية يستطيع العاكف عليها المتأمل في مضامينها، الدارس لنصوصها ومقولاتها أن يقف فيها على فقه الإصلاح وما للنورسي فيه من آراء اجتهادية، وأفكار إبداعية، تمثل نظرية متكاملة عن الإصلاح وفكرته ومضمونه ومنهجه ونظامه، وغير ذلك من متعلقاته الأخرى، وهو موضوع جدير بالاهتمام وحري بإعطائه ما يستحق من العناية والرعاية في إبرازه والكشف عن حجبه لأجل ذلك صح العزم عندي على خوض غماره واقتحام لجبهه رغم قلة الزاد وقصر الباع. وقد سميته : " الفكر الإصلاحى عند بديع الزمان النورسي من خلال رسائل النور" وهو موضوع لا تخفى أهميته وقيمه العلمية، فالإصلاح بكل أنواعه ومجالاته هو أم الحاجات في الواقع المعاصر، ورسائل النور معين فكري إصلاحى متدفق، وكنز معرفى علمى نفيس، والنورسي مصلح كبير يقتدى بفكره، ويتأسى بسلوكه وسيرته .. لذلك قررت البحث في هذا الموضوع معتمدا بالأساس على رسائل النور المترجمة إلى العربية وما يعضد ذلك ويسانده من الدراسات التي قدمت ونشرت حول فكر النورسي وأبعاده الدينية والتربوية وغيرها مما له صلة وثيقة بالموضوع، إضافة إلى ما يمكن التوصل به في الموضوع من المصادر العلمية القديمة والحديثة في مختلف العلوم النقلية والعقلية، ككتب التفسير والحديث والفقه والأصول والتربية وغيرها...

خطة البحث :

بدأت البحث بتوطئة تناولت فيها نبذة عن الدولة العثمانية وبالخصوص المرحلة التي عاصرها النورسي ، كما تحدثت عن الحالة العامة في العالم الإسلامى في عصر النورسي . وقد قسمت البحث إلى ثلاثة أبواب :

تناولت في الباب الأول مصادر الإصلاح عند الإمام النورسي في ثلاث فصول الفصل الأول خصصته للمصادر النقلية والصحابة في ثلاث مباحث ، المبحث الأول القرآن الكريم و المبحث الثاني السنة الشريفة و المبحث الثالث الصحابة . والفصل الثاني تحدثت فيه عن المؤثرات الإجتماعية والثقافية في مبحثين ، مبحث للمؤثرات الإجتماعية و مبحث للمؤثرات الثقافية . اما الفصل الثالث تناولت فيه الصفات الخلقية التي ساعدت في إنضاج الفكر النورسي في خمس مباحث ، المبحث الأول قوة الإيمان و عظم اليقين و حسن الصلة بالله عز وجل ، المبحث الثاني الأمر بالمعروف و النهي عن

المنكر , المبحث الثالث عفته عن أموال الناس , المبحث الرابع الذكاء و الحافظة العجيبة , المبحث الخامس عزته و صبره .

أما الباب الثاني فخصصته للأسس الإصلاح و الوسائل الإصلاح والمنهج الإصلاحي عند النورسي , في ثلاث فصول , تحدثت في الفصل الأول على أسس الأصلاح في مبحثين المبحث الأول خدمة المجتمع و المبحث الثاني خدمة الدين , و في الفصل الثاني عن وسائل الإصلاح في خمس مباحث , المبحث الأول التبليغ أو الدعوة , المبحث الثاني الكتابة , المبحث الثالث الإخلاص , المبحث الرابع التفاؤل , المبحث الخامس الحوار. وفي الفصل الثالث عن منهج الإصلاح عند النورسي في سبع مباحث , المبحث الأول التدرج في الإصلاح و الدعوة إلى التغيير و الوسطية و عدم التعصب و الشمولية و العالمية , خصائص ميزت المنهج النورسي , المبحث الثاني منهج نوري معاصر لتحقيق مفهوم العالمية للقرآنية , المبحث الثالث منهج نوري أخلاقي ينفي البعد الشخصاني , المبحث الرابع منهج نوري يفيد الوعي بالمنظور الكوني للقرآن الكريم , المبحث الخامس منهجه في التعامل مع الخلافات الفكرية , المبحث السادس منهجه في إصلاح الفرد و المجتمع .

والباب الثالث خصصته لمقاصد و قواعد الإصلاح عند الإمام النورسي في فصلين , الفصل الأول تناولت فيه مقاصد الإصلاح في خمس مباحث , المبحث الأول إنقاد الإيمان و الإعتصام بالقرآن الكريم , المبحث الثاني القضاء على الجهل و الفقر و الفرقة , المبحث الثالث محاربة الغزو الفكري , المبحث الرابع الدعوة إلى الوحدة الإسلامية و نبد القومية , المبحث الخامس إصلاح التعليم . وفي الفصل الثاني قمت بجرد قواعد الإصلاح عند النورسي وتحليل بعضها , فهي كثيرة , تشمل جميع المجالات : الأمراض الإجتماعية , الإيمان القرآن الإبتلاآت , التصوف , دور الداعية الخ وأما الخاتمة , فضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث.

توصية :

قبل الحديث عن النورسي ومنجزاته وأفكاره الإصلاحية، وجب التعرض للإطار الزمني والمكاني، والظروف العامة للمرحلة التي عاصرها في الدولة التي نشأ وعاش فيها، فاعلا ومتفاعلا، كي نتمكن من فهم الأفكار والإصلاحات التي قدمها في إيطارها التاريخي والحضاري. وكما لا يخفى علينا فالنورسي عاش في الفترة الأخيرة من حياة الدولة العثمانية، التي عرفت الانحطاط والضعف ثم الزوال.

وسأتحدث هنا عن ثلاث نقاط مهمة وباختصار:

1- نبذة عن الدولة العثمانية نشأة ونموا وتطورا.

2- الحالة العامة للمرحلة التي عاصرها.

3- واقع العالم الإسلامي في عصر الإمام بديع الزمان سعيد النورسي

1. نبذة عن الدولة العثمانية.

عاش النورسي في كنف الدولة العثمانية التي يرجع أصلها إلى قبيلة تركمانية تعرف باسم (قابي خان)². هاجرت من وسط آسيا إلى تركيا (آسيا الصغرى والأناضول)، انقسمت القبيلة بعد وفاة زعيمها (سليمان) عام 629هـ -1231م) أقساما ثلاثة:

قسم عاد إلى موطنه الأصلي وقسم هاجر إلى الشام وقسم أثر البقاء في آسيا الصغرى معتمدا في معيشته على الرعي والتنقل بزعامة (أرطغرل) وهو أحد أبناء سليمان الأربعة³.

وقد سنحت الظروف لأرطغرل أن يدخل تحت خدمة السلطان (علاء الدين منقباد) السلجوقي كأمر إقطاعي على مراعي التلال في (دومانيچ) وسهل الصغد إلى الشمال الغربي من آسيا الصغرى، وذلك بعد إثباته لإقدامه وشجاعته في التصدي للدولة البيزنطية التي كانت لها حدود مشتركة مع الدولة السلجوقية⁴.

بعد وفاة أرطغرل عام (688هـ -1289م) عين السلطان السلجوقي ابنه عثمان -الذي تنسب إليه الدولة العثمانية- خلفا له عرف (عثمان أرطغرل) بحب الغزو والجهاد، ومشاورة الفقهاء، الأمر الذي جعل الناس تحبه وتلتف حول لوائه⁵.

بعد وفاته تابع السلاطين إرساء دعائم الدولة وتثبيت استقلاليتها ومن منجزاتهم في ذلك: - صك عملة خاصة بالدولة (عملة أقجة) أي القطعة البيضاء التي تم من خلالها تحقيق الاستقلال الاقتصادي، دعما للاستقلال السياسي والجغرافي.

² - أنظر ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية، ص: 13.

³ - أنظر ليلى الصباغ: تاريخ العرب الحديث المعاصر، ص: 56.

⁴ - أنظر: محمود السيد: تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، ص: 17، عبد العزيز نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، ص: 11.

⁵ - أنظر: ليلى الصباغ: تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ص: 57.

- خلق نوع جديد من جنود الجيوش يعرفون بالمشاة ويسمون بالإنكشارية (أي المعسكر الجديد).

- سن القوانين التي تخدم الدولة تنظيمياً، والتي استعانت فيها بالاقتباس من نظم الحضارة البيزنطية⁶.

- تحويل العاصمة إلى الحدود القريبة من الدولة البيزنطية لتسهيل عملية الإمداد في الفتوحات، والسيطرة على الأراضي المفتوحة حديثاً.

وهو ما قام به أورخان بن عثمان إذ فتح (بورصة) 726هـ/1326م وجعلها عاصمة له لتكون قاعدة التوسع في البلقان، وقام ابنه (مراد) من بعده بفتح (أردنة) عام 766هـ/1366م، وجعلها هو الآخر عاصمة له، واستمر السلاطين على ذلك فتم لهم ضم البلغار واليونان والجزء الشمالي من البلقان⁷.

عقب هذه الانتصارات ما عرف (بنكسة أنقرة) التي زحفت فيها جيوش التتر على أنقرة 804هـ/1402م- فأسر السلطان وعيث فساداً في الأناضول ومدنه، إلا أن الدولة بمجملها سلمت من الزوال أو التخريب الجلي بسبب انسحاب التتر تحضيراً لغزوا الهند فمات السلطان في الأسر 805هـ/1403م-. وتوقفت الفتوحات من بعده بسبب انصراف أبنائه الأربعة إلى التنازع على الحكم من بعده، بحروب أهلية دامت أكثر من عشر سنوات انتهت بانتصار (محمد) وتفرد به بالحكم وسميت هذه المرحلة بفاصلة السلطنة⁸.

ثم جاءت مرحلة التمكين والتوسع، حيث أعادت الدولة الإصلاح، وظهرت أكثر قوة وتماسكاً من ذي قبل، وذلك بعد أن أصلحت ما أفسدته جيوش التتر داخلياً، بإعادة البناء وال عمران و سن القوانين التنظيمية والاهتمام بالجوانب العلمية والاجتماعية والاقتصادية وخارجياً باستئناف عملية الفتوحات على نطاق أوسع وقد بلغت الدولة في هذه المرحلة ذروتها بفترة حكم سليمان القانوني.

تعتبر هذه المرحلة في حياة الدولة العثمانية مرحلة القوة والتقدم أو ما يسمى بمرحلة (الروح)* في ذروتها الحضارية وقد بلغت ذروتها في عهد سليمان القانوني، ولتعقيماً بعد ذلك مرحلة التوازن (العقل)* تعيش فيها الدولة الحضارة - عاكفة على ما صنعه الأجداد من أمجاد- دون أن تحاول محاولة جادة لاستئناف عملية الصعود والتطور (صناعة الحضارة) وفق الضرورات التي تستدعيها كل مرحلة لتأذن بذلك للضعف أن يحدث - بين أركانها- في شكله الخفي⁹.

مرحلة التوازن وظهور بذور الضعف: تبدأ من منتصف القرن السادس عشر أي نهاية فترة حكم سليمان القانوني 974هـ-1566م، الممثل لنقطة الذروة في حضارة الدولة وتنتهي مع نهاية القرن 17

⁶ - أنظر: عبد العزيز نوار: ص: 13-14.

⁷ - أنظر: عبد العزيز نوار: ص: 12-15-16/ محمود السيد: ص: 12/ ليلي الصباغ: ص: 60.

⁸ - أنظر: عبد العزيز نوار: ص: 15-17/ محمود السيد: ص: 24-25/ وساطع الحصري: ص: 18.

* مصطلحات يستعملها مالك ابن نبي في مؤلفاته لتفسير الدورة الحضارية في حياة الدول والأمم، أنظر: مالك بن نبي: ميلاد مجتمع: ص: 54-58.

* مصطلحات يستعملها مالك ابن نبي في مؤلفاته لتفسير الدورة الحضارية في حياة الدول والأمم، أنظر: مالك بن نبي: ميلاد مجتمع: ص: 54-58.

⁹ - أنظر: محمود السيد: ص: 96-97/ وليمي الصباغ: ص: 98.

بعقد الدولة لمعاهدة صلح كارلوتز عام -1110هـ-1699م- التي تعبر عن بداية مرحلة التنازلات عن أجزاء من إمبراطوريتها الواسعة.

ثم تأتي بعدها مرحلة الضعف والانحلال ثم السقوط، تبدأ هذه المرحلة مع بداية القرن الثامن عشر الميلادي وتنتهي مع السقوط الكلي عام -1342هـ-1924م- وتميزت عموماً بما يلي:

1- معاناة الدولة بسبب حروبها الطويلة مع النمسا والبندقية وروسيا مع نقص في الأرواح، التي لم تكن تعوض بسبب تقليل السلاطين من جلب أبناء المسيحيين لإدخالهم الجيش¹⁰، وانقلاب نظام الإنكشارية من جهاز جهادي إلى نظام للاستزاق كما أصبح الهدف الرئيسي لوجودهم غير واضح لديهم، هذا إضافة إلى ضعف الأسطول البحري بسبب عدم مواكبة للتطور القيادي البحري الذي كان يتمتع به الأعداء¹¹.

2- دفعت الخسائر البشرية والمادية -التي تكبدتها الدولة إثر حروبها الطويلة- إلى زيادة الضرائب وفق نظام عميق يعتمد على طريقة الالتزام، مما جعل الفلاح وأرضه يعتصران لدفع الالتزام¹².

3- فساد الإدارة: إذ تولى المناصب العليا في الدولة من لا تجربة لهم بشأن الإدارة والتسيير، وطغت الرشوة على ميدان القضاء كما ضعفت شخصية السلاطين، وظهر ما يسمى بظاهرة (حكم السیادات) الذي بدأ في القرن 17¹³.

4- تدهور التعليم والمؤسسات الدينية بسبب اهتمام الدولة بتنظيم مناصب دينية، وترك مجال التربية والتعليم والتكوين ملقى على عاتق أهل البلد في عناصره التفصيلية، كما ظهرت طبقة من المتعلمين المتأثرين بالثقافة الغربية في مسلكها الإصلاحية، أسهمت في تنمية وتضخيم القوميات الولائية التي نجم عنها ظهور التمردات وعمليات محاولة الانفصال، أو الاكتفاء بالتبعية الاسمية في أحسن الأحوال¹⁴.

5- عجز الدولة عسكرياً عن رد العدوان عن نفسها واضطرارها إلى عقد تحالفات مع الدول الغربية لتحقيق ذلك، كما تساهلت في منح الامتيازات لتلك الدول، والتي استغلتها للتدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية¹⁵.

6- عرفت محاولات إصلاحية واسعة شملت الجيش والإدارة:

أ- بالنسبة للجيش: ثم إلغاء نظام الإنكشارية (1242هـ/1826م) والعمل على إنشاء جيش جديد وفق الطرق الأوروبية الحديثة آنذاك والاستعانة في التدريب والتكوين بمدربين أوروبيين للقوات البرية والبحرية¹⁶.

¹⁰ كانت الدولة تقوم لدعم الجيش بجلب الصبية المسيحيين الصغار من البلاد المفتوحة حديثاً، ليربوا تربية إسلامية فكرياً وعسكرياً ويعيشون في ثكنات خاصة بهم لا يتزوجون ولا يختلطون بالمجتمع دورهم الوحيد هو الدفاع عن الدين والسلطة) أنظر: عبد العزيز نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية: ص: 13.

¹¹ - أنظر: عبد العزيز نوار: ص: 85/ ليلي الصباغ: ص: 110.

¹² - أنظر: عبد العزيز نوار: ص: 89.

¹³ - أنظر: عبد العزيز نوار: ص: 89.

¹⁴ - أنظر: عبد العزيز نوار: ص: 90.

¹⁵ - أنظر: عبد العزيز نوار: ص: 84.

ب- بالنسبة للإدارة: تمت الإصلاحات فيها على مرحلتين:

- المرحلة الأولى: عرفت باسم "التنظيمات" لأنها امتازت بتنظيم أمور الدولة على أسس جديدة، في الميادين الإدارية والقضائية والتعليمية وبالاقتراب من الأساليب الأوروبية الحديثة.

- المرحلة الثانية: عرفت باسم المشروطية لأنها حاولت أن تقيّد الحكم المطلق الذي كان يتمتع به الخليفة وأن تجعل حكم السلطان مشروطاً بمراعاة القيود المقررة في القانون الأساسي وفق نظام دستوري وقد تمت المشروطية على فترتين:

أعلنت الأولى عام 1876م إلا أنها عطلت من طرف السلطان لعدم اقتناعه بنجاحها، ثم أعلنت مرة أخرى بعد الثورة الداخلية التي قامت سنة 1908م ضد السلطان واستمرت إلى قيام الحركة الكمالية¹⁷.

7- سقطت الخلافة على يد الحركة الكمالية في 27 رجب 1342هـ 30 مارس 1924م بعد أن نفذ إلى مركز القرار أعداء الإسلام من أبناء الدولة العثمانية، الذين تربوا في أحضان غير نظيفة بتدبير من أعداء الإسلام الخارجيين من نصارى ويهود¹⁸.

بعدها تحدثت باختصار عن الدولة العثمانية وعن المراحل التي مرت بها الدولة، سأركز حديثي عن المرحلة التي عاصرها النورسي حتى نستطيع فهم المشاريع الإصلاحية التي قدمها النورسي في إطارها الزمني والمكاني غير مفصولة عن ظروفها الواقعية والحضارية.

2. الحالة العامة للمرحلة التي عاصرها النورسي.

ولد بديع الزمان سعيد النورسي في السنة التي تولى فيها السلطان عبد الحميد الثاني الحكم وعاش إلى ما بعد إسقاط الخلافة العثمانية، فترة حكم كل من كمال أتاتورك وخليفته من بعده إلى عهدة "جلال بايار".

وقد عرفت هذه المرحلة من عهد الدولة تحولات كبيرة وأحداث متسارعة، بسبب الضعف الذي ساد أغلب مؤسساتها الحيوية -الإدارية والعسكرية والتعليمية- الذي صحبه تيارات إصلاحية مختلفة، اختلاف تصورات واتجاهات المتصدّرين للحكم والقائمين على شؤون الإدارة يصب بعضها في نفس مصب التوجه الحضاري الأصيل للأمة الإسلامية، وبعضها الآخر يصب إلى السقوط في فخاخ النموذج الغربي العلماني.

كان يمثل التوجه الأول السلطان عبد الحميد الثاني الحامل لفكرة الجامعة الإسلامية وإعادة إحياء الجانب العلمي المقاصدي للخلافة الإسلامية، ويمثل التوجه الثاني في حركتي الاتحاديين والكماليين.

¹⁶ - أنظر: عبد العزيز نوار: ص: 84/ ليلي الصباغ: ص: 301-302/ محمود السيد: ص: 131 و 132.

¹⁷ - أنظر: ساطع الحصري: ص: 74-75/ محمود السيد: ص: 133-134.

¹⁸ - أنظر: عبد العزيز نوار: ص: 74-75/ أحمد نوري النعيمي: الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا حاضرها ومستقبلها: ص: 5.

* الأوضاع في عهد السلطان عبد الحميد الثاني:

عندما اعتلى السلطان عبد الحميد الثاني عرش السلطة العثمانية عام (1293هـ/1976م) كانت الدولة العثمانية قد تعرضت إلى شتى أنواع الاختراقات من قبل الدولة الأوروبية مما جعلها تصل إلى درجة دنيا من الضعف والتدهور. فبفضل قانون "الامتيازات الأجنبية" تمكنت الدول الغربية من خلق وضع مميز لها يخول لكل نصرانية حماية أتباعها داخل حدود السلطنة.

الأوضاع السياسية:

لقد كانت المشروطية¹⁹ نتيجة سلسلة الإصلاحات في الدولة العثمانية غير أن هذه الإصلاحات لم تتبلور في مفاهيم محددة، لأن شعاراتها كانت دعائية ولم يكن حقائق ثابتة²⁰، خاصة وأن الدولة العثمانية التي كانت محاطة بدول قوية طامعة كانت تتألف من قوميات وعناصر وأديان ولغات ومذاهب مختلفة، وهذا ما شكل مجالا خصبا لتدخل الدولة الأجنبية في شؤونها الداخلية²¹، وذلك بإثارة هذه العناصر والقوميات، لذا فإن التجربة الأولى التي تمت في أوائل حكم السلطان عبد الحميد لتطبيق نظام نيابي عام 1876م أخفقت تماما، واشتغلت ضد الدولة العثمانية ثم إذ تك جرها (بمؤامرة شارك فيها نواب الأقليات غير المسلمة- على حرب ضروس مع روسيا أنهكتها تماما²²).

وإمعانا في التحدي، فإن الدول التي انتحلت لنفسها حق التدخل في شؤون الدولة العثمانية دعت إلى عقد مؤتمر الأستانة مقر الخلافة (مؤتمر إستنبول الأول سنة 1876م)²³. ولمواجهة الخطر الخارجي اضطر السلطان عبد الحميد الثاني، إلى إحداث مزيد من النظم الإصلاحية، ومنح الامتيازات المختلفة للدول الأوروبية كي يكتسب صداقتها في حربه مع روسيا، فسمح لكل طائفة دينية بإنشاء مدارس خاصة بها، وبذلك انهارت الجسور الأخيرة التي حمت الدولة العثمانية من الطوفان الزاحف على هيئة تيارات قوية، عبر المسالك التي فتحتها أوروبا على الشرق بمساعدة حكام هذه البلاد أنفسهم من خلال رغبتهم في نقل النموذج الغربي²⁴.

وقد استطاعت الدول الأوروبية أن تشدد الخناق على الدولة العثمانية في أكثر من موقع، وذلك بإثارتها للأقليات غير المسلمة، وتشجيعها على الثورة والانفصال، ففي سنة 1875، ثارت الهرسك على الدولة العثمانية مطالبة بمزيد من الامتيازات والحرية في تسيير شؤونها، وقد وجدت كل الدعم

¹⁹ - المشروطية: الدستور الذي أصدره السلطان عبد الحميد الثاني (1876هـ/1909م) وعلى أساسه تم تشكيل أول مجلس نيابي في الدولة العثمانية.

²⁰ - أنظر: زكريا فايد: العلمانية النشأة والأثر في الشرق والغرب: ص: 106.

²¹ - سبب حرب القرم بين روسيا والدولة العثمانية عام (1853م) أزمات مالية.

²² - أنظر: علي سلطان: تاريخ الدولة العثمانية، ص: 323 وما بعدها.

²³ - أنظر: محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلمية العثمانية: ص: 315.

²⁴ - زكريا فايد: العلمانية: ص: 106.

والتأييد من روسيا والنمسا وبعض الدول الأوروبية الأخرى، واستمر الصراع في هذه المنطقة بضع سنوات²⁵.

وفي سنة 1890م تكونت في تفليس (بأرمينيا الروسية) جماعة ثائرة ضد الدولة العثمانية بدعم سياسي بريطاني واضح وبالمقابل قام السلطان عبد الحميد بتشكيل فرق من المتطوعين الأكراد سميت بالحميدية لمواجهة هذه الجماعة وبالفعل نشبت معارك ضارية بين الطرفين واستمرت أكثر من ثلاث سنوات²⁶.

وقد كان من الطبيعي أن تستنفذ هذه المواجهات والحروب خزينة الدولة وترهق كاهلها بالديون، وهو ما جعل أغلب جهودها مركزة على تسديد الديون بدل محاولة التعمير وتطوير مرافق الدول ومؤسساتها.

ورغم محاولات السلطان عبد الحميد الإصلاحية في بعض المجالات السياسية والاقتصادية والتعليمية، بإخماد الجمعيات السرية، والحد من نفوذ الدونمة والماسون وتشجيع رجال الفكر الإسلامي وفتح مجال للطباعة والصحافة وتأسيس جيش عصري وإنشاء جامعة إستنبول الإسلامية والمصرف العثماني وإحداث إصلاحات كبيرة في مجال التعليم وغيره من الجوانب الثقافية²⁷ إلا أن الضغوط الخارجية والتناقضات الداخلية لم تسعفه لمواصلة الإصلاح، وإن كان قد نجح في تأخير السقوط النهائي لدول الخلافة.

الأوضاع التعليمية والثقافية:

لم تستطع الدولة العثمانية أن توفق بين العلم والقوة، لأنها دولة قامت على الجندية، وانشغلت بالحروب مع دول كثيرة وقوية، وكان توجهها نحو العلم لخدمة الأغراض العسكرية فالعلوم الرياضية والطب وإنما نشأ كل ذلك في المدارس العسكرية²⁸ ولاسيما في عهد السلطان عبد الحميد. أما مؤسسات التعليم فكانت تابعة للأوقاف وهي مؤسسات شبه مستقلة وغير مقيدة بمقررات أو مناهج تعليمية معينة، لم تستطع هذه المؤسسات بمناهجها الجامدة أن تصمد أمام متغيرات العصر، فقد قاومت المشاريع الإصلاحية التي دعا لها بعض العلماء في فترات مختلفة كما عارضت فكرة إقامة المطبعة، لأنها قادمة من الدول النصرانية. غير أن السلاطين استطاعوا القيام بمشاريع إصلاحية سمحت بإبعاث الطلاب إلى المدارس الأوروبية وافتتاح مدارس متوسطة ذات نهج حديث وهو ما عرف "بالمكتب"²⁹ وبذلك حدث صراع بين اتجاهين:

²⁵ - أنظر: محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العثمانية: ص: 601-604.

²⁶ - أنظر: علي سلطان: تاريخ الدولة العثمانية: ص: 336-337.

²⁷ - أنظر: السلطان عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسة (1908/1891م) مترجم إلى اللغة العربية نقلا عن سميح رجب: الداعية الإسلامي بديع الزمان: ص: 4-5.

²⁸ - أنظر: سهيل الصبان: الأوضاع الثقافية في تركيا في القرن 14هـ، ص: 270.

اتجاه التعليم القديم واتجاه التعليم الجديد، ودام هذا الصراع فترة طويلة انتهت بغلبة التعليم الحديث نظرا لما كان يجلبه من امتيازات لطالبيه، ونظرا لانحياز الدولة له. وفي عهد التنظيمات لم تكتف الدولة بتشجيع المدارس الحديثة وإنما استقدمت المدرسين الفرنسيين للعمل في المدارس والكليات العسكرية، وسمحت بإقامة مؤسسات تعليمية أجنبية بإشراف الحكومات الأوروبية مباشرة في عاصمة الخلافة، وبذلك بدأ الغزو الثقافي الغربي للدولة، وقويت حركة ترجمة الفكر الأوروبي، وتكون بذلك تيار سار بالمجتمع أشواطا بعيدة في التغريب وبلغ هذا التيار مداه بعد الانقلاب الكمالي الذي قرر المناهج الغربية في جميع مراحل التعليم دون نقد أو تعديل، وألغى التعليم الديني الذي كان يعاني أصلا من الجمود والانغلاق، ليقطع صلة الشعب التركي بعلوم الإسلام ومناهجه التعليمية، فنشأت بذلك أجيال لا تؤمن إلا بالعلوم المادية وما تحكم به التجربة الحسية³⁰. وكان لإلغاء الحروف العربية أكبر الأثر في قطع صلة المجتمع بالإسلام وبالشعوب الإسلامية الأخرى، فأصبح جل الأتراك لا يعرف شيئا عن تاريخه وعن تراث آبائه وثقافته الإسلامية.

الأوضاع الاجتماعية:

شهد عهد التنظيمات بروز تغييرات اجتماعية وخلقية خطيرة في المجتمع العثماني، حيث ظهر الاقتباس واضحا لمظاهر الحياة الغربية في مختلف المجالات حتى أصبح شرب المسكرات في المواسم أمرا مسموحا به وغير معاقب عليه.

ومع الانقلاب الكمالي صدرت قوانين معادية للشريعة الإسلامية وممهدة لتنصير مسلمي تركيا باسم التقدم وتحرير المرأة، وأصبح يحق للمرأة المسلمة التركية الزواج بالنصراني أو اليهودي أو غيرها من ذوي الديانات الأخرى، وأصبح من المباحات بنص القانون شرب الخمر، ولعب الميسر وأكل لحم الخنزير، والارتداد عن الإسلام وارتكاب الفاحشة وأصبح من المحرمات الطلاق وتعدد الزوجات والحجاب الشرعي، وقام عدد من المؤسسات بنشر ما أطلق عليه "الأدب المكشوف" الذي يروج للخلاعة والمجون والفساد بدعوى الفن والأدب بأسلوب دقيق ومحكم لهدم بينة المجتمع وتخريب معتقداته³¹.

جمعية الاتحاد والترقي:

أنشأها طالب ألباني في المدرسة العسكرية السلطانية يدعى إبراهيم تيمو سنة 1889م³². هي تيار فكري وقومي تبلور في حركة سرية منظمة كانت تهدف إلى خلع السلطان عبد الحميد الثاني، رفعت شعارات: الحرية والمساواة والعدالة ووجدت المساعدة من الدول الأوروبية والمحافل الماسونية التي انتسب إليها كثير من قياديي الجمعية³³.

²⁹ - "المدرسة" أطلقت على المدارس التي تنتهج التعليم القديم و"المكتب" أطلق على المدارس الحديثة وهذه الثنائية في التعليم هي البداية لما جرى في فصل للتعليم الديني عن التعليم العام.

³⁰ - أنظر: سهيل صابان: الأوضاع الثقافية في تركيا: ص: 290.

³¹ - سهيل الصابان: الأوضاع الثقافية في تركيا: ص: 304.

³² - أنظر: أحمد السعيد سليمان: التيارات القومية والدينية: ص: 51.

وقد استطاعت أن تستميل عددا من أفراد الشعب بشعاراتها البراقة ونجحت في أوساط الإداريين والعسكريين وبخاصة في مدينة سلانيك التي كانت مقرا ليهود "الدونمة" ومركز الماسونية، وفي هذه المدينة انضم الجيش الثالث العثماني للاتحاد والترقي وتم إعلان التمرد ضد السلطان عبد الحميد في ليلة 1908/7/23م وأرسلت إليه برقيات تطالبه بإعلان الدستور وإعادة مجلس النواب في خلال أربعة وعشرين ساعة وإلا تحرك الجيش الثاني والثالث لاحتلال مقر الخلافة. وحققنا للدعاء اضطر السلطان إلى إعلان المشروعية، وافتتح مجلس النواب في آخر سنة 1908م وبهذا واصلت جمعية الاتحاد والترقي إلى الحكم وشرعت في تنفيذ سياستها وبعد سنة من إعلان الدستور تم خلع السلطان عبد الحميد الثاني ونفي إلى "سلانيك" ونصب أخوه محمد رشاد مكانه. ولم يحقق الاتحاد والترقي ما وعد من شعارات: الحرية والمساوات والعدالة بل أقام دكتاتورية حزبية لا علاقة لها مطلقا بهذه الشعارات كما أن محاولة تطوير الجيش لم تفلح كما أن المشاركة في الحرب العالمية الأولى عجل بنهاية الدولة العثمانية³⁴.

قيام نظام أتاتورك العلماني.

بعد أن انهزم زعماء الاتحاد والترقي وفقدت الدولة استقلالها هرب أغلبهم إلى الخارج، الأمر الذي اضطر السلطان وحيد الدين إلى الاستعانة بمصطفى كمال لتنظيم المقاومة في الأناضول ضد الاحتلال الأجنبي، وقد نجح مصطفى كمال في قيادة المقاومة غير أنه لم يكن يعمل في خدمة السلطان، وإنما كان يعمل بذكاء لحسابه الخاص، وحاول أن يعطي ثورته طابعا إسلاميا لينال تأييد الشعب، فتحدث في أكثر من مناسبة بلغة إسلامية، مثل خطابه في مسجد مدينة "بالكسیر" في 1929/02/17 حيث قال: إن المساجد ليست لكي ينظر بعضنا إلى بعض ركوعا وسجودا، بل هي للطاعة والعبادة، ولكي نتداول معا في أمور الدين والدنيا ونتشاور بيننا فيما نحتاج إليه، إن كل فرد من أفراد الشعب يجب أن يعمل لصالح بلده وروحا وجسدا، إننا هناك لأجل استقلالنا، ومستقبلنا وخاصة لسيادتنا ولننقضي بأرائنا وأفكارنا وما يجب أن نعمل به³⁵.

لقد استطاع مصطفى كمال أن يواجه الأحداث لصالحه، لأن السلطان لم يكن يملك أي سلطة فعلية، فهو شبه أسير، وكان الشعب يتطلع إلى زعيم يقود المقاومة ضد الاستعمار، وفعلا نجح مصطفى كمال في قيادة حزب الاستقلال، وحقق انتصارات متتالية، لذا فرض نفسه زعيما شعبيا، وتم اختياره رئيسا للمجلس الوطني التركي الكبير الذي شكل في أنقرة³⁶.

في 1922/11/17م وافق المجلس الوطني الكبير على تعيين عبد المجيد بن عبد العزيز خليفة للمسلمين، وبعد أيام قليلة افتتح مؤتمر "لوزان" الذي حضره وفد أنقرة فقط، وهنا فرضت أنجلترا شروطا للاعتراف باستقلال تركيا وهي:

³³ - أنظر: علي سلطان: الدولة العثمانية: ص: 353.

³⁴ - أحمد السعيد سليمان: التيارات القومية والدينية: ص: 51.

³⁵ - أحمد نوري النعيمي: الحركات الإسلامية الحديثة: ص: 17.

³⁶ - محمد فريد بك: تاريخ الدولة العثمانية: ص: 748-753.

1- إلغاء الخلافة الإسلامية إلغاء تام.

2- طرد الخليفة خارج الحدود.

3- مصادرة أمواله.

4- إعلان علمانية الدولة.

وقد تحققت هذه الشروط بعد المؤتمر ففي 29-10-1923 تم إعلان الجمهورية وبذلك دخلت تركيا ركب التبعية للغرب الصليبي.

وقد نجح عن إعلان الجمهورية:

- إلغاء الخلافة الإسلامية في 1924/3/3م، وإصدار قانون توحيد التعليم، وقامت الدولة بإغلاق

المدارس الدينية ووكالة الأوقاف الشرعية في التاريخ نفسه.

- وفي سنة 1925م منع الكماليون الطرق الصوفية وأغلقت التكايا والزوايا ومنعوا الزي الديني

الوطني وألزموا الدولة بلبس القبعة، وتوالى فرض القوانين المخالفة للدين حتى قبل الإعلان الرسمي للعلمانية.

- ألغي العمل بالشريعة الإسلامية حتى في الأحوال الشخصية وتم استبدال الحروف اللاتينية

بالعربية والتقويم الإفرنجي بالتقويم الهجري³⁷.

وأكد كمال أتاتورك حرصه على محو النفوذ الديني من شؤون الحياة كاملا بقوله: "إنه ليس

لتركيا الجديدة علاقة بالدين، وإن ذكر الدين الإسلامي في الدستور التركي عام 1924م لم يكن إلا مجارة للأفكار القديمة البالية، ولكن ذلك مقضى عليه بالزوال"³⁸.

وهكذا انتشر الإلحاد وظهرت كتابات معادية للإسلام في المجلات والجرائد، والسلطة الكمالية

لم تكتفي بوضع القوانين التي تحارب الدين وإنما قامت باضطهاد كل من رأت منه عدم الامتثال،

فأعدمت عددا كبيرا من علماء الإسلام، وأصدرت بحقهم قانون الخيانة الوطنية وهو القانون نفسه

الذي تم بموجبه إعدام الشيخ سعيد بيران وستة وأربعين عالما من أصحابه بحجة قيامهم بحركة

مقاومة كردية مدعومة من قبل الإنجليز، على حين في تحقيقها كانت حركة إسلامية ضد النظام

العلماني، كما أعدم كثيرون وغيرهم، وسجن وعذب آخرون في محاكم الاستقلال التي أنشئت لتصفية

خصوم العلمانية³⁹.

وهكذا ظلت العلمانية أساسا من أسس الحكم في تركيا وظل مصطلح العلمانية فضفاضا،

مرنا، حيث ترك بصيغته العامة التي تقول بفصل الدين عن الدولة حتى تفسره الدولة الحاكمة بما

يوافق مصالحها فاستنادا إلى العلمانية منع الأذان باللغة العربية عام 1931م ثم سمح به بعد ستة

عشرة عاما استنادا إلى العلمانية كذلك.

وتماشيا مع علمانية أتاتورك:

³⁷ - أحمد سعيد سليمان: التيارات القومية والدينية: ص: 64 / سهيل صابان: الأوضاع الثقافية في تركيا: ص: 126.

³⁸ - محب الدين الخطيب: أنقرة والدين الإسلامي: مجلة الفتح، عدد 283-280/2/69.

³⁹ - سهيل صابان: الأوضاع الثقافية في تركيا: ص: 128.

- تم إغلاق كثير من المساجد وحول بعضها إلى مراكز لحزب الشعب وجرى تأجيرها للمصاريف والشركات التجارية، بل إن بعض المساجد حول إلى أماكن للخمر والميسر.
 - تم إصدار قرارات تمنع قراءة القرآن الكريم وكل ما يمت إلى اللغة العربية بصلة.
 - تم تترك كل ما يتعلق بالصلاة وغيرها من الشعائر الإسلامية.
 - تم تكوين لجان مهمتها استبدال الألفاظ العربية المتداولة في الحياة بألفاظ تركيا خالصة⁴⁰.
- إن الأحداث التي شهدتها النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين هي أكبر من أن تختزل في سطور، إنما اكتفيت بذكر بعض الأزمات والانحلالات التي عرفها الوسط الذي نشأ فيه بديع الزمان ومدى تأثيرها على دعوته وفكره الإصلاحية.

3. واقع العالم الإسلامي في عصر الإمام بديع الزمان سعيد النورسي.

المغرب الأقصى:⁴¹

ونحن إذا ما بدأنا استعراض الواقع الإسلامي، مبتدئين من أقصى غربه، حيث الدولة الأولى التي انفصلت عن الخلافة العباسية، وبقيت محافظة على استقلالها وعزلتها عصر الخلافة العثمانية، بعد أن استوعبت ما تهدم من حضارة المسلمين في الأندلس، ونعني بذلك المغرب الأقصى، نجد أن هذا القطر كان في عهد النورسي تحت الأسرة العلوية التي قامت في بداية القرن الحادي عشر الهجري. وقد تميز الوضع السياسي آنذاك في هذه البقعة الإسلامية، بالضعف الداخلي للدولة، والتهديد الخارجي الصادر عن الدولة المسيحية الأوربية التي التهمت (الأندلس)، وأخذت تستعد للانقضاض على المغرب.

وقد توزع النظام السياسي بالمغرب آنذاك، بين طرفين أساسيين: بين السلطة المركزية للدولة العلوية، وبين ما كان يدعى ببلاد السببة⁴²، وقد واجهت السلطة المركزية أزمات سياسية بسبب ثورات بعض القبائل، واتساع بلاد السببة، وأصبحت هذه ثورات أكثر خطورة باشتداد الأزمة الاقتصادية (1878-1884م) التي صاحبها الجفاف، وهجوم الجراد، والغلاء، وظهور الأوبئة⁴³.

⁴⁰ - المرجع السابق: ص: 271.

⁴¹ - بديع الزمان سعيد النورسي وأثره في الفكر والدعوة لحسن عبد الرحمن بكير

⁴² - "السببة" لغة: مأخوذة من (السائبة) أي المهمل، لكن من في العرف المغربي تستعمل للدلالة على المناطق التي لا سلطة للدولة عليها. (أنظر: القاموس المحيط: 112/1).

⁴³ - أنظر: أحمد الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى: 164/9-165.

واستفحل التدخل الأجنبي، وتمكنت بعض الدول الأوروبية من احتلال ثغور مهمة على السواحل المغربية، وكبلت السلطة بمعاهدات غير متكافئة، منحت الدول الاستعمارية امتيازات تجارية، وأعطتها الحق في امتلاك الأراضي، وفي حماية المواطنين المغاربة.

ومن خلال مجموعة من الاتفاقيات الثنائية والمؤتمرات الدولية، استطاعت الدول الغربية تدريجياً التنسيق بين مصالحها المتضاربة، وتنظيم سياساتها تجاه البلاد العربية، وبذلك استأثرت فرنسا وإسبانيا بالمغرب سنة 1912م، مقابل إطلاق يد إيطاليا في ليبيا و يد بريطانيا في مصر⁴⁴.

* الجزائر: ⁴⁵

كانت الجزائر تحت سيطرة الاستعمار الفرنسي الذي قدم إليها سنة 1830م وبعد انهزام فرنسا أمام ألمانيا، وسقوط الإمبراطورية الثانية عام 1870م، قامت الجمهورية الثالثة الفرنسية، فشجعت حركة الاستيطان في الجزائر وتوزيع الأراضي على القادمين الجدد، كما منحت كل يهود الجزائر صفة "المواطن الفرنسي" دون قيد أو شرط⁴⁶. وألحقت إدارات الجزائر المختلفة بالوزارات المختصة في باريس. وبذلك استهدفت فرنسا ربط الشخصية الجزائرية المسلمة ببلد غريب عنها لغة وديننا، لأنها كانت تعد الجزائر الذرع الأول الذي ينبغي تحطيمه للتغلغل إلى باقي البلاد العربية والمسلمة.

* تونس: ⁴⁷

خضعت تونس فترة طويلة لحكم البايات، وارتبطت برباط معنوي وسياسي بالدولة العثمانية، وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت تونس ولاية ضعيفة في إرادتها وقدراتها، وكان الباي يركز على السلطة في يده على الرغم من جهله بفتون الحكم. وعلى الصعيد الاجتماعي كانت: "تعيش إلى حد بعيد نظم الإقطاع التي سادت أوروبا في العصور الوسطى".

وفي محاولة من الباي إصلاح الأوضاع السياسية والاقتصادية والعسكرية لجأ إلى الدول الأجنبية لاستدانة الأموال اللازمة، غير أن هذا الأمر أعطى امتيازات كثيرة للأجانب، ومع ازدياد أطماع الدول الاستعمارية حاولت تونس المحافظة على التوازن في تعاملها مع القوى الأجنبية، لكنها فشلت، ووقعت فريسة للاستعمار الذي اتخذ لنفسه وجهاً جديداً هو الحماية بدل قيامه بضم الولاية، أو إعلانها مستعمرة فرنسية.

وقد نجحت فرنسا في الانفراد بتونس بعد مساومات سياسية مهمة، تمثلت في إرضاء منافسيها... بريطانيا وإيطاليا وألمانيا، وذلك بغض الطرف عنهم فيما كانوا يسعون له من أهداف استعمارية في مناطق أخرى من العالم⁴⁸.

⁴⁴ - أنظر لوتسكي: تاريخ الأقطار العربية: ص: 330-344-364.

⁴⁵ - بديع الزمان سعيد النورسي وأثره في الفكر والدعوة لحسن عبد الرحمن بكير

⁴⁶ - أنظر: عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة: 5/335.

⁴⁷ - بديع الزمان سعيد النورسي وأثره في الفكر والدعوة لحسن عبد الرحمن بكير

⁴⁸ - شوقي أبو خليل: الإسلام وحركات التحرر العربية: ص: 93.

* ولايتا طرابلس وبرقة:⁴⁹

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عادت طرابلس وبرقة (ليبيا) إلى الحكم العثماني بعد سنوات من حكم الأسرة القرمانلية.

كان الحكم العثماني حكما قاسيا، وضعيفا عسكريا واقتصاديا، حاول التغلغل داخل البلاد، فلقى مقاومة عنيفة من القبائل المحلية التي كانت تنتظم في جماعات دينية عسكرية، استطاعت أن تبسط سيطرتها على أقاصي إفريقيا مثل تشاد والسودان⁵⁰.

ومع اشتداد الحملة الاستعمارية الأوروبية، رأت إيطاليا أنها أولى من غيرها في بسط نفوذها العسكري على ليبيا، لتكون قاعدة لها في زحفها على إفريقيا، فمهدت ليبيا لسياستها بالسيطرة الاقتصادية والاستيلاء على الأراضي.

وبعد مجموعة من الاتفاقات السرية والعلنية مع الدول المتنافسة، انطلقت إيطاليا نحو الشواطئ الليبية وبدأت احتلالها سنة (1911م)، غير أنها واجهت مقاومة استمرت سنوات طويلة⁵¹.

* مصر:⁵²

في هذه الفترة (1870م) كانت مصر تحت حكم أسرة محمد علي في استقلال شبه تام عن السلطة العثمانية.

حاول الخديوي إسماعيل -حاكم مصر- (1863-1879م) القيام بإصلاحات في المجال الإداري والقضائي، وتمكن من الحصول على الاستقلال المالي لمصر عن الباب العالي، غير أنه اتبع سياسة مالية قائمة على الاقتراض من الدول الأجنبية، خاصة فرنسا وإنجلترا، وهما البلدان المتنافسان في السيطرة على مصر وهذا ما ساعد هاتين الدولتين على فرض رقابة ثنائية على مصر، وتكوين ما دعى (الوزارة الأوروبية) لتسيير البلاد وإدارتها، وبذلك تحولت البلاد إلى مستعمرة للسيارة الإنجليزية والفرنسيين⁵³.
ومجالا للتدخل الكبير في السياسة المصرية، الأمر الذي جعل الطريق ممهدا للاحتلال الإنجليزي الذي استغل الأحداث الداخلية، ومهد لأهدافه بتحديد الدولة الأوروبية المنافسة، ولاسيما فرنسا.

* السودان:⁵⁴

ارتبطت السودان ارتباطا وثيقا بمصر، فكل دولة سيطرت على مجرى النيل في مصر سيطرت في الوقت نفسه على السودان.

⁴⁹ - بديع الزمان سعيد النورسي وأثره في الفكر والدعوة لحسن عبد الرحمن بكير

⁵⁰ - عبد الوهاب الكمالي: موسوعة السياسة: 5/553.

⁵¹ - لوشكي: تاريخ الأقطار العربية: ص: 372-373.

⁵² - بديع الزمان سعيد النورسي وأثره في الفكر والدعوة لحسن عبد الرحمن بكير

⁵³ - نفس المرجع السابق: ص: 238.

⁵⁴ - بديع الزمان سعيد النورسي وأثره في الفكر والدعوة لحسن عبد الرحمن بكير

كان السودان في السبعينيات من القرن التاسع عشر تحت الحكم العثماني المصري، مرتبطا
اقتصاده بالاقتصاد المصري، وفي خدمة الخزانة المصرية⁵⁵.

وقد زادت السيطرة الأوروبية على السودان في بداية السبعينات من القرن 19 من تأزم الوضع
الداخلي، الأمر الذي أدى إلى قيام ثورات شعبية، كان أبرزها الثورة المهديّة في شرق السودان.

* الشام والعراق:⁵⁶

بقيت سورية وفلسطين والعراق في السبعينات من القرن التاسع عشر أقاليم تابعة للدولة
العثمانية، غير أن ضعف الدولة المركزي، واحتدام التنافس الاستعماري الأوروبي جعل هذه الأقاليم
هدفا للتدخل الأجنبي، لاسيما الفرنسي والإنجليزي، حيث كانت فرنسا ترى أنها أولى بלבنان وسورية
وإنجلترا أولى بالعراق.

استغلت فرنسا المذابح التي وقعت في لبنان ضد المارونيين والدروز سنة (1860م) للتدخل
وفرض نظام سياسي طائفي، وفي هذه الفترة تكونت جمعيات وأحزاب سياسية سرية، في الأوساط
المثقفة في سورية ولبنان متحالفة مع بعض الدول الغربية ضد السلطة العثمانية، فكانت بداية حركة
العرب القومية

وفي العراق كان التغلغل الأجنبي في أوجه، حيث نجحت إنجلترا في السيطرة الاقتصادية عبر
شركاتها الضخمة، وتحولت هذه السيطرة من استغلال اقتصادي إلى تحكم سياسي. وعسكري مباشر
بعد أن دخلت تركيا الحرب العالمية الأولى (1914-1918م).

* شبه الجزيرة العربية:⁵⁷

كان شبه الجزيرة العربية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أكثر أجزاء البلاد
العربية تخلفا، وكان مجزأ إلى دويلات صغيرة متعددة تابعة لإنجلترا أو الدولة العثمانية.
وكانت الدولة السعودية التي استندت في قيامها على حركة محمد بن عبد الوهاب هي أكبر
الدويلات، غير أنها شهدت هي نفسها صرعا بين أفراد الأسرة الحاكمة على السلطة.

وقد استغلت الدول الاستعمارية هذا التناقض لتفرض سياستها على المنطقة، حيث
استطاعت إنجلترا أن تستولي على عدن، ثم بدأت تخضع مناطق الجزيرة العربية الواحدة بعد الأخرى
إما عسكريا أو بواسطة اتفاقات غير متكافئة يسلم فيها أمراء البلد كل السيادة لإنجلترا

* المجال الإسلامي للصحراء الكبرى في إفريقيا:⁵⁸

بدأ التوغل الأوروبي في الصحراء الكبرى مع مطلع القرن الثامن عشر بواسطة الرحالة
الجواسيس⁵⁹، الذين مهدوا باستكشافاتهم لاستقدام القوات العسكرية إلى المنطقة، وقد تسابقت

⁵⁵ - أنظر: أحمد الطريقي: دراسة في الوحدة الوطنية في السودان: ص: 45.

⁵⁶ - بديع الزمان سعيد النورسي وأثره في الفكر والدعوة لحسن عبد الرحمن بكير

⁵⁷ - بديع الزمان سعيد النورسي وأثره في الفكر والدعوة لحسن عبد الرحمن بكير

⁵⁸ - بديع الزمان سعيد النورسي وأثره في الفكر والدعوة لحسن عبد الرحمن بكير

⁵⁹ - أنظر: محمد سعيد القشاط: جهاد الليبيين ضد فرنسا في الصحراء الكبرى: ص: 87.

الدول الأوروبية إلى الاستيلاء على إفريقيا، ووصل التنافس بينها إلى حافة الصراع مع بداية الربع الأخير من القرن التاسع عشر، لذا شهدت أوروبا سلسلة من المعاهدات والاتفاقات لتنظيم اقتسام إفريقيا ونهبها، وكانت معاهدة (برلين) (1884-1885م)، أهم المعاهدات التي أخضعت إفريقيا كلها للاستعمار الأوروبي⁶⁰.

وكانت دول الصحراء الكبرى من نصيب فرنسا وإنجلترا وإيطاليا، حيث استطاعت الأولى أن تستأثر بأكبر مساحة، شملت: موريطانيا و السنغال ومالي (السودان الفرنسي)، وغينيا، والنيجر، وتشاد، والصومال الفرنسي، أما الثانية فاستولت على نيجيريا، وسودان وادي النيل، والصومال البريطاني، وزنجبار، وكان لإيطاليا السيطرة على الصومال الإيطالي، وبذلك أصبحت البلاد الإسلامية في الصحراء الإفريقية الكبرى وجنوبها خاضعة للاستعمار الأوروبي مع بداية القرن العشرين.

* آسيا الوسطى:⁶¹

كانت آسيا الوسطى إمارات ودويلات إسلامية مستقلة، وخلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تم إخضاعها للسيطرة الروسية والصينية.

وقد اتبعت روسيا تجاه هذه المناطق سياسة (الترويس) أي محاولة القضاء على القوميات الإقليمية لغة وديانة، وجعل هذه المناطق جزءاً من روسيا، ودفعت لتحقيق ذلك أعداداً كبيرة من مواطنها غير المسلمين إلى المناطق الإسلامية، كما هجرت عدداً كبيراً من المسلمين إلى مناطق أخرى بعيداً عن التجمع الإسلامي⁶².

وكان القانون القيصري يعد اعتناق أي دين يخالف الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا أمراً محرماً، وبذلك أعيق انتصار الإسلام.

وبعد سقوط الحكومة القيصرية أظهر المسلمون الإسلام علناً، وأعادوا مساجدهم إلى أصلها، لكن هذا الأمر كان مؤقتاً، فمع استتباب الأمر للثورة الشيوعية (1917م)، عاد الاضطهاد السابق، بل تجاوزه كثيراً، وقامت أعمال السلب والنهب تحت غطاء النظام الاقتصادي الجديد

كما استولى الصينيون على تركستان الشرقية منذ سنة (1759م)، ورغم الثورات التي واجهوها فإنهم استطاعوا ضمها إليهم عام (1881م) وأطلقوا عليها اسم (سيك يانج)، أي: الأرض الجديدة.

⁶⁰ - علق باحث على هذه المعاهدة بقوة "لقد كان معنى مؤتمر برلين إضفاء الشرعية والأحقية الدولية على التهام قارة من قارات العالم -أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي: 420/6).

⁶¹ - بديع الزمان سعيد النورسي وأثره في الفكر والدعوة لحسن عبد الرحمن بكير

⁶² - أنظر: محمود شاكر: تركستان: ص: 47-48، وأحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي: 8/87.

* جنوب شرق آسيا: ⁶³

الملايو وأندونيسيا:

إن اهتمام الغرب بجنوب شرق آسيا ليس أمراً جديداً، فهو يبدأ من القرن السادس عشر الميلادي مع الاكتشافات الجغرافية الغربية لهذه المنطقة، وقد مهدت تلك الاكتشافات التغلغل الاقتصادي ثم الاحتلال العسكري ⁶⁴ البرتغالي والهولندي والإنجليزي لاحقاً ⁶⁵، حيث برزت إنجلترا منافساً قوياً لهولندا التي أصبحت تعاني من الضعف بعد هزيمتها أمام جيوش نابليون بونابرت، لذا قامت تسوية استعمارية بين الدولتين عام (1824م) تسلمت إنجلترا بموجبها مستعمرات هولندا في الملايو، وسلمت إنجلترا إلى هولندا مستعمراتها في جاوة وجميع جزر أندونيسيا ⁶⁶. وتمكنت إنجلترا من بسط سيطرتها بواسطة عقد معاهدات فردية مع سلاطين الممالك الملايوية بالإغراء المالي تارة ⁶⁷ وبالتهديد تارة أخرى...

ومع حلول العقد الثامن من القرن التاسع عشر أضحى أرخبيل الملايو مقسماً بين الاستعمار الإنجليزي الذي احتل ما يعرف الآن بماليزيا، وبين الاستعمار الهولندي الذي سيطر على إندونيسيا.

* الفلبين: ⁶⁸

كان الفلبين تحت السيطرة الإسبانية منذ القرن السادس عشر الميلادي وقد "كان موقف إسبانيا من الفلبين امتداداً لموقفها الصليبي من مسلمي الأندلس، وهكذا أفرغت إسبانيا بالفلبين كل ألوان الحقد الذي كانت تحمله ضد المسلمين وطال الزمن بها في الفلبين (1521-1898م) فهذه المدة التي قاربت أربعة قرون قضت فيها إسبانيا على أجيال متتالية من المسلمين بطريق الحروب الشرسة المتتالية وألزمت كثيرين باعتماد المسيحية عن طريق المدارس، وعن طريق المستشفيات، وعن طريق الوظائف التي لم تكن تقدم إلا للمسيحيين ⁶⁹.

وعلى الرغم من السياسة الإسبانية في الفلبين استطاعت عدة سلطنات وإمارات إسلامية في الجنوب أن تحتفظ باستقلالها، لكن مع اندلاع الحرب الأمريكية الإسبانية وانهازم إسبانيا، انتقلت السيادة إلى الولايات المتحدة الأمريكية التي اتبعت سياسة إبادة ضد المسلمين بالذات ⁷⁰. واستمر الصراع سنوات حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية.

⁶³ - بديع الزمان سعيد النورسي وأثره في الفكر والدعوة لحسن عبد الرحمن بكير

⁶⁴ - عبد الوهاب بن الحاج كيا: مسلمو ماليزيا بين الماضي والحاضر، ص: 55-56، وأنور الجندي: البيضة الإسلامية في مواجهة الاستعمار: ص: 22.

⁶⁵ - أحمد شلي: موسوعة التاريخ الإسلامي: 488/8.

⁶⁶ - أحمد شلي: موسوعة التاريخ الإسلامي: 496/8.

⁶⁷ - أنظر: عبد الوهاب بن الحاج كيا: مسلمو ماليزيا: ص: 60.

⁶⁸ - كانت تدعى عذراء ماليزيا: أنظر: أحمد شلي: الموسوعة: 621/8.

⁶⁹ - أنظر أحمد شلي: الموسوعة: ص: 621/8.

⁷⁰ - المرجع نفسه: ص: 625.

* بلاد فارس: ⁷¹

كانت بلاد فارس في السبعينات من القرن التاسع عشر تحت حكم الشاه ناصر الدين (1848-1896م) وقد عرفت البلاد أزمات سياسية واقتصادية خطيرة نجمت عن التنافس الاستعماري البريطاني الروسي، وسوء العلاقة بالدولة العثمانية وبلاد أفغانستان التي فضلت الانحياز إلى الجانب البريطاني على الفارسي.

وبعد مواجهات عسكرية بين الشاه وبريطانيا عام 1857م عقد الجانبان معاهدات صلح حققت لبريطانيا أهدافها في المنطقة ومكنتها من الحصول على الامتيازات التجارية والسيطرة الاقتصادية، وقد كانت سياسة التبذير والإسراف والاقتراض الأجنبي التي سلكها الشاه الأثر الأكبر في إنهك الاقتصاد الوطني، وخضوعه للابتزاز الدول الأوروبية وتحكمها، وإذكاء نار الثورة الداخلية.⁷² وبعد سقوط الحكومة القيصريّة أظهر المسلمون الإسلام علنا وأعادوا مساجدهم إلى أصلها، لكن هذا الأمر كان مؤقتا، فمع استتباب الأمر للثورة الشيوعية 1917م عاد الاضطهاد السابق، وقامت أعمال السلب والنهب تحت غطاء النظام الاقتصادي الجديد.⁷³

كما استولى الصينيون على تركستان الشرقية منذ سنة 1759م وبرغم الثورات التي واجهوها فإنهم استطاعوا ضمها إليهم عام 1881م وأطلقوا عليها اسم (سينكيانج) أي الأرض الجديدة.⁷⁴

- **الهند:** ظلت الهند تحت الحكم الإسلامي للمغول، الذين مزجوا بين الحضارة الإسلامية وحضارة الهند إلى حدود نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر غير أن الصراع بين الحضارتين وتفكك الدولة المغولية، مهدا لتدخل قوى أجنبية سيطرت على السواحل الهندية وتوغلت منها إلى الداخل.

وقد تمكنت بريطانيا عبر شركاتها الكبرى من السيطرة الاقتصادية على الهند، ثم تحولت إلى سيطرة سياسية قائمة على إثارة التفرقة بين المسلمون والهندوس.

ونتيجة التحكم البريطاني في أقاليم الهند المختلفة قامت ثورة 1857م ضد الوجود البريطاني، غير أن بريطانيا قضت عليه بقسوة بالغة وحلت شركة الهند الشرقية البريطانية، وجعلت الهند تابعة للتاج البريطاني مباشرة.⁷⁵

وقد اتبع الإنجليز سياسة الاستغلال الاقتصادي والتفرقة بين المسلمين والهندوس، وكان الهندوس أقرب للاستمالة لذا فتحت أمامهم المؤسسات التعليمية والاقتصادية الإنجليزية حتى حققوا التفوق على المسلمين.⁷⁶

⁷¹ - بديع الزمان سعيد النورسي وأثره في الفكر والدعوة لحسن عبد الرحمن بكير

⁷² - عبد العزيز سليمان نوار: الشعوب الإسلامية: ص: 461.

⁷³ - عبد العزيز سليمان نوار: الشعوب الإسلامية: ص: 590/8.

⁷⁴ - المرجع السابق: ص: 612/8.

⁷⁵ - أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي: 561-562.

⁷⁶ - أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي: 563.

الباب الأول :
مصادر الفكر الإسلامي
عند النورسني

الفصل الأول: الأدلة النقلية.

المبحث الأول: القرآن الكريم.

1- القرآن الكريم.

إن الطابع العام الذي يطبع رسائل النور، أنها رسائل مستمدة قوتها من القرآن الكريم، ومقتبسة أنوارها من القرآن الكريم، وأخذة ماءها ورونقها وحياتها من القرآن الكريم، فهي رسائل قرآنية استخلص الأستاذ النورسي مادتها ومقوماتها من القرآن الكريم التي تتشعب بقيمه وحكمه ومضامينه ورأى بنوره وسار على هداه وملاً به قلبه، وسرى تياره في وجدانه فصار بذلك رجلاً قرانياً يفكر بالقرآن، ويكتب القرآن ويعلم بالقرآن يقول بديع الزمان في كتاب الملاحق: "إن رسائل النور برهان باهر للقرآن الكريم، وتفسير قيم له، وهي لمعة براقعة من لمعات إعجازه المعنوي ورشحة من رشحات ذلك البحر وشعاع من تلك الشمس وحقيقة ملهمة من كنز علم الحقيقة وترجمة نابعة من فيوضاته، إن رسائل النور ليست كالمؤلفات الأخرى التي تستقي معلوماتها من مصادر متعددة من العلوم والفنون، فلا مصدر لها سوى القرآن ولا أستاذ لها إلا القرآن ولا ترجع إلا إلى القرآن ولم يكن عند المؤلف أي كتاب آخر حين تأليفها فهي ملهمة مباشرة من فيض القرآن الكريم، وتنزل من سماء القرآن ومن نجوم آياته الكريمة"⁷⁷.

وقال أيضاً في نفس الكتاب: "إن رسائل النور ليس نورا مقتبسا وبضاعة مأخوذة من معلومات الشرق وعلوه ولا من فلسفة الغرب وفنونه، بل هي مقتبسة من العرش الرفيع السماوي لمرتبة القرآن الكريم الذي يسمو على الشرق والغرب، فرسائل النور هي ضياء معنوي وعلم في منتهى العلو والعمق معاً، لا تحتاج دراستها والتهيؤ لها إلى تكلف ولا داعي لأساتذة آخرين لتعلمها ولا الاقتباس من أفواه المدرسين حيث أن كل شخص يفهم حسب درجته، تلك العلوم العالية دونما حاجة إلى إشعال نار المشقة والتعب للحصول عليها فيفيد نفسه بنفسه وربما يكون عالماً محققاً"⁷⁸.

ورأى النورسي رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وسأله أن يدعو الله له: أن يفهمه القرآن وأن يرزقه العمل به، فبشره الرسول الكريم بذلك قائلاً له: "سيوهب لك علم القرآن شريطة ألا تسأل أحداً شيئاً، وأفاق النورسي من نومه وكأنما حيزت له الدنيا... بل ... أين هو من الدنيا وأين الدنيا منه... أفاق وكأنما حيز له علم القرآن وفهمه فقد آلى على نفسه ألا يسأل أحداً شيئاً، استجابة لشرط رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد وهبه الله ما تمنى، وصار القرآن الكريم أستاذه ومرشده وهدايته في الدياجير التي اكتنفت تركيا الكمالية.

⁷⁷ - الملاحق: (ملحق قسطنطيني: ص: 220-221).

⁷⁸ - الملاحق: (ملحق قسطنطيني: ص: 222-223).

إن رسائل النور للإمام المجدد الداعية المصلح سعيد النورسي هي الدواء الناجع والشافي لكل أمراض العصر الدينية والاجتماعية والفكرية الثقافية والسياسية وترشدنا بشكل سليم لكيفية التعامل مع الأحداث الكبرى التي تمر بها أمتنا الإسلامية.

- تعريف النورسي للقرآن الكريم:

هو الترجمة الأزلية لكتاب الكائنات الكبير... والترجمان الأبدي لألسنتها المتنوعة التالية للآيات التكوينية... ومفسر كتاب عالم الغيب والشهادة... وكذا هو كشاف لمخفيات الكنوز المعنوية للأسماء الإلهية المستترة في صحائف السماوات والأرض، وكذا هو مفتاح لحقائق الشؤون المضمرة في سطور الحادثات وكذا هو لسان عالم الغيب في عالم الشهادة، وكذا هو خزينة للمخاطبات الأزلية السبحانية والالتفاتات الأبدية الرحمانية الواردة من عالم الغيب المستور وراء حجاب عالم الشهادة هذا، وكذا هو شمس عالم الإسلام المعنوي وأساسه وهندسته، وكذا هو خريطة مقدسة للعوالم الأخروية.... وكذا القول الشارح والتفسير الواضح والبرهان القاطع والترجمان الساطع لذات الله وصفاته وأسمائه وشؤونه... وكذا هو المربي لهذا العالم الإنساني... وكالماء والضيء للإنسانية الكبرى التي هي الإسلام... وكذا هو الحكمة الحقيقية لنوع البشر... وهو المرشد المهدي إلى ما يسوق الإنسانية إلى السعادة... وكذا هو للإنسان:

كما أنه كتاب شريعة، كذلك هو كتاب حكمة، وكما أنه كتاب دعاء وعبودية، وكذلك هو كتاب أمر ودعوة، وكما أنه كتاب ذكر فهو كتاب فكر، وهو الكتاب المقدس الوحيد الجامع لكل الكتب التي تحقق جميع حاجات الإنسان المعنوية، حتى أنه قد أبرز لمشرب كل واحد من أهل المشارب المختلفة، ولمسلك كل واحد من أهل المسالك المتباينة من الأولياء والصدّيقين ومن العرفاء والمحققين رسالة لائقة لمذاق ذلك المشرب وتنويره، ولمساق ذلك المسلك وتصويره، فهذا الكتاب السماوي أشبه ما يكون بمكتبة مقدسة مشحونة بالكتب"⁷⁹.

التعريف الذي جاء به بديع الزمان النورسي ليست بذلك التعريف الشائع المتداول، لكنه اتجه اتجاهها مميزا في ذلك وذكر تعريفا مطولا يفهم القارئ من خلاله إرادة النورسي في توضيح مهمة القرآن الكريم ومنزلته العظيمة وكذا شموليته، وقدراته العجيبة التي لا تعترف بالزمان والمكان، وفي هذا الصدد يقول الإمام النورسي رحمه الله: "إن القرآن الكريم يخاطب كل طبقة من طبقات البشر في كل عصر من العصور وكأنه متوجه توجها خاصا إلى تلك الطبقة بالذات، إذا لما كان القرآن يدعو جميع بني آدم بطوائفهم كافة إلى الإيمان الذي هو أسمى القضايا وأدقها، وإلى معرفة الله وأنوارها، وإلى الأحكام الإسلامية التي هي أهم المعارف وأكثرها تنوعاً"⁸⁰.

⁷⁹ - المكتوبات: (الكلمة: 25، ص: 422).

⁸⁰ - الكلمات: ص: 274.

بعد الحديث عن التعريف الذي قدمه النورسي للقرآن الكريم سأنتقل لمجموعة من المحاور والنقط التي تؤكد أن النورسي ورسائله اتخذوا القرآن مصدرا أساسيا للإصلاح.

- موقع القرآن الكريم من مشروع النورسي الإصلاحي.

إن القرآن الكريم هو أهم منطلق اعتمد عليه النورسي، لضمان سلامة العملية الإصلاحية، وتحديد القرآن الكريم بشكل واضح منها، فهو يجعل منه الركيزة الأساسية، ويعول عليه كثيرا لتحقيق مشروعة الإصلاحي.

ولنوضح موقع القرآن الكريم من المشروع الإصلاحي عند النورسي وجب علينا توضيح أهمية العناية بالقرآن الكريم أثناء رسم مشاريع الإصلاح الديني والحضاري عامة:

- 1- كون القرآن الكريم الكتاب الوحيد المترفع عن الخضوع للزمان والمكان، ويستمد أصحاب كل عصر منهجا في التعامل مع مشاكلهم الروحية والنفسية والفكرية والحضارية⁸¹.
- 2- القرآن الكريم هو المصدر الذي تتم به مراجعة القديم، وتهذيب الجديد وتقديمهما في شكل تأصيلات علمية شرعية⁸².
- 3- بوصفه المنهج الهادي، الضابط لمناحي ومواضيع التفكير والملي لرغبات العقول والقلوب والأساس لبناء الحضارة⁸³.

وأما عن النقطة الأولى فيقول النورسي: "كلما شاب الزمن شب القرآن وتوضحت رموزه"⁸⁴. ويقول في السياق نفسه: "إن القرآن خطاب ودواء لجميع طبقات البشر من أذكي الأذكياء إلى أغبي الأغبياء ومن أتقى الأتقياء إلى أشقى الأشقياء ومن الموفقين المجدين الفارغين من الدنيا إلى المخذولين المتهاونين المشغولين بالدنيا"⁸⁵.

أما بالنسبة للنقطة الثانية: فإن النورسي قد قام بعملية المراجعة التأصيلية على ما ألم به من المعارف بنفسه أولا، فهو يذكر عنها أن عقله شابه بعض الأسقام بسبب إكثاره من الانشغال بالعلوم العقلية والفلسفية، ولما حاول تهذيبها حار في أي عظمة أهل الحقيقة يتبع للتخلص منها إذ وجد لكل منهم خاصية جذابة ثم اهتدى بعد ذلك إلى توحيد القبلة، ممثلة في جعل القرآن مرشدا وأستاذا⁸⁶.

ويقول عن رسائله المحققة في رسائل النور: "لا تحسبن الذي أكتبه شيء مضغته الأفكار والعقول، كلا! بل فيض أفيض على روح مجروح وقلب مقروح بالاستمداد من القرآن الكريم ولا تضمنه أيضا شيئا سيالا تذوقه القلوب وهو يزول، كلا! بل أنوار من حقائق ثابتة انعكست على عقل عليل وقلب مريض ونفس عبي.... إن ما يصادفك من المسائل من صورة البرهان والاستدلال ليس

⁸¹ - عمار حيدل: بديع الزمان وإثبات الحقائق الإيمانية: ص: 66.

⁸² - محمد الغزالي: نظرات في القرآن: ص: 4.

⁸³ - نفس المرجع: ص: 14-16.

⁸⁴ - المكتوبات: ص: 609.

⁸⁵ - المنتوي العربي النورسي: ص: 80.

⁸⁶ - المنتوي العربي: ص: 30، و ص: 104 و ص: 206.

برهاناً حتى يقال: فيه نظر بل مبادئ حدسية قيدت وعقدت واستحفظت بأنوار اليقين المفاضية من القرآن الكريم"⁸⁷.

وأما بالنسبة للنقطة الثالثة: كون القرآن الكريم ملبي لرغبات النفوس والعقول والقلوب، والأساس القويم لبناء الحضارة، فلم يغيب هذا البعد عن ذهن النورسي فهو الذي وصف القرآن الكريم على أنه: "أجوبة لمكررات أسئلة الطبقات البشرية بألسنة الأقوال والأحوال"⁸⁸.

ويقول أيضاً: "لما كان القرآن الكريم مرشدنا وأستاذنا وإمامنا ودليلنا في كل أعمالنا، وأنه يثني على نفسه فنحن إذ نستثني على تفسيره إتباعاً لإرشاده لنا"⁸⁹.

والنورسي يرى أن عامة الدين ومؤسسه هو القرآن الكريم مصدر أي تغيير حضاري يقول: "اعلم! أن القرآن مؤسس لهذا الدين المتين ولأساساته وأساسات لهذا العالم الإسلامي ومبدلها"⁹⁰.

إن مضمون المشروع الذي جعله النورسي قيد التنفيذ هو إعادة تجديد الحقائق الإيمانية وبعثها على مستوى القلوب والعقول والعمل على تمثيلها سلوكياً واجتماعياً ومواجهة التخريبات المعنوية التي تعرض لها الإيمان"⁹¹.

القرآن الكريم هو محور هذا المشروع الإصلاحي: يقول النورسي: "عصر مريض، وعصر سقيم، وعضو عليل وصفتها الطبية هي إتباع القرآن الكريم"⁹².

ولهذا السبب أخذ الشيخ بدیع الزمان النورسي على عاتقه تبیین حقائق القرآن والإيمان من خلال مجموعة رسائله حتى أنه يعتبرها تفسيراً معنوياً له، وأنها ذاتها دعوة إلى القرآن، وهو يستقي جميع تأصيلاته من الإرشادات القرآنية فكان داعياً للقرآن بالقرآن.

وتعتبر رسائل النور الوسيلة الموصلة لجرعات الدواء -الذي يصفه القرآن الكريم- لهذا العصر المريض، يقول النورسي: "أما رسائل النور فلكونها معجزة معنوية للقرآن الكريم فهي تنقد أساس الإيمان وأركانه، لا بالاستفادة من الإيمان الراسخ الموجود، وإنما بإثبات الإيمان وتحقيقه وحفظه في القلوب وإنقاذه من الشبهات والأوهام بدلائل كثيرة وبراهين ساطعة حتى حكم كل من يمعن النظر فيها بأنها أصبحت ضرورية في هذا العصر كضرورة الخبز والماء"⁹³.

ويقول أيضاً للغرض نفسه: "... بل يمكن لمن اختلط عقله بقلبه، أو التحق قلبه بعقله المشتت في آفاق الكثرة أن يستنبط منها (يقصد رسائل النور) طريقة كسكة الحديد متينة أمينة يسلك فيها تحت إرشاد القرآن الكريم، كيف لا وكل ما في رسائلي من المحاسن ما هو إلا من فيض القرآن الكريم، ولله الحمد كان القرآن هو مرشدي وأستاذي في هذا الطريق"⁹⁴.

⁸⁷ - المنتوي العربي: ص: 318، ص: 438، ص: 412.

⁸⁸ - المرجع نفسه: ص: 71.

⁸⁹ - المكتوبات: ص: 476.

⁹⁰ - المنتوي العربي النوري: ص: 71.

⁹¹ - أنظر الشعاعات: ص: 406.

⁹² - المكتوبات: ص: 600.

⁹³ - الملاحق: ص: 105.

⁹⁴ - المنتوري العربي: ص: 206.

وهذا فرسائل النور تقتبس من منهج القرآن الكريم، مخالفة سائر الكتب، حيث القرآن: "يخرج زلال معرفة الله من كل شيء فيستفيد السالك في "رسائل النور" في لحظة مالا يستفيدة سالكو سائر المسالك في سنة"⁹⁵.

إن المكانة التي نالها القرآن الكريم من مشروع النورسي الإصلاحي نابغة من الأثر الكبير الذي تركه في تكوينه الفكري والروحي والنفسي فهو لم تتح له فرصة الإطلاع على الكتب منذ نفيه أول مرة إلى "بارلا" ولم يبقى بين يديه إلا القرآن الكريم للمراجعة والتدبر، كما أنه عزم على اتخاذه الأستاذ الأول والوحيد لتهديب معارفه، واستخلاص الطريق الوحيد إلى الله عز وجل والمنهج القويم الذي يستشف منه أسلوب التعامل مع عصره المريض، يقول في ذلك: "إن بداية هذه الطرق جميعها ومنهج هذه الجداول كلها وشمس هذه الكواكب السيارة... إنما هو القرآن الكريم، فتوحيد القبلة الحقيقي لا يكون إلا في القرآن الكريم... فالقرآن أسى مرشد، وأقدس أستاذ على الإطلاق... ومنذ ذلك اليوم أقبلت على القرآن واعتصمت به واستمدت منه "الكلمات" والأنوار المستقاة من القرآن الكريم (يقصد رسائل النور) ليست مسائل علمية فحسب بل هي مسألة قلبية وروحية وأحوال إيمانية فهي بمثابة علوم إلهية نفيسة ومصارف ربانية سامية"⁹⁶.

× الرسائل تلميذ نجيب للقرآن الكريم.

إذا كان النورسي قد وصف القرآن بأنه كتاب ذكر وفكر، فلا جرم أن الرسائل هي أيضا مدونة فكر وذكر تحتذي في منهجها الإرشادي خطأ أستاذها القرآن، وتستلهم أنواره وتجلياته، وفي هذه المسألة يقدم النورسي توضيحا أكثر لهذه المقارنة بين تلميذ الفلسفة والحضارة الأوروبية وبين تلميذ القرآن الكريم فيقول:

"إن تلميذ الفلسفة يفر من أخيه أثره لنفسه، وقيم عليه الدعوى، أما تلميذ القرآن فإنه يرى جميع عباد الله صالحين في الأرض والسموات إخوانا له، ويشعر من أعماق روحه بأواصر شرق تشده نحوهم، فيدعوا لهم دعاء صالحا نابعا من صميم قلبه: (اللهم أغفر للمؤمنين والمؤمنات)، فهو يسعد بسعادتهم.

إن القرآن الكريم يمنح تلاميذه نماء ساميا للروح وانبساطا واسعا لها"⁹⁷.

× حكمة القرآن وهيمته.

يبين بديع الزمان أن القرآن الكريم قد بسط أحد جناحيه نحو الماضي والآخر نحو المستقبل فالحقيقة التي اتفق عليها الأنبياء السابقون هي أساس القرآن وأحد جناحيه، فهو يصدقهم ويؤيدهم وهم بدورهم يؤيدونه ويصدقونه، وكذلك فالعلماء اللاحقون كلهم يستمدون علمهم من القرآن، فهذا التكامل الحيوي يدل على أن القرآن الكريم هو ذو حياة وعطاء وذو حقيقة وأصالة"⁹⁸.

⁹⁵ - المنتوري العربي: ص: 92.

⁹⁶ - المكتوبات: ص: 459.

⁹⁷ - اللغات: ص: 183.

⁹⁸ - زياد خليل: منهج بديع في بيان إعجاز القرآن: ص: 30.

كما أن القرآن الكريم استطاع أن يعدل في الأصول ويكملها وأن يجمع محاسن الكتب السابقة وأصول الشرائع السالفة"⁹⁹.

ويخلص النورسي إلى أن بسط القرآن الكريم جناحيه على الماضي والمستقبل دليل على هيمنته، وتعديله وإكماله لما جاء في الكتب السابقة دليل حاكميته وتعلمد الحجم الغفير من العلماء دليل هيمنته، وأولى ما تكون هذه الهيمنة والحاكمية في جميع الجوانب العلمية والمعرفية والأخلاقية... فضلا عن الجانب الحياتي.

- شبابية القرآن الكريم:

- يعبر الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله على شبابية القرآن وفتوته فيقول: "إن القرآن الكريم قد حافظ على شبابيته وفتوته حتى كأنه ينزل في كل عصر نظيرا فتيا نعم، إن القرآن الكريم لأنه خطاب أزلي يخاطب جميع طبقات البشر في جميع العصور خطابا مباشرا، يلزم أن تكون له شبابية دائمة كهذه، فلقد ظهر شابا وهو خاص بذلك العصر ووفق مقتضياته ملقنا دروسه، ملفتا إليها الأنظار"¹⁰⁰.

"إن آثار البشر وقوانينه تشيب وتمرم، وتتغير وتتبدل، إلا أن أحكام القرآن وقوانينه لها من الثبات والرسوخ بحيث تظهر متانتها أكثر كلما مرت العصور"¹⁰¹.

ويقول أيضا مؤكدا على شبابية القرآن الكريم وجدته، ومبينا أن هذا العصر أصم أذنيه عن سماع القرآن الكريم:

"نعم إن هذا العصر الذي أغتر بنفسه، وأصم أذنيه عن سماع القرآن أكثر من أي عصر مضى، وأهل الكتاب منهم خاصة، أحوج ما يكونون إلى إرشاد القرآن الذي يخاطبهم ب "يا أهل الكتاب" حتى كأن ذلك الخطاب موجه إلى هذا العصر بالذات، إذ أن لفظ "أهل الكتاب"، يتضمن معنى أهل الثقافة الحديثة أيضا، فالقرآن الكريم يطلق نداءه يدوي في أجواء الآفاق ويملا الأرض والسبع الطباق بكل شدة وقوة وبكل نضارة وشباب فيقول: **{يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سوله بيننا وبينكم}**"¹⁰².

ثم إن بديع الزمان رحمه الله تعالى أخذ يعرض من الأمثلة التطبيقية ما يؤكد فتوة وشبابية القرآن الكريم الباقيتين في كل عصر على حد تعبيره.

فيقول: إن هذه المزية واحدة من أخطر وأروع المزايا التي لا تنطبق إلا على كتاب الله عز وجل: القرآن، غير أن هذه الميزة لا تولد وتستبين إلا في رحم الأجيال والعصور المتعاقبة، فالمسلمون في صدر الإسلام وعصوره الأولى لا يستطيعون أن يلاحظوا فيه هذه الميزة لجهلهم بما ستأتي به العصور اللاحقة من أعراف وتطورات ومعارف وعلوم جديدة حتى يستبين لهم موقف القرآن منها وحديثه عنها،

⁹⁹ - الكلمات: ص: 520.

¹⁰⁰ - الكلمات: ص: 471.

¹⁰¹ - آل عمران: 64.

¹⁰² - الكلمات: 471.

وأما اليوم وقد تراكمت على ساحة التاريخ ألوان من التقلبات والأفكار والاكتشافات والأحداث، متجمعة من سلسلة العصور المتلاحقة فإنه بوسعنا، إن عدنا نتأمل في خطاب القرآن لأصحاب هذه العصور كلها، أن نتبين جدة القرآن أو شبابيته على حد تعبير بديع الزمان من خلال تأليفه مع سائر ما قد مر أو يمر اليوم على دنيا الناس من تطورات في أعرافهم وأفكارهم وظروفهم وعلومهم.

يركز بديع الزمان حديثه عن جدة القرآن، رغم تقادم ذلك العصر الذي نزل فيه، على ما يحمله القرآن للناس من مبادئ ودساتير وقيم حضارية وسلوكية وبين لنا مدى احتياج الناس في كل عصر إليها في مقابل تهافت الجديد الذي يخالفه والذي تبتدعه اجتهادات الناس مع تقلبات الأزمنة والعصور. نعم إن القرآن الكريم لأنه خطاب أزلي يخاطب جميع طبقات البشر في جميع العصور خطابا مباشرا يلزم أن تكون له شبابية دائمة كهذه، فلقد ظهر شابا وهو كذلك كما كان، حتى أنه ينظر إلى كل عصر من العصور المختلفة في الأفكار والمتباينة في الطبائع نظرا كأنه خاص بذلك العصر ووفق مقتضياته ملقنا دروسه ملقنا إليها الأنظار.

* موقع مسألة الإعجاز من مشروع النورسي الإصلاحي

- مفهوم الإعجاز عند النورسي: لا يخرج في تحديده العام لمفهوم الإعجاز القرآني عما حدده السابقون فهو إذا أطلق يراد به غالبا: إثبات القرآن الكريم عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، إلا أنه يطلق مصطلح الإعجاز في بعض المواضع ويريد به معنا أوسع من المعنى المشهور، ويسميه بالمعجزة المعنوية للقرآن الكريم يطلقه كل ما من شأنه أن يؤيد سمو القرآن عن استطاعة الإتيان بمثله، فهو يعتبر وفق هذا أن رسائل النور معجزة للقرآن لأنها ستمد منه وتثبت أحكامه بأسلوب يجنب إنقاذها، يقول: "إن مما يثبت أن رسائل النور معجزة معنوية للقرآن الكريم في هذا العصر هو عدم انهزام مسلك رسائل النور -كسائر المسالك والطرق الصوفية- بل انتصاره وإدخاله الكثير من أهل العناد إلى حظيرة الإسلام"¹⁰³.

ويقول للمقصد ذاته: "فنحن نحمد الله أجزل الحمد ونشكره شكرا لا منتهى له على أن (رسائل النور) قد أصبحت ثرياقا شافيا لجروح عصرنا الدامية ومعجزة معنوية من معجزات القرآن الحكيم ولعة من لمعاته، استطاعت بموازنتها العديدة أن تحارب أشد المتعنتين بسيف القرآن الكريم الأمامي وتنصيب الحجج وتقسيم الأدلة على الوجدانية الإلهية وحقائق الإيمان بعد ذرات الكون"¹⁰⁴. وفي إطار هذا المفهوم الموسع نفسه يعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم بجميع معجزاته وخصوصياته معجزة للقرآن الكريم يقول:

"... فإن محمدا عليه الصلاة والسلام بكل معجزاته ودلائل نبوته وكمالاتها العلمية معجزة أيضا للقرآن الكريم وحجة قاطعة على أن القرآن كلام الله رب العالمين"¹⁰⁵.

¹⁰³ - الملاحق: ص: 26.

¹⁰⁴ - صقيل الإسلام: ص: 487.

¹⁰⁵ - الكلمات: ص: 518.

وتسمية النورسي لهذا النوع بـ "المعجزة المعنوية للقرآن الكريم" يدل على تفرقه بين الإعجاز الحقيقي للقرآن الكريم الذي وقع به التحدي وبين ما يصلح كدليل يدعم صدق القرآن، ومصدريته الإلهية، فهو يعتبر الأدلة التي يصح الاستدلال بها على صدق القرآن معجزة له لكونها تؤيده ولكن يسميها بالمعجزة المعنوية كي يفرق بينها وبين الإعجاز بالمعنى الحقيقي ويتوضح هذا المفهوم أكثر عندما يتحدث عن كتب التفسير التي ألفت عبر التاريخ والتي تعتبر هي الأخرى معجزة معنوية للقرآن، إن لم تكن بمفردها فبمجمليها: "... وكذا فإن آلاف العلماء الأفذاذ الذين قام كل منهم بكتابة تفسير للقرآن الكريم في مجلدات بلغ قسم منها ثلاثين أو أربعين مجلدا، بل سبعين مجلدا، وبياهم بأسانيدهم ودلائهم لما في القرآن مما لا يمر من المزايا السامية والنكات البليغة والخواص الدقيقة والأسرار اللطيفة والمعاني الرفيعة، والإخبارات الغيبية الكثيرة بأنواعها المختلفة وإظهار كل هؤلاء لتلك المزايا وإتباعهم لها دليل قاطع أن القرآن الكريم معجزة إلهية خارقة"¹⁰⁶.

فالمعجزة المعنوية للقرآن إذن لا تعدوا أن تكون الأدلة التي تدعم حقيقة إعجاز القرآن الكريم، وهذا الأخير هو الذي ضل النورسي رحمه الله يدندن حوله وألف من أجله "رسائل المعجزات القرآنية" وكتاب "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" وهو المفهوم الذي يوقف به في وجه الأعداء والمعاندين باعتباره المتحدى به يقول النورسي قبل ختم رسائل المعجزات القرآنية: "لقد انتهجنا من أول الرسالة هنا نهج المحايد الموضوعي في تحقيق قضية الإعجاز وقد أبقينا كثيرا من حقوق القرآن مطوية وخفية ومستورة فكنا نعقد موازنة تنزل الشمس منزلة الشموع وذلك كي نخضع خصما عاتيا لقبول إعجاز القرآن"¹⁰⁷.

فالفرق واضح لا يكتنفه غموض، إذ الأدلة الصالحة لدعم الإعجاز القرآني، والتي سميت بالمعجزة المعنوية لا ترقى إلى مقام الإعجاز ذاته المتحدى به.

× الإعجاز ومشروع النورسي الإصلاحى:

من كل ما سبق يتبين لنا أن القرآن الكريم يحتل الصدارة من المشروع الإصلاحى للنورسي وأنه المعول عليه في تأليف "رسائل النور"، والوسيلة الوحيدة التي أتيح بها للنورسي النزول إلى الواقع لجعل المشروع قيد الإنجاز: "إن المجموعة الكاملة لرسائل النور هي المرشد العلمى المعنوي لهذا العصر"¹⁰⁸.
لكن هذا القرآن -كي يستجاب لهديه وأوامره- لا بد أن يكون حاضرا في أذهان الناس والمؤمنين به خاصة أنه وحي رباني وأنه المعجز المتحدى به.

ومن هنا تأتي قيمة العناية بمسألة الإعجاز القرآني، فبقاء النظرة التقليدية القديمة في تناول قدسية القرآن لم تعد تجدي نفعا بحيث انحرفت من التقديس الوظيفي الواعي إلى تقديس غير وظيفي، مما حصر وظيفة القرآن في مجرد القراءة التبركية وانصرفت الأنظار عن استلهاهم هدايته واستثمارها لاستئناف المسيرة النهضوية الحضارية للأمة الإسلامية.

¹⁰⁶ - الكلمات: ص: 523 والساعات: ص: 180.

¹⁰⁷ - الكلمات: ص: 502.

¹⁰⁸ - الملاحق: ص: 103.

وزاد من تعميق المشكلة هجوم الغرب المركز على القرآن الكريم، الذي اجتهد كي يقيم حجابا كثيفا بين الأمة المصابة وبين قرآنها حتى إذا خلا له الجو فعل بها ما يشاء وفق مقاصده وغاياته الخبيثة"¹⁰⁹.

ولتجاوز هذه المشكلات كان لابد من إعادة تجديد النظر إلى القرآن الكريم، ولأجل تحقيق هذا الغرض، وظف النورسي مسألة الإعجاز القرآني، فإذا كان القرآن مركزا اعتماد "رسائل النور" في التأليف والتبليغ فإن الإعجاز هو شمسها التي تطل عليها، وتمنحها الوضوح يقول رحمه الله متحدثا عن "الكلمة الخامسة والعشرين" وهي الرسالة المخصصة لتبيين إعجاز القرآن: "ولما كانت رسائل النور قد أثبتت بدلائل قوية أن هذا القرآن معجز من أربعين وجها، وأنه كلام رب العالمين..."¹¹⁰.

وقد تناول النورسي الإعجاز القرآني من ناحيتين:

1- الناحية النظرية التأصيلية وخصص لها مجموعة من الرسائل:

- رسالة المعجزات القرآنية (ضمن كتاب الكلمات).
- رسائل المعجزات المحمدية (ضمن كتاب المكتوبات).
- رسالة الآية الكبرى (ضمن كتاب الشعاعات).
- المقابلة الثانية: عنصر البلاغة (تؤصل للوجه البلاغي من أوجه الإعجاز تتناوله ضمن كتاب صقيل الإسلام).

- بالإضافة إلى عدة إشارات متفرقة هنا وهناك في ثنايا مجموعة رسائل النور.

2- الناحية التطبيقية: تناول من خلالها النماذج التي تبرهن صحة الدراسة النظرية

التطبيقية وتناولها من جانبين جانب خاص وجانب عام.

أ- الجانب الخاص: ركز من خلاله على أوجه بعينها وأورد لها العديد من النماذج التطبيقية

منها:

- كتاب إشارات الإعجاز في مضان الإعجاز (خاص بتطبيق نظرية النظم على القرآن).
- المقام الثاني من الكلمة العشرين (ضمن كتاب الكلمات).
- ورسالة الإشارات القرآنية (ضمن كتاب الشعاعات)، خاصتين بالإعجاز العلمي.
- ب- الجانب العام: اعتبره جميع ما تحدث عنه من آيات قرآنية في ثنايا الرسائل نوع من بيان إعجاز القرآن الكريم، وهذا الجانب تمثله مجموعة رسائل النور، يقول النورسي: "فإن إظهار كل جزء من أجزاء رسائل النور لحقيقة من حقائق القرآن ولنور من أنوار، كل ذلك تصديق وتأكيد بأن القرآن الكريم ليس له مثل، وأنه معجزة خارقة"¹¹¹.

فلم يكن القصد من خلال هذا التناول الموسع لمسألة الإعجاز القرآني ضمن رسائل النور تكرارا لما حققه السابقون من مسائل، بقدر ما كان القصد توظيف المسألة لخدمة مضمون المشروع

¹⁰⁹ - أنظر محمد الغزالي: نظرات في القرآن: ص: 4.

¹¹⁰ - الشعاعات: ص: 167.

¹¹¹ - الشعاعات: ص: 180.

الإصلاحي، يتضح ذلك جليا من خلال العديد من تصريحاته، وطريقة تناوله عند تحقيق المسائل، يقول النورسي:

"إن رسائل النور ليست طريقة صوفية بل حقيقية، وهي نور مفاض من الآيات القرآنية، ولم تستق من علوم الشرق ولا من فنون الغرب، بل هي معجزة معنوية للقرآن الكريم خاص لهذا الزمان"¹¹².

* مسألة الإعجاز القرآني ودورها في التصوف الحرجة.

في ظل الظروف الحرجة أثار النورسي مسألة الإعجاز القرآني متناولا إياها في إطار التأصيل لمسيرة العودة بالمجتمع إلى رحاب الإسلام فعليا مستفيدا منها لأجل إثبات الأساس الذي تبنى عليه الحقائق الإيمانية المرجوتمثلها واقعا بتفاعل مع متطلبات الحياة .

يقول النورسي عن دافع إثارة مسألة الإعجاز أنه رأى نفسه في المنام تحت (جبل آارات) -في وان- "وإذا بالجبل ينفلق انفلاقا هائلا فيقذف صخورا عظيمة كالجبال إلى أنحاء الأرض كافة... وإذ أنا بتلك الحالة إذا بشخص عظيم يأمرني قائلا:

بين إعجاز القرآن، فأفقت من نومي، وأدركت أنه سيحدث انفلاق عظيم، وستهدم الأسوار التي تحيط بالقرآن الكريم من جراء ذلك الإنفلاق العظيم، وسيتولى القرآن الكريم الدفاع عن نفسه بنفسه حيث سيكون هدفا للهجوم، وسيكون إعجازه حصنه الفولاذي، وسيكون شخص مثلي مرشحا للقيام ببيان نوع هذا الإعجاز في هذا الزمان، وأدركت أنني مرشح للقيام بهذا العمل"¹¹³.

¹¹² - الملاحق: ص: 202.

¹¹³ - المكتوبات: ص: 475.

المبحث الثاني: السنة الشريفة:

إن الفكر القرآني عند النورسي معزز بالسنة الشريفة، ومدعم بتفسيرها وبيانها، يقول في توضيحه لقوله تعالى: {قل لن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله} ¹¹⁴، تعلن هذه الآية العظيمة إعلاناً قاطعاً عن مدى أهمية إتباع السنة النبوية ومدى ضرورتها:

نعم إن هذه الآية الكريمة أقوى قياس وأثبتة من القياس الاستثنائي ضمن المقاييس المنطقية، إذ يرد فيه على وجه المثال: "إذا طلعت الشمس فسيكون النهار"، ويرد مثلاً للنتيجة الإيجابية: "طلعت الشمس فالنهار إذا موجود" ويرد مثلاً للنتيجة السلبية "لا نهار فالشمس إذا لم تطلع" فهاتان النتيجتان –الإيجابية السلبية- ثابتتان وقاطعتان في المنطق، وكذلك الأمر في الآية الكريمة: فنقول: إن كان لديكم محبة الله فلا بد من إتباع لحبيب الله، وإن لم يكن هناك إتباع فليس لديكم محبة الله، فلا بد من إتباع لحبيب الله، وإن لم يكن عنك إتباع فليس لديكم إذا محبة الله إذ لو كانت هناك محبة حقاً فإنها تولد حتماً إتباع السنة الشريفة لحبيب الله ¹¹⁵.

وهكذا فالنورسي يخصص مساحات واسعة في رسائله يتناول فيها بالإضاءة والتحليل جوانب مختلفة من سيرته صلى الله عليه وسلم وكذلك من سنته الشريفة.

والنورسي رحمه الله تعالى لا يريد أن يكتب سيرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أن يحيط بسننه، وإنما هو يتجاوز هذا الذي يعني به المؤرخون والمحدثون والذي كادوا أن يشبهوه بحثاً، إلى تناول جوانب معينة من السيرة، وتجيئ في سياق رسائله متجانسة مع موضوعاتها، ومؤكدة مراميها، أي أنه – بعبارة أخرى- يركز معالجته عند البعد الإيماني للسيرة، طالما أن هدفه الأساس في رسائله جميعاً هو تأكيد الإيمان في مواجهة الكفر والإلحاد.

وقد خصص النورسي مواضيع ثمانية خصصت بكاملها في رسائله للحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمواضيع هي:

- "الرسالة الأحمديّة": في الكلمة 19 ص: (254-268).
- "أصول في فهم أحاديث الساعة وثواب الأعمال": الكلمة 24، ص: (286-402).
- "المعراج النبوي": الكلمة 31، ص: (666-706).
- "المعجزات الأحمديّة": المكتوب 19، ص: (111-287).
- "مناهج السنة": في اللمعة الرابعة ص: (28-38).
- "الأخبار بالغيّب": اللمعة 7، ص: (40-49).
- "مراقبة السنة وترياق مرض البدعة: اللمعة 11، ص: (80-96).
- "شواهد النبوة": القسم 3 من الشعاع 5، ص: (654-669).

¹¹⁴ - آل عمران: الآية: 31.

¹¹⁵ - المكتوبات: ص: 666.

هذا فضلا عن لمسات ومعالجات متفرقة عبر العديد من رسائله يمس فيها الموضوع مسـا
سريعا¹¹⁶.

والنورسي في كتاباته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجاوز المنهج التاريخي وما يتضمنه من مطالب وتقنيات، كما أنه يتجاوز منهج المحدثين إلى ما يمكن اعتباره منهجا تأمليا استدلاليا برع فيه النورسي فنفذه في رسائله كافة بما في ذلك الأقسام المخصصة للسيره والسنة وهو يصرح بمنهجه هذا في مقدمة رسالته عن "المعجزات الأحمديّة" يقول النورسي رحمه الله: "إن أثر عناية ربانية... قد ظهر أثناء تأليف هذه الرسالة أذكره لقرائنا الكرام كي يلتفتوا إليها باهتمام بالغ: كانت الكلمتان 31 و 19¹¹⁷ اللتان تبحثان عن الرسالة الأحمديّة مؤلفتين، لذا لم يرد إلى قلبي شيء حول تأليف هذه الرسالة، ولكن إذا بخاطرة ترد إلى القلب مباشرة تلح علي بالتأليف في وقت كانت حدة حافظتي قد كلت وخبث جذوتها تحت وطأة المصائب والبلايا، فضلا عن أنني لم أسلك في مؤلفاتي سبيل النقل من الكتب (قال فلان... قيل كذا...) وعلاوة على أنه ما كان لدي أي مصدر من مصادر الحديث الشريف أو السيرة المطهرة، على الرغم من هذا قلت توكلت على الله، وشرعت بتأليف هذه الرسالة متوكلا عليه وحده فحصل من التوفيق الإلهي ما جعل حافظتي قوية بحيث كانت تمدني إمدادا يفوق بكثير حافظلة "سعيد القديم"¹¹⁸ حتى كتبت نحو أربعين صحيفة في سرعة فائقة خلال ما يقرب من أربع ساعات بل كتبت خمس عشر صحيفة في ساعة واحدة وكانت النقول على الأغلب من كتوب الأحاديث كالبخاري ومسلم والبيهقي والترمذي والشافا للقاضي عياض وأبي نعيم والطبراني وأمثالها، وكان قلبي يخفق ويرجف بشدة كلما ورد حديث شريف خطأ -لما يترتب عليه من إثم- ولكن كتب الأحاديث بفضل الله سليمة صحيحة فأدركنا يقينا أن العناية الإلهية معنا وأن الحاجة إلى هذه الرسالة شديدة، ومع هذا فإذا ما ورد في ألفاظ الحديث الشريف أو في اسم الراوي خطأ فالرجاء من الإخوة الأعزاء تصحيحه والصفح عن الخطأ"¹¹⁹.

وللتوضيح سأعرض بإيجاز معطيات النورسي والمفردات التي يتعامل معها عبر الموضوعات أو المقاطع الثمانية التي تنطوي عليها رسائله في "الكلمات" و "المكتوبات" و "اللمعات" و "الشعاعات".

× الرسالة الأحمديّة:

يقسم الكلمة التاسعة عشرة إلى أربعة عشر رشفة، يشير في أولها إلى الأدلاء الكبار الذين يعرفون بالله سبحانه وهم: كتاب الكون، وشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم. ويقف عند الدليل الثاني حيث خصص للدليلين الآخرين مباحث واسعة في أماكن أخرى من رسائله.

¹¹⁶ - أنظر الكلمات: ص: 62-63-72-96-118-119-417-831-832، المكتوبات: ص: 391-397.

¹¹⁷ - تعالج الكلمة (31) المعراج النبوي، وتعالج الرسالة (19) جوانب من الرسالة الأحمديّة.

¹¹⁸ - سعيد القديم: هو اللقب الذي يطلقه النورسي على نفسه قبل قيامه بتأليف رسائل النور.

¹¹⁹ - المكتوبات: ص: 256.

وفي الرشحة الثانية يتحدث عن دلائل التصديق برسالته من كتب سماوية سابقة وإرهاصات مشهودة ومعجزات فضلا عن شخصيته صلى الله عليه وسلم، بجوانبها كافة.

وفي الرشحة الثالثة لمحة عن الأهداف الأساسية التي أرسل من أجلها، وفي الرشحة الرابعة والخامسة والسادسة حديث عن التحولات الكبرى التي أحدثها الرسول صلى الله عليه وسلم بهدي الله سبحانه وتأييده على مستوى التصور والسلوك.

وفي الرشحة الثامنة مقارنة بين قدرته المذهلة على التغيير ونجاحه في تنفيذه على شتى المستويات، وبين عجز الفلاسفة والوضعيين عن إنجاز جزء من مائة مما فعله صلى الله عليه وسلم.

وفي الرشحة التاسعة حديث مدعم مما فعله صلى الله عليه وسلم .
وفي الرشحة العاشرة فإنه يشير إلى المتغيرات الكونية التي تنبئ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبهم الحساب الذي ستنقلب فيه النسب والظواهر والموازين، وإلى خطورة هذه الحقائق بالنسبة للحياة التيارية.

وفي الرشحتان 12 و 13 فتقفان عند حرص الرسول صلى الله عليه وسلم وتفانيه ودعائه الموصول من أجل الإنسان، وخلصه وفوزه، والرشحة الأخيرة الأكبر مساحة، فتفصل القول في كتاب الله باعتباره المعجزة الكبرى لنبوته محمد صلى الله عليه وسلم.

إن الرسالة الأحمدية رحلة سريعة في عالم الرسالة والرسول صلى الله عليه وسلم، لا يطيل الوقوف في المحطات فالذي يهمها ليست التفاصيل وإنما الجوهر والمغزى... المتغيرات الأساسية والوظائف الكبرى.

والرسول صلى الله عليه وسلم دليل إلى الله سبحانه... شهود الإثبات على رسالته... الأهداف الأساسية والتحويلات الكبرى... القدرة على التغيير... الصدق المطلق... المصير البشري والكوني... الحرص على إنقاذ الإنسان... ثم كتاب الله باعتباره الشاهد الأكبر على نبوته صلى الله عليه وسلم .

إن هذا المقطع من معطيات النورسي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف جل المقاطع الأخرى، لا يقف عند مسألة واحدة أو يمحص لموضوع واحد، وإنما هو أحاديث عن جوانب وموضوعات شتى ولعله لهذا السبب، كان المقطع الأول عن السيرة في رسائل النورسي كافة إنه أشبه بمقدمات أو تمهيد موجز للمقاطع التالية:

- أحاديث الساعة وثواب الأعمال.

هنا يقف النورسي عند الأحاديث الشريفة التي تبحث في علامات الساعة وأحداثها، وفي فضائل الأعمال وثوابها، والتي ضعفها عدد من أهل العلم المعتدين بعقولهم، ووضعوا بعضها في عداد الموضوعات وتطرف آخرون من ضعاف الإيمان المغرورون بعقولهم فذهبوا إلى إنكارها¹²⁰، ويشير النورسي إلى أنه لا يريد أن يناقشهم في التفاصيل وإنما ينسبه إلى عدد من الأصول التي يمكن الاستهداء بها في فهم هذه الأحاديث الشريفة.

¹²⁰ - الكلمات: ص: 386.

يقول النورسي: "إن الدين امتحان واختبار، يميز الأرواح العالية من الأرواح السافلة، لذا يبحث في الحوادث التي يستهداها الناس في المستقبل بصيغة ليست مجهولة ومبهمة إلى حد استعصاء فهمها، وليست واضحة وضوح البدهة التي لا مناص من تصديقها، بل يعرضها عرضاً منفتحاً على العقول، ولا يعجزها ولا يسلب منها القدرة على الاختيار فلو ظهرت علامات الساعة بوضوح كوضوح البديهيات واضطر الناس إلى التصديق لتساوى عندئذ استعداد فطري كالفحم في خصاصته مع استعداد فطري آخر كالألماس في نفاسته ولضاع سر التكليف وضاعت نتيجة الامتحان سدى فلأجل هذا ظهرت اختلافات كثيرة في مسائل عديدة كمسائل المهدي والسفياني، وصدرت أحكام متضاربة لكثرة الاختلاف في الروايات"¹²¹.

- المعراج النبوي:

يحتل هذا الموضوع الذي تنفرد به الكلمة 31 مساحة واسعة تقارب الأربعين صفحة (666-701) ويوليه النورسي اهتماماً خاصاً لكونه يترتب عن أصول الإيمان وأركانه "فهو نور يستمد ضوءه من أنوار الأركان الإيمانية بل لا يذكر أصلاً لمن لا يؤمن بالله جل وعلا، ولا يصدق بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أو ينكر الملائكة والسموات، وإلا بعد إثبات تلك الأركان لهم مقدماً وبهذا يصبح المؤمن الذي تساوره الشكوك والأوهام فيستبعد المعراج موضع الخطاب من أجل فائدته وشفائه بإذن الله ومع ذلك يلاحظ بين آونة وأخرى "ذلك الملحد الذي يتقرب في موضع الاستماع" وهذا قد يتلقى أيضاً جانباً من الخطاب الذي يفيد"¹²².

باختصار شديد فإن حكمة المعراج تبدو في رأي النورسي وفق السياق التالي: "مادام رب العالمين له جمال مطلق وكمال مطلق، بشهادة آثاره ومصنوعاته، وأن الجمال والكمال محبوبان لذاتهما فمالك ذلك الجمال والكمال، إذن له محبة بلا نهاية لجماله وكماله وتلك المحبة تظهر بوجوه عدة وأنماط كثيرة في المصنوعات فيولي سبحانه مصنوعاته حبه لما يرى فيها من أثر جماله وكماله ولما كان أحب المصنوعات وأسمائها لديه دور الحياة الشعور، وأحب ذوي الحياة وأسماهم ذوو الشعور وأحب ذوي الشعور الإنسان، فأحب الإنسان إذا هو ذلك الفرد الذي انكشفت استعداداته انكشافاً تاماً فأظهر إظهاراً كاملاً نماذج كمالاته سبحانه المنتشرة في المصنوعات والمتجلية فيها"¹²³.

*- فوائد المعراج عند النورسي:

- رؤية حقائق الأركان الإيمانية - كالملائكة والآخرة وحتى الذات الجلية رؤية عين وبصر.
- تلقي أسس الإسلام وفي مقدمتها الصلاة.
- مشاهدة كنوز السعادة الأبدية ودقائق النعيم المقيم، وتسلم مفتاحها وتقديمه هدية للإنس والجن.
- رؤيته جمال الله عز وجل.

¹²¹ - الكلمات: ص: 387-388.

¹²² - الكلمات: ص: 666.

¹²³ - الكلمات: ص: 685.

- تقييم الإنسان كائنًا جليل القدر، مكرما محبوبا لدى الصانع الجليل¹²⁴.

والجدل حول طبيعة المعراج محسوم في فكر النورسي كما هو محسوم في الإسلام ووجدان المسلمين، منذ اللحظة التاريخية التي تم الإعلان فيها عن الرحلة الفذة في كتاب الله وعلى لسان رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم.

- المعجزات الأحمدية:

الحديث عن المعجزات النبوية يطول، وقد قيل فيه الكثير وكتب الكثير ولا يزال ملفه مفتوحا بخلاف الكثير من الأمور التي حسمت عن عصر الرسالة.

والنورسي يرى في المعجزة بحد ذاتها تصديقا من رب العالمين لدعوى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم أي كأن المعجزة تقوم مقام قول الله سبحانه وتعالى: {صدق عبدي فأصيعوه}¹²⁵. غير أن دلائل صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وبراهين نبوته لا تنحصر في معجزاته بل يرى المدققون أن جميع حركاته وأفعاله وأحواله وأقواله وأخلاقه وأطواره وسيرته وصورته كل ذلك يثبت إخلاصه وصدقه ولقد صدق نبوته مئات الألوف من الناس المتباينين في الفكر بمئات الألوف من الطرق، والقرآن الكريم وحده يظهر ألف من البراهين على نبوته صلى الله عليه وسلم.

- يصنف دلائل نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قسمين.

- أولهما: الحالة التي سميت بالإرهاصات وهي الحوادث التي وقبل النبوة ووقعت الولادة.

- وثانيهما: دلائل النبوة الأخرى التي تنقسم إلى قسمين:

أ- الخوارق التي ظهرت بعده تصديقا لنبوته.

ب- الخوارق التي ظهرت في فترة حياته المباركة وهذا أيضا قسمان:

1- ما ظهر من دلائل النبوة في شخصه وسيرته وصورته وأخلاقه وكمال عقله.

2- ما ظهر منها من أمور خارجة عن ذاته الشريفة أي في الآفاق والكون وهذا أيضا قسمان:

قسم معنوي وقرآني، وقسم مادي وكوني وهذا الأخير قسمان أيضا:

أولهما: المعجزات التي ظهرت خلال فترة الدعوة النبوية، وهي إما لكسر عناد الكفار أو لتقوية إيمان المؤمنين.

وثانيهما: الحوادث التي أخبر عنها صلى الله عليه وسلم قبل وقوعها وظهرت تلك الحوادث

وتحققت كما أخبر¹²⁶.

- مناهج السنة:

تتضمنها اللمعة الرابعة من اللمعات، والتي ارتأى النورسي تسميتها ب (مناهج السنة) معالجة موجزة لمسألة محبة آل البيت رضي الله عنهم وتطورها في مراحل تالية إلى الانقسام المعروف بين أهل

¹²⁴ - الكلمات: ص: 695-701.

¹²⁵ -

¹²⁶ - المكتوبات: ص: 116-117.

السنة والجماعة وبين الشيعة وهي مسألة ذات بعد تاريخي، يخرج زمنيا عن إطارات السنة والسيرة النبوية الشريفة، ولكنها بسبب من تجدرها هناك في كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم يمكن اعتبارها إضافة أخرى يغني بها النورسي معطياته عن الموضوع.

يستشهد النورسي بالآيتين الكريمتين (128-129) من سورة التوبة: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم (128) فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم} والآية 23 من سورة الشورى: {قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى}.

ينتقل النورسي في ضوء هذه الآيات من العام إلى الخاص من رافة الرسول صلى الله عليه وسلم بأمتة كلها وشفقته عليها ورحمته بها إلى محبته لآل البيت، وشفقته عليهم، ورحمته بهم، ودعوة المسلمين جميعا إلى التأسيس به، وهو يضرب مثلا على مكانة الحسن والحسين رضي الله عنهما عند الرسول صلى الله عليه وسلم.

ثم ما يلبث النورسي أن يغادر عصر الرسالة موغلا في عصر الراشدين رضي الله عنهم والفترات التي تليه حيث أخذ بدايات الانقسام تطل برأسها، وهو يرى أن المنهاج المطلوب إزاء هذا كله هو عدم الإفراط والتفريط والاستقامة على الحد الوسط الذي اختاره أهل السنة والجماعة في محبة آل البيت، دونما غلو أو انحراف تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم، ويدعوا سائر الأطراف إلى تجاوز النزاع الذي لا معنى له ولا حقيقة فيه وهو باطل ومضرب في الوقت نفسه¹²⁷.

- الإخبار بالغيب.

يتحدث النورسي عن سبعة أنواع من أخبار الآيات الكريمة بالغيب وما يجعلها ذات علاقة بالسيره أنها تعجيبا على الآية الكريمة (27-29) من سورة الفتح التي تتحدث عن رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدخول المسجد الحرام وتصديق الله سبحانه لها بالحق، وعن ظهور الإسلام على الدين كله، وعن صفات الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم، ويجد النورسي نفسه هنا قبالة التاريخ، أي قبالة أحداث السيرة التي تنبأ بها وتتحدث عنها الآية المذكورة، وإزاء الجيل الفريد الذي رباه الرسول المعلم عليه أفضل الصلاة والسلام.

ولا يجد النورسي نفسه ملزما بالرجوع إلى مصادر السيرة أو أسباب النزول إنه يستمد تحليله من خزينة المعرفي وذاكرته الحادة.

*- مرقاة السنة وترياق مرض البدعة.

هذا الموضوع خصصه النورسي لسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته، وهو يجيء هنا بمثابة دعوة مخلصه للالتزام بالسنة وعرض للمسوغات والنتائج التي تتمخض عنه.

¹²⁷ - للمعات: ص: 38.

تبدأ هذه الدعوة بشاهدين من كتاب الله عز وجل {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عتتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فإن تولو فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم} ¹²⁸. {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله} ¹²⁹.

ومن بين مئات المسائل التي يتضمنها هذان الشاهدان، يقف النورسي عند إحدى عشر مسألة منها، وهو يتناول هذه المسائل يستشهد بكتاب الله، ويستدعي كذلك عددا من الأحاديث النبوية، كما يلجأ مرتين إلى مقولات أحد الأئمة الربانيين وهو الإمام المجدد أحمد السرهندي الفاروقي (971-1034هـ)، لكن المساحات الأوسع يغطيها تحليله ومقارنته واستدلالاته المستمدة حيناً من مقولات العقل والمنطق وحيناً آخر من خيرات الشخصية.

ويؤكد النورسي على القيمة العالية لإتباع السنة المطهرة وبخاصة عند فساد الأمة واستيلاء البدع وغلبتها... إننا هنا إزاء العنوان نفسه، فإن ليس ثمة دواء لمرض البدعة كالاتزام الملخص الصادق بالسنة "إن الإتياع المباشر للسنة المطهرة يذكر الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وهذا التذكير ينقلب إلى استحضار الرقابة الإلهية، بل تتحول في الدقائق التي تراعى فيها السنة الشريفة، أبسط المعاملات العرفية والتصرفات الفطرية، كأداب الأكل والشرب والنوم وغيرها، إلى عمل شرعي وعبادة مثابة عليها وعلى هذا فإن بمقدور المرء أن يجعل عمره كله ثمراً ومثاباً عليه" ¹³⁰.

وهو يشبه كل فرد من مفردات السنة بمؤشر البوصلة الذي يبين اتجاه الحركة في السفن فلا تضل المسار، والمصباح الذي يضيء مالا يعد ولا يحصى من الطرق المظلمة ¹³¹، ويقف عن الآية الكريمة: {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله} ¹³²، فيراها إعلاناً قاطعاً عن مدى أهمية إتباع السنة ومدى ضرورتها وبدون هذا الإتياع فليس ثمة محبة بين العبد وربه "أجل إن من يؤمن بالله يطعه ولا ريب أن أقصر طريق إليه وأكثرها قبولاً لديه، وأزيدها استقامة، وهي الطريق التي سلكها وبينها حبيب الله صلى الله عليه وسلم" ¹³³.

وباختصار فإنه صلى الله عليه وسلم "قد خلق في أفضل وضع وأعد له، وفي أكمل صورة وأتمها، فحركاته وسكناته قد سارت على وفق الاعتدال والاستقامة وسيرته الشريفة تبين هذا بيانا قاطعاً وبوضوح تام، حيث لا إفراط ولا تفريط امتثالاً لقوله تعالى: {فاستقم كما أمرت} ¹³⁴ ¹³⁵.

¹²⁸ - سورة التوبة: الآية: 128-129.

¹²⁹ - اللمعات: ص: 81.

¹³⁰ - اللمعات: ص: 82.

¹³¹ - سورة آل عمران: الآية: 31.

¹³² - حديث معناه صحيح.

¹³³ - سورة هود: الآية: 112.

¹³⁴ - اللمعات: ص: 95-96.

¹³⁵ -

- شواهد النبوة:

يتحدث النورسي في خمس عشرة صفحة من الشعاعات عن شواهد النبوة وهو لا يعطي لهذا القسم عنواناً، كما هو الحال في الكثير من الموضوعات التي تعالجها، ولكنه ذكر بأنه درس ألقى في المدرسة.

ويشير في تقديمه بأنه اضطر إلى كتابته بدافع من أسباب ثلاثة لم يشأ أن يكشف النقاب عنها لحظة كتابته القسم وبتنبيه معنوي وارد من جملة (أشهد أن محمداً رسول الله)، ويفيض نور الآية الكريمة التي في ختام سورة الفتح والتي أظهرت خمس معجزات غيبية وهي قوله: {هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم} ¹³⁶.

كما أن النورسي، لغرض الاستزادة من الموضوع وتوثيق مفرداته بالحجج المستندة بالدلائل يحيل مستمعيه أو قرائه إلى رسالة "المعجزات الأحمدية" وإلى الحزب النورسي المؤلف باللغة العربية ¹³⁷. ولذا فإنه سيكتفي هنا بالإشارة إليها باختصار شديد ¹³⁸.

- إذا ما رجعنا إلى المادة التي يقدمها النورسي عن عصر الرسالة فإننا سنجدها تتمركز في سياقين أساسيين يعالج أولهما وأكبرهما مساحة الموضوعات التالية:

- المعجزات.

- المعراج.

- الإخبار بالغيب.

- أحاديث الساعة وثواب الأعمال.

والنورسي يعتبر السنة النبوية الشريفة، القدوة الحسنة أو التطبيق العملي لكل أخلاق الإنسانية المتضمنة في القرآن الكريم بحيث يمثل صلى الله عليه وسلم واقعا وسلوكا طبيعيا يزاوج بين القول والفعل، ويقول النورسي رحمه الله: "إن أعظم معجزة للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بعد القرآن الكريم هي ذاته المباركة أي ما اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من الأخلاق السامية والخصال الفاضلة، وقد اتفق الأعداء والأولياء على أنه أعلى الناس قدرا وأعظمهم محلا وأكملهم محاسنا وفضلا" ¹³⁹.

وهي موضوعات غيبية لا تتعامل مع الحدث التاريخي المنظور للسيرة، وإنما تمضي إلى جذوره ودلالاته الموهلة فيما وراء عالم الشهود.

¹³⁶ - سورة الفتح: الآية: 27-28.

¹³⁷ - كتيب يتضمن منظومة من الأدعية والأوردة هوليس المشوي العربي النوري المؤلف بالعربية هو الآخر.

¹³⁸ - الشعاعات: ص: 654.

¹³⁹ - المکتوبات: الرسخة الأولى.

أما السياق الثاني فيتناول بإيجاز جوانب متفرقة من المعطى النبوي سيرة وسنة من مثل:

1- ضرورة الالتزام بالسنة النبوية والنتائج المترتبة عليه.

2- مناهج السنة في مسألة محبة آل البيت.

3- ملامح من الرسالة الأحمديّة تمس المفردات التالية مسا سريعا: الرسول صلى الله عليه وسلم كدليل إلى الله سبحانه وتعالى، وشهود الإثبات على رسالته، الأهداف الأساسية والتحويلات الكبرى، القدرة على التغيير، الصدق المطلق المصير الشرعي... والكوني، الحرص على إنقاذ الإنسان ثم.... كتاب الله سبحانه باعتباره الشاهد الأكبر على نبوته صلى الله عليه وسلم.

وفي السياقين المذكورين لا يلتزم النورسي خطأ زمنيا في التعامل مع المعطى النبوي ولا يحاول أن يمارس تغطية تاريخية كما أنه لا يبذل جهدا ملحوظا في أعمال آليات الجرح والتعديل وعلم الرجال في التعامل مع الحديث، لأنه يعتبرهاتين من مهمات المؤرخ ورجل الحديث، وأن مهمته هي بالدرجة الأولى إعادة قراءة السيرة في ضوء رؤيا انتقائية تتجاوز الحركة في مدى الطول والعرض إلى العمق الروحي.

المبحث الثالث: الصحابة رضي الله عنهم

يرى بديع الزمان النورسي أن الصحابة هم أفضل نسل، وقد أكسبهم صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضا وشرفا لا يضاهي بحيث أنه: (لا يستطيع أن يرقى أعظم ولي من أولياء الله الصالحين إلى مرتبة صحابي كريم للرسول صلى الله عليه وسلم.¹⁴⁰

وقد خص الإمام النورسي رحمه الله ذيل الكلمة السابعة والعشرين بحث مستقل حول الصحابة، ويتناول أهم المسائل التي هي موضوع جدل حول الصحابة على شكل سؤال وجواب. وهي ستة أسئلة خمسة منها تتعلق مباشرة بالصحابة وسؤال بشكل غير مباشر والأسئلة المباشرة هي:

1/ تسأل يا أخي: أن هناك روايات تفيد أنه عند انتشار البدع يمكن أن يبلغ مومنون صادقون درجة الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وربما يسبقونهم فهل هذه الرواية صحيحة؟ وأن كانت كذلك فما حقيقتها؟¹⁴¹

2. سؤال: يقال أن الصحابة الكرام قد رأوا الرسول صلى الله عليه وسلم عينا ثم آمنوا به وصدقوه، أما نحن فقد آمننا به من دون أن نراه فإذاً إيماننا أقوى من إيمانهم، فضلا عن أن هناك روايات تؤيد ما نذهب إليه!!¹⁴²

3. لقد خطر على بالي ذات يوم سؤال وهو: لم لا يبلغ أشخاص مثل محي الدين بن العربي مرتبة الصحابة الكرام.¹⁴³

¹⁴⁰ - الكلمات ص 586

¹⁴¹ - الكلمات ص 586

¹⁴² - الكلمات ص 586

¹⁴³ - الكلمات ص 586

4. يقولون: أن الأولياء والصالحين وأصحاب الكمال قد تركوا الدنيا وعافوا ما فيها، بمضمون ما ورد في حديث شريف: " حب الدنيا رأس كل خبيثة" بينما الصحابة الكرام قد أخذوا بأمور الدنيا وأقبلوا عليها ولم يدعوها، بل قد سبق قسم منهم أهل الحضارة في أخذهم بمتطلبات الدنيا، فكيف تقول: إن أصغر صحابي من أمثال هؤلاء هو كأعظم ولي من أولياء الله الصالحين؟¹⁴⁴

5/ من أين ينشأ ادعاء الأفضلية تجاه الصحابة الكرام؟ ومن هم الذين يثيرون هذا الادعاء؟ ولماذا تثار هذه المسائل في الوقت الحاضر؟ ومن أين ينبعث ادعاء بلوغ المجتهدين العظام؟¹⁴⁵

1. أسباب فضل الصحابة:

السؤال الأول يتعلق فيما إذا كان يوجد في أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من هو أفضل من الصحابة، وذلك لأن هناك كثير من الروايات الضعيفة جدا تقول أنه سيظهر في آخر الزمان من سيكون أفضل من الصحابة ويبين بديع الزمان المعنى الذي تفيد هذا الروايات على شكل سؤال، إن هناك روايات تفيد أنه عند انتشار البدع يمكن أن يبلغ مؤمنون صادقون درجة الصحابة الكرام رضوان الله عنهم وربما يسبقونهم فهل هذه الروايات صحيحة، وإن كانت كذلك فما حقيقتها؟¹⁴⁶

قبل عرض جواب بديع الزمان النورسي نريد أن نلفت النظر على مهاراته في عرض السؤال¹⁴⁷: فإن تعبير " عند انتشار البدع" في أي رواية حول المقاسة بين فضل الصحابة والأجيال التي ستأتي بعدهم. وهو هذا يكون قد بين الشرط الأول للتوصل إلى الفضيلة التي تقاس بفضل الصحابة في الأحاديث التي تلفت النظر إليها، وذلك في فصل السؤال، وهي في المرحلة التي يبتعد فيها الناس عن السنة بسبب استحكام البدع، يعني وضع جميع المحن بعين الاعتبار (والقبض على الجمر)¹⁴⁸ ويكون بذلك قد بين اتباع السنة الشريفة، وجاء في حديث آخر " من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد".¹⁴⁹ ونستطيع أن ندرس جواب الإمام النورسي على السؤال الذي وضعه في قسمين:

. القسم الأول: هذا القسم عبارة عن فقرة مدخل تتشكل من ثمانية أسطر ويلخص المسألة هنا بمهارته في الأسلوب والتعبير من وجهات متعددة:

* يلفت النظر إلى وجود روايات صحيحة وروايات غير صحيحة في هذا الموضوع.

* يشرح ماهية قضية المتأخرين من أمتي الواردة في الأحاديث الصحيحة.

* يبين قناعته بعرض الأدلة من القرآن أن الصحابة يشكلون أفضل جيل في تاريخ البشرية.

. القسم الثاني: يبين أسباب وحكمة فضل الصحابة بمحتوى عقلي، وبعد أن يشير إلى أسباب كثيرة لفضل الصحابة يقف عند " ثلاثة أسباب": قبل ذكر الأسباب، هذه قولة النورسي تحتوي ماهية الموضوع والمعاني الثلاثة الأساسية له: (إن إجماع أهل السنة والجماعة لهو حجة قاطعة بأن الصحابة

¹⁴⁴ - الكلمات ص 586

¹⁴⁵ - الكلمات ص 586

¹⁴⁶ - مفهوم الصحابة عند النورسي لإبراهيم جنان، المؤتمر العالمي الثالث.

¹⁴⁷ - الكلمات ص 586

¹⁴⁸ - الترمذي الفتن.

¹⁴⁹ - التبريزي ولي الدين بن عبد الله مشكاة المصابيح ج 1 ص 62.

الكرام هم أفضل البشر بعد الأنبياء عليهم السلام، فالصحيح من تلك الروايات يخص الفضائل الجزئية وليس الفضائل الكلية، إذ قد يترجح المرجوح على الراجح في الفضائل الجزئية، وفي كمال خاص معين، وإلا فلا يبلغ أحد من حيث الفضائل الكلية منزلة الصحابة الكرام الذين أثنى الله تعالى عليهم في قرآنه المبين... وسنبين ثلاثا من الحكم المنطوية على أسباب ثلاثة من بين الكثير من الأسباب والحكم...".¹⁵⁰

والآن أشرح إنشاء الله الأسباب الثلاثة باختصار:

. السبب الأول: إن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، هي صحبة لها إكسير يحصل فيه الإنسان خلال دقيقة على فيض لا يستطيع أهل التصوف الحصول عليه إلا بسير السلوك خلال سنوات طويلة، وكيف أن خادم السلطان يصل إلى مرتبة عند السلطان لا يصل إليها الشاه، لهذا السر، لا يستطيع أكبر الأولياء الوصول لدرجة الصحابة .

. السبب الثاني: إن الأكتربة المطلقة للصحابة في أعلى مراتب الكمالات الإنسانية، وذلك لأنهم شاهدوا الانقلاب الإسلامي العظيم وعاشوه، والانقلاب الإسلامي أظهر الخير الحق بكامل جماله، كما وضع أمام الأعين جميع مساوئ الشر والباطل، وقد تميز هذين الضدين عن بعضهما بشكل واضح، وصار من غير الممكن أن يصير الملتزم بالخير والحق مشتريا للشر والباطل والكذب وذلك لأن المسافة بين الصدق والكذب هي بقدر المسافة بين الإيمان والكفر وبين الجنة وجهنم وفي مثل هذا الوسط لا ينتظر من الصحابة أصحاب السجية السامية إلا أن يكونوا مؤيدين بكل قواهم للصدق والحق والإيمان، والذي يعطي نتيجة مثل الثمر، كالرسول صلى الله عليه وسلم النوراني، والجنة ، ويبين الإمام النورسي أن عدالة الصحابة رضوان الله عليهم تجيء من هذا السر بقدر كبير.¹⁵¹

. السبب الثالث: إن نسبة النبوة للولاية ، كنسبة الشمس لتمثالها المنعكس في المرآة، ولاشك أن هناك فرقا وبعدا كبيرا لا يمكن مقايسته بين الشمس التي في السماء ومنظرها في المرآة، وبقدر سمو فضل دائرة النبوة على دائرة الولاية، إن خدمة دائرة النبوة هم الصحابة الذين هم مثل نجوم هذه الشمس .ويجب أن يكونوا متفوقين على الصلحاء الذين هم في درجة الولاية بنفس القدر.¹⁵²

2. الفرق بين الصحابي والولي:

أ. نفس الصحابة مظهر للتطهير الالهي:

يقف بديع الزمان النورسي بإصرار على الأحوال الروحية للصحابة عند شرح المقامات العظيمة التي يملكونها والتي لا يمكن أن يصل إليها حتى الأولياء الكبار مثل محي الدين بن العربي¹⁵³: وهذه الخاصية لا تصادف كما سنشاهد بشكل واضح عند المؤلفين السابقين الذين ألفوا بحق الصحابة ، وهي إيضاح

¹⁵⁰ - الكلمات ص 573.

¹⁵¹ - ملحق بارلا ص 48-49.

¹⁵² - المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان: مفهوم الصحابة عند سعيد النورسي.

¹⁵³ - الكلمات ص 490.

أصيل خاص ببديع الزمان النورسي، وبالنسبة له أن الصحابة توصلوا إلى لطف التطهير والتزكية الروحية بفيض الصحبة النبوية، مع العلم أن الناس الذين ليسوا من الصحابة كي يستطيعوا التوصل إلى هذه التزكية الروحية، يجب عليهم أن يعبروا برزخ سير السلوك ويجاهدوا أنفسهم ويفنوها، وبديع الزمان لا يرى من المناسب فناء النفس من أجل تطهيرها للتوصل إلى الكمال الحقيقي وبالنسبة له إن أسلم طريق هو تطهير النفس وتزكيتها دون فناءها وذلك لأنه بفناء النفس ستموت كثير من اللطائف المرتبطة بها وهذا سيؤدي إلى تبسيط العبادات التي ستقوم بها النفس ولهذا السبب أن نفس الصحابي التي طهرت باللطف الإلهي دون أن تفتى، صاحبة عبارة غنية تقوم بها جميع الجوارح المرتبطة بالنفس وبشكل متناسق ويوضح بديع الزمان هذه الخاصية على الشكل التالي: " فأهل الولاية رغم أنهم يوفقون إلى فناء النفس الأمانة بالسوء ويقتلون، فإنهم لا يبلغون مرتبة الصحابة الكرام لأن نفوس الصحابة كانت مزكاة ومطهرة، فنالوا كثيرا من أنواع العبادة وضروبا مختلفة من ألوان الشكر والحمد بأجهزة النفس العديدة، بينما عبادة الأولياء بعد فناء النفس تصبح يسيرة وسهلة.¹⁵⁴

والإنسان ليس قلبا فقط، بل له عقل، وروح وسرو ونفس وغيرها من الحواس¹⁵⁵ ويبين النورسي أن النفس لوحدها تحمل آلاف الأحاسيس، مثل القلق للمستقبل والعشق والعناد والحرص وينبه أنها تصل إلى الكمال الحقيقي بتوجيهها كلها إلى الخير¹⁵⁶. وهكذا فالصحابي يستخدم جميع هذه العواطف لكسب الرضى الإلهي، وهم أشخاص يأخذون حصة جميع لطائفهم من القرآن الكريم مباشرة.¹⁵⁷ وقد بين بديع الزمان النورسي قناعته حول ذلك مرارا وتكرارا وقد قال: (لو كان الإنسان مجرد قلب فقط لكان عليه أن يترك كل ما سواه تعالى: بل يترك حتى الأسماء والصفات ويرتبط قلبه بذاته سبحانه، ولكن بالإنسان لطائف كثيرة جدا كالقلب، منها العقل والروح والسر، كل لطيفة منها مكلفة بوظيفة ومأمورة للقيام بعمل خاص بها، فالإنسان الكامل هو كالصحابة الكرام يسوق جميع تلك اللطائف إلى مقصوده الأساس وهوة عبادة الله، فيسوق القلب كالقائد كل لطيفة منها ويوجهها نحو الحقيقة بطريق عبودية خاص بها، عند ذلك تسير الكثرة الكاثرة من اللطائف جنودا في ركب عظيم وفي ميدان واسع فسيح، كما هو لدى الصحابة رضوان الله عليهم، وإلا فإن ترك القلب جنوده دارجا وحده لإنقاذ نفسه ، ليس من الفخر والاعتزاز بل هو نتيجة اضطرار ليس إلا.¹⁵⁸

وبما أن الصحابي يصل إلى معنويات كثيرة الأبعاد فإن " ساعته تعدل يوم الولي".¹⁵⁹

¹⁵⁴ - الكلمات ص 492.

¹⁵⁵ - الكلمات ص 582.

¹⁵⁶ - الكلمات ص 40.

¹⁵⁷ - المكتوبات ص 331.

¹⁵⁸ - الكلمات ص 582.

¹⁵⁹ - الشعاعات ص 13.

ب . الولاية المختلفة للصحابة:

الخاصية الثانية التي تميز الصحابي عن الوالي عند بديع الزمان النورسي تتجلى في الولاية التي تشهد عند الصحابة والتي سماها النورسي "الولاية الكبرى" ويوضحها على الشكل التالي:
(إن ولاية الصحابة الكرام هي "الولاية الكبرى" ومنبعها وأصولها الأولى من وراثة النبوة وطريقها النفوذ من الظاهر إلى الحقيقة مباشرة من دون المرور بطريق البرزخ، فهي ولاية متوجهة إلى انكشاف الاقربية الإلهية¹⁶⁰).

والأوصاف الممتازة لهذه الولاية " أن اتباع السنة النبوية المطهرة هو أجمل وأمع طريق موصلة إلى مرتبة الولاية من بين جميع الطرق، بل أقومها وأغناها، وإلتباع يعني: تحري المسلم السنة السنوية وتقليدها في جميع تصرفاته وأعماله، والاستهداء بالأحكام الشرعية في جميع معاملاته وأفعاله.¹⁶¹
والولاية في الأساس هي القرب من الله عز وجل، وهي نهج يهدف اكتساب رضي الله والتقرب إليه. ويبين بديع الزمان النورسي أن الصحابة بجهة وراثة النبوة والصحبة نالوا الولاية بالصورة الأولى، هذه الولاية التي سماها "الولاية الكبرى ليست كسبية وإنما وهبية، يعني بما أنها حصلت بانكشاف الاقربية الإلهية يقول: إنه لا يمكن التوصل إلى الصحابة بطريقة الولاية العادية المستندة على القربية المكتسبة.

لا يمكن للحاق بالصحابة الكرام في الاجتهاد، أي في استنباط الأحكام أي مرضاة الله سبحانه من خلال كلامه، لأن محور ذلك الانقلاب الإلهي العظيم الذي حدث في ذلك الوقت كان يدور على مرضاة الرب من خلال فهم أحكامه الإلهية، فالأذهان كلها كانت مفتوحة متوجهة إلى استنباط الأحكام، والقلوب كانت متلهفة إلى معرفة ماذا يريد منا ربنا، فالمحادثات والمحاورات كانت تتضمن هذه المعاني والظروف والأحداث تجري في ضوءها.

ويجري بديع الزمان النورسي تشبيهه لأجل توضيح الفرق بين الصحابي والوالي: "لأجل إدراك الأمس من هذا اليوم هناك طريقتان: الأولى: الانسلاخ من وقائع الزمن وجريانه بقوة قدسية والعروج إلى ما فوق الزمان، ورؤية أمس حاضرا كالיום. أما الثاني، فهو قطع مسافة سنة كاملة لملاقات الأمس من جديد، ومع ذلك لا يمكن أن تمسك به، لأنه يدعك ويمضي، وهكذا الأمر في النفوذ من الظاهر إلى الحقيقة فإنه بصورتين.

الأولى: الانجذاب إلى الحقيقة مباشرة ووجدان الحقيقة في عين الظاهر المشاهد، من دون الدخول إلى برزخ الطريقة.

الثانية: قطع مراتب كثيرة بالسير والسلوك".¹⁶²

¹⁶⁰ - المكتوبات ص 62.

¹⁶¹ - المكتوبات ص 581.

¹⁶² -الكلمات ص 582.

وفي دوام التحليل يقول بديع الزمان النورسي أن الطريق القصير في التوصل إلى الحقيقة هو طريق الصحابة الأول، والطريق الثاني الطويل هو طريق الأولياء الآخرين وأنه لا يمكن اللحاق بهم بهذا الطريق الثاني.

. الزهد عند الصحابة:

الزهد بشكل عام يعني عدم الرغبة في الدنيا، والقلق بشأن الآخرة في الحياة، وجعل العبادة في الخطى الأولية، والسؤال الذي يطرح نفسه هو: ما هي مكانة الصحابة في هذه المسألة؟ وإذا استثنينا بعض الأمثلة مثل عثمان بن مظعون وأبو ذر الغفاري، و عبد الله بن عمر، فإننا لا نشاهد الزهد في حياة الأكثرية من الصحابة.

ويبين بديع الزمان النورسي هذه الخاصية عند الصحابة في الجواب عن السؤال الثاني: إن الأولياء الصالحين وأصحاب الكمال قد تركوا الدنيا وعافوا ما فيها، بمضمون ما ورد في حديث شريف "حب الدنيا رأس كل خطيئة"¹⁶³. بينما الصحابة الكرام قد أخذوا بأمور الدنيا وأقبلوا عليها ولم يدعوها، بل قد سبق قسم منهم أهل الحضارة في أخذهم بمتطلبات الدنيا، فكيف تقول: أن أصغر صحابي من أمثال هؤلاء هو كأعظم ولي من أولياء الله الصالحين"¹⁶⁴.

عندما يجيب بديع الزمان النورسي على هذا السؤال ، يقوم بالعطف على التحليلات التي قام بها في الرسائل الأخرى حول مفهومه للدنيا ويبين أن الدنيا ثلاثة أوجه.

. الوجه الأول: ينظر إلى النفس الأمانة للإنسان وأن جميع الشرور والعصيان، والعشق والظلام تجري في هذا الوجه من الدنيا.

. الوجه الثاني: مزرعة الآخرة.

. الوجه الثالث: يقوم بوظيفة مكتوب ومرآة تفيد لمعرفة الناس لله بالتجلي بالأسماء الحسنى له، ويبين أن الدنيا التي ذمها الأحاديث هي الدنيا المذكورة في الوجه الأول، وأن الصحابة لم يحبوا الدنيا بوجهها الأول، وإنما أحبوا بالوجهين الآخرين.¹⁶⁵

* مفهوم الزهد عند الإمام النورسي:

فكون النورسي يأخذ منهج الصحابة في كل قضية، فإنه يورد تفسيراً مختلفاً للزهد، يعني لترك الدنيا: (الشخص يمكن أن يحب الأطعمة اللذيذة والثمار والأب والإم والابن ، ورفيقة الحياة، والصديق والحبيب والأنبياء والأولياء، والحياة والشباب و الربيع، والأشياء الجميلة والدنيا).¹⁶⁶ ويكفي أن يكون حب ذلك كله لحساب الحق تعالى: وبالنسبة لبديع الزمان النورسي فإن هذا الطراز من حب الدنيا يدخل في صنف حب الدنيا عند الصحابة.

¹⁶³ - حديث مرسل منقول عن الحسن البصري/ فيض القدير للمناوي 3/367-396.

¹⁶⁴ - الكلمات ص 581.

¹⁶⁵ - نفسه.

¹⁶⁶ - الكلمات ص 637.

وقد سعى بديع الزمان لعرض سلوك المسلم تجاه الدنيا بكلماته المباشرة وأسلوبه الواضح فقال: " يجب ترك الدنيا قلبا وليس كسبا"¹⁶⁷. (مكلف بإعلاء كلمة الله واليوم أن أكبر سبب لذلك هو الترتي رقايا ماديا).¹⁶⁸

والنتيجة المتوصل إليها هي أن على المسلمين اليوم أن يفعلوا مثلما فعل الصحابة، أن يملكوا الدنيا كي يعرفوا الله، ويحققوا إعلاء كلمة الله ويخلصوا العزة الدينية، ويكسبوا الآخرة، لكن يجب أن يكون ذلك من أجل إعلاء كلمة الله فقط، ومقياس ذلك عدم إعطاء مكانة للحرام خلال كسب الدنيا، وعدم إهمال العبادات مع إعطاء الزكاة والتصدق في سبيل الله من الكسب.

من أوجه فضل الصحابة على من بعدهم كثرة ثواب أعمالهم، ويأتي ذلك من هاتين النقطتين:

النقطة الأولى: سعيهم لتأسيس أحكام الإسلام ونشره على سطح الأرض في أصعب الشروط، وفضيله الأعمال تختلف حسب أهمية أوضاعها وثقل الشروط التي جرت فيها، إن حراسة الحدود في حالة السلم ليست مثل حراسة الحدود في حالة الحرب ونحت خطر الموت وفي البرد الشديد وإن قام الصحابة بتأسيس الدين الإسلامي ونشره متحدين كل عالم الكفر لها قيمة وثواب عند الله لا يمكن أن يصل له ثواب عمل أي أجيال أخرى تجيء من بعدهم.

وقد جاء في الحديث أن المتأخرين لو أنفقوا ذهبا بقدر جبل أحد لن يعدل اتفاق الصحابة لنصف مد، حتى أن القرآن الكريم يبين أن ثواب أعمال المؤمنين قبل الفتح لا يساوي ثواب أعمال المؤمنين بعد الفتح، وأن ثواب أعمال المؤمنين بعد الفتح، وأن ثواب المؤمنين قبل الفتح أعظم درجة.¹⁶⁹

النقطة الثانية: أن تأسيس الصحابة للإسلام كان سبب هداية للذين جاءوا من بعدهم كما تبين القاعدة (المسبب كفاعله) فإن للصحابة حصة في ثواب الذين جاؤوا بعدهم، لذلك فليس من الممكن أن يصل أحد إلى مرتبتهم ويستدل بديع الزمان النورسي على مشاركة الصحابة في حسنات جميع أمة المسلمين بذكر الصحابة في الأدعية المفردة من الصلاة على الشكل: (اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه).

وهكذا فلأن الصحابة الكرام هم مؤسسو الإسلام، وجذور شجرة الإسلام المنيرة، وبداية الخطوط الأساسية لبناء الإسلام، وركيزة المجتمع الإسلامي وأئمة، وأقرب الناس إلى شمس النبوة المنيرة وسراج الحقيقة، فعمل قليل منهم هو عظيم جليل، وخدمة ضئيلة يقدمونها هي جسيمة كثيرة فلا يمكن اللحاق بهم وإدراكهم إلا أن يكون المرء صحابيا مثلهم.¹⁷⁰

ويختتم الإمام النورسي حديثه عن هذه المسألة بتوضيحه أن الأجيال التي ستجئ فيما بعد لن تصل إلى مرتبة الصحابة يقول: (بيد أن الأمور لم تبق على ذلك الوضع الندي والطاروة والجدة فتبدلت تدريجيا بمرور الزمن حتى غصت اللطائف في نوم عميق، وغفلت المشاعر والحواس

¹⁶⁷ - المتنوي النوري ص 114.

¹⁶⁸ - حلول من بديع الزمان للقضايا الإنسانية للعالم الإسلامي ص 125-127.

¹⁶⁹ - الكلمات ص 579.

¹⁷⁰ - نفسه.

وانصرفت على الحقائق ففقدت الأجيال اللاحقة شيئاً فشيئاً قدرتهم على تذوق طراوة تلك الكلمات الطيبة والتلذذ بطعومها وبدواتها. فغدت لديهم كالثمار الفاقدة لطرورتها ونظارتها، حتى لكأنها جفت ويبدت ولم تعد تحمل لهم إلا نزراً يسيراً من الطراوة، لا تستخلص إلا بعد أعمال الذهن والتفكير العميق وبذل الجهد وصرف الطاقة، لذا فالصحابي الجليل الذي ينال مقاما وفضيلة في أربعين دقيقة لا يناله غيره إلا في أربعين يوماً بل في أربعين سنة، وذلك بفضل الصحبة النبوية الشريفة".¹⁷¹

ويتضح من ذلك أن بديع الزمان النورسي لم يقل أن الحقائق والمعاني في كلمات الآيات والأذكار المباركة والتسابيح التي تتلى خلال التعبد أغفلت على الذين يجيئون من بعد، بل يقوم بتشبيه الكلمات المذكورة كالثمرة لم تفقد حياتها تماماً، ويقول أنها تستطيع أن تعود إلى حياتها السابقة بتفكير جاد: (هذه الكلمات المباركة مثل الفاكهة تفقد لطافتها وطرورتها بستارة الألفة مع الزمن. وكأنها تجف بهوائها السطحي، وتبقى فيها رطوبة قليلة، ويمكن أن تعاد إلى حالتها السابقة بعملية تفكيرية قوية".¹⁷²

. إن الصحابة الكرام كانوا يفهمون المعاني والحقائق ويعيشونها بالعقل فور تلفظها والتي لا نستطيع نحن بالتوصل إليها إلا بجهد فكري كبير، وذلك نتيجة التطهير الروحي غير الكسبي والتركيز التي تحصل من انكشاف الاقربية الإلهية من فيض وبركة صحبتهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأن إدراك هذه الحقائق والحالة لا يتم بعدة حواس فقط، يعني لم يبق في إطار العقل والفكر مثلاً، بل تشارك فيه كل الحواس مجتمعة والتي تقدر بالآلاف.

الفتنة:

يلخص بديع الزمن الفتن التي بدأت زمن الإمام علي رضي الله عنه بقوله: "إن معركة الجمل التي دار رحاها بين سيدنا علي رضي الله عنه وجماعته من جهة وبين طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم أجمعين من جهة أخرى ، هي معركة بين العدالة المحضة والعدالة الإضافية النسبية".¹⁷³

إن محاربة الإمام علي رضي الله عنه لمؤيدي معاوية رضي الله عنه في موقعة صفين كانت حرب خلافة وسلطنة يعني أن الإمام علي رضي الله عنه، جعل الأحكام الدينية والحقائق الإسلامية والآخرة أساساً، وكان يضحى بقسم من قوانين السلطنة ومقتضيات السياسة التي لا ترحم بهم، أما مؤيدو معاوية فقد التزموا بالرخصة وتركوا العزيمة من أجل تقوية الحياة الإسلامية سياسة السلطنة، وظنوا أنفسهم مضطرين في عالم السياسة فرجحوا الرخصة فوقعوا في الخطأ.

أما مقاومة الحسن والحسين رضي الله عنهما للأمويين، فهي في حقيقتها صراع بين الدين والقومية إذ اعتمد الأمويون على جنس العرب في تقوية الدولة الإسلامية وقدموهم على غيرهم أي فصلوا رابطة القومية على رابطة الإسلام فأضروا من جهتين:

الأولى: آذوا الأقوام الأخرى بنظرتهم هذه ، فولدوا فيهم الكراهية والنفور.

¹⁷¹ - الكلمات ص 576.

¹⁷² - نفسه.

¹⁷³ - المكتوبات ص 50.

الثانية: أن الأسس المتبعة في القومية والعنصرية أسس ظالمة لا تتبع العدالة ولا توافق الحق، إذ لا تسير تلك الأسس على وفق العدالة لأن الحاكم العنصري يفضل من هم بنو جنسه على غيرهم، فأنى له أن يبلغ العدالة! بينما الإسلام يجب ما قبله" من عصبية جاهلية، لا فرق بين عبد حبشي وسيد قرشي إذا أسلما فلا يمكن إقامة رابطة القومية بدلا من رابطة الدين في ضوء هذا الأمر الجازم إذ لا تكون هناك عدالة قط وإنما تهدر الحقوق ويضيع الإنصاف.

وهكذا فإن سيدنا الحسين رضي الله عنه، قد تمسك برابطة الدين وهو محق في ذلك، لذا قاوم الأمويين حتى رزق مرتبة الشهادة".¹⁷⁴

لماذا لم يكشف الصحابة المفسدين؟

يخاطب بديع الزمان بسؤال ملفت للنظر حول الصحابة لماذا لم يكشف الصحابة المفسدين بنظر الولاية؟ حتى استشهد ثلاثة من الخلفاء الراشدين ثالث شهيد، مع العلم أنه يقال أن أصغر الصحابة أكبر من أكبر الأولياء؟

يدخل الأستاذ إلى جواب هذا السؤال بتوضيح ماهية الولاية الكبرى للصحابة ويبين أن طريق هذه الولاية قصير لكنه عال جدا، وخوارقه قليلة لكن مزاياه كثيرة، وأن الكشف والكرامة تشاهد قليلا هناك كما أن أكثر الكرامات ليس اختيارية، وتعطي بإكرام إلهي غير متوقع، ويقول أن أحداث الفتنة ليست من عمل بعض اليهود، بل حدثت نتيجة الفوضى الاجتماعية العامة التي ظهرت بسبب اختلاط وتخلل أفكار الأمم الكثيرة التي دخلت الإسلام، يبين أن إلغاء الأديان الأخرى وتخريب الحكومات والسلطات القديمة التي كانت مدار افتخارهم يدفع الناس لتحين الفرصة للانتقام الذي هو من سجايا البشر كما يجيب عن سؤال يتعلق بحادثة رؤيا الخليفة عمر رضي الله عنه، وضع قائد الجيش الذي يبعد عنه مسيرة شهر وهو على المنبر فيقول: ياسارية الجبل الجبل، ولا يرى القاتل الذي هو وراءه" بأن وراء كل حادثة إرادة الله عز وجل".¹⁷⁵

. حكمة الفتنة:

ينبه بديع الزمان على النتائج المفيدة التي حصلت من قسم من الفتن التي جرت بين الصحابة " فإن قيل ما حكمه تلك الفتنة الدموية الرهيبة التي أصابت الأمة الإسلامية في عصر الراشدين وخير القرون، حيث لا يليق بأولئك الأبرار القهرون نزول المصائب وأين يكمن وجه الرحمة الإلهية فيها؟

الجواب: كما أن الأمطار الغزيرة المصحوبة بالعواصف في الربيع تثير كوامن قابليات كل طائفة من طوائف النباتات وتكشفها فتنتثر البذور وتطلق النوة، فتتفتح أزهارها الخاصة بها، ويتسلم كل منها مهمته الفطرية، كذلك الفتنة التي ابتلي بها الصحابة الكرام والتابعون رضوان الله عليهم أجمعين، أثارت بذور مواهبهم المختلفة وحفزت نوى قابليتهم المتنوعة، فأندرت كل طائفة منهم وأخفتهم من أن الخطر محقق بالإسلام، وأن النار ستندشب في صفوف المسلمين، مما جعل كل طائفة تهرع إلى حفظ

¹⁷⁴ - المكتوبات ص 68.

¹⁷⁵ - المكتوبات ص 65.

الدين والذود عن حياض الإيمان فأخذ كل منهن على عهدته مهمة من مهمات حفظ الإيمان وشمل الإسلام، كل حسب قابليته، فانطلق بكل جد وإخلاص في هذا السبيل فممن من قام يحفظ الحديث النبوي الشريف، وممن من قام يحفظ فقه الشريعة الغراء، وممن من قام يحفظ العقائد والحقائق الإيمانية وممن من قام يحفظ القرآن الكريم... وهكذا انضوت كل طائفة تحت مهمة وواجب من الواجبات التي يفرضها حفظ الإيمان وصيانة الإسلام، وسعت في سبيل أداء مهمتها سعيا حثيثا، فتفتحت من البذور التي نشرتها تلك الأعاصير الهوجاء العنيفة في الأرجاء، زهور بهيجة بألوان زاهية شتى في عالم الإسلام حتى غدا العالم الإسلامي رياضاً يانعة بالورود والرياحين، إلا أنه للأسف، ظهرت بين تلك الرياض البديعة أشواك أهل البدع أيضاً، وكأن يد القدرة الإلهية التي خصت ذلك العصر بجلال وهيبة. وإدارته بشدة وعنف، فأثارت الهمم وألهبت المشاعر لدى أهل الهمة والغيرة، فبعثت تلك الحركة المنطلقة عن المركز، كثيرا من أئمة المجتهدين والمحدثين والحفاظ والأصفياء والأقطاب والأولياء إلى أنحاء العالم الإسلامي وألجأتهم إلى الهجرة، وهيجت المسلمين شرقا وغربا وفتحت بصيرتهم ليغنموا من كنوز القرآن وخزائنه.¹⁷⁶

سئل النورسي عن الحكمة من غلبة المشركين للصحابة في نهاية أحد وفي بداية حنين؟ فيجيب: (لأنه حينذاك كان بين المشركون كثيرون من أمثال خالد ابن الوليد، ممن سيكونون في المستقبل مثل كبار الصحابة في ذلك الزمان فالأجل ألا تكسر عزتهم كليا اقتضت حكمة الله أن تكافأهم مكافأة عاجلة لحسناتهم المستقبلية بمعنى أن الصحابة في الماضي غلبوا أمام صحابة في المستقبل لئلا يدخل هؤلاء . أي صحابة المستقبل . في الإسلام خوفا من بريق السيوف بل شوقا إلى بارقة الحقيقة ، ولئلا تذوق شهامتهم الفطرية الهوان كثيرا".¹⁷⁷

. إخبار الرسول صلى اله عليه وسلم بطراز غيبي يتعلق بكثير من الصحابة

1- لقد قال صلى الله عليه وسلم: (اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر) وبهذا يخبر أن أبا بكر وعمر سيقون بعده وأنهما سيصيران خليفتين، وأنهما سيتحركان في دائرة الرضى الإلهي والمرضية النبوية بصورة تامة.¹⁷⁸

2. لقد أخبر أن عثمان رضي الله عنه سيصير خليفته، وسيطلب خلعه وأنه سيقتل ظلما وهو يقرأ القرآن وقد حدث كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم.¹⁷⁹

3. أخبر أن فاطمة رضي الله عنها ستوفي بعده وتكون أول من سيلحق به من أهل البيت، وقد حدث كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ستة أشهر.¹⁸⁰

¹⁷⁶ - المکتوبات ص : 129 .

¹⁷⁷ - اللمعات ص : 41 .

¹⁷⁸ - المکتوبات ص : 130 .

¹⁷⁹ - المکتوبات ص : 137 .

¹⁸⁰ - المکتوبات ص : 137 .

4 . أخبر صلى الله عليه وسلم أن الحسن رضي الله عنه يكون وسيلة صلح بين جيشين كبيرين مسلمين، وقد حدث كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بعد عشرين سنة.¹⁸¹

5 . وقد أخبر صلى الله عليه وسلم تكرارا " أن أهل بيتي من بعدي ستعرضون للقتل والبلاء والنفي وحدث كما قال.¹⁸²

6. أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن عمار تقتله الفئة الباغية وبعد ذلك قتل في حرب صفين، فاحتج علي به من أن الموالين لمعاوية هم الفئة الباغية، ولكن معاوية أول الحديث، قال عمر بن العاص: البغاة هم قاتلوه فقط، لسنا جميعا بغاة.¹⁸³

7 . أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله: " ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين " وأخبر بواقعة الجمل، وواقعة صفين، وواقعة الخوارج.¹⁸⁴

. شتم الصحابة:

يقول بديع الزمان في البحث المتعلق بالصحابة في الكلمة السابعة والعشرين: من أين ينشأ ادعاء الأفضلية تجاه الصحابة الكرام؟ ومن هم الذين يثيرون هذا الادعاء؟ ولماذا تثار هذه المسائل في الوقت الحاضر؟ ومن أين ينبعث ادعاء بلوغ المجتهدين العظام.

الجواب: إن الذين يقولون بهذه المسائل قسمان: قسم منهم : رأوا بعض الأحاديث الشريفة ونشروها كي يحفزوا الشوق لدى المتقين وأهل الصلاح في هذا الوقت ويرغبوهم في الدين... فهؤلاء هم أهل دين وعلم، وهم مخلصون، ليس لنا ما نعلق به عليهم وهم قلة وينتهون بسرعة.

أما القسم الآخر: فهم أناس مغرورون جدا ومعجبون بأنفسهم أيما إعجاب يريدون أن يبثوا انسلاخهم من المذاهب الفقهية تحت ادعاء أنهم في مستوى المجتهدين العظام بل يحاولون أمرار إلحادهم وانسلاخهم من الدين بادعاء أنهم في مستوى الصحب الكرام فهؤلاء الصالون قد وقعوا:

أولا: في هاوية السفاهة حتى غدوا معتادين عليها، ولا يستطيعون أن يتركوا ما اعتادوه، ونهضوا بتكاليف الشرع التي تردعهم عن السفاهة فترى أحدهم يبرر نفسه قائلا: (إن هذه المسائل إنما هي مسائل اجتهادية والمذاهب الفقهية متباينة في أمثال هذه المسائل، وهم رجال قد اجتهدوا ونحن أيضا رجال أمثالهم، يمكننا أن نجتهد مثلهم، فلربما يخطؤون مثلنا لذا نؤدي العبادات بالشكل الذي يروق لنا نحن، أي لسنا مضطرين إلى اتباعهم" !! فهؤلاء التعساء يحلون ربة المذاهب عن أنفسهم بهذه الدسيسة الشيطانية، فما أواهاها من دسيسة وما أرخصها من تبرير.¹⁸⁵

ثانيا: أنهم عندما رأوا دسيستهم لا تكمل حلقاتها عند حد التعرض للمجتهدين العظام بدؤوا يتعرضون للصحابة الكرام رضوان الله عليهم، حيث أن المجتهدين يحملون النظريات الدينية وحدها،

¹⁸¹ - المکتوبات ص : 137.

¹⁸² - المکتوبات ص : 99.

¹⁸³ - المکتوبات ص : 139.

¹⁸⁴ - المکتوبات ص : 126.

¹⁸⁵ - الكلمات ص : 582 / المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان النورسي مفهوم الصحابة عند بديع الزمان النورسي إبراهيم جنان.

وهؤلاء الضالون يرمون هدم الضروريات الدينية وتغييرها فلو قالوا: نحن أفضل من المجتهدين لم تنته قضيتهم ، حيث أن ميدان المجتهدين النظر في المسائل الفرعية، دون النصوص الشرعية لذا ثراهم وهم منسلخون من المذاهب يبدؤون بمس الصحابة الأجلاء الذين هم حاملو الضروريات الدينية، ولكن هيئات ، فليس مثل هؤلاء الأنعام الذين هم في صورة إنسان، بل حتى الإنسان الحقيقي بل الكاملين منهم وهم أعظم الأولياء الصالحين، لا يمكنهم أن يكسبوا دعوى المماثلة من أصغر صحابي جليل.¹⁸⁶

خلاصة القول: إن بديع الزمان النورسي يشارك أهل السنة والجماعة آراءهم في موضوع الصحابة، وأن الذي شاهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولو لفترة قصيرة فهو صحابي والصحابي صاحب عدل ولا يجوز الجرح بحقه، وأي شيء يقولونه بحق الرسول صلى الله عليه وسلم والدين فهو صحيح وأقلهم فضلا أعلى من أكبر الأولياء الذين يجيئون فيما بعد، وعدالة الصحابة ثابتة في القرآن والسنة.

¹⁸⁶ - الكلمات ص : 582-583/ انظر: المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان النورسي مفهوم الصحابة عند بديع الزمان النورسي إبراهيم جنان.

الفصل الثاني: المؤثرات الاجتماعية والثقافية.

المبحث الأول: المؤثرات الاجتماعية.

1- أسرة:

ينتمي بديع الزمان النورسي إلى أسرة كردية متوسطة الحال، تشتغل بالزراعة وعلى قدر كبير من التدين والده "ميرزا ابن علي" لقب بالصوفي لتقواه وورعه، والدته نورية بنت الملا طاهرة" عرفت أيضا بالتقوى والصلاح، فلم تكن ترضع أطفالها إلا وهي على طهر ما استطاعت على ذلك سبيلا، وكان أخوه الملا عبد الله عالما يشتغل بالتدريس¹⁸⁷.

أ- والده:

كانت في نورس أسرة كردية صالحة متواضعة وغير معروفة تعمل في الزراعة والرعي وكان رب تلك الأسرة رجل صوفي تقي ورع، جبل على حب الله عز وجل، وكان محط أنظار أهل القرية، ومضرب مثلهم في صلاحه وورعه، هذا الرجل هو والد الإمام بديع الزمان النورسي اسمه ميرزا بن علي بن خضر بن ميرزا خالد بن ميرزا رشان من عشيرة اسبارت التابعة لقبائل الأكراد الهكارية ينتهي نسبه إلى الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، هذا ما ذكره النورسي في أكثر من مناسبة في مجالسه الخاصة¹⁸⁸.

وذكر عنه طلابه أنه كان يجتنب الحديث عن نسبه تورعا، ولكي لا ينال بنسبه هذا منزلة اجتماعية أو مقاما معنويا ويقول: "ومثلا إنني سيد من أهل البيت ولكن أحرص أن أذكرها لأحد فوالدي حسينية ووالدي حسني"¹⁸⁹.

وكان والده صوفيا متعظفا عن الحرام وكان حينما يعود بمواشيه إلى البيت في ما يروى يكمم أفواههم لئلا تأكل من مزارع الآخرين¹⁹⁰.
توفي في العشرينيات من القرن الماضي ودفن في نورس ووجد على قبره شاهد كتب عليه (ميرزة).

ب- والدته:

هي نورية بنت الملا طاهر من قرية "بلكان" التي تبعد عن نورس ثلاث ساعات وهي من عشيرة خاكيف التي ترجع أيضا إلى قبيلة (الهكارية) عرفت برجاحة العقل والتدين ولن تفارق صلاة التهجد طوال حياتها، ولم ترضع أولادها إلا وهي على طهر ووضوء¹⁹¹.

¹⁸⁷ - أنظر: لمحة سريعة من خلاصة حياة الإمام الجليل بديع الزمان النورسي: ص: 50، للملا محمد زاهد الملا زكري.

¹⁸⁸ - سيرة ذاتية: ص: 39.

¹⁸⁹ - سيرة ذاتية: ص: 238.

¹⁹⁰ - سيرة ذاتية: ص: 35.

¹⁹¹ - رجل القدر: ص: 8/ سيرة ذاتية: ص: 35.

وقد ربت أولادها على الصلاة والإيمان، وعندما سئلت عن طريقتهما في التربية، أجابت لم أرضع أطفالي إلا وأنا على طهارة عدا الأيام التي كنت فيها معذورة شرعا¹⁹².

لقد أضفت هذه الأم الرحوم على ولدها النورسي عطا وحنانا وبدت تقدر في ذهنه أفكارا جعلته يتفكر فيما حوله من الأشياء، كان يقول وقد قارب الثمانين (أقسم بالله أن أرسخ الدرس أخذته هو تلقينات والدتي رحمها الله عز وجل)، لم يدم ذلك الحنان طويلا إذ امتدت يد القدر لهذا الطفل، فقد كانت له بالمرصاد فما أن بلغ التاسعة من عمره حتى اختطفت منه ذلك الحزن الدافئ والقلب العطوف وحرمت من عاطفة الأمومة، وعن تلك الفترة يقول: "إني لم أشاهد والدتي الرؤوف منذ التاسعة من عمري ولم أحظى بتبادل الحوار اللطيف معها في جلستها فبت محروما من تلك المحبة الرفيعة"¹⁹³.

ج- إخوته:

أنجب الرجل الصالح ميرازا، ذرية صالحة أربعة أولاد وثلاثة بنات وهم على التوالي: درية، خاتم، عبد الله، سعيد، محمد عبد المجيد مرجان¹⁹⁴.

أما عبد الله فهو الأخ الأكبر والأستاذ الأول لبديع الزمان النورسي، درس على يديه ما يقارب السنتين في ناحية اسبارطة توفي سنة (1914م-1332هـ) وهو والد عبد الرحمان ابنه المعنوي وتلميذه البار الذي أعانه في نشر مؤلفاته، وهو الذي كتب تاريخ حياته وطبع كتابه في اسطنبول سنة 1337هـ. أخته درية: هي والدة عبيد أحد طلاب الأستاذ استشهد في الحرب العالمية الأولى.

أما محمد فقد تلاه في الولادة ولكنه توفي قبله سنة (1951م-1370هـ) أما أخوه عبد المجيد فهو أصغر إخوته وتلميذه الذي ترجم أكثر رسائله إلى العربية وترجم إلى التركية رسائله العربية، كان مدرسا للغة العربية ثم مفتيا ثم مدرسا للعلوم الإسلامية في معهد الأئمة والخطباء والمعهد الإسلامي في قونية توفي سنة 1967م-1386هـ) عن عمر ناهز الثالثة والثمانين¹⁹⁵.

2- قرينته:

من المؤثرات الاجتماعية التي تركت أثرا في حياة المصلح الشيخ بديع الزمان النورسي، قرينته الصغيرة المحافظة، والقرى والبلدات القريبة منها وكتاتيبها، ومشايخها، وأهلها البسطاء الطيبون المحافظون على دينهم، وقيمهم المتمثلة بعادات وتقاليد منسجمة مع الدين الحنيف: بساطة وصدق وعفوية وكرم وشهامة ونبل، برغم ضيق ذات اليد، وبرغم الجهل والفقر والبؤس والتعاسة¹⁹⁶.

¹⁹² - سيرة ذاتية: ص: 35.

¹⁹³ - سيرة ذاتية: ص: 36.

¹⁹⁴ - سيرة ذاتية: ص: 36.

¹⁹⁵ - سيرة ذاتية: ص: 39.

¹⁹⁶ - سيرة ذاتية: ص: 41.

3- تنقله في طلب العلم:

بعد أن انتهى الإمام النورسي من دروسه الأولى بتعلم القرآن وهو في الثامنة تتلمذ على يد أخيه الأكبر عبد الله وأخذت شخصيته طريقها إلى روحه، وأعجب به أيما إعجاب وهو يراه مثلاً يحتذى به، عاملاً مجدداً مخلصاً في طلب العلم فدفعه ذلك إلى طلب العلم الذي أصبح شغله الشاغل وهمه الذي يحمله بين ثناياه، فرحل بحث الخطر في طلبه ليطفئ ضرام ذلك القلب الذي تعلق به فحل في قرية (تاع) التي لا تبعد كثيراً عن قريته¹⁹⁷، لينهل من مدرسة (الملا محمد أمين أفندي) سنة 1882م¹⁹⁸. ولم يلبث طويلاً حتى عاد إلى المعين الذي نهل منه أول مرة إلى أخيه الملا عبد الله، ولكن حب العلم عاوده مرة أخرى فشد الرحال إلى (يرمس) وأصبح ينتقل بين القرى لطلب المزيد حتى استقر به الحال في مدينة (بايزيد).

- النورسي في بايزيد:

"بايزيد" هي مدينة على الحدود التركية الإيرانية رحل إليها النورسي رحمه الله ليبدأ مرحلة جديدة ظهرت فيها على النورسي إمارات الذكاء والعبقرية الفذة، إذ أظهر ملكات غير اعتيادية، فبعد درس مبادئ النحو والصرف التي أكملها خلال السنة أو السنتين أخذ يلتمس ما وجد في طريقه من الكتب.

وخلال ثلاثة أشهر قرأ ما يقارب الخمسين كتاباً، وأجازه أستاذه الشيخ الجليلي فيما قرأ، وكان يقدر أستاذه هذا أيما تقدير وكان يفصح عن ذلك بقوله عندما سأله عن سبب تركه قراءة بعض الكتب قبل إنهاءها فقال له النورسي: (إن هذه الكتب شبيهة بصندوق الجواهر ومفاتيحه لديكم وما أرجوه منكم هو إرشادي إلى ما تحويه هذه الكتب حتى أختار ما يناسب طبعي¹⁹⁹). في هذه المرحلة كان الإمام النورسي رحمه الله يتمتع بشخصية قوية وكان يمتلك من القابليات التي أهلتها فيما بعد ليؤدي دوراً فكرياً وثقافياً واجتماعياً وسياسياً كبيراً حتى وصل إلى ما وصل إليه، فكان إلى جانب شخصيته المؤثرة، إذا أطوار غريبة غير مألوفة في عادات وتقاليد مجتمعه قال في هذا الصدد: (إنني أعلن بملابسي المخالفة للناس استغنائاً عن المقاصد الدنيوية واعتدائي عن عدم مراعاتي للعادات الجارية في البلاد ومخالفة أحوالي وأطواري عن الناس)²⁰⁰. إلا أن ذلك لم يكن تمرداً على الواقع ولا رفضاً للحياة ولكن هو التفكير والعبقرية.

فكانت هناك فترة من حياته انقطع فيها انقطاعاً تاماً عن الحياة الاجتماعية فكان نادراً ما يتكلم ويقضي جل وقته في الخلو²⁰¹.

¹⁹⁷ - تاغ قرية صغيرة مجاورة لنورس تابعة لولاية اسبارطة.

¹⁹⁸ - بديع الزمان النورسي وإثبات الحقائق الإيمانية: ص: 51.

¹⁹⁹ - سيرة ذاتية: ص: 46.

²⁰⁰ - بديع الزمان سيما الشكل والصميم: ص: 12.

²⁰¹ - سيرة ذاتية: ص: 48.

النورسي في "وان":

عند توجه الإمام النورسي إلى مدينة "وان"²⁰² سنة 1314هـ-1897م، بدعوة من حسن باشا والي المدينة، استقر فيها خمس عشرة سنة قضاها جليا في التجول بين العشائر لإرشادهم وحل مشاكلهم التي كانت بعضها تعصى على الدولة.

وإن من أهم ما استفاد به الإمام النورسي خلال وجوده في وان هو دراسة العلوم الحديثة (الكيمياء والفيزياء والرياضيات) وقام بمناظرة أصحاب الاختصاص وألزمهم الحجج²⁰³.

النورسي في اسطنبول:

في عام (1896م-1313هـ) قدم الإمام النورسي رحمه الله تعالى إلى اسطنبول يحمل معه مشروعا إلى الحكومة العثمانية لإنشاء جامعة إسلامية حديثة تبنى المنطق العلمي الحديث في نشر تعاليم الدين الذي جعله الله شريعة لخلقه، ولكن دعوته لم تلقى آذانا صاغية.

عاد إلى اسطنبول سنة (1907م-1324هـ) ولكن عودته هذه المرة كانت مختلفة عن سابقتها إذا استقبله العلماء بحفاوة بالغة وشهدوا له بالفضل والعلم، واعترفوا أنهم لم يشهدوا في مثل علمه وفضله أحدا²⁰⁴.

وقدم للسلطان عبد الحميد الثاني طلبا بفتح المدارس الحديثة تعتمد تدريس العلوم الكونية إلى جانب العلوم الدنية والإنسانية، وكذلك شرح للسلطان ما تعانيه الأناضول من الفقر والحرمان ونقص الخدمات ولخص مطالبه بالآتي:

- 1- الاهتمام بشرقي الأناضول.
 - 2- الابتعاد عن الاستبداد وعدم الاعتماد على التقارير دون التحقق منها.
- وبسبب صراحته اتهم بالجنون وحوكم وبرأته المحكمة، فعاد إلى مدينة "وان" وياشر بإلقاء دروسه من هناك إلى طلاب النور.

النورسي في بلاد الشام:

في عام 1911م-1328هـ قام النورسي بزيارة لبلاد الشام حيث ألقى خطبته باللغة العربية في المسجد الأموي سميت فيما بعد (الخطبة الشامية) خاطب فيها علماء الشام محللا أوضاع العالم الإسلامي ومبينا أمراض الأمة والعلاج اللازم لها ولقد لخص هذه الأمراض فيما يلي:

- اليأس والقنوط الذي وجد أسباب الحياة في النفوس.
- انعدام الصدق في الحياة الاجتماعية والسياسية.
- حب العداوة.

²⁰² - مدينة في شرق تركيا على الحدود الإيرانية يقطنها أغلبية كردية وكان يسكنها الأكرم في السابق بعد الاحتلال الروسي ووقوع الحرب العالمية الأولى،

وأحرقت جميع الجوامع والتكايا وفيها مدرسة الأستاذ النورسي (خور خور) إلى الآن.

²⁰³ - سيرة ذاتية: ص: 50.

²⁰⁴ - النورسي متكلم العصر الحديث.

- تجاهل الرابطة الروحية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض.

- ذبوع الاستبداد، ذبوع الأمراض المعدية.

- حصر الهمة في المنفعة الشخصية وتجاهل النفع العام.

وبعد أن شخّص الأمراض التي تعاني منها الأمة الإسلامية، وصف العلاج لكل مرض²⁰⁵.

ومن دمشق اتجه النورسي إلى بيروت ثم عاد إلى اسطنبول بحرا واستأنف سعيه لتحقيق مشروع (جامعة الزهراء) حيث قابل السلطان (محمد رشاد)²⁰⁶. وحصل منه ومن الحكومة العثمانية على وعد قاطع بإنجاز هذا المشروع، غير أن اندلاع الحرب العالمية الأولى 1911م حال دون إتمامه²⁰⁷.

النورسي في الأسر:

كان الإمام النورسي في نهاية العقد الرابع من العمر حينما وقع أسيرا بيد الروس في الحرب العالمية الأولى، أصيب ساقه وبقي على الأرض مدة أربع وثلاثين ساعة، والدماء تسيل منه حتى أعياه النزيف وكان يستسلم للموت، وأبى طلابه الأوفياء أن يتركوه رغم إلحاحه عليهم بتركه، ظلوا معه حتى أسرهم الروس ونقل من "وان" إلى قستورما في روسيا، ونفي مدة سنتين ونصف السنة تقريبا في الأسر عانى خلالها من الغربة والوحشية والحنين إلى الوطن كثيرا²⁰⁸.

وعن تلك الفترة يقول: "أما روحي التي تذكرت أحبابي القدامى في بلدي وتخيلت موتي في هذه القرية وهي تبحث عن صديق تمثلت بآيات نيازي المصري:

مررت بأحزان الدنيا أطلقت جناحي نحو العدم
طائرا في شوق صائحا في كل لحظة
صديق! صديق!²⁰⁹

مواقفه في الأسر:

حاول الروس استمالة النورسي ليقنع العشائر الكردية بتسليم أسلحتها غير أنه لم يستجب لهم، بل كانت مواقفه تترجم صلابته وشجاعته.

في أحد الأيام عندما زار خال القيصر معسكر الأسرى قام الجميع لأداء التحية إلا بديع الزمان النورسي، الأمر الذي لفت نظر القائد العام فرجع مرة ثانية أمامه فلم يكثر سعيد وفي المرة الثالثة وقف غاضبا وجرت بينهما المحاوراة التالية: بواسطة المترجم:

- أما عرفتي؟

- بلى لقد عرفته، إنه نيقولا فيج خال القيصر والقائد العام في جهة القفقاس.

²⁰⁵ - بديع الزمان النورسي: (الخطبة الشامية) صقييل الإسلام: ص: 491-492.

²⁰⁶ - محمد رشاد: (1844-1918م) هو السلطان الخامس والثلاثون في الدولة العثمانية.

²⁰⁷ - إحسان قاسم: ص: 37.

²⁰⁸ - سيرة ذاتية: ص: 128/ رجل القدر في حياة أمة: ص: 67.

²⁰⁹ - شاعر تركي صوفي (1981م - 1694هـ) درس في الأزهر ولقب بالمصري له ديوان شعر ومؤلفات منها رسالة الحسنيين، موائد العرفان، وعوائد

الخلافة، تولى الإرشاد في مدارس اسطنبول/ سيرة ذاتية: ص: 132/ رجل القدر: 80.

- فلم إذن قصدت الإهانة؟

- كلا معذرة، إنني لم أستهن به، وإنما فعلت ما تأمرني عقيدتي.

- وماذا تأمر العقيدة؟

- إنني عالم مسلم، أحمل في قلبي إيمانا، فالذي يحمل الإيمان في قلبه هو أفضل ممن لا يحمله

فلو إنني قمت له احتراما لكنت الليل الاحترام لعقيدتي، ولهذا لم أقم له.

- إذن فهو بإطلاقه صفة عدم الإيمان علي يكون قد أهانني وأهان جيثي وأهان أمتي والقيصر،

فلتشكل حالا محكمة عسكرية للنظر في أمره.

- حاول بعض الأسرى المرافقين للنورسي إقناعه بالاعتذار للقائد الروسي، لكنه رفض ذلك

قائلا: "إنني راغب في الرحيل إلى الآخرة والمثول بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا بحاجة إلى

جواز سفر فحسب للآخرة، وأنا لا أستطيع عمل ما يخالف إيماني".

وبموجب إهانته القيصر الروسي أصدرت المحكمة حكمها بالإعدام على النورسي لم ينزعج الإمام

النورسي من هذا الحكم وطلب من الضابط المرافق إلى ساحة الإعدام بعض الوقت لوضوء والصلاة.

وأثناء أداء الصلاة حضر القائد الروسي بعد أن أيقن من صدق النورسي مع عقيدته فقال:

"أرجوا المعذرة كنت أظن أنك قمت بعملك هذا قصد إهانتي ولكني واثق الآن أنك كنت تنفذ ما تأمرك

به عقيدتك وإيمانك إذا فقد أبطلت قرار المحكمة، وإني أهنتك على صلابتك في عقيدتك وأرجو منك

المعذرة مرة أخرى"²¹⁰.

هكذا كانت مواقف النورسي رحمه الله في الأسر وهي مواقف كثيرة تعبر عن إيمانه القوي وثباته

على العقيدة.

تأثير الأسر في حياة النورسي:

لقد ترك الأسر وما يحويه من أحداث قاسية آثارا كبيرة، فجعله يؤثر العزلة، ويستغرق في

التأمل والتفكير والعبادة سعيا لمقاومة مختلف الضغوط النفسية²¹¹.

ولا خلاف على هول الأحداث التي شهدتها العالم في هذه الفترة ولعل النورسي يصورها تصويرا

بليغا حيث يقول: "ومع إنني لم أكن أعد نفسي شيئا بعد، فإن الذي يرى الحرب العالمية لابد أن

يشيب، حيث مرت أيام يشيب من هولها الولدان، وكأن سرا من أسرار الآية الكريمة: {يوم يجعل

الولدان شيئا} قد سرى فيها ومع أنني كنت قريبا من الأربعين فإني وجدت نفسي كأني في الثمانين

من عمري"²¹².

وقد استغل النورسي فترة الأسر الذي دامت أكثر من سنتين في مراجعة مسيرة حياته، وتقييم

أحوال العالم الإسلامي، ويبدو أنه لم يكن راضيا عن مسيرته ولا عن أوضاع البلاد الإسلامية وهذا ما

²¹⁰ - الشعاعات: ص: 571-572.

²¹¹ - اللمعات: ص: 360.

²¹² - أنظر إحسان قاسم: بديع الزمان: ص: 45.

عمق من حزنه وألمه، فلم يجد مصرفاً عن هذه المعاناة إلا في العبادة والتأمل في آيات القرآن الكريم²¹³.

4- النورسي في المنفى:

- **منفى (بارلا):** في شتاء عام (1926م) وصل بديع الزمان إلى منفاه في (بارلا) وهي بلدة صغيرة تابعة لنواحي اسبارطة اختارتها السلطات لتتخلص من معارضة النورسي للتيار المعادي للدين غير أن النتيجة جاءت مخالفة لما خطط له الحكام، إذ غدت (بارلا) وهي المنطقة النائبة مركز الإشعاع الأول لدعوة النورسي حيث أنجز فيها القسم الأكبر من مؤلفاته (رسائل النور) فكان منها: اللمعات و الكلمات والمكتوبات وركزت كلها على بيان حقائق الإسلام ومحاربة التيارات الإلحادية، ودعوة المسلمين إلى المحافظة على عقيدتهم²¹⁴.

مدة النفي في (بارلا) دامت ثماني سنوات ونصف سنة استطاع النورسي أن يكسر طوق العزلة، حيث تعرف عليه بعض شباب البلدة²¹⁵.

وبتوالي اللقاءات أصبح الشباب من أخلص طلبة النورسي إذ أخذوا على عاتقهم مهمة استنساخ رسائل النور بمئات الآلاف من النسخ وتوزيعها سرا في أرجاء تركيا كلها، متحملين تبعات هذا العمل من اعتقال ومطاردة، وتعذيب عن طيب خاطر واطمئنان نفس²¹⁶.

منفى اسبارطة: في الوقت الذي بدأت تتسع فيه دائرة رسائل النور وتجمع حولها الآلاف من الشباب والموظفين والتجار وغيرهم في (بارلا)، أصدرت الحكومة أمر بمنع الآذان بالعربية عام 1931م وأصبح يردد باللغة التركية، وبسبب عدم تنفيذ بديع الزمان ومجموعة من طلابه هذا القرار قامت السلطات في (بارلا) بنفيهم إلى اسبارطة.

وفي اسبارطة استمر النورسي في تأليف رسائله إلى غاية سنة 1935م، حيث بدأت موجة اعتقالات لطبة النور شملت مائة وعشرين طالبا، كما طالت النورسي نفسه، وسيق الجميع إلى سجن مدينة (أسكي شهر) بانتظار محاكمتهم لاتهمهم بما يلي:

- 1- تأليف جمعية سرية.
- 2- السعي لتهديم أسس الثورة الكمالية.
- 3- تشكيل طريقة صوفية في الوقت الذي منعت فيه الحكومة هذه الطريقة.
- 4- إثارة التدين بنشر رسالة التستر (الحجاب) التي تدعوا النساء إلى الاحتشام والتستر واتباع توجيه الإسلام وقد عدت الحكومة هذه الرسالة عملاً ضد قانون الزي²¹⁷.

²¹³ - إحسان قاس: بديع الزمان: ص: 45.

²¹⁴ - النورسي متكلم العصر الحديث: ص: 30 لمحسن عبد الحميد.

²¹⁵ - المعات: ص: 377.

²¹⁶ - إحسان قاسم صالح: بديع الزمان النورسي: ص: 69.

²¹⁷ - أنظر أورخان: ص: 180.

وعلى أثر ذلك وضع النورسي -أولاً- في سجن انفرادي بهدف الضغط عليه وتحطيم روحه المعنوية، إلا أنه استمر في التأليف فألف هناك (اللمعة الثانية والعشرون والتاسعة والعشرون والثلاثون) ثم الشعاع الأول والثاني).

ولم يقتصر عمله على التأليف وإنما كان يدعو كثيرا من المجرمين أثناء اتصاله بهم فاهتدوا على يديه واستقاموا على الطريق المستقيم²¹⁸.

وبعد مدة قدم للمحاكمة فتولى الدفاع عن نفسه وألقى دفاعا مشهورا هذا جزءا منه: "لقد جيئ بي إلى هنا بتهمة أنني شخص رجعي أتخذ الدين سبيلا إلى الإخلال بالأمن العام وإني أقول لكم: إن إمكانية عمل شيء لا يستدعي وقوعه ولا المعاقبة عليه فعود الكبريت يمكنه إحراق بيت ولكن الإمكان لا يعني ارتكاب أي جريمة.

إن ولاة الأمور إنما ينظرون إلى اليد لا إلى القلب، وهناك في كل قطر وفي كل مكان معارضون شديدون للحكومة لا يتدخلون في شؤون الإدارة والأمن، حتى أنه في عهد سيدنا عمر رضي الله عنه لم يمس النصراري بشيء مع أنهم كانوا ينكرون الإسلام وقوانين الشريعة، وعلى هذا واستنادا إلى مبدأ حرية الفكر والوجدان إذا كان بعض طلاب النور يرفضون نظمكم ومبادئكم وينتقدونها على أساس علمي نقدا بناء، أو إذا صدرت عنهم أعمال وتصرفات لا تتفق وتلك المبادئ بما في ذلك إضمار العداء لأولى الأمر فليس من حق القانون أن يحاسبهم على ذلك بشرط واحد وهو أن لا يتدخلوا في الشؤون الإدارية وألا يخلوا بالأمن العام والنظام.

إن انشغالي بعلوم الإسلام لا يخدم إلا رضى الله عز وجل، وحاشا أن يخدم أي غرض كان غير ذلك لقد سألتهم هل أنا ممن ينشغل بالطرق الصوفية، إني أقول لكم إن عصرنا هذا عصر حفظ الإيمان لا حفظ الطريقة، إن كثيرين يدخلون الجنة بغير الانتماء إلى طريقة صوفية، ولكن أحدا لا يدخل الجنة بغير إيمان.

وتقولون من أين تأتي بالمال لجمع الناس من حولك في جمعية؟ وإني أسأل هؤلاء: ومن أين لهم الوثائق التي أثبتوا بها أنني اشتغلت بجمعية أو قمت بأي نشاط يحتاج المال؟

وتعترضون قائلين إني لست موظفا فيما أعمل فيه، وللتدريس مديرية خاصة ينبغي أن أتلقى الإذن منها أولا، ولكن أقول لكم: لو أن أبواب القبور كلها أغلقت، وأعدم الموت من الوجود، لجاز أن ينحصر الإذن في دائرتكم، أما وإن ثلاثين ألف جنازة تنادي كل يوم نداء الموت، وتوقع على حكمه فهذا يعني أن ثمة وظائف وواجبات أخرى أهم كثيرا مما انحصر في دائرتكم وأحكامكم"²¹⁹.

²¹⁸ - أنظر أورخان: ص: 181/ أنظر إحسان الصالح: بديع الزمان: ص: 79.

²¹⁹ - أنظر نجم الدين شاهين: حياة بديع الزمان: ص: 303.

- منفي قسطموني:

نفي إلى مدينة قسطموني سنة 1936م دون أن يوجه له أي اتهام، وبقي هناك تحت الإقامة الجبرية في بيت مقابل لمركز الشرطة لمدة سبع سنوات أنجز من خلالها قسماً من رسائل النور حيث كتب (الشعاع الثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن). وقد استطاع طلابه نشر هذه الرسائل بسرعة كبيرة فوصلت إلى كل مدينة وقرية من أنحاء تركيا²²⁰.

الأمر الذي سبب إزعاج للحكومة فحاولت التخلص منه بواسطة دس السم له في الطعام في أغسطس عام 1943م حيث أصيب بحى شديدة، لكنه نجا من الهلاك²²¹.

- إقامته الجبرية في أمير داغ:

وأثناء إقامته في (أمير داغ) تحت المراقبة، لاحقته المضايقات وبلغت ذروتها بمحاولة تسميمه، حيث دُس له السم في الطعام، ف قضى أياماً على فراش المرض، ومُنِع من أداء صلاة الجماعة في المسجد حتى لا يختلط بالناس (222).

غير أن كل الاجراءات التي اتخذت ضده، لم تمنع رسائل النور من الانتشار (223)، والتأثير في مختلف طبقات الشعب، الأمر الذي حدا بالسلطة إلى إصدار أمر جديد باعتقاله، حيث داهمت الشرطة منزله في (1948/1/23م)، ومنازل مجموعة من طلابه في مدن مختلفة، وساقتهم إلى سجن مدينة (افيون) في انتظار مثلولهم أمام المحكمة بالتهم السابقة نفسها.

وبعد جلسات متكررة أصدرت المحكمة حكمها بسجن بديع الزمان لمدة عشرين شهراً، كما حكمت على طلابه بسجنهم لفترات مختلفة. واعترض النورسي على الحكم في محكمة التمييز التي قضت ببطلان الحكم استناداً إلى ما أصدرته محكمة (دينزلي)، لكن المماطلة في إجراءات إطلاق سراحه، لم تسمح له بالاستفادة من حكم البراءة، ف قضى في السجن عشرين شهراً، وهي مدة الحكم الأول (224).

وبالرغم من الظروف القاسية التي عاشها النورسي في سجن (افيون) فإنه واصل تأليف رسائله (225)، وتسريحها إلى طلابه الذين نقلوها إلى الخارج، كما واصل دعوة السجناء الذين تابوا على يديه، وأصبحوا من أخلص (طلاب النور).

²²⁰ - بلغ عدد النسخ المتداولة ستمئة ألف نسخة وقد جمعت هذه الرسائل فيما بعد في مؤلف واحد تحت عنوان "ملحق قسطموني" / كتاب الملاحق: ص: 97-98.

²²¹ - أورخان محمد علي: رجل القدر: ص: 198.

(222) انظر احسان قاسم . سيرة ذاتية - ص 95.

(223) يقول النورسي في رسالة طويلة وجهها إلى مسؤول الأمن بعد ازدياد المضايقات عليه: «ولكني أقول: إنه مما يعوضني عن عشرة من الناس يحال بيبي وبينهم أن مليوناً من المسلمين يعكفون على دراسة رسائل النور التي انتشرت فيما بينهم، إن استطاعوا أن يسكتوني بين الناس، فلن يستطيعوا إسكات رسائل النور التي تصل إلى شغاف القلوب.. إن كل نسخة منها تقوم مقام في الكلام والبيان ولن تسكتها أي قوة كانت على الأرض» المرجع السابق - 97.

(224) انظر: أورخان علي - ص 234.

(225) ألف في سجن (أفيون): رسالة «الحجة الزهراء» وهو الشعاع الخامس عشر. (انظر: بديع الزمان الشعاع. ترجمة إحسان قاسم. ص: 626.

وبعد مكوثه سنة ونصف سنة ، خرج بديع الزمان من سجن (أفيون) سنة (1949م) ، ليجد نفسه في بيت تحت الإقامة الجبرية ، وانطلاقاً من هذا التاريخ تبدأ مرحلة جديدة في حياة النورسي .

المبحث الثاني: المؤثرات الثقافية

كما سبق فالإمام النورسي نشأ في بيئة قروية متواضعة ، وفي أحضان والدين شديدي الورع، بدأت تظهر عليه علامات الذكاء من العاشرة من عمره، فأقبل على العلوم النقلية والعقلية العصرية يحفظ منها ويستوعبها وتشبع بالزعة الصوفية واستمع إلى مناقب الأولياء والمشايخ والسادة الصوفية بإعجاب وتأثير، ولم ينخرط في مناظرة علمية أو جدل علمي إلا وخرج منها ظاهراً على خصومه أو ورفاقه، أثار إعجاب شيوخه وتلامذته فلقب ببديع الزمان وهو في سنت العشرين، كما انتفح عقله على ما كان يعرفه المجتمع التركي من تيارات إصلاحية وأفكار غربية، فتعاطف مع الأفكار السياسية التي كانت تنادي بضرورة الوحدة الإسلامية، وأعجب بشخصيات أمثال، الأفغاني ومحمد عبده حفظ من المتون الكثير اعتماداً على حافظته القوية.

عندما بلغ النورسي الخمسين من عمره ألغيت الخلافة الإسلامية وشرع الحكام في تحويل صبغة المجتمع التركي وثقافته إلى صبغة غربية وثقافة وضعية، فرغب في الانزواء من مسرح الحياة الاجتماعية، وأثر التأمل وتعميق الدعوة إلى القرآن والإبقاء على توهج نوره في قلوب المؤمنين. والآن سأحدث عن بعض المؤثرات الثقافية التي ساهمت في تكوين الفكر النوري الإصلاحي للإمام بديع الزمان النورسي.

1. شيوخ النورسي:

أ. الشيخ عبد القادر الكيلاني: يعد النورسي الشيخ عبد القادر الكيلاني . رحمه الله أستاذه الأول في كتابه فتوح الغيب يقول الإمام النورسي رحمه الله عنه: " وبدأت أقرأ ذلك الكتاب، كأنه يخاطبني أنا بالذات... كان شديد اللهجة وقد حطم غروري، وأجرى عمليات جراحية عميقة في نفسي، استفدت منه فوائد جلية ، وأمضيت معه ساعات طويلة، أصغي إلى أوامره الطيبة ومناجاته الرقيقة²²⁶ وبعد تقدم الإمام النورسي في السن كان يقول (أصبح الشيخ الكيلاني رضي الله عنه أستاذاً لي وطيباً ومرشداً بكتابه فتوح الغيب وصار الإمام الرباني رضي الله عنه كذلك بمثابة أستاذ أنيس ورؤوف شفيق بكتابه " مكتوبات " فأصبحت راضياً كلياً وممتناً من دخولي المشيب، من عزوفي عن مظاهر الحضارة البراقة ومتاعها الزائف ومن انسلالي من الحياة الاجتماعية وانسحابي منها، فشكرت الله على ذلك كثيراً".²²⁷

والسبب وراء انجذاب النورسي إلى الشيخ الكبير الكيلاني المتوفى سنة (561) والطريقة القادرية يمكن حصره في الأمور الآتية

- انجذاب الشاب النورسي الروحي الخاص للشيخ الكيلاني.
- شدة الشيخ الكيلاني في الحق، وعدم مبالاته بالخلق، وبغضه الشديد لتملق الناس، وهي مفردات تروق للنورسي الشاب وتستهويه، وتتناسب مع شخصيته.

²²⁶ - المكتوبات ص 459.

²²⁷ - المنهج الصوفي المعرفي والسلوكي في حياة الإمام النورسي . محاضرة أقيمت في ندوة (الإدراك الروحي بين التصوف والنورسي) اسطنبول 2005.

- توجيه الشيخ الكيلاني . فيما نقله عنه تلاميذه . إلى المعرفة والحقيقة هي ما يهواه النورسي الشاب .
يقول الإمام النورسي: (وعلى الرغم أنني منتسب إلى الطريقة النقشبندية بثلاث جهات فان محبة
الطريقة القادرية ومشرها يجري في حكمه دون اختيار مني كنت أقول: أيها الشيخ الكيلاني، أقرأ لك
سورة الفاتحة جد لي ماضيعته من جوز مثلا أو أي شيء وانه لأمر عجيب والله لقد أمدني الشيخ
بدعائه وهمته ألف مرة، ولهذا ما قرأت من أوراد وأذكار طوال حياتي الا وأهديتها أولا إلى حضرة
الرسول صلى الله عليه وسلم ثم إلى الشيخ الكيلاني.²²⁸

ب . الشيخ العالم الرباني أحمد الفاروقي السرهندي:

الشيخ العالم الرباني أحمد الفاروقي السرهندي مجدد الألف الثاني في كتابه مكتوبات الذي ورد
فيه رسالتين منه لفظة " ميرزا بديع الزمان " فأحسست كأنه يخاطبني باسمي إذ كان اسم أبي ميرزا
وكلتا الرسالتين كانتا موجّهتين إلى ميرزا بديع الزمان فقلت يا سبحان الله إن هذا ليخاطبني أنا بالذات
لأن لقب سعيد القديم كان بديع الزمان، ومع أنني ما كنت أعلم أحدا قد اشتهر بهذا اللقب غير
الهمداني الذي عاش في القرن 4 فلابد أن يكون أحد غيره قد عاصر الإمام الرباني السرهندي وخوطف
بهذا اللقب ولا بد أن حالته شبيهة بحالتي حتى وجدت دوائي بتلك الرسالتين والإمام الرباني يوصي
مؤكدًا في هاتين الرسالتين وفي رسائل أخرى أن: وحد القبلة(انظر المكتوب الخامس والسبعين من
مكتوبات الإمام الرباني ترجمة محمد مراد) أي اتبع إماما ومرشدا واحدا ولا تشغل بغيره.

ج - الإمام الغزالي:

كان الإمام بديع الزمان النورسي في سياحته الفكرية وسلوكه العرفاني يفتي آثار العارفين
القدامى في رسائل النور عموما.²²⁹ لقد كان منهج الإمام الغزالي الجامع بين علم المكاشفة وعلم المعملة
وعلم المعقول في ضوء القرآن والسنة، منهجا واضحا للتشكيك في البراهين العقلية المجردة ودعوة
صريحة إلى الاستغناء عن الإمام المعصوم، وبيانا كافيا لميزان العلوم الحقة، ولقد كان لهذا المنهج أثر
كبير في فكر بديع الزمان النورسي.

2- الكتب:

لقد اضطلع الإمام النورسي على عدد كبير من الكتب في شتى المجالات (اللغة الفقه الحديث
الاصول المقاصد والفكر والفلسفة وكذلك العلوم الحديثة(الرياضيات والفيزياء والكيمياء وعلم طبقات
الأرض... وغيرها من الكتب التي جعلته يتعرف على العديد من العلوم.

²²⁸ - المنهج الصوفي المعرفي والسلوكي في حياة الإمام النورسي (محاضرة أقيمت في ندوة (الإدراك الروحي بيت التصوف والنورسي) اسطنبول 2005.

²²⁹ - المنتوي العربي ص 31.

أ - علوم اللغة العربية:

علوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة ولغة وغيرها من المسائل التي تتعلق باللغة العربية، ولقد لقنه هذه العلوم مجموعة من علماء قريته والقرى والمدن الأخرى، وقد حفظ في شبابه المبكر الكثير من المتون الأمهات فمثلا قد حفظ من القاموس المحيط . للفيروز آبادي. حفظ منه حتى حرف السين.

ب - العلوم الإسلامية:

لقد هضم النورسي العلوم الإسلامية بأدق أجزاءها من حديث شريف، وفقه وأصول الفقه وتفسير وعلم الكلام وسيرة وأخلاق وغيرها من العلوم التي تدور في فلكها وقد درس العلوم الشرعية على يد شيوخ في الجوامع. وبعد إبعاده إلى مدينة "ماردين" وهناك وجد فرصة سائحة لمطالعة الكتب العلمية الإسلامية وقد فاق حفظه ثمانين مثنا وأخذ معظم دروسه الدينية من العالم الجليل الشيخ محمد الكفوري.²³⁰

ج - العلوم الكونية:

انكب الإمام بديع الزمان النورسي على دراسة العلوم الكونية من رياضيات وفلك وكمياء وفيزياء وعلم طبقات الأرض "الجيولوجيا" والفلسفة الحديثة والتاريخ والجغرافية حتى تعمق فيها إلى درجة أفحم فيها الأساتذة المتخصصين، فسمي لأول مرة ب (بديع الزمان) اعترافا من أهل العلم بذكاءه الحاد وعلمه الغزير.

د - الغرب وفكره المادي:

اضطلع الإمام النورسي رحمه على الفكر الغربي، وفلسفته القديمة أيام اليونان القدماء أو الإغريق، وفلسفاته الحديثة وكلها مادية المنطلقات والغايات درسها واستوعبها واتخذ منها الموقف المناسب.

3 - أسفاره:

كان الإمام النورسي رحمه الله ينتقل في المدن والقرى ويلتقي العلماء والوجهاء وعامة الناس، ورجال الحكم والإدارة كرحلته إلى الأستانة " اسطنبول" والتقاءه السلطان عبد الحميد الثاني، والسلطان رشاد والوزراء مصطفى كمال، وكرحلته إلى طرابلس الغرب وبنغازي حيث اتصل بالشيخ السنوسي واطلع على تنظيمات الحركة السنوسية وزواياها، . تأثر بها، الأمر الذي جعله بعد أن عاد إلى مدينة وان يعتمد إلى تشكيل فرقة جهادية من طلابه وبعض المتطوعين، قاتل بهم الجيش الروسي الذي اجتاح مدينة بتليس ، فأسر إثر جرح بليغ أصابه.

وكرحلته إلى بلاد الشام والتقاءه علماءها وإلقاءه خطبته الشامية البليغة في المسجد الأموي عام 1911م وفيها شخض أمراض الأمة الإسلامية وعلاجاتها.

²³⁰ - سيرة ذاتية ص 44-42.

4. المؤثر الأكبر (القرآن الكريم).

يبقى المؤثر الأكبر في تكوين الإمام النورسي الفكري والروحي النفسي إنما هو القرآن العظيم، فهو الأستاذ وهو المرشد وهو الهادي إلى سواء السبيل وفيه يكون توحيد القبلة لا في سواه يقول الإمام النورسي رحمه الله: (إن بداية هذه الطرق جميعها ومنيع هذه الجداول كلها، وشمس هذه الكواكب السيارة إنما هو القرآن الكريم، فتوحيد القبلة الحقيقي لا يكون إلا في القرآن الكريم ، فالقرآن أسمى مرشد وأقدس أستاذ على الإطلاق، ومنذ ذلك اليوم أقبلت على القرآن واعتصمت به واستمدت منه " فالكلمات" والأنوار المستقاة من القرآن الكريم أي رسائل النور ليس مسائل علمية فحسب، بل هي مسائل قلبية، وروحية وأحوال إيمانية، فهي بمثابة علوم إلهية نفسية، ومصارف ربانية سامية".²³¹

5. التصوف؛

إن الإمام النورسي رحمه الله تعالى وعلى الرغم من إعلانه أنه ليس شيخا صوفيا إلا أنه كان يحمل في حسناته روحا صوفية خالصة لله وكلماته التي انتشرت في كل مكان إنما تنم عن أحاسيس ووجدان ومشاعر فياضة تعلن انضمامه لطائفة كبار المتصوفة الذين يحيون بأنوار القرآن وينهلون من تعاليم أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم المهتمين بسننه والعاملين بأفعاله والمتلهفين طريق أحواله صلى الله عليه وسلم.

. اتصل الأستاذ من حيث الأسناد بالطريقة النقشبندية، وهي طريقة تربي أبناءها على الأخلاق والآداب، لكن انجذابه الروحي كان إلى أستاذ الطريقة القادرية الشيخ الكبير الكيلاني المتوفي سنة 561هـ. المهم عندنا هو أن الإمام النورسي رحمه الله رغم اتصاله بالطرق الصوفية، إلا أنه صرح بأنه ليس شيخا صوفيا بل هو عالم ديني وأعلن أيضا أن هذا الزمان ليس زمن التصوف وهذا القول يرجع لأسباب عدة منها:

أولاً: عهد الإمام النورسي كان عهد انتقال دولة الخلافة الإسلامية إلى الجمهورية التركية والتي صاحبها عدة تغيرات في أنظمة الدولة من القضاء على الطرق الصوفية وإلغاء الثكايا والزوايا ودعوة الدولة للتغريب.

ثانياً: ظهور بعض العناصر تسللت إلى الطرق وانتسبت زورا للتصوف فأفشوا الباطل والضلالات التي انحرفت عن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وكان النورسي رحمه الله يخاف على الأمة الإسلامية من الانحراف عن النهج القرآني، لذا فقد حارب دون هوادة أصحاب البدع الذين عملوا على التضليل عن الصواب و حاربها الإمام النورسي بكل قوة.

1. ادعاء رجحان الولاية عن النبوة وهذا ادعاء بعيد عن التصوف الحق.
2. تفضيل الأولياء على الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والتصوف الحق لا يقبله بالمرّة.
3. رؤية الأولياء في مرتبة الأنبياء عليهم السلام بالعصمة والاصطفاء الإلهي.

²³¹ - منهج الإصلاح والتغير عند النورسي للأستاذ عبد الله طمطاوي

4 . ترجيح أورد الطرق على أذكار السنة النبوية الشريفة، وهؤلاء يخرجون عن دائرة الإيمان الذي يستند على أصول الإسلام وهو القرآن والسنة النبوية.

5 . إشاعة الشطحات طلبا لتوجه الناس وذلك نفاق ومرء لا يصح أن ننسبه إلى التصوف. وهناك العديد من الانزلاقات التي دخلت التصوف.

ثالثا: ومن الأسباب أيضا التي دعت الإمام النورسي لهذا القول أنه أراد الخروج عن دائرة الشيخ والمريد والانطلاق لرؤية شمولية للدعوة لكل الفئات وكل الأذواق وكل المواجهيد.
لقد كان هدف الإمام النورسي هو تكوين الفرد الذي يستطيع مواجهة مشكلات عصره برمتها تحت راية الكتاب والسنة وهي نفس المبادئ التي يقوم عليها التصوف الحق.

6. الحالة العامة لتركيا (تمزق تركيا أرضا وشعبا وحضارة).

يمكن تلخيص الحالة العامة في تركيا التي تمزقت وضاعت فيها القيم الإسلامية، وطمى المشروع العلماني الماسوني الصهيوني والنزعة القومية العنصرية، وغيرها من الأمور مثل:
. إلغاء الخلافة العثمانية سنة 1924م.

. استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية.

. إلغاء التعليم الديني.

. تغيير الأذان من العربية إلى التركية.

. فرض النظرية الطورانية.

. إلزام الناس بوضع القبعة غطاء للرأس.

. جعل يوم الأحد العطلة الرسمية بدلا من يوم الجمعة.

. تحريم الاحتفالات الدينية وإلغاء التقويم الهجري ونظام المواريث.

. الاتجاه نحو الغرب ومحاكاته في عاداته وتقاليده واهتماماته²³² الذي انتقده سعيد النورسي بشدة قائلا: (كما أنه لا يناسب الشيخ الوقور أن يلبس لباس الراقصين فكذلك لا يناسب اسطنبول أن تلبس أخلاق أوروبا).²³³

. انتشار الجهل والاستبداد والبؤس.

خلاصة هذه جملة من المؤثرات الثقافية التي ساهمت في تكوين شخصية نورسية قوية تدود عن الدين وتحارب العراقيل التي وضعها أعداء الدين.

²³² - فتحي يكن المناهج التعبيرية الإسلامية خلال ق 20 ص 104-97.

²³³ - نفس المرجع نقلا عن النورسي ص 108 ذكره فتحي يكن.

الفصل الثالث: صفات خلقية ساعدت في إنضاج الفكر

النورسي

المبحث الأول: قوة الإيمان وعظم اليقين وحسن الصلة بالله عز وجل

(1) قوة الإيمان:

إن لقوة الإيمان أثر رئيسي في حياة كل إنسان يرغب في عمل مؤثر وتجديد قوي في دنيا الناس، والرسول الكرام والأنبياء العظام هم أقوى الناس إيماناً وأعظمهم يقيناً، وهكذا أصحابهم ومن سار سيرهم ودعا بدعوتهم والدعوة بدون الإيمان القوي واليقين العظيم مثلها كمثل بستان زاه لكنه بلا ثمار²³⁴.

والأستاذ بديع الزمان أوتي حظ من الإيمان واليقين نحسبه كذلك ولا نزكيه على الله تعالى كما يظهر ذلك جلياً في مراحل حياته وكما يظهر ذلك في أثره على المحيطين به وعلى ذلك بنى دعوته فقد قال: "غايتي إصلاح الأسس التي يبني عليها الإيمان، فإذا أصبح الأساس صلباً قوياً فلا يؤثر فيه مؤثر بعد حتى الزلزال"²³⁵.

- وقال: "عصرنا عصر حفظ الإيمان"²³⁶.

- وقال: "إن دعوتنا هي الإيمان وإن زماننا هذا هو زمان خدمة الإيمان ووظيفتنا هي الإيمان، وخدمتنا تنحصر في الإيمان"²³⁷.

ولقوة إيمانه كان أثره فيمن حوله عظيماً فتلاميذه أحاطوا به إحاطة السوار بالمعصم، والقلادة بالعنق فلم يتركوه بل إن معظمهم أثار السجن مع الشيخ على الحرية بدونه وهذا دال على أثر كبير ولا شك، وهناك مثلان على تأثيره على غير تلاميذه.

المثال الأول: كان هناك طبيب في بلدة أمير داغ متحلل من تعاليم الإسلام، بعيد عن طريق السوية ولما كان الأستاذ هناك دعي إلى المحاكمة في بلدة سامسون، وكان لابد من تقديم تقرير طبي عن حالة الأستاذ إلى هيئة المحكمة، فجاؤوا بهذا الطبيب، وكان بديع الزمان النورسي ممدوداً على فراشه يعاني من مرض شديد، ومع ذلك اجتمع بالطبيب ساعات طويلة وأهداه كتاباً وأوصاه بالصلاة ودعاه إلى الله تعالى، فما كان من الطبيب بعد أن خرج من عند الأستاذ إلا أن قال: "يا خسارتنا: لم نتعرف على هذا العالم من قبل فقد أصبحت مديناً لربي بقضاء الفوائت"²³⁸.

²³⁴ - الصقات التي أنضجت دعوة النورسي وفكره لمحمد بن موسى الشريف.

²³⁵ - السيرة ذاتية "ذكريات": 155/1.

²³⁶ - سيرة ذاتية: ص: 524.

²³⁷ - سيرة ذاتية: ص: 542.

²³⁸ - سيرة ذاتية: ص: 526.

المثال الثاني: كان الأستاذ بديع الزمان النورسي قد اجتمع في اسطنبول بالمليونير اليهودي عمانويل قراصو²³⁹. الذي أراد التأثير فيه "لكن هذا اليهودي سرعان ما قطع الاجتماع وتركه هرباً من تأثير شخصية بديع الزمان، إذ قال وهو لا يكاد يصدق نفسه "لقد كاد هذا الرجل العجيب أن يزجني في الإسلام بحديثه"²⁴⁰.

هذان مثالان من أمثلة متعددة تدل على قوة الإيمان عند الإمام النورسي، قوة تجعل الآخرين يتأثرون به ويرتضون طريقه وسيرته ولو كانوا من أعداءه ومبغضيه دعوته.

إن إيمانه القوي هذا هو الذي أنقذ الله به مئات الآلاف من الناس في زمان طغت عليه موجة الإلحاد والكفر، حيث أثمرت قوة الإيمان التي كانت تتأرجح في صدر بديع الزمان النورسي، رسائل نورانية إيمانية عرفت باسم "رسائل النور" كان لها بفضل الله تعالى الأثر الأعظم في حفظ مئات الآلاف من الشباب والشابات في تركيا في وقت خطير وصعب، وصدقت مريم جميلة اليهودية الأمريكية التي أسلمت حين قالت: "إنه ليس بمبالغة أن نقول إن ما تبقى من الإيمان الإسلامي في تركيا إنما يرجع إلى الجهود المثابرة لبديع الزمان النورسي"²⁴¹.

(2) - حسن الصلوة بالله تعالى.

إن إحسان الصلوة بالله عز وجل مفتاح مهم وأساس لفتح أقفال المشكلات والمعضلات، وهي علامة فلاح العبد، ودلالة على عناية الله تعالى به، والإمام النورسي رحمه الله كان حسن الصلوة بالله تعالى وهذا يبدو واضحاً جلياً من ثنايا سيرته العطرة، فمن ذلك:

أ- **التعبد:** كان الإمام النورسي رحمه الله حسن العبادة من صلاة وصيام وذكر وغير ذلك وإليكم عدد من الأمثلة على ذلك.

1- كان حال ذكره يجلس على ركبته متأدباً كحال الجالس للتشهد وتدوم هذه الجلسة ساعات وهو على حاله حتى تقرحت أصبع قدمه²⁴².

2- كان له أوراود لمدة أربع ساعات كل ليلة لكنه بعد سنة (1374هـ- 1954م) قصرها إلى ساعتين²⁴³. وذلك لكبره وتعبه.

3- في النصف الآخر من شهر رمضان كان يحيي الليل كله ولا ينام فيه²⁴⁴.

4- كان يدعو كل ليلة قبل الفجر بعد انتهائه من أوراوده مدة ساعة كاملة²⁴⁵.

5- كان يقيم الصلاة على وقتها ولا يمنعه من ذلك الأعذار القوية فهذا أحد تلاميذه يقول: "خرجنا يوماً من اسبرطة إلى أمير داغ ولم يبقى إلى خمس دقائق للوصول إلى أمير داغ وإذا بوقت

²³⁹ - أحد الثلاثة الذين أبلغوا السلطان عبد الحميد رحمه الله بقرار الغزل.

²⁴⁰ - سيرة ذاتية: ص: 87.

²⁴¹ - سيرة ذاتية: ص: 87.

²⁴² - سيرة ذاتية: ص: 521.

²⁴³ - سيرة ذاتية: ص: 520.

²⁴⁴ - سيرة ذاتية: ص: 519.

²⁴⁵ - سيرة ذاتية: ص: 519.

الصلاة قد حان فنظر الإمام النورسي إلى ساعته فأقام بنا الصلاة ولم يكن الإمام النورسي يبالي بالبرد القارس ولا بالمطر إذا ما حان وقت الصلاة فكنا نؤديها في وقتها في الحال والترحال²⁴⁶.

ب- خشية الله ومخافته.

كان الإمام النورسي حال مناجاته وتضرعه يرتعد من خشية الله تعالى ومخافته حتى وصفه أحد تلاميذه بأن مرارته تكاد تنفجر²⁴⁷.

وكذلك حسن صلته بالله تعالى أورثه عددا من الأمور منها:

1- عفاه وبعده عن الحرام: الأستاذ بديع الزمان النورسي لم يتزوج، لأنه كان يرى أن زوجته ستظلم معه لصعوبة حياته لما فيها من تضيق من سجن ونفي، ولأنه لا يريد أن يقيد نفسه بزوج وأولاد قد يكونون حجر عثرة في صدعه بالحق ودعوته إلى الله عز وجل بشجاعة وجرأة بلا خوف على زوج أولد²⁴⁸.

ولكنه مع عزوبته الطويلة لم يتطلع إلى الحرام، ولو في نظرة واحدة في عنفوان شبابه فكيف فيما بعد ذلك، واستمع إليه وهو يحكي حياته في اسطنبول في شبابه:

"كنت أستبدل كل أسبوع ملابس وأختار أجملها وأكثرها أناقة أيام كنت في اسطنبول ذات الحياة البراقة الهية، كنت أذهب إلى أجمل مناطقها حتى إن أصدقائي العلماء التفوا إلى هذه الظاهرة فعينوا أحدهم دون علمي مراقبا لتصرفاتي وأوصوه بملاحظة جميع ما أقوم به من أعمال.

وبعد مضي ثلاثة أيام من المراقبة الخفية، جمعتنا جلسة معهم فقالوا لي: "يا أخانا سعيد أنت على حق مهما عملت من عمل فأنت مسدد إلى الحق وسيوفقك الله.

استغربت من هذا الكلام ومن حكمهم هذا علي، وعندما استفسرت عن السبب قالوا: كنا نراقبك منذ ثلاثة أيام ونحصى تصرفاتك في جميع مناطق إسطنبول، ومن دون علمك، فلم نرى ما يخالف الإسلام قط، بل رأيناك منهمكا بنفسك دون الآخرين، ولهذا نسأل الله أن يوفقك في مسعاك.

نعم يا إخواني كما أن نارا صغيرة بل حقيرة كعود الكبريت تحرق غابة عظيمة كثيفة تدريجيا وتجعلها أثرا بعد حين، كذلك النظرة إلى النساء تحرق عمل المؤمن شيئا فشيئا، وأخشى أن تكون عاقبته وخيمة، ثم أضاف "إن سعيد القديم وهو في عنفوان شبابه وفي قلب إسطنبول وطوال عشرة سنوات لم ينظر نظرة حرام ولو مرة واحدة، ولله الحمد²⁴⁹.

وحادثة أخرى تدل على عفاه وبعده عن النظر الحرام بينها بقوله: "مكثت سنتين في مضيف الوالي المرحوم عمر باشا في بتليس بناء على إصراره الشديد، ولفرط احترامه للعلم والعلماء، وكان له من البنات ست: ثلاث منهن صغيرات، وثلاث بالغات كبيرات ومع إني كنت أعيش معهم في سكن واحد طوال سنتين إلا أنني لم أكن أميز بين الثلاث الكبيرات، إذا لم أكن أسدد النظر إليهن كي أعرفهن وأميز

²⁴⁶ - سيرة ذاتية: ص: 517.

²⁴⁷ - سيرة ذاتية: ص: 521.

²⁴⁸ - سيرة ذاتية: ص: 493.

²⁴⁹ - سيرة ذاتية: ص: 60.

بينهن، حتى نزل أحد العلماء يوماً علي فعرفهن في يومين فقط وميز بينهن فأخذت الحيرة من حولي لعدم معرفتي إياهن وبدأوا بالاستفسار:

- لماذا لا تنظر إليهن؟

- فكنت أجيبهم: "صون عزة العلم يمنعني من النظر الحرام"²⁵⁰.

2- الكرامات:

لقد رويت عن الإمام بديع الزمان النورسي كرامات باهرة والكرامة مكافأة من الله عز وجل للعبد على حسن صلته به سبحانه هي لا تطلب غالباً لكنها توهب ومذهب أهل السنة والجماعة إثباتها بشرائطها الشرعية وعدم إنكارها ويثبتونها للعبد الصالح الذي استقامت أحواله مع الشريعة المطهرة، وبديع الزمان النورسي رحمه الله كان كذلك ومن جملة كراماته ما يلي:

* عندما هرب من السجن في روسيا أيام الحرب العالمية الأولى كان الأمر يقتضي منه أن يسافر على قدميه مسافة طويلة جداً تقدر بسنة مشياً على الأقدام لكنها قطعها في زمن يسير وقد قال عن هذه الحادثة: "إنني لا أزال مندهشاً كيف استطعت الفرار بعد أيام قليلة وأقطع مسافة لا يمكن قطعها مشياً على الأقدام إلا في عام كامل، ولم أكن ملماً باللغة الروسية، لقد تخلصت من الأسر بصورة عجيبة محيرة بفضل العناية الإلهية التي أدركتني بناءً على عجزتي وضعفي ووصلت إسطنبول ماراً على وارسو وفيينا، وهكذا نجوت من الأسر بسهولة ويسر كبيرين بحيث لم يكن لينجزها أشجع الأشخاص وأذكاهم وأمكرهم، وممن يلُمون باللغة الروسية"²⁵¹.

* سيق إلى مدينة بتليتس مكبلاً بالأغلال من ماردين مصحوباً باثنين من الحرس، فحان وقت الصلاة في الطريق فطلب من حارسه فك القيود فأبى، ففكهما بسهولة ويسر وألقاها أمامها فبقي الحارسان مهورين فقالا للأستاذ: كنا حراسك إلى الآن، أما بعد الآن فنحن خدامك.

وحيثما كان يسأل: كيف انحلت القيود؟ يقول وأنا كذلك لا أعلم، إن هو إلا كرامة الصلاة ليس

إلا²⁵².

* تسميمه من أعدائه عدة مرات ونجا من الموت، وكان أصعب تلك المرات تسميمه في سجن أفيون²⁵³. وهذه الكرامات حفظه الله تعالى وحببه إلى الناس، وأبقى دعوته.

²⁵⁰ - المصدر نفسه: ص: 60.

²⁵¹ - اللغات: ص: 359، السيرة الذاتية: ص: 133.

²⁵² - سيرة ذاتية: ص: 385.

²⁵³ - سيرة ذاتية: ص: 385.

المبحث الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

كان جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حياة بديع الزمان النورسي بارزا في جملة أحداث في مراحل حياته المختلفة ومن ذلك:

1- نهية عن الكلم:

في إحدى الليالي رأى في المنام الشيخ عبد القادر الكيلاني وهو يخاطبه: ملا سعيد إذهب إلى عشيرة ميران "مصطفى باشا"²⁵⁴. وادعه إلى الهداية والرشاد والافتتاح عن الظلم، وليقم الصلاة ويأمر بالمعروف واقتله إن لم يحتسب.

بادر بديع الزمان النورسي إلى الذهاب إلى عشيرة ميران قاصدا خيمة مصطفى باشا، ولكن لم يجده فجلس ليأخذ قسطا من الراحة وما إن دخل مصطفى باشا إلى الخيمة حتى هب الحاضرون قياما احتراما له سوى الملا سعيد لم يحرك ساكنا، لمح الباشا ذلك فسأل أحد أمراء العشيرة "فتاح آغا" فأعلمه أنه "ملا سعيد المشهور وحاول الباشا كظم غيظه وهو الذي ما كان ينشرح للعلماء وسأل الملا سعيد:

- لما أتيت إلى هنا؟

- جئت لإرشادك إلى الحق فإما أن تتخلى عن الظلم وتقيم الصلاة أو أقتلك!

- لم يتحمل الباشا هذا الكلام فاندفع خارج الخيمة وتجول قليلا ثم عاد إليها وكرر السؤال

نفسه.

- فأجابه الملا سعيد: لقد قلت لك جئت من أجل ما ذكرت؟

- أشار الباشا إلى السيف المعلق بعماد الخيمة وقال بسخرية.

- أهذا السيف الصدي تقتلني.

- اليد هي التي تقطع لا السيف.

مرة أخرى ترك الباشا الخيمة وهو يفور غضبا ثم دخلها مخاطبا الملا سعيد:

- إن لي جمعا غفيرا من العلماء في منطقة الجزيرة "جزيرة ابن عمر" وسأعقد مناظرة علمية

فيما بينكم فإن أقمت الحجة عليهم وألزمتمهم أنفذ طلبك وإلا فسألقيك في النهر.

قال الملا سعيد: "كما أنه ليس من شأني إلزام جميع العلماء فليس باستطاعتك أن تلقيني في

النهر ولكن أن تفوقت عليهم أطلب بندقية "ماوزو" لأقتلك بها، إن لم تحافظ على وعدك".

عقب هذه المشادة العنيفة ذهبوا معا إلى الخيول إلى الجزيرة ولم يتكلم الباشا مع الملا سعيد

طوال الطريق ولما وصلا إلى أحراش "بني خافي" أخذ الملا سعيد إلى النوم بعد أن أصابه الإرهاق، ولما

أفاق وجد علماء الجزيرة ومعهم كتبهم ينتظرون ساعة المناظرة.

²⁵⁴ - منحه السلطان عبد الحميد الثاني رتبة الباشوية له ولبعض رؤساء العشائر الكردية في شرق البلاد حيث كانوا يؤلفون بأبناهم المسلمين ميليشيات تقوم بهمة الحراسة على الحدود مع روسيا وتعاون الجيش النظامي وتحفظ الأهالي من هجمات العصابات الأرمنية المسلمة، ويظن بهذه الطريقة ولاء رؤساء العشائر للدولة وبحول دون قيامهم بحركات عصيان ضدها.

انعقد المجلس، وبعد تبادل السلام دارت أقذاح الشاي على الحاضرين ولكن العلماء كانوا يقلبون صفحات الكتب مأخوذين بشهرة الملا سعيد ومنتظرين أسئلته، بينما لم يحفل النورسي بالأمر، ولم يكتفي بشرب الشاي، بل بدأ بارتشاف الشاي الموضوع أمام اثنين أو أكثر ممن حوله من العلماء المشغولين بالنظر في الكتب.

وعندما خاطب "مصطفى باشا" العلماء وهو يراقب مجرى الأمور:

"على الرغم من أنني لست متعلما فإنني أرى أنكم ستغلبون أمام الملا سعيد في مناظرتكم له، لأنني لاحظت أن انكبابكم على الكتب ألهاكم عن شرب الشاي، بينما شرب الملا سعيد الشاي ثم عددا من أقذاح غيره.

بدأ النورسي بالملاطفة وشيء من المزاح مع العلماء ثم قال: "أيها السادة لقد عاهدت نفسي ألا أسأل أحدا وها أنا منتظر أسئلتكم.

فاطمأن العلماء وبادروا بطرح ما يقارب الأربعين سؤالاً وأجاب الملا سعيد عن الأسئلة كلها إجابات صائبة سوى سؤال واحد أخطأ في جوابه دون أن ينتبه العلماء إليه، حيث صدرت من الجميع علامات التصديق.

وبعد أن انفض المجلس، تبعهم الملا سعيد قائلاً:

أرجو المعذرة فقد سهوت في جواب السؤال الفلاني ولم تفتنوا إليه، والجواب الصحيح هو كذا وكذا، فقالوا حقاً إنك قد ألزمتنا الحجة، فإننا معترفون بذلك.

ثم باشر قسم من هؤلاء يجلسون منه مجلس الطالب لينهلوا من فيض علمه أما مصطفى باشا فقد وفي بوعدة وأهدي للنورسي بندقية "ماوزر" وبدأ بإقامة الصلاة²⁵⁵.

وبعد مدة سمع النورسي بعودة "مصطفى باشا" إلى عاداته القديمة في ظلم الناس فذهب إليه وأبدى له النصائح مدة ثم هدده قائلاً:

"أبدأت بالظلم مرة أخرى؟ سأقتلك باسم الحق، فلم يتحمل الباشا هذه الإهانات وهم بقتل النورسي فحال الشيوخ دون ذلك، فتقرب نجل "الباشا مصطفى"، عبد الكريم من النورسي ورجاه قائلاً:

"لا تكثرت بصنيع أبي إنه لا يسمع كلاماً من أحد، عقيدته فاسدة أرجوك رجاءاً خالصاً أن تتشرف إلى مكان آخر فمال النورسي إلى كلام عبد الكريم ورجاه وغادر المكان متوغلاً في صحراء "بيرو"²⁵⁶.

أما خاتمة "مصطفى باشا" فقد حكاها بقوله:

لم يكن في مدينة "وان" عالم معروف دعاه الوالي "حسن باشا" إليها فذهب إليها واستقر فيها خمس عشرة سنة قضاها في التجول بين العشائر لإرشادهم وفي تدريس الطلاب، فضلاً عن تكوين علاقات مع الوالي والموظفين في المدينة، كان جل اهتمامه في هذه الفترة المصالحة بين العشائر، فما

²⁵⁵ - سيرة ذاتية: ص: 55-56.

²⁵⁶ - سيرة ذاتية: ص: 57.

كان يطرق سمعه نزع بين العشائر إلا ويتوجه إليهم ويرشدهم حتى أنه استطاع إجراء صلح بين "شكر آغا" و "مصطفى باشا" بينما أخفقت الإدارة العثمانية في فض النزاع بينهما. وعندها خاطب النورسي رحمه الله "مصطفى باشا" قائلاً: "ألم تتب إلى الآن؟" فأجابته: "سيدنا أنا طوع كلامك" وقدم له هدايا ونقود ولكن الإمام النورسي رفض ذلك قائلاً: "ألم تسمع أنني لم آخذ مالا من أحد لحد الآن؟ فكيف آخذه من أمثالك الظالمين! يبدو أنكم قد أفسدتم ثوبكم! وعلى هذا لا تصل إلى الجزيرة بسلامة.

وفعلامات "مصطفى باشا" في الطريق ولم يصل إلى الجزيرة وكان دعاؤه عليه قد استجيب²⁵⁷.

2- نهية عن المنكر

وهذه سمة بارزة في حياة الشيخ بديع الزمان النورسي رحمه الله تعالى فمن ذلك أنه قد طرقت سمعه يوماً في "بتليس" أن الوالي وعدداً من الموظفين يشربون الخمر فثارت ثائرتة وقال: لن يرتكب هذا الفعل شخص يمثل الحكومة في مدينة مسلمة مثل "بتليس"! فذهب فوراً إلى مجلس الخمر ووعظهم موعظة بليغة أولاً واستهملها بحديث شريف حول الخمر، ثم أخذ ينهال عليهم بكلام جارح، وكانت يده على مسدسه يتوقع إشارة من الوالي للتعدي عليه، إلا أن الوالي كان حيلماً صبوراً، وعندما انصرف النورسي من المجلس قال له مرافق الوالي "ماذا فعلتم إن كلامكم هذا يوجب الإعدام" فأجابته الإمام النورسي رحمه الله "لم يرد على خاطري الإعدام بل كنت أحسب العقاب سجننا أو نفياً، وعلى كل حال ما ضر إن مت في سبيل دفع منكر واحد.

وبعد عودته من المجلس بساعتين أرسل إليه الوالي شرطيين لاستدعائه فدخل واستقبله الوالي بإعظام وإجلال وهم بتقبيل يده وقال: "لكل أحد أستاذ قدوة، وأنت أستاذي القدوة"²⁵⁸.

وهكذا أبرزت عبادة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واضحة في حياة النورسي رحمه الله عز وجل وهذه العبادة تلاشت في نفوس أكثر الدعاة اليوم في شطرها الإنكاري، فلم يعودوا ينهون عن المنكر إلا قليلاً، ويرون المنكرات تمتلئ بها الأسواق والشوارع فلا يفكرون في وسيلة ينكرون بها على الناس منكراتهم بينما طريقة الصالحين في كل زمان ومكان غير ذلك، والله تعالى امتدح المؤمنين فقال: {كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنين بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خير لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون}²⁵⁹.

وقد قدم الله عز وجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان لإبراز أهميته واختصاصه لهذه الأمة والتصاقه بها أكثر من غيرها من الأمم.

²⁵⁷ - سيرة ذاتية: ص: 62.

²⁵⁸ - سيرة ذاتية: ص: 59.

²⁵⁹ - سورة آل عمران: الآية: 110.

المبحث الثالث: العفة عن أموال الناس

لقد أثر عن الأستاذ بديع الزمان تعففه عن أموال الناس وعدم قبول الزكاة من أحد، وعدم قبول الهدايا على فقره الشديد وحاجته وقد قال رحمه الله: "كنت أرفض قبول أموال الناس وهداياهم منذ نعومة أظفاري، وما كنت أتنازل لإظهار حاجتي للآخرين رغم إني كنت فقير الحال، في حاجة إلى المال، وما كنت زاهدا ولا صوفيا ولا صاحب رياضة روحية فضلا عن أنني ما كنت من ذوي الحسب والنسب والشهرة.

فإزاء هذه الحالة كنت أحرار من أمري كما كان يحار من يعرفني من الأصدقاء. ولقد فهمت حكمتها قبل بضع سنين إنها كانت لأجل عدم الرضوخ للطمع والمال ولأجل الحيلولة دون معيء اعتراض على رسائل النور في مجاهدتها، فقد أنعم علي الباري عز وجل تلك الحالة الروحية وإلا كان أعدائي الرهيبون ينزلون بي ضربتهم القاضية من تلك الناحية. ويا إخواني تعلمون أنني لا أقبل الصدقات والمعونات كما لا أكون وسيلة لأمثالها من المساعدات، لذا أبيع ملابسي الخاصة وحاجاتي الضرورية، لأبتاع من ثمنها من إخوتي كتبي التي استنسخوها وذلك لأحول دون دخول منافع دنيوية في إخلاص رسائل النور لئلا يصيبها ضرر، وليعتبر الإخوة الآخرون، فلا يجعلون الرسائل وسيلة لأي شيء كان²⁶⁰. وقال أيضا:

"إن السبب المهم للاستغناء عن الناس هو ما يقوله ابن حجر²⁶¹: يحرم قبول ما يوهب لك بنية الصلاح إن لم تكن صالحا.

نعم إن إنسان هذا العصر يبيع هديته البخسة بثمن باهظ لحرصه وطمعه، فيتصور شخصا مذنبا عاجزا مثلي وليا صالحا، ثم يعطيني رغيفا هدية فإذا اعتقدت أنني صالح -حاش لله- فهذا علامة الغرور ودليل على عدم الصلاح، وإن لم أعتقد بصلاحي فقبول ذلك المال غير جائز لي. وأيضا إن أخذ الصدقة والهدية مقابل الأعمال المتوجهة للأخرة بصورة فانية في الدنيا. هذا وإن أسباب عديدة تمنعني عن قبول الهدايا أذكر أهمها وهو: الإخلال بالعلاقة الصالحة الحميمة بيني وبين طلاب النور علاوة على أنني لست محتاجا حاجة ماسة، وذلك بفضل الالتزام بالاقتصاد والقناعة والبركة بل لا أستطيع أن أمد يدي إلى أموال الدنيا فذلك خارج طوقي وإرادتي. وسأبين سببا دقيقا واحدا من بين الأسباب الكثيرة:

²⁶⁰ - أمير داغ: 318/1.

²⁶¹ - أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي: (909-974هـ) شيخ الإسلام أبو العباس فقيه باحث مصري له تصانيف كثيرة منها: "الفتاوى الهيثمية"، وشرح الأربعين نوبة" و"تحفة المحتاج لشرح المنهاج" و"شرح مسكاة المصابيح" للنبري: عن الأعلام للزركلي: 312/1.

أتى صديق حميم بمقدار من الشاي يبلغ ثمنه ثلاثين قرشا فلم أقبله.
فقال: لا تردني خائبا يا أستاذي، لقد جلبته لك من اسطنبول فقبلته ولكن دفعت له ضعف
ثمنه.

فقال: لماذا تتعامل هكذا يا أستاذي ما الحكمة فيه؟
قلت: لئلا أنزل قيمة الدرس الذي تتلقاه، وهو بقيمته الألماس إلى قيمة قطع زجاجة تافهة،
فإني أدع نفعي الخاص لأجل نفعك أنت.

نعم إن درس الحقيقة الذي تأخذه من أستاذ لا يتنازل على حطام الدنيا ولا تزل قدمه إلى
الطمع والذل، ولا يطلب عوضا من أدائه الحق والحقيقة، ولا يضطر إلى التصنع، هذا الدرس هو
بقيمة الألماس.

بينما الدرس الذي يتلقى من أستاذ اضطر إلى أخذ الصدقات، وإلى التصنع للأغنياء وإلى
التضحية حتى يعزته العلمية في سبيل جلب أنظار الناس إليه، فمال إلى الرياء أمام الذين يتصدقون
عليه، وبهذا جوز أخذ ثمرات الآخرة في الدنيا، أقول: إن هذا الدرس نفسه يهون في هذه الحالة إلى
مستوى قطع زجاجة²⁶².
وقال أيضا:

"إنني على قناعة تامة الآن من أن حكمته في هذا الأمر هي: عدم جعل رسائل النور في آخر
أيامى وسيلة لغنائم الدنيا، وعدم جعلها ذريعة لجر المنافع الشخصية، فلأجل هذه الحكمة أعطيت لي
هذه الحالة، وحالة النفور من تلك العادة المقبولة وتلك السجية غير المضرة، والهروب منها، وعدم فتح
يد المسألة من الناس، فرضيت بالعيش الكفاف وشدة الفقر والضعف وذلك لئلا يفسد الإخلاص
الحقيقي الذي هو القوة الحقيقية لرسائل النور وأشعر كذلك أن في هذا الأمر إشارة فيما مغزى، بأن
هذه الحالة هي التي تدفع أهل العلم إلى انهماك في هموم العيش حتى يبلغوا على أمرهم في الزمن
القابل²⁶³.

غالبا السبب الأساس الذي منع النورسي عن سؤال الناس أو قبول ما يعطونه هو الرؤيا التي
رأى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام حيث رأى: أن القيامة قد قامت والكائنات بعثت من
جديد ففكر كيف يتمكن من زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم تذكر أن عليه الانتظار في بداية
الصراط الذي يمر عليه كل فرد، فأسرع إليه وهكذا أمر به جميع الأنبياء والرسل الكرام فزارهم واحدا
واحدا وقبل أيديهم، وعندما حظي بزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم: سيوهب لك علم القرآن، ما لم
تسأل أحدا²⁶⁴.

²⁶² - سيرة ذاتية: ص: 491-493.

²⁶³ - سيرة ذاتية: ص: 44، (أمير داغ) 361.

²⁶⁴ - سيرة ذاتية: ص: 45.

- زهده في التمتع والأخذ من الصبيات:

كان بديع الزمان رحمه الله زاهدا في متاع الدنيا، مقبلا على الآخرة جاعلا ذلك همه وهدفه، ومن مظاهر زهده:

* كان نومه قليلا، وكان يرى أن حاجة الإنسان الطبيعي منه لا تتجاوز الساعات الخمس في اليوم والليلة²⁶⁵.

* كان أكله قليل جدا ولا يكفي حاجة الإنسان الضعيف²⁶⁶.

* نفقته كانت محدودة جدا تبعا لذلك بحيث يكفي المال القليل شهورا وسنوات وساعده عدم زواجه على قلة نفقته.

* لم يتزوج قط، وبرز هذا بإرادته أن يكون حر التصرف، ليس مرتبطا بزوجة ولا أولاد قد يؤثر على قوله كلمة الحق ولأنه يرى أن زوجة بوضعه ذلك وسجنه ونفيه الدائم ستتعيب وتتضرر²⁶⁷.

المبحث الرابع: الذكاء والحافظة العجيبة.

كان الإمام النورسي رحمه الله تعالى يتمتع بحافظة عجيبة، بحيث يحفظ المقادير العظيمة في أيسروقت وأسرعه ويدوم هذا الحفظ في ذاكرته سنين طويلة، بحيث يسترجع محفوظه متى شاء وقد ذهب النورسي رحمه الله إلى أخيه الملا عبد الله الذي كان يسكن في مدينة مجاورة، وذلك زمن الصبا- فسأله أخوه عما قرأه فقال الأستاذ بديع الزمان:

لقد قرأت ثمانين كتابا.

الملا عبد الله: ماذا تعني.

بديع الزمان: لقد أنهيت الكتب المقررة كلها، بل قرأت كتب أخرى علاوة عليها.

الملا عبد الله: إذن سأمتحنك.

بديع الزمان: أنا مستعد، سل ما بدا لك؟

ثم امتحنه الملا عبد الله بتوجيه الأسئلة إليه ولما أصغى إلى أجوبته السديدة قدر فيه كفاءته العلمية حتى اتخذه أستاذا له مع أنه كان قبل ثمانية أشهر تلميذا لديه²⁶⁸.

وقد انكب النورسي رحمه الله على حفظ المتون من كل علم فحفظ عن ظهر قلب خلال سنتين من متون الكتب كـ "المطالع"²⁶⁹ و "المواقف" وأمثالهما من الكتب التي ترد الشبهات وتدفع الشكوك الواردة على الدين فضلا عن حفظه متون كتب العلوم الآلية كالنحو والصرف والمنطق

²⁶⁵ - سيرة ذاتية: ص: 518.

²⁶⁶ - سيرة ذاتية: ص: 518.

²⁶⁷ - سيرة ذاتية: ص: 494-495.

²⁶⁸ - سيرة ذاتية: ص: 48.

²⁶⁹ - "مطالع الأنوار" في المنطق للقاضي الأرموي.

وغيرها ومتون كتب العلوم العالية كالتفسير وعلم الكلام والحديث والفقه فبدأ يحفظ متن كتاب "المرقاة"²⁷⁰ دون حواشيه وشروحه ثم قارن بين وجهة نظر ومبلغ فهمه، وما ورد في حواشي الكتاب وشروحه فرأى أن جميع مسائله متطابقة لما في ذهنه إلا في ثلاث كلمات لم تتطابق مع الشرح، واستحسن العلماء عمله هذا وأعجبوا به.

ولهذا اهتم بحفظ تلك المتون من أمهات الكتب الإسلامية في مختلف العلوم والفلسفة، لتصبح مفاتيح للحقائق القرآنية وردا للشبهات الواردة على الدين، واستمر على ذلك حتى نهاية عمره فيقول عن نفسه: إن ومضة نور معنوي في دماغ إنسان يملك قوة حافظة لا تتجاوز حجم ظفر، هذا الشخص أدرج في دماغه كلمات تسعين كتابا، ويتم قراءة هذا الجزء فقط في حافظته في ثلاثة أشهر بمعدل ثلاث ساعات يومية، ويمكنه أن يراجع ويخرج من تلك الحافظة ما يشاء، ومتى يشاء، مما شهده وسمعه وما تراءت أمامه من صور ومعان وكلمات أعجب بها أو تحير منها، وأرغب فيها من جميع الصور والأصوات طوال عمره الذي ناهز الثمانين، كل ذلك في صحيفة تلك الحافظة، لذا يرى أن تلك الحافظة كأنها مكتبة ضخمة نسقت فيها محفوظات منظمة مرصوفة فكانت تلك المكتبة نعمة عظمى، إذ لو كنت أجيد الكتابة لما كانت المسائل تقر في القلب، فما من علم بدأت به سابقا إلا وكنت وأكتبه في روحي، لحرمانني من الكتابة الجيدة، وبقوة حفظه وذكائه ومواهبه لقب ببديع الزمان²⁷¹.

المبحث الخامس: عزته وصبره.

1- عزته: صفة العزة في الإمام النورسي رحمه الله واضحة لكنها عزة ممزوجة بالتواضع الحميد، فلم تخرجه إلى غرور أو ترفع عن الناس، وأسمى عزته هذه الاستعلاء الإيماني، أي أن الإنسان يرى نفسه بإيمانه أعلى من الكفرة والظلمة والفساق، وهذا الاستعلاء وتلك العزة مكنته من مواجهة أعدائه بقوة، وصدعهم بالحق، وتثبيت دعوته في القلوب والعقول وسأذكر بعض المواقف:

- محاكماته الكثيرة التي حوكم فيها فأظهر دروبا من العزة عجيبية وأفحم القضاة والمدعين وبين رسالته ودعوته زمن صعب، ولم يأبه بالتهديد بالإعدام والسجن الويل والنفي²⁷².

- وقوفه بقوة أمام مصطفى كمال وأعضاء البرلمان في أنقرة لما رأهم يتهاونون في الصلاة، ورأى الإلحاد فيهم فاشيا، حتى أنه واجه مصطفى كمال مواجهة عزيزة قوية تتجلى في الحديث التالي: وذلك عقب أن ألقى أحد النواب في برلمان أنقرة بيانا إيمانيا قويا نيابة عن الأستاذ بديع الزمان فقال مصطفى كمال:

"إننا لاشك بحاجة إلى عالم قدير مثلك فقد دعوناك هنا للاستفادة من أرائك السديدة فاستجبتم الدعوة إلا أن أول عمل قمتم به هو كتابة أمور حول الصلاة فبذرتم الخلاف فمما بيننا".

²⁷⁰ - "مرقاة الوصل إلى علم الأصول" كتاب في المذهب الحنفي لمحمد بن فراموز الخسروي: (ت 885هـ).

²⁷¹ - سيرة ذاتية: ص: 60-61.

²⁷² - سيرة ذاتية: ص: 252-390.

فأجابه أجوبة شافية، ثم قال له محدثا مشيرا بأصبعه إليه باشا باشا: إن أعظم حقيقة في الإسلام - بعد الإيمان - هي الصلاة والذي لا يصلي خائن وحكم الخائن مردود.
فاضطر مصطفى كمال إلى كظم غيظه وترضيته²⁷³.

2- صبره:

الصبر مفتاح الفرج، وهو عدة الداعية، وطريقة للتمكين، وقد صبر النورسي رحمه الله كثيرا على أدى أعدائه من سجن ونفي وتضييق وعزلة جبرية عن الناس، ومحاولة تشويه سمعته وعرضه وهذا ظاهر مبثوث في سيرته، ولكنه لم يقابل ذلك كله إلى بالصبر الجميل وحفظ دعوته من استئصالها، لو أنه قاوم أو فقد صبره وهكذا عوضه الله تعالى وكافأه على صبره بأن أظهر دعوته، ونشر رسالته، وكثر أتباعه، ومكن لهم في الأرض، وصدق الله العظيم حين يقول: {قل يا عبادة الدين آمنوا اتفقوا ربكم للدين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة وإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب}²⁷⁴.

هذه الصفات التي ذكرتها في المباحث الخمسة هي التي حفظ الله عز وجل بها دعوة الإمام بديع الزمان النورسي رحمه الله وجمع القلوب وحولها وعظم شأنها، ورفع قدرتها، فبالقدر الذي يصب المؤسس فيه من صفاته على شجرته التي غرسها تنمو هذه الشجرة وترعرع ويشتد عودها، وما دعوته اليوم وحضورها القوي، في تركيا والعالم الإسلامي إلا شاهد على عظمة المؤسس ورفعته قدره وصفاته، وتأثر أتباعه بها.

²⁷³ - سيرة ذاتية: ص: 187- الشعاعات: ص: 505-485.

²⁷⁴ - الزمر: الآية: 10.

الباب الثاني :
أسس ووسائل و منهج
الإصلاح
عند النوراني

الفصل الأول: أسس الإصلاح عند النورسي

المبحث الأول: الأسس الأولى لخدمة المجتمع.

تقديم:

يرفض النورسي أن يبدأ الاتجاه الإصلاحى من السياسة بسبب الاضطهاد والمعاناة التي يمكن التعرض لها من السياسة، رغم أنه دخل السجن وتعرض للنفي، فألح على أن الإصلاح يبدأ من الفرد باعتباره نواة المجتمع، وينطلق في حركته الإصلاحية من تربية الأفراد على القيم والمعتقدات الدينية حتى يمكن من مواجهة المبادئ العلمانية التي تفتشت في المجتمع.

فالفرد هو المخاطب للصانع الجليل، إن كان له نظر عام وشعور كلي لأنه يصرف كل نظره العام وعموم شعوره الكلي للتعبد لصانعه، وإلى استحسان صناعته، فمن البديهي اتجاه الإصلاح في ذلك الفرد الفريد والحبيب المحبوب²⁷⁵.

ولم يهتم النورسي بإصلاح عقائد الفرد المسلم وقيمه وحسب، ولكن اهتمامه انصب على الفرد داخل سياقه الاجتماعي لأن الفرد ليس جزيرة منعزلة، كما أنه ليس في مقدوره مواجهة المد الإلحادي وحده، كما لم يستطع هو نفسه أن يفعل ذلك وقيمة الفرد بقوته المعنوية للجماعة، لذا ركز النورسي على الجماعة من حيث أن عليها مد الفرد بقوته المعنوية، وهو الأمر الذي دعا النورسي إلى ضرورة اندماج الفرد داخل الشخصية المعنوية للجماعة، وينبغي حماية فرديته الداخلية²⁷⁶.

وهو ما سعى إليه هو نفسه بالفعل بتوحيد صفوف تلاميذه، ورؤساء قيم الأخلاق بينهم وسحق الأنانية فيهم²⁷⁷. ويؤكد النورسي على ضرورة اتحاد الجماعة التي تدين بالإسلام، ويسمها أهل الحق لأن أهل الضلالة يحاولون الاتفاق على الإسلام، ومن ثم سعى الرجل إلى وضع أسس وحدة الجماعة الإسلامية ككل، وبشتى المذاهب الإسلامية، سعياً وراء درء الاختلاف بينها، وأجملها فيما يلي:

1- العمل الإيجابي البناء، وهو بمقتضى محبته لمسلكه دون أن يرد لتفكيره عداة الآخرين.
2- العلم على أن الاتفاق مع أهل الحق هو أحد وسائل التوفيق الإلهي، وأحد منابع العزة الإسلامية.

3- ترك دوافع الحسد والمنافسة، والأحاسيس النفسية التافهة وترك ما يتصور خطأ أنه من العز والكرامة.

4- اتخاذ دستور الإنصاف دليلاً مرشداً، وهو أن صاحب كل مسلك يستطيع القول بأن مسلكي حق وهو أفضل وأجمل من دون أن يتدخل في مسلك الآخرين.

²⁷⁵ - المكتوبات: ص: 567.

²⁷⁶ - الشعاعات: ص: 276.

²⁷⁷ - الشعاعات: ص: 299.

5- ترك غرور النفس وحفظها²⁷⁸.

المطلب الأول: الفرع.

من خصائص النظام الاجتماعي في الإسلام تحمل الفرد مسؤولية إصلاح المجتمع، بمعنى أن كل فرد فيه مطالب بالعمل على إصلاح المجتمع وإزالة الفساد فيه على قد طاقته وسعيه، والتعاون مع غيره لتحقيق هذا المطلوب قال تعالى: {وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان}²⁷⁹.

ومن أعظم التعاون، التعاون على إصلاح المجتمع، وإذا كان الفرد مطالباً بإصلاح المجتمع، فمن البديهي أنه مطالب بعدم إفساده قال تعالى: {ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها}²⁸⁰.
ومن القواعد الفقهية: (ما حرم أخذه حرم إعطاؤه)، لأن إعطاء الحرام للغير من الفساد والإفساد، وأن المسلم إذا عجز عن الإصلاح فعلى الأقل عليه أن يمتنع عن الإفساد وتكثير الفساد وعلى هذا لا يجوز إعطاء الرشوة كما لا يجوز أخذها، ولا يجوز إعطاء الربا كما لا يجوز أخذها. وأدلة مسؤولية الفرد على إصلاح المجتمع كثيرة منها:

من القرآن الكريم: {والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر}²⁸¹. والمعروف اسم جامع لكل ما طلبه الشرع الإسلامي، والمنكر اسم جامع لكل ما نهى عنه ويدخل في ذلك بدهاءة ما يصلح المجتمع ويظهره من الفساد، وفي وصية العبد الصالح لقمان لابنه التي قصها الله علينا {يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر ولصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور}²⁸².

ويؤكد القرآن الكريم مسؤولية الفرد عن إصلاح المجتمع بما يقصه من أخبار الأمم السابقة التي فرط أفرادها بواجب الإصلاح فلحقهم الذم والهلاك، حتى يعتبر كل مسلم بما حل بهم فلا يفرط تفريطهم لئلا يصيبه ما أصابهم قال تعالى: {فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم}²⁸³.

ومن السنة الشريفة: هناك أحاديث كثيرة تقر مسؤولية الفرد عن إصلاح المجتمع، منها الحديث الشريف: (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم)²⁸⁴، وإصلاح المجتمع وإزالة الفساد منه

²⁷⁸ - صقيل الإسلام: المحكمة العسكرية العرفية، ص: 487.

²⁷⁹ - المائدة: الآية: 2.

²⁸⁰ - الأعراف: الآية: 56.

²⁸¹ - سورة التوبة: الآية: 71.

²⁸² - سورة لقمان: الآية: 17.

²⁸³ - رواه

²⁸⁴ - رواه الحاكم في المستدرک (4/352) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (7/270).

والتفكر في تحقيق ذلك من الاهتمام بأمور المسلمين، وفي حديث آخر: (ومن رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك من أضعف الإيمان)²⁸⁵.

فهذا الحديث الشريف صريح في تحمل الفرد مسؤولية إزالة الفساد المطلوب من المسلم إزالته، وهذا الحديث الشريف يأمر أيضا بأن يكون المسلم في حالة استعداد وتهيؤ للإصلاح وإزالة الفساد. والنورسي رحمه الله تحدث عن هذا الفرد المصلح وتحدث عن كل ما يمكن أن يجعله غير نافع للمجتمع سواء في أسرته الصغيرة أو في أسرته الكبيرة، كما أن النورسي قدم حلول بمعالجة كل ما يمكنه أن يجعل الفرد انهزاميا وغير صالح لمجتمعه، وهذا ما سأحدث عنه.

الفرع الأول: المشكلات النفسية التي تصيب الفرد.

نظرا لأن النفس البشرية طلسم عجيب، ولغز كبير كما قال الإمام النورسي رحمه الله، فإنها تحتوي من المشاعر والانفعالات مالا يقدر على مواجهتها إلا القرآن، الذي يحتوي من العلاجات النورانية ما تعجز عنه كل القدرات الطبية المختصة بعلم النفس.

ونحن أمام هذا الضخم الهائل من الانفعالات النفسية، وأمام تلك الإشعاعات المبهرة، من الآيات القرآنية، التي فيها شفاء بما في الصدور واطمئنان القلوب... لا يمكننا أن نوفي الموضوع حقه من جميع جوانبه إنما هي أمثلة ونماذج تصلح كمؤثر لمن يريد مزيدا من الغوص في أعماق الحقيقة، لتحقيق مراحل أعمق وأرسخ من اليقين في معارجه الروحي وصدق الله العظيم إذ يقول: **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون**²⁸⁶.

وسأقدم بعض الأمثلة لمشكلات الإنسان النفسية، في كل زمان ومكان وكيف قدم لها القرآن الكريم العلاج، وخاصة إذا كان هذا الإنسان ممن كان له قلب يحيى بنون الإيمان.

1- حب الدنيا والخوف من الموت:

في فطرة الإنسان عشق شديد نحو البقاء، حتى أنه يتوهم نوعا من البقاء في كل ما يحبه، بل لا يحب شيئا إلا بعد توهمه البقاء فيه ولكن حالما يتفكر في زواله أو يشاهد فناءه يطلق عليه الزفريات والحسرات والآهات من الأعماق.

وهكذا فإن الرعب من مواجهة الموت وفراق الدنيا والأحبة ينشأ من خصائص نفسية الإنسان وهي: الاستعداد غير المحدود للمحبة، وعشق البقاء.

وقد عالج القرآن الكريم هذا المرض النفسي للإنسان، حيث أنه استلزمت حكمة الحكيم الخبير، أن يكون ذلك العلاج شاملا عدة اتجاهات:

²⁸⁵ - رواه الشيخان.

²⁸⁶ - العنكبوت: الآية: 43.

* الاتجاه الأول: تجريد القلب مما سوى الله تعالى وتوجيه استعداد المحبة في الإنسان، إلى من له جمال خالد مطلق، وقطع العلاقات مع الموجودات الفانية الزائلة، حتى لا يذوق الإنسان وبال أمره، بآلام الفراق وما يتبعه من جراحات وآلام.

قال المولى جل وعلا بصورة قاطعة تدعو إلى قطع الوشائج التي تربط القلب بالموجودات، وتجعله يتعلق بها: {كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون} ²⁸⁷. وهذا يجعل الإنسان المؤمن الذي يعي هذه الحقيقة جيدا أن يقول: لا باقي بقاء حقيقيا إلا أنت يا إلهي، فما سواك زائل، والزائل غير جدير بالمحبة الباقية، ولا العشق الدائم، ولا أن يشد معه أواصر القلب.

وهكذا فمن يتجرع آلام الفراق يكون نتيجة تقصيره هو، حيث أنه وجه محبته إلى موجودات فانية تعتبر ضلال باهته وزائلة وكان أولى به أن يوجه ذلك الحب إلى الله سبحانه الباقي دون سواه. *الاتجاه الثاني: إن من يزيد تحويل عمره القصير الفاني إلى عمر باق طويل مديد مثمر بالمغانم والمنافع، فعليه أن يصرف عمره في سبيل الباقي، لأن أيما شيء يتوجه إلى الباقي ينال تجليا من تجلياته الباقية.

وبناء على ذلك فإن عمر الإنسان الفاني يتضمن عمرا باقيا، من حيث حياته القلبية والروحية اللتين تحيا بالمعرفة الإلهية والمحبة الربانية والعبودية السبحانية، والمرضيات الرحمانية، بل ينتج هذا العمر الباقي الخالد في دار الخلود والبقاء، فيكون هذا العمر الفاني بمثابة عمر أبدي. فعلى الإنسان الذي يطلب بإلحاح عمرا طويلا وهو مشتاق للبقاء أن يعمل لله ويتقي وجه الله، ويسعى لأجل وجه الله... فكل ثانية من هذا الوصال تعتبر كنافذة مطلة على حياة دائمة باقية.

*الاتجاه الثالث: تحرير الإنسان من الخوف من الموت، وبيان أنه ليس انحلال وعدم تفسخ، بل يبين القرآن أن الموت مخلوق كالحياة وأنه نعمة إلهية فيقول المولى جل وعلى: {الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا} ²⁸⁸.

ويقول الإمام النورسي رحمه الله إزالة ما علق في الأذهان من لبس تجاه الموت وبيان بعض مقاصد القرآن تجاهه فيقول رحمه الله:

- بالنسبة لكون الموت مخلوقا: فقد وضح لنا أن الموت في حقيقته هو تسريب وإنهاء لوظيفة الحياة الدنيا، فهو تبديل مكان وتحويل وجوده وهو دعوة إلى الحياة الباقية الخالدة، ومقدمة لها، إذ كما أن مجيء الحياة الدنيا، هو يخلق وبتقدير إلهي، كذلك ذهابنا من الدنيا، هو أيضا بخلق وتقدير وحكمة وتدبير إلهي، لأن موت أبسط الأحياء -وهو النبات- يظهر لنا نظاما وإبداعا للخلق... فموت الأثمار والبذور والحبوب، الذي يبدوا ظاهرا تفسخا وتحللا، هو في الحقيقة عبارة عن عجن لتفاعلات كيميائية متسلسلة في غاية الانتظام، وامتزاج لمقادير العناصر في غاية الدقة والميزان، وتركيب وتشكل

²⁸⁷ - القصص: الآية: 88.

²⁸⁸ - سورة الملك: الآية: 3.

للذرات بعضها ببعض، في غاية الحكمة والبصيرة، بحيث أن هذا الموت الذي لا يرى وفيه هذا النظام الحكيم والدقة الرائعة هو الذي يظهر بشكل حياة فانية، للسيل للنبات الباسق المثمر، وهذا يعني أن موت البذرة، هو مبدأ حياة النبات الجديد، ازدهارا وأثمارا... بل هو بمثابة عن حياته الجديدة، فهو الموت إذن مخلوق منتظم كالحياة²⁸⁹.

فإن كان موت النبات مخلوقا منتظما بحكمة فكيف بالموت الذي يصيب الإنسان وهو أرقى طبقات الحياة، فلا شك أن موته هذا سيثمر حياة دائمة في عالم البرزخ، تماما كالبذرة الموضوعة تحت التراب، والتي تصبح بموتها نباتا رائعا في الجمال.

والسؤال الذي يطرح نفسه عند من يريد أن يزيل عقدة الخوف من الموت هو: كيف يكون

الموت نعمة؟

الجواب: سنذكر أربعة وجوه فقط من أوجه النعمة والامتنان الكثيرة للموت:

أولها: الموت إنقاذ للإنسان من أعباء وظائف الحياة الدنيا، ومن تكاليف المعيشة المثقلة.

ثانها: الموت خروج من قضبان سجن الدنيا المظلم الضيق المضطرب ودخول في رعاية المحبوب الباقي وفي كنف رحمته الواسعة، وهو تنعم بحياة فسيحة خالدة مستنيرة، لا يزعجها خوف، ولا يكدرها حزن ولا هم.

ثالثها: أن الشيخوخة وأمثالها، من الأسباب الداعية لجعل الحياة صعبة ومرهقة، تبين مدى كون الموت نعمة، وتفوق نعمة الحياة.

رابعها: كما أن النوم راحة للإنسان ورحمة، ولاسيما للمبتلين والمرضى والجرحى وكذلك الموت - الذي هو أخو النوم- رحمة ونعمة عظيمة، للمبتلين ببلايا يائسة قد تدفعهم للانتحار.

أما أهل الضلال فالموت لهم كالحياة نعمة عظيمة وعذاب في عذاب مصداقا لقول الحق جل شأنه: {أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون}²⁹⁰.

2- الإحساس بالضيق والشعور بالاغتراب.

هذه المشكلة تنشأ من البعد عن الله، فمادام الله موجودا وعلمه يحيط بكل شيء، فإن عالم المؤمن تظلمه الطمأنينة والأمن والسكينة، بينما دنيا الكافر زاخرة بالعدم والفراق والانعدام ومليئة بالعبث والفناء، فالإيمان مثلما ينقذ الإنسان من الإعدام الأبدي أثناء الموت، فهو ينقذ دنيا كل شخص أيضا من ظلمات العدم والانعدام والعبث²⁹¹.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: كيف يضاعف البعد عن الله إحساس الإنسان بالضيق؟

²⁸⁹ - ص: 8 من المکتوبات، المکتوب الأول.

²⁹⁰ - سورة الجاثية: ص: 31.

²⁹¹ - ص: 540 من الكلمات.

الإمام النورسي يجيب على هذا السؤال، مستمداً إجابته من أسرار قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، ثم رددناه أسفل سافلين، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾²⁹².

فيقول رحمه الله: "إن طريق الشرك والضلالة، والسفاهة والفسوق، يهوى بالإنسان إلى منتهى السقوط، وإلى أسفل السافلين ويلقي على كاهله الضعيف العاجز، في غمرة آلام غير محدودة، عبثاً ثقيلًا لا نهاية لثقله... ذلك لأن الإنسان إن لم يعرف الله سبحانه وتعالى، وإن لم يتوكل عليه يكون بمثابة حيوان فان، يتألم دائماً ويحزن باستمرار، ويتقلب في عجز وضعف لا نهاية لهما، ويتلوى في حاجة وفقر لا نهاية لهما، ويتعرض لمصائب لا حد لها ويتجرع آلام الفراق، من الموجودات التي استهواها، ونسج بينه وبينها خيوط العلاقات، فيقاسي ومازال يقاسي حتى يغادر ما بقى من أحبائه نهاية المطاف، ويفارقهم جزعا وحيدا غريبا إلى ظلمات القبر"²⁹³.

العلاج القرآني لمشكلة الضياع الإنساني:

إن أحوال الدنيا المضطربة التي لا قرار فيها، ولا ثبات وكلها تقلبات تلح على فكر الإنسان بهذا السؤال: إن جميع ما نملك لا يستقر ولا يبقى في أيدينا، بل يفنى ويغيب عنا، أليس هناك من علاج لهذا؟ ألا يمكن أن يحل البقاء لهذا الفناء؟

وبينما الإنسان غارق في هذا التفكير، إذا به يسمع صدى القرآن السماوي، ويدوي في الآفاق ويقول له: نعم إن هناك علاجاً لهذا الداء يتمثل في ذلك الدواء: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾²⁹⁴.

يخبر الله تعالى في هذه الآية أنه عاوض عبادة المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم، إذ أبدلوا في سبيله بالجنة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه، فإنه قبل العوض عما يملكه بما تفضل به على عباده المطيعين له، ولهذا قال الحسن البصري وقتادة: بايعهم والله فأغلى ثمنهم.

وقال شمر بن عطية: ما من مسلم إلا والله عز وجل في عنقه بيعة وفي بها أو مات عليها، ثم تلا هذه الآية، ولهذا قال: من حمل في سبيل الله بايع الله، أي قبل هذا العقد ووفى به²⁹⁵.

وقد شمل العلاج القرآني عدة محاور منها:

* بيان أهمية قيمة حياة الإنسان وأنه لم يخلق عبثاً.

لقد حفلت آيات الكتاب الكريم ببيان أهمية الإنسان، حيث خلقه الله في أحسن تقويم، حتى أصبح مرآة جامعة لأسمائه الحسنى وليكون أجمل معجزات القدرة الإلهية من كنوز، ووهب له استعداداً فطرياً سامياً يمكنه من حمل الأمانة الكبرى التي أبت السماوات والأرض والجبال أن

²⁹² - سورة التين: الآية: (4-5-6).

²⁹³ - الكلمات: ص: 756-757.

²⁹⁴ - سورة التوبة: الآية: 111.

²⁹⁵ - تفسير ابن كثير: ج 4، ص: 218.

يحملها، أي خلقه ليعرف صفات خالقه سبحانه الشاملة المحيطة، وتجلياته المطلقة بموازينه الجزئية وبمهاراته الضئيلة²⁹⁶.

إن تلك الآيات تحقق في مضمونها غايات كثيرة ما يخصنا هنا: أنها تحمي الإنسان من الضياع والعدم والعبث، بيان أهميته في الحياة، وبعث الثقة في نفسه لاعتزازه بإيمانه، وبت أهداف سامية في حياته تجعل خطواته ثابتة في الحياة لأنه يستند إلى نقطة ارتكاز عظيمة تحدد الهدف والغاية والمنتهى لأنه يعي بيقين قول الحق جل وعلا: {أفحسبتم أننا خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون}²⁹⁷.

* بيان أنه لا عبثية ولا إسراف في خلق الموجودات:

القرآن الكريم مليء بالآيات الدالة على عظمة الله وقدرته في خلق الكون، وحاشا لله أن يخلق شيئاً عبثاً فهو القائل جل وعلا: {وكل شيء عنده بمقدار}²⁹⁸.

ويخاطب النورسي من توهم الوجود عبثاً قائلاً: يا من ابثلي بحب هذه الحياة، حتى حسب أنه العلة الغائية في الحياة وبقائها، وأن كل ما أودعته القدرة الأزلية في جوهر الإنسانية، وذوي الحياة من الأجهزة العجيبة والتجهيزات الخارقة، إنما أعطاه الفاطر الحكيم، لحفظ هذه الحياة السريعة الزوال ولأجل البقاء... كلا ثم كلا، إذ لو كان بقاء الحياة هو المقصود من كتاب الحياة، لصار أظهر وأبهر وأنور دلائل الحكمة والعناية والانتظام مثال العبث والإسراف، بل يرجع إلى الحي من ثمرات الحياة وغايتها بمقدار درجة مالكية الحي للحياة وتصرفه الحقيقي فيها... أما سائر الثمرات والغايات، فراجعة إلى المحيي جل جلاله بالمظهرية لتجليات أسمائه وبإظهار ألوان وأنواع جلوات رحمته في جنته في الحياة الأخروية، التي هي ثمرات بذور هذه الحياة الدنوية²⁹⁹.

- ربط الإنسان بصانعه الجليل:

إن الإيمان يربط الإنسان بصانعه الجليل ويؤكد على ذلك القرآن الكريم، لذا يكتسب الإنسان بالإيمان قيمة سامية من حيث تجلي الصنعة الإلهية فيه، أما الكفر فيقطع تلك النسبة وذلك الانتساب، وتغشى ظلمته الصنعة الربانية وتطمس على معالمها فتنقص قيمة الإنسان حيث تنحصر في مادته فحسب وقيمة المادة لا يعتد بها فهي في حكم المعدوم، لكونها فانية وزائلة، وحياتها حياة حيوانية مؤقتة وهكذا نجد الكون كله، يردد سنة الله التي لا تتبدل ولا تتغير: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يَخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ} يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أوليائهم الضالغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات³⁰⁰ .³⁰¹

²⁹⁶ - الكلمات: ص: 94، الحقيقة الحادية حشرة من الكلمة العاشرة.

²⁹⁷ - المؤمنون: الآية: 115.

²⁹⁸ - الكلمات: ص: 94-95.

²⁹⁹ - المنثوي العربي النوري: ص: 193.

³⁰⁰ - البقرة: الآية: 258.

³⁰¹ - المنثوي العربي النوري: ص: 347.

- فتح باب الدعاء أمام الإنسان.

قال تعالى: {ادعوني أستجب لكم}³⁰² ويجب الإمام النورسي على ذلك بقوله: إن استجابة الدعاء شيء وقبوله شيء آخر، فكل دعاء مستجاب إلا أن قبول وتنفيذ المطلوب نفسه منوط بحكمة الله سبحانه فمثلا يستصرخ طفل عليل الطبيب قائلا: أعطني هذا الدواء، فالطبيب إما أن يعطيه الدواء نفسه أو يعطيه دواء أكثر فائدة ونفعا وأفضل له أو يمنع عنه العلاج نهائيا وذلك حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة³⁰³.

وكذلك الحق سبحانه وتعالى: {وله المثل الأعلى} فلأنه حكيم مطلق ورقيب حسيب في كل آن فهو سبحانه يستجيب دعاء العبد وباستجابته يزيل وحشته القائمة وغريته الرهيبة مبدلا إياها أصلا وأنسا واطمئنانا.

وفي ختام الكلام عن أهمية الدعاء يتوجه الإمام النورسي بنصيحة إلى الإنسان العاجز الفقير: ألا يتخلى عن مفتاح خزينة الرحمان الواسعة ومصدر القوة المتينة، ألا هو الدعاء، فيجب أن يتشبث به ليرقى إلى أعلى على الإنسانية ويتخلص من الأعباء النفسية³⁰⁴.

المشكلة الثالثة: عجز الإنسان في مواجهة الحزن والألم.

إن الله سبحانه وتعالى قد أدرج في الإنسان عجزا لا حد له وفقرا لا نهاية له، إظهارا لقدرته المطلقة وإبرازا لرحمته الواسعة وقد خلقه على صورة معينة بحيث يتألم بما لا يحصر من الجهات³⁰⁵. فالإنسان بما يحمل من ماهية جامعة يتألم من الحى البسيطة كما يتألم من زلزلة الأرض وهزتها، وكما يتألم من زلزال الكون العظيم عند قيام الساعة، ويخاف من جرثومة صغيرة....³⁰⁶ ما هو العلاج القرآني، إذا داهم الإنسان الرهبة والخوف من كل مكان وانقطعت أسباب الرجاء أمامه؟

*** العلاج على محورين:**

- المحور الأول: وهو إسعاف سريع، حيث تحتاج النفس البشرية إلى ما يسكن روعتها في حالة هلعها والإسعاف السريع يكون بالدعاء، فقد علمنا الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم أن أفضل دعاء لمواجهة الكرب بكل أنواعه هو دعاء سيدنا يونس في بطن الحوت حيث الليل الحالك والبحر الهائج والحوت الهائل³⁰⁷.

³⁰² - غافر: الآية: 60.

³⁰³ - الكلمات: الآية: 354.

³⁰⁴ - الكلمات: ص: 354-355.

³⁰⁵ - للمعات: ص: 19.

³⁰⁶ - للمعات: ص: 9.

³⁰⁷ - للمعات: ص: 7-8.

{لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} ³⁰⁸ ، فإذا نظرنا بنور تلك المناجات إلى أنفسنا فنحن في وضع مخيف ومرعب أضعاف ما كان فيه سيدنا يونس عليه السلام حيث أن: ليلنا: الذي يختم علينا هو المستقبل... فمستقبلنا إذا نظرنا إليه بنظرة الغفلة يبدو مظلمًا مخيفًا، بل هو أهلك ظلامًا، وأشد عتامة من الليل الذي كان فيه سيدنا يونس عليه السلام.

وبحرنا هو: بحر الكرة الأرضية: فكل موجة من أمواج هذا البحر المتلاطم تحمل آلاف الجنائن فهو إذا بحر مرعب رهيب أكثر من البحر الذي ألقى فيه سيدنا يونس عليه السلام.

وحوتنا: هو ما نحملة من نفس أمارة بالسوء... فهي حوت يريد أن يلتهم حياتنا الأبدية ويحمقها، هذا الحوت أشد قوة وبطشًا من الحوت الذي ابتلع سيدنا يونس عليه السلام.

المحور الثاني: وهو أركان الشريعة. حيث يمكن القول أن أركان الشريعة يجملها، الهدف منها صقل النفس البشرية، لمواجهة شدائد الحياة بصدر رحب وصبر جميل، كما قال سيدنا يعقوب بعد حزنه على فقدان ابنه: {فصبر جميل واللّه المستعان على ما تصفون} ³⁰⁹.

ولما كانت الصلاة هي عماد الدين، فقد بين الإمام النورسي بطريقة رائعة أن أدائها في وقتها كما فرضه الله عز وجل في مد روح الإنسان بالقوة اللازمة لمواجهة الحزن والآلام، مستمداً تلك الإلهامات من أسرار الآية الكريمة: {فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تكفرون} ³¹⁰.

فقال رحمة الله عليه "إن الإنسان بفطرته ضعيف جدا، ومع ذلك، فما أكثر المنغصات التي تورثه الحزن والألم، وهو في الوقت نفسه عاجل جدا مع أن أعدائه ومصائبه كثيرة جدا، وهو فقير جدا مع أن حاجاته كثيرة وشديدة وهو كسول وبلا اقتدار، مع أن تكاليف الحياة ثقيلة عليه وإنسانيته جعلته يرتبط بالكون جميعا مع أن فراق ما يحبه وزوال ما يستأنس به يؤلمانه، وعقله يريد مقاصد سامية وثمارا باقية من أن يده قصيرة، وعمره قصير وقدرته محدودة وصبره محدود، ومن أجل ذلك خصص المولى جل جلاله الصلاة في هذه الأوقات الخمسة المعينة لمساعدة الإنسان على مواجهة ضعفه وفقره وعجزه ³¹¹.

- **ففي الفجر:** تكون روح الإنسان أحوج ما تكون إلى أن تطرق بالدعاء والصلاة، باب التقدير ذي الجلال وباب الرحيم ذي الجمال، عارضة حالها أمامه، سائلة العون والتوفيق منه سبحانه.

- **وعند الظهر:** هذا الوقت الذي هو ذروة كمال النهار وميلانه إلى الزوال، وهو أوان تكامل الأعمال اليومية وفترة استراحة مؤقتة عن عناء المشاغل وهو وقت حاجة الروح إلى النفس والراحة مما تسببه الأشغال وهذه الدنيا الفانية، من غفلة وحيرة واضطراب، وراحة النفس لا تكون إلا

³⁰⁸ - الأنبياء: الآية: 87.

³⁰⁹ - سورة يوسف: الآية: 18.

³¹⁰ - الروم: الآية: 17-18.

³¹¹ - الكلمات: ص: 41.

بالالتجاء إلى باب القيوم الباقي بالتضرع والتوسل أمامه، مكتوف اليدين، شاكر حامدا لنعمه ومستعينا به وحده، مع إظهار العجز أمام جلاله وعظمته بالركوع وإعلان النذل والخضوع بالسجود، وهذا هو أداء صلاة الظهر فما أجملها وما أأنها وما أعظم ضرورتها.

- عند وقت العصر: الذي يذكر بالموسم الحزين للخريف وبالحالة المحزنة للشيخوخة، وبالآلام الأليمة لآخر الزمان وبوقت ظهور نتائج الأعمال اليومية، فهو فترة حصول المجموع الكلي الهائل للنعم الإلهية أمثال التمتع بالصحة والتنعم بالعافية والقيام بخدمات طيبة، وهو كذلك وقت الإعلان بأن الإنسان ضيف مأمور، وبأن كل شيء يزول وهو بلا ثبات ولا قرار وذلك بما يشير إليه انحناء الشمس الضخمة إلى الأفول.

نعم إن روح الإنسان التي تنشد الأبدية والخلود، وهي التي خلقت للبقاء والأبد، وتعشق الإحساس، وتتألم من الفراق تنهض لهذا الإنسان ليقوم وقت العصر ويسبغ الضوء لصلاة العصر ليناجي متضرعا أمام باب الحضرة الصمدانية للقيوم الباقي فيجد السلوان الحقيقي والراحة التامة لروحه، بوقوفه بعبودية تامة وباستعداد كامل أمام عظمة كبريائه جلا وعلا.

- وعند وقت المغرب: الذي يذكر بوقت غروب المخلوقات المحلية واللطيفة لعالم الصيف والخريف في خزينة الودائع منذ ابتداء الشتاء ويذكر بوقت دخول الإنسان القبر عند وفاته وفراقه الأليم لجميع أحبته، وبفناء الدنيا وانتقال ساكنيها جميعا إلى عوالم أخرى.

لذا فالإنسان الذي يملك روحا صافية يولي وجهه إلى عرش الرحمان فيدوي بصوته قائلا: "الحمد لله" أمام كماله الذي لا نقص فيه مثنيا أمام رحمته الواسعة فيقول: {إياك نعبد وإياك نستعين} لبعض عبوديته واستعانته تجاه ربوبية مولاه ثم يركع إظهارا لعجزه وضعفه وفقره من الكائنات جميعا مسبحا ربه العظيم قائلا {سبحان ربي العظيم} ثم يهوي إلى السجود معلنا بذلك حبه وعبوديته في إعجاب وفناء وذل تاركا ما سواه سبحانه قائلا {سبحان ربي الأعلى} فيجلس للتشهد، فيقدم التحيات والصلوات الطيبات لجميع المخلوقات هدية باسمه إلى ذلك الجليل الذي لا يزال مجددا بيعته مع رسوله الأكرم بالسلام عليه مظهرا بها طاعته لأوامره فيجدد إيمانه وبنوره ثم يشهد على دلائل الربوبية وترجمان آيات كتاب الكون الكبيرة ألا وهو محمد صلى الله عليه وسلم وهكذا تغسل الصلاة الأحزان والآلام بالصحبة الكريمة والجلسة المباركة.

- وعند وقت العشاء: ذلك الوقت الذي تغيب فيه في الأفق حتى تلك البقية الباقية من آثار النهار، ويخيم الليل فيه على العالم فيذكر بالتصرفات الربانية ل {مقلب الليل والنهار}، ويذكر كذلك بالإجراءات الإلهية ل {مسخر الشمس والقمر}... ويذكر بالشؤون الإلهية ل {خالق الموت والحياة} فهو وقت يذكر بالتصرفات الجلالية، وبالتجليات الجمالية، لخالق الأرض والسموات، وبانكشاف عالم الآخرة الواسع الفسيح الخالد العظيم وبموت الدنيا الفانية الحقيرة.

فيلتجئ بالصلاة إلى باب من هو المعبود الذي لم يزل، ومن هو المحبوب الذي لا يزال مناجيا ذلك الباقي السرمدي لينشر على أرجاء دنياه النور من خلال صحبة خاطفة ومناجاة مؤقتة، ولينور

مستقبله، ويضمد جراح الزوال والفرق، عما يحبه من أشياء وموجودات، ومن أشخاص وأصدقاء، وأحباب، بمشاهدة توجه رحمة الرحمان الرحيم، وطلب نور هدايته، فينسى بدوره تلك الدنيا التي أنسته والتي اختفت وراء العشاء³¹².

وبذلك استعرضنا دور الصلاة في علاج الإنسان في مواجهة الحزن والآلام، بصفة الصلاة من أساسيات الشريعة الإسلامية ولا تسقط عن المسلم في جميع أحواله (سفر- مرض- حرب- عجز) وقد اكتسبت تلك الأهمية لدورها الهيكلي في صقل نفسية الإنسان. ثم انتقل النورسي رحمه الله إلى تبيان دور القرآن الكريم بصفة عامة في مداواة الجروح التي تنشأ عن ضلالة النفوس بانحرافها عن الصراط المستقيم.

كيف يداوي القرآن جميع جروح الإنسان؟

- يداوي ضعف الإنسان وعجزه وفقره واحتياجه بالتوكل على القدير الرحيم مسلماً أُنقال الحياة وأعباء الوجود إلى قدرته سبحانه وإلى رحمته الواسعة، دون أن يحملها على كاهل الإنسان بل يجعله مالكا لزمان نفسه وحياته، واجدا له بذلك مقاما صريحا ويعرفه بأنه ليس حيوان ناطق بل هو إنسان بحق وضيع عزيز مكرم عند الملك الرحمان.

* يداوي الجروح الإنسانية الناشئة من فناء الدنيا وزوال الأشياء ومن حب الفانيات، يداويها بلطف وحنان بإظهار الدنيا دار ضيافة الرحمان ومبيناً أن ما فيها من الموجودات هي مرايا الأسماء الحسنى، وموضحاً أن مصنوعات رسائل ربانية تتجدد كل حين بإذن الله، فينعقد الإنسان في قبضة ظلمات الأوهام.

* ويداوي الجروح التي يتركها الموت، والذي يتلقاه أهل الضلالة فراقاً أبدياً عن الأحبة جميعاً، ولكنه يبين أن الموت مقدمة الوصال واللقاء مع الأحبة الذين رحلوا إلى عالم البرزخ والذين هم الآن في عالم البقاء، ويثبت أن ذلك الفرق هو عين اللقاء.

* يزيل كذلك أعظم خوف للإنسان بإثباته أن القبر باب مفتوح إلى عالم الرحمة الواسعة، وإلى دار السعادة الأبدية وإلى رياض الجنان³¹³.

والجروح التي يداويها القرآن الكريم بالإنسان كثيرة نكتفي بما ذكرنا كأمثلة. وهكذا فإن القرآن الكريم يأخذ بيد الإنسان ويرفعه من أسفل سافلين إلى أعلى عليين فيردم الثغور العميقة في النفس وكذلك ييسر له رحلته الطويلة المضنية العاصفة نحو الأبدية ويهونها عليه، وذلك بإبرازه الوسائط والوسائل التي يمكن أن يقطع بها مسألة ألف سنة بل خمسين ألف سنة في يوم واحد... ومن تلك الوسائط، تلك الإشعاعات النورانية التي تلمس ما على الصدور وتنقذ النفوس من هلع الأحزان والمصائب حيث يقول المولى جل جلاله: {ولنبلوكم بشيء من الخوف والجوع

³¹² - الكلمات: من ص: 41 إلى ص: 46.

³¹³ - الكلمات: ص: 161-459 / للمعات: ص: 315-399.

ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبش الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إني لله وإنما إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم الممتدنون³¹⁴.

المشكلة الرابعة: الخوف من الجوع وفوات الرزق.

إن هموم العيش الثقيلة من أول ما يشغل بال الناس حتى أنه قد يدفع أحيانا الكرامة والشرف ثمنا له، بل قد تسلب المقدسات الدينية مقابل ذلك، ويفهم من بعض الروايات أن الجوع سيؤدي دورا مهما في فتنة آخر الزمان، وأن أهل الضلالة سيحاولون بهذا التجويع إغراق أهل الإيمان الضعفاء الجائعين، في متطلبات هموم العيش حتى ينسوهم مشاعرهم الدينية، أو يجعلونها في المرتبة الثانية أو الثالثة، بحيث يجد أهل الدين أنفسهم معذورين قائلين: ماذا نعمل إنها ضرورة فيتركون جادة الحق، سعيا وراء متطلبات العيش³¹⁵.

فكيف عالج القرآن تلك القضية الخطيرة، التي تؤثر على نفسية الإنسان بشكل قد يؤدي به إلى التهلكة؟

الجواب: لقد جعل القرآن قضية الرزق من القضايا اليقينية التي تقوم عليها العقيدة الإسلامية، وأنها من الغيبيات التي استأثر الله بعلمها وذلك حتى لا تحتل تلك القضية أكثر من المكانة اللائقة بها، من تفكير المسلم ووجدانه، فيتحول عن مساره العقائدي، يلهث وراء لقمة العيش غير مبال بما ينتهك من حرمت الله فقال المولى جل وعلا: {إني الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إني الله عليم خبير³¹⁶.

ويرى الإمام النورسي رحمه الله أن الضمان الإلهي للرزق هو من حقائق التوحيد والربوبية: حقيقة إعطاء الرزق إلى جميع ذوي الحياة وبخاصة ذوي الأرواح، وبخاصة العاجزين والضعفاء وبخاصة الأطفال والصغار على وجه الأرض كافة، وفي جوفها وفي جوها وفي بحرها، وإعطائهم أرزاقهم كافة، سواء المعادية المعدية منها، أو المعنوية القلبية بكل شفقة ورأفة وذلك من الأطعمة المعمولة من تراب بسيط يابس ومن قطع خشب جافة جامدة، وأخرج أطف تلك الأطعمة³¹⁷.

وهناك آيات كثيرة تدل دلالة قاطعة على أن حقيقة الرزق من لدن رزاق كريم.

- قال تعالى: {إني الله هو الرزاق ذو القوة المتين³¹⁸} الآية الكريمة تخصص الإعاشة والإنفاق وتحصرها في الحق عز وجل.

³¹⁴ - البقرة: الآية: 155-157.

³¹⁵ - لقمان: الآية: 34.

³¹⁶ - الصفحات: 161-201-206، من الملاحق.

³¹⁷ - الشعاعات: ص: 218-222 (الشعاع السابع).

³¹⁸ - الذاريات: الآية: 85.

- وقال تعالى: {وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين} ³¹⁹ تأخذ أرزاق الناس والحيوان جميعها تحت تعهد الرب سبحانه وكفالاته.

- وقال عز وجل: {وكأي من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم} ³²⁰.

إذا قال الله عز وجل هو الذي يتكفل بأرزاق المساكين والضعفاء والعاجزين، وأمثالهم ممن لا يستطيعون أن يتداركوها، فيرسلها إليهم من حيث لا يحتسبوا ومن مصادر لا تخطر لهم على بال، بل من الغيب مثل الحشرات والحيوانات والأطفال...

وهكذا فالرزق ذو أهمية عظيمة كأهمية الحياة في نظر القدرة الإلهية ³²¹... إن القدرة هي التي تخرج وتوجد الرزق، والقدر يلبيه اللباس المعين، والعناية الإلهية ترعاه... فالذي وهب الحياة يهب الرزق متناسبا مع انبساط الحياة، وليس هناك موت من الجوع. رغم أن الرزق بيد الله عز وجل إلا أن هناك أناس كثيرون يخافون من الموت جوعا أو من فقدان الرزق.

ويبرر النورسي هذا الخوف بقوله: إن الرزق قسمان:

- القسم الأول: وهو الرزق الحقيقي الذي تتوقف عليه حياة المرء وهو تحت التعهد الرباني، فلا أحد يموت من عدم الرزق، لأن الرزق الذي يرسله الحكيم ذو الجلال إلى جسم الكائن الحي يدخر قسما منه احتياطا.

- القسم الثاني: وهو الرزق المجازي فالذي يسيء استعماله، لا يستطيع أن يتخلى عن الحاجات غير الضرورية ³²².

* المشكلة الخامسة: الوسوسة- الحسد- القلق النفسي- الأنانية السلبية اليأس.

- الوسوسة: هي تلك الخواطر السيئة الفاسدة التي يلقيها الشيطان في القلب والخيال مما تسبب توتر الأعصاب والأوهام، وقد يؤدي ذلك إلى اليأس والسقوط في الغفلة ³²³.

ويرى الإمام النورسي رحمه الله: إنه لا ضرر من الخواطر النجسة والقبیحة والكفرية التي ترد دون رضا من الإنسان: فكما أن صورة النجاسة في المرأة ليست بنجسة، وصورة الحية لا تلدغ وصورة النار لا تحرق كذلك لا ضرر من تلك الوسوس التي تتمثل في مرايا القلب والخيال مثلما تقرر في علم الأصول: أن نصور الكفر ليس كفرا، وتخيل الشتم ليس شتما أما تلك الأوجاع الروحية الناتجة عن الوسوسة: فهي أوساط ربانية تحث على المجاهدة والصبر، إذ تقتضي الحكمة الإلهية عدم القوع في اليأس.

³¹⁹ - سورة هود: الآية: 60.

³²⁰ - سورة العنكبوت: الآية: 60.

³²¹ - صيقل الإسلام: ص: 335.

³²² - اللمعات: ص: 98-99- اللمعات: ص: 216.

³²³ - الملاحق: ص: 102، (ملحق قسطنطيني).

بعض أوجه الوسوسة:

يبين الإمام النورسي رحمه الله خمس وجوه للوسوسة أو التي تحدث كثيرا:

- **الوجه الأول:** أن الشيطان يلقي بشبهته في القلب ثم يراقب صداها في الأعماق فإذا أنكرها القلب انقلب من الشبهة إلى الشتم والسب فيصور أمام الخيال ما يشبه الشتم من قبيح الخواطر السيئة والهواجس المنافية للأدب فيظن الموسوس أن قلبه آثم ويشعر أنه قد اقتترف سيئات حيال ربه الكريم ويشعر باضطراب وانفعال وقلق.

أما علاج هذا الوجه الأول: فيقول النورسي رحمه الله: أيها المبتلي المسكين لا تخف ولا تضطرب لأن ما مر أمام مرآة ذهنك إنما هي مجرد صور وخيالات وحيث أن تخيل الكفر ليس كفرا فإن تخيل الشتم أيضا ليس شتما، لذا فإن ضرر الوسوسة إنما هي في توهم الضرر حيث يظن المرء أن همزات الشيطان هي من خواطر قلبه هو يقول عز من قائل: **﴿ولما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم﴾**³²⁴ .³²⁵

- **الوجه الثاني:** عندما تنطلق المعاني من القلب، تنفذ في الخيال مجردة من الصور، والخيال هو الذي يكسبها الأشكال والصور هناك... فإن كانت المعاني منزهة نقية والصور والأنسجة ملوثة دنيئة، إنما مجرد مس فقط ومن هنا يلتبس على الموسوس أمر التماس، فيظنه تلبسا وتلبيسا ويقول في نفسه "يا ويلتاه لقد تردى قلبي في المهاوي وستجعلني هذه الدناءة والخساسة النفسية من المطرودين من رحمة الله" فيستغل الشيطان هذا الوتر الحساس³²⁶ .
وعلاج هذا هو أنه كما لا يؤثر في صلاتك ولا يفسدها ما في جوفك من نجاسة كذلك لا تضر مجاورة الصور الملوثة للمعاني المنزهة المقدسة.

- **الوجه الثالث:** قد تتوارد خيالات سيئة أحيانا عند النظر في أمور مقدسة، إن التناقض الذي يكون سببا للابتعاد في الخارج، يكون مدعاة للقرب والتجاور في الصور والخيال³²⁷ .
وعلاجه أنه لا مسؤولية في تداعي الأفكار، لأنها لا إرادية غالبا وهي ليست بمرض قلبي، إنما هي هواجس نفسية، فعلى الإنسان الاستعاذة بالله عند ورود تلك الهواجس والخواطر.
- **الوجه الرابع:** نوع من الوسوسة الناشئة عن التشدد المفرط لدى التحري الأكمل الإثم من الأعمال.

علاجه: الأخذ بمذاهب أهل السنة والجماعة والابتعاد عن المذاهب الأخرى، وكذلك وجوب العلم إن الإسلام دين الحق ودين يسر لا حرج فيه والمذاهب الأربعة على حق³²⁸ .
- **الوجه الخامس:** الوسواس التي تتقمص أشكال الشبهات في قضايا الإيمان.

³²⁴ - فصلت: الآية: 36.

³²⁵ - الكلمات: الآية: 303.

³²⁶ - الكلمات: ص: 304.

³²⁷ - نفسه: ص: 306.

³²⁸ - نفسه: ص: 307-308.

والعلاج: أن توهم الكفر ليس كفراً، كما أن تخيل الكفر ليس كفراً، وأن تصور الضلالة ليس ضلالة، مثلما أن التفكير في الضلالة ليس ضلالة، لأن التوهم والتخيل والتصور والتفكير أمور حرة طليقة³²⁹.

- الحسد:

إن الحسد داء نفسي رهيب لا ينجو منه إلا من رحم ربي، وله أثر خطير على نفسية الإنسان أولاً ثم على حياة البشر الشخصية والاجتماعية والمعنوية فهو سم خطير قد يهلك الحياة البشرية. والنورسي رحمه الله يعرفه بقوله: إنه مشاعر الحقد والغل والعداء، التي توغر قلب الإنسان تجاه أخيه الإنسان، وما يتبع ذلك من تحايز وعتاد، وشقاق في أوساط المجتمعات وهو مرفوض، يرفضه الإسلام الذي يمثل روح الإنسانية الكبرى³³⁰.

* أضرار الحسد على المجتمعات الإسلامية:

الحسد يؤدي إلى التفرق في الأمة الإسلامية، حيث يحاول الحاسد دائماً، هدم مسالك الآخرين، والطعن في وجهات نظرهم لأغراضه الشخصية، ولهوى نفسه الأمانة بالسوء التي تريد التسلط والاستيلاء.

وقد تحدث النورسي رحمه الله عن أضرار الحسد وعلى المجتمعات الإسلامية وبين كيف أن التحاسد يضيع على الأمة الإسلامية كثير من ثمرات العمل الإيجابي الذي يبذله أفرادها. فوضح أن اختلاف أهل الحق غير نابع من فقدان الحقيقة، كما أن اتفاق أهل الغفلة ليس نابعاً من ركونهم إلى الحقيقة بل لأن وظائف أهل الدنيا والسياسة والمثقفين وأمثالهم من طبقات المجتمع قد تعينت وتميزت فلكل طائفة وجماعة مهمة خاصة تشتغل بها، فليس هناك إذا ما يولد منافسة أو مزاحمة أو حسد فيما بينهم.

أما أهل الدين فإن وظيفة كل منهم متوجهة إلى الجميع وأن أجرتهم العاجلة غير متعينة، وغير متخصصة، ومقامهم الاجتماعي، وتوجه الناس إليهم والرضى عنهم لم يتخصص أيضاً ومن هنا تنشأ المزاحمة والمنافسة والحسد والغيرة فيتبدل الوفاق نفاقاً والاتفاق اختلافاً وتفرقاً، ولا يشفى هذا المرض العضال إلا دواء واحد هو الإخلاص بإتيان الحق والهدى على إتباع النفس والهوى وبترجيح الحق على إيثار النفس... فمن وفقه الله إلى ذلك يجد لذة الإخلاص³³¹.

كيف عالج القرآن الكريم الحسد؟

يذكر لنا الإمام النورسي بعض الحلول المستقاة من روح القرآن الكريم لعلاج الحسد فيقول

رحمه الله:

³²⁹ - نفسه: ص: 308-309.

³³⁰ - المكتوبات: ص: 339-345، (المكتوب الثاني والعشرون).

³³¹ - اللغات: ص: 226.

* يجب أن يلاحظ الحاسد عاقبة ما يحسده، ليدرك أن ما ناله محسوده من أغراض دنيوية من مال وقوة ومنصب، إنما هي أغراض زائلة فانية، فائدتها قليلة ومشقتها عظيمة، فتدخل في قول الحق جل جلاله: {فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليغزبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون} ³³²، وقوله تعالى: {ولا تمنعن عينيك إلى ما متعنا به أزواجنا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى} ³³³.

* يهيم القرآن النفس أن الحاسد في حسده يسخط على قدر الله، لأنه يحزن من مجيء فضل الله ورحمته على محسوده ويؤنب المولى عز وجل هؤلاء الحاسد بقوله: {أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله} ³³⁴.

* إن الحاسد الذي يحزن من فصل جاء لمحسوده ويرتاح من نزول المصائب عليه... فإنه بذلك ينتقد القدر الإلهي، أو يعترض على رحمته الواسعة، ومن يعترض على الرحمة الإلهية يحرم منها ولينصت الحاسد لقوله تعالى: {أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون} ³³⁵.

* على الحاسد أن يجاهد وسوسة الشيطان التي تدعوه إلى الغيرة والحقد والحسد وكذلك نزعات نفسه الأمارة بالسوء، حتى يتخلص من شرور العداء المغرورة فيه، فالإيمان بعقيدة واحدة يستدعي حتما توحيد قلوب المؤمنين بها على قلب واحد، مما يؤدي إلى وحدة المجتمع ³³⁶.
تحقيقا لقوله تعالى: {إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم} ³³⁷.

* يحرص القرآن حرصا شديدا على تطهير النفس من الحسد بغرس أسى معاني الحب والإخاء والإيثار بين المؤمنين كافة، فإذا ما تذوق المؤمن حلاوة الإخلاص تحرر من أنواع الغبطة بالتفاخر الاستعلاء ويصبح المؤمنون كالجسد الواحد.

كل ما ذكر وغيره كثير في القرآن الكريم علاج للحاسد لأن داءه وبيل، وما في صدره من حقد وغل وعداء يستلزم جهدا كبيرا وأمدا طويلا في إزاحة ما سكن على قلبه من ظلمات وبعث نور الإيمان بدلا من نيران العداوة والبغضاء التي توجب الصدور وتؤدي إلى تفكك المجتمعات وانهارها.

³³² - التوبة: الآية: 55.

³³³ - طه: الآية: 131.

³³⁴ - النساء: الآية: 54.

³³⁵ - الزخرف: الآية: 33.

³³⁶ - المكتوبات: الآية: 341.

³³⁷ - الحجرات: الآية: 10.

- القلق النفسي:

هو كذلك من الأمراض التي تهز كيان الإنسان هذا وتقلق نضجعه وتحرمه من الاستمتاع بأي متعة من متع الحياة ولذلك فقد أولاه القرآن الكريم أهمية كبرى حتى يحقق للإنسان الاستقرار النفسي اللازم، لكي يخطو خطواته في الحياة، بأقدام راسخة وقلوب مطمئنة.

وفي رحاب الآية الكريمة {أَلَا بذكر الله تطمئن القلوب} ³³⁸ قال الإمام النورسي ³³⁹: إنه لا خلاص للقلوب والأرواح من قبضة القلق الرهيب ومن دوامات الاضطرابات والخوف ومن ضمماً الضلالة وحرقة البعد عن الله إلا بمعرفة خالق واحد أحد... إذ ما إن يسلم أمر القلوب والأرواح وأمر كل الموجودات إلى خالق واحد أحد حتى تجد راحتها وتحضى بخلاصها من عناء تلك الزلازل النفسية المدمرة.

- علاج القرآن لجميع حالات قلق الإنسان:

إذا تتبعنا الآيات القرآنية سنجدها بلسما شافيا لصدور المؤمنين من أمراض القلق النفسي وصدق الله العظيم إذ يقول:

{ونزلنا من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين} ³⁴⁰.

{قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور} ³⁴¹.

{أعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء} ³⁴².

وإذا حاولنا تسجيل الآيات القرآنية التي تعالج كل حالة قلق يتعرض لها الإنسان، فإننا سنضطر إلى نقل معظم القرآن على هذه الصفحات لذا فإن منهج الإمام النورسي يقوم على تسجيل الروح العام للقرآن الكريم في علاج البشرية من حالات القلق النفسية.

وأنواع القلق النفسي كثيرة منها:

- قلق الإنسان على مصيره.

- القلق حيال موت الأحباب والفراق عنهم.

- قلق السباب أمام ثورة وهيجان رغباتهم وهواهم.

- قلق المظلومين.

- قلق ذوي المصائب.

- القلق من الفقر.

- قلق المرض.

³³⁸ - سورة الرعد: الآية: 38.

³³⁹ - الكلمات: ص: 493 (الكلمة الثالثة والثلاثون).

³⁴⁰ - الإسراء: الآية: 83.

³⁴¹ - يونس: الآية: 57.

³⁴² - فصلت: الآية: 44.

وغير ذلك من أنواع القلق الذي يصيب الإنسان.

- الأناية:

إن حب الإنسان لنفسه وتحري مصلحته وحده وحبه لذاته وحده من الأشكال الخبيثة ل "أنا والأناية" وإذا ما اقترن العناد والغرور بذلك الميل تولدت فظائع بشعة، بحيث لم يعثر له البشر على اسم.

والأناية من الأمراض الخطيرة التي يمكن أن تصيب النفس البشرية بسهولة وهي تتعارض مع الشريعة الإسلامية، التي تهدف في مجموعها إلى تفاعل الإنسان مع المجتمع، تفاعلا تاما، حتى يصير ذلك المجتمع كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضا.

كيف تتعاضم الأناية والغرور في نفس الإنسان؟

إن الغفلة عن المالك الحقيقي جل جلاله سبب لفرعونية النفس وطغيانها، فالنفس ليست مالكة لنفسها ولا لجسمها الذي هو مكينة دقيقة عجيبة إلهية، يعمل فيه كل وقت فلم القدرة بيد القضاء والقدر³⁴³.

ويخاطب الإمام النورسي نفسه قائلا: "اعلم يا أنا أن ما التفت على رأسك من سلاسل الإيجاد العلمية واتصلت بأنايتك من سطور الصنائع الشعورية، وما أخذت بأيدي حوائج ذاتك من وسائل المدح والإجابة، تدل على أن موجدك وصانعك ومعيشك يسمع أنينات فاقاتك فيتحنن لها، ونداء حاجاتك وأمالك فيتعهدا بفضلها سبحانه، فايتها الجبيرة الكبرى المعبرة، "بأنا" المركبة من تلك الحجرات: فقولي: يا إلهي يا ربي، يا خالقي، يا مصوري، يا مالكي، يا سيدي، يا مولاي... لك الملك ولك الحمد، أنا مسافر في وديعتك ومملوكك الذي هذا الجسد بمشتملاته... فيا أنا لم تملك ما لا يصير ملكا، فتفرغ من هذه الدعوى الباطلة، إذ توهم التملك يوقعك في ألم أليم ويعرضك أن تمرق من الدين"³⁴⁴.

واعلمي يا نفس: أن ما أنعم الله عليك من وجودك وتوابعه ما هو إلا إباحة لا تملك فلك أن تتصرفي فيما أعطاك كما يرضى من أعطى، لا كما ترضى أنت³⁴⁵.

وعليك أن تردي دائما: {إنا لله وإنا إليه راجعون}³⁴⁶ أي أن المآل له وأنا في أمره، وإليه أذهب. ومن الأمور التي استنكرها النورسي بشدة خلال دعوته الإصلاحية، تعاضم أناية الإنسان، وعجبه بنفسه وغروره، لأنه يوقن يقينا لا حدود له بقول الله عز وجل: {وخلق الإنسان ضعيفا}³⁴⁷.

ومن وحي هذه الآية الكريمة يخاطب نفسه ويخاطب كل إنسان يبحث عن الحقيقة فيقول: "يا أنا المتمرد المغرور المتكبر أنظر إلى درجة ضعفك وعجزك وفقرك ومسكنتك... يا أنا أراك أنك لا ترى

³⁴³ - المنتوي العربي النوري: ص: 128.

³⁴⁴ - المنتوي العربي النوري: ص: 130.

³⁴⁵ - المنتوي العربي النوري: ص: 208.

³⁴⁶ - البقرة: الآية: 106.

³⁴⁷ - النساء: الآية: 38.

تناسبا بينك وبين العلي القدير فأنت عجز مطلق وفقر مطلق، قد تضايقت عليك الحدود والقيود... أما العلي القدير فلا نهاية لقدرة وغنائه، ولا حد ولا قيد لتجليات أسمائه وصفاته، جميع الخلق في قبضة قدرته، والسموات مطويات بيمينه، لا تتحرك ذرة في الكون إلا بإذنه لا شريك له في ملكه وألوهيته، ولا منازع في جبروته وربوبيته، ولا إله إلا هو...³⁴⁸

كيف عالج القرآن الكريم الأنانية؟

إن القرآن الكريم يهدف إلى اقتلاع جذور هذا المرض النفسي حتى يحرر الإنسان من هوى النفس، ومن كل ما يقف عقبة في سبيل الوصول إلى الله، وسأذكر هنا خطوات أربع من القرآن الكريم تعتبر أقصر الطرق لعلاج النفس البشرية من الأنانية والغرور.³⁴⁹

- الخطوة الأولى: تشير إليها الآية الكريمة: {فلا تزكوا أنفسكم}³⁵⁰ ويقصد بها: عدم تزكية النفس... ذلك لأن الإنسان حسب جبلته وبمقتضى فطرته، محب لنفسه بالذات، بل لا يحب إلا ذاته في المقدمة، ويضحى بكل شيء من أجل نفسه... ويدافع عن نفسه دفاعا قويا يشبه العبادة، حتى كأنه يصرف ما أودعه الله فيه من أجهزة لحمده سبحانه وتقديسه، إلى نفسه... فيصيبه وصف الآية الكريمة {من اتخذ الله هوله}³⁵¹ فيعجب بنفسه ويعتد بها، فلا بد إذن من تزكيتها، فتزكيتها في هذه الخطوة وتطهيرها، هي بعدم تزكيتها.

- الخطوة الثانية: الدرس الذي تعطيه الآية الكريمة: {ول تكونوا كالذين نسوا الله فأنسواهم أنفسهم}³⁵² وذلك أن الإنسان ينسى نفسه ويغفل عنها فإذا ما فكر في الموت صرفه إلى غيره، وإذا ما رأى الزوال والغناء دفعه إلى الآخرين، وكأنه لا يعنيه في شيء... ولتزكية النفس وتطهيرها وتربيتها في هذه الخطوة وجب عدم نسيان النفس في الحظوظ والأجرة والتفكر فيها عند الخدمات والموت.

- الخطوة الثالثة: وهي ما ترشد إليه الآية الكريمة: {ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك}³⁵³ وذلك أن ما تقتضيه النفس دائما أنها تنسب الخير إلى ذاتها، مما يسوقها هذا إلى الفخر والعجب، فعلى المرء في هذه الخطوة، أن لا يرى من نفسه إلا القصور والنقص والعجز والفقر، وأن يرى كل محاسنه وكمالاته إحسانا من فطرته الجليل ويتقبلها نعماً منه سبحانه فيشكر عندئذ بدل الفخر، ويحمد بدل المدح والمباهاة فتزكيه النفس في هذه المرتبة هي أن تعلم بأن كمالها في عدم كمالها، وقدرتها في عجزها، غنائها في فقرها، (أي كمال النفس في معرفة عدم كمالها، وقدرتها في عجزها أمام الله وغناها في فقرها إليه).

³⁴⁸ - المنتوي العربي النوري: ص: 178-293.

³⁴⁹ - الكلمات: ص: 556-557.

³⁵⁰ - النجم: الآية: 32.

³⁵¹ - الفرقان: الآية: 43.

³⁵² - الحشر: الآية: 19.

³⁵³ - النساء: الآية: 79.

- الخطوة الرابعة: هي ما تعلمه الآية الكريمة {كل شيء هالك إلا وجهه}³⁵⁴ وذلك لأن النفس تتوهم نفسها حرة مستقلة بذاتها لذا تدعي نوعا من الربوبية وتضمّر عصيانا حيال معبودها الحق، فإدراك الحقيقة الآتية ينجو الإنسان من ذلك وهي:
كل شيء يجد ذاته وبمعناه الأسى: زائل مفقود، حادث، معدوم إلا أنه في معناه الحرفي، وبجبهة قيامه بدور المرآة العاكسة، لأسماء الصانع الجليل، وباعتبار مهامه ووظائفه: شاهد، مشهود، واجد، موجود.

فتزكية النفس في هذه الخطوة هي معرفة: أن عدمها في وجودها، ووجودها في عدمها، أي إذا رأت ذاتها وأعطت لوجودها وجودا فإنها تغرق في ظلمات عدم، يسع الكائنات كلها... يعني إذا غفلت عن موحدتها الحقيقي وهو الله، معتزة بوجودها الشخصي فإنها تجد نفسها وحيدة غريقة في ظلمات الفراق والعدم الغير المتناهية.

ولكن عندما تترك الأنانية والغرور ترى نفسها حقا أنها لا شيء بالذات وإنما هي مرآة تعكس تجليات موحدتها الحقيقي، فتظفر بوجود غير منتهاه وتربح وجود جميع المخلوقات³⁵⁵.
وهكذا إذن تتبع الإنسان المؤمن تلك الخطوات وجاهد نفسه حق الجهاد فإنه يتخلص من مرض الأنانية والغرور، ويتحرر من ظلم نفسه وظلم الآخرين واستبدادهم.

-السلبية-

السلبية مرض خطير ينشأ من البعد عن الله وعن ينباع النور والإيمان وهو من مظاهر الأنانية كذلك، لأن الأنانية إما أن تؤدي إلى السلبية والانعزالية وإما أن تؤدي إلى الظلم والاستبداد.
والإسلام يرفض السلبية رفضا مطلقا، لأنها تؤدي إلى تشتت المجتمعات وتفككها وبالتالي ضعفها لتصبح لقمة سائغة أمام أعدائها، ولذلك قال تعالى في قرآنه العظيم: {وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان}³⁵⁶.

وهكذا فالسلبية مرفوضة كلية، لكل مفاهيم الشريعة ومحدداتها وكل آيات القرآن الكريم وأهدافها، ونعبر عن إيجابية الإسلام المطلقة في قول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"³⁵⁷.

أما النورسي فقال ناصحا للمسلمين: "لا يعتذرن أحدكم بالقول إننا لا نضر أحدا، ولكننا لا نستطيع أن ننفع أحدا أيضا، فنحن مغدورون إذن، بعذرهم هذا مرفوض، إذ أن تكاسلكم وعدم مبالاةكم وتقاعسكم عن العمل لتحقيق الاتحاد الإسلامي والوحدة الحقيقية للأمة الإسلامية، إنما هو

³⁵⁴ - القصص: الآية: 88.

³⁵⁵ - الكلمات: ص: 556-557-558.

³⁵⁶ - سورة المائدة. الآية: 3.

³⁵⁷ - رواه البخاري.

ضرر بالغ وظلم فاضع... فكما أن سيئة واحدة تتضاعف إلى الألوف فإن حسنة واحدة في زماننا هذا - وأعني بالحسنة هنا ما يتعلق بقدسية الإسلام- لا تقتصر فائدتها على فاعلها وحده، بل يمكن أن تتعداه ليعم نفعها معنويًا ملايين المسلمين ويشد من حياتهم المادية والمعنوية³⁵⁸.

- اليأس -

واليأس كذلك من الأمراض القاتلة للنفس البشرية، وهو أشد ما تحاربه الشريعة الإسلامية، لأن الحياة حركة وفعالية.

واليأس هو العدو الألد الذي يقضي على الهمم³⁵⁹... ولذلك فقد جعله الله عز وجل من صفات الكافرين حيث لا يأس مع الإيمان، ولا إيمان مع اليأس، ويظهر هذا واضحًا في الآية الكريمة: {وَلَا تَيَاسُورُ مَنْ رُوْحُ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَبْسُورُ مِنْ رُوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}³⁶⁰.

ويرى الإمام النورسي أن اليأس:

- يعرض الإنسان لأن تتخطفه الشياطين في أودية مهلكة.

- داء قاتل وقد دب في صميم قلب العالم الإسلامي.

- أشبه ما يكون بالسرطان وهو المانع عن بلوغ الكمالات والمخالف لروح الحديث القدسي "إننا

عند ظن عبدي بي" ... وهو شأن الجبناء والسفلة والعاجزين وذريعتهم، وليس هم من شأن الشهامة الإسلامية قط....³⁶¹.

والقرآن الكريم عالج اليأس في محورين رئيسيين:

المحور الأول: الآيات التي تدعو إلى التوحيد: مما يبعث الأمل والأمان في القلوب³⁶²، فالإيمان

إذا يقتضي التوحيد والتوحيد يقود إلى التسليم والتسليم يحقق التوكل ويسهل الطريق إلى سعادة الدارين ويبعد اليأس عن الإنسان، ويرتفع به إلى أعلى عليين بما يعده من قوة الإيمان... أما إذا ترك الإنسان التوكل، فلا يستطيع التحليق والطيران إلى الجنة فحسب بل ستجذبه تلك الأثقال إلى أسفل سافلين³⁶³.

المحور الثاني: استنهاض الهمة إلى أقصى مدى: ويخاطب الإمام النورسي ذوي الهمة الضعيفة

في السعي والعمل... فيقول: "يا من لا يدرك من مدى اللذة والسعادة في السعي والعمل... أيها الكسلان اعلم أن الحق تبارك وتعالى قد أدرج لكمال كرمه جزءًا من الخدمة في الخدمة نفسها، وأدمج ثواب العمل في العمل نفسه"³⁶⁴.

³⁵⁸ - صقيل الإسلام (الخطبة الشمية): ص: 511.

³⁵⁹ - صقيل الإسلام (المناظرات): ص: 433.

³⁶⁰ - سورة يوسف: الآية: 87.

³⁶¹ - صقيل الإسلام (الخطبة الشامية): ص: 505.

³⁶² - يمكن الرجوع إلى 10 لمعة حول التوحيد الحقيقي: ص: 235-347 من الكتاب.

³⁶³ - الكلمات: ص: 352-353.

³⁶⁴ - اللمعات: (اللمعة السابعة عشر)، ص: 188-191.

المشكلة السادسة: حب التقليد.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: لماذا يعتبر التقليد مرضاً نفسياً خطيراً؟ والنورسي رحمه الله يجيب عن هذا السؤال ناهياً نفسه عن التقليد فيقول³⁶⁵: أيتها النفس لا تقلدي أهل الدنيا، ولا سيما أهل السفاهة وأهل الكفر خاصة منخدعة بزينتهم الظاهرية الصورية، ولدائدهم الخادعة غير المشروعة... لأنك بالتقليد لا تكوني مثلهم قطعاً بل تترددين كثيراً جداً... ولن تكوني حتى حيواناً أيضاً، لأن العقل الذي في رأسك يصبح آلة مشؤومة مزعجة بمطارقها على رأسك.

سؤال آخر: هل التقليد ضرورة تفرضها ظروف العصر؟

الجواب عنه: التقليد مرض نفسي متواجد في كل العصور نتيجة حب الشهوات والركون إلى الحياة الدنيا، وعجزاً لهم عن التطلع إلى المعاني والقيم النبيلة والأهداف السياسية، وقد تنبأ الخبير في قرآنه الكريم وهو يخاطب رسوله الحبيب صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: {وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون قال أولو جنتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانصركم كيف كان عاقبة المكذبين}³⁶⁶.

ويجيب النورسي على ادعاء القائلين بأن التقليد ضرورة تفرضها ظروف العصر، بالرفض يعيب على من يدعو المسلمين إلى تقليد الأجانب فيقول³⁶⁷:

- يا من يحث المسلمين ويشوقهم على حطام الدنيا ويسوقهم قسراً إلى صنائع الأجانب، احذر من انقطاع عرى الدين، لبعض أفراد هذه الأمة، وانفصام روابطهم معه... لأنه إذا انقطعت تلك الروابط لدى البعض تحت سطوة مطارق التقليد الأعمى والسلوك الأرعن، فسيكونون ملحدين مضرين بالمجتمع، مفسدين للحياة الاجتماعية كالسم القاتل.

- أيها العقل الأبله والقلب الفاسد أتظن أن المسلمين لا يرغبون في الدنيا ولا يفكرون فيها حتى أصبحوا فقراء معدومين فتراهم بحاجة إلى من يوظفهم من رقتهم كي لا ينسوا نصيبهم من الدنيا ويقلدوا الأجانب كلاً... إن ظنك خطأ... بل لقد اشتد الحرص، فهم يقعون في الفقر وشباك الحرمان نتيجة الحرص.

- أيها الداعي إلى تقليد الأجانب: أتظن أن فقرنا ناجم عن زهد الدين أو من كسل ناشئ من ترك الدنيا؟ إنك مخطئ في ظنك أشد الخطأ ألا ترى أن المجوس والبراهمة في الصين والهند والزنج في إفريقيا وأمثالهم من الشعوب المغلوبة على أمرها والواقعة تحت سيطرة أوربا هم أفقر منا حالاً.

³⁶⁵ - الكلمات: ص: 635.

³⁶⁶ - الزخرف: الآية: 23-25.

³⁶⁷ - اللغات: ص: 186-188.

المسلمون ليسوا بحاجة إلى ترغيبهم وحثهم على حب الدنيا والحرص عليها بتقليد الأجانب، بل هو بحاجة إلى تنظيم مساعيهم وبث الثقة فيما بينهم وتسهيل وسائط التعاون فيما بينهم.

والقرآن الكريم قدم علاج لداء التقليد:

(1)- صقل الشخصية الإسلامية إلى أبعد مدى.

(2)- فرض القدوة الحسنة الواجب إتباعها.

المشكلة السابعة: موت الصدق والإخلاص.

- أضرار موت الصدق على الإنسانية³⁶⁸:

لما كان الصدق والكذب بعيدان أحدهما عن الآخر بعد الكفر عن الإيمان، لذا فإن عروج محمد صلى الله عليه وسلم في خير القرون إلى أعلى عليين بواسطة الصدق، وما فتحه من كنوز حقائق الإيمان وأسرار الكون، جعل الصدق أروج بضاعة، وأثمن متاع في سوق الحياة الاجتماعية... بينما تردى مسيلمة الكذاب وأمثاله إلى أسفل السافلين بالكذب.

هكذا أيقظ القرآن دواعي الصدق والإخلاص في القلوب:

*- اختار الله رسولا اشتهر بالصدق بين قومه... وكل حال من أحواله وكل حركة من حركاته صلى الله عليه وسلم... يلوح بالمبدأ على صدقه وبالمنتهى على حقانيته³⁶⁹.

*- وقد شهد القرآن الكريم له بالصدق وقرنه بصدق الله {ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا فيمانا وتسليما}³⁷⁰، وجميع الأنبياء بالسنة معجزاتهم كأنهم شاهدون على صدق محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو البرهان النير على وجود الصانع ووحدته {هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَانُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ}³⁷¹، {بل جاء بالحق وصدق المرسلين}³⁷².

* غرس القرآن الكريم الصدق في وجدان المؤمنين بكل معانيه: صدق العقيدة صدق العبادات، صدق المعاملات... وقص قصص الأولين والأنبياء وبيان أحوالهم وشرح أسرارهم على رؤوس العالم، مصدقا فيما اتفقت عليه الكتب السابقة ومصححا فيما اختلفت فيه³⁷³ {وأتيناك بالحق وإنما لصادقون}³⁷⁴.

³⁶⁸ - صقيل الإسلام: ص: 507-508.

³⁶⁹ - آثار الإعجاز: ص: 165-166.

³⁷⁰ - سورة الأحزاب: الآية: 33.

³⁷¹ - يس: الآية: 52.

³⁷² - الصافات: الآية: 37.

³⁷³ - إشارات الإعجاز: ص: 168.

³⁷⁴ - سورة الحشر: الآية: 64.

* رفع الله الصادقين منزلة عالية تشرّب إليها الأرواح ليجيب الناس في الصدق ويدفعهم إليه دفعا، {فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا} ³⁷⁵ {قال الله يوم ينفع الصادقين صدقهم} ³⁷⁶.

* حذر الله من الكذب، وبين عاقبته الوخيمة حتى يكون نذيرا ورادعا لكل من تسول له نفسه الكذب {ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة} ³⁷⁷.

وهكذا فإن القرآن امتدح الصدق والإخلاص وبين مكانة الصادقين والمخلصين.

المشكلة الثامنة: العجلة وعدم الصبر.

العجلة وعدم الصبر من الخصائص الفطرية للنفس البشرية وهي السبب في كل ما سبق من أمراض نفسية، لأن تعجل الإنسان على ناتج عمله، وعدم تحمله ابتلاءات الحياة، تسبب له كثيرا من المشاكل النفسية التي سبق التعرض لها.

والدليل على أن العجلة وعدم الصبر من الداءات المركوزة في نفس الإنسان هو قول الحق جل وعلا: {ويذم الإنسان بالشر دعائه بالخير وكان الإنسان عجولا} ³⁷⁸ {خلق الإنسان من عجل ساوريكم آياتي فلا تستعجلون} ³⁷⁹.

ويقول الإمام النورسي ³⁸⁰: "إن خاصية هذا العصر أنها تجعل المرئ يفضل الحياة الدنيا عن الآخرة أي يفضل الحياة العاجلة على الباقية كما قال المولى عز وجل: {كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة} ³⁸¹.

هذه جملة من المشكلات النفسية التي عالجهها القرآن الكريم وأحياها الإمام النورسي حتى تقوم بإصلاح أفراد المجتمع، الدين سيضعون مجتمع إسلامي.

³⁷⁵ - سورة النساء: الآية: 69.

³⁷⁶ - سورة المائدة: الآية: 119.

³⁷⁷ - سورة الزمر: الآية: 60.

³⁷⁸ - سورة الإسراء: الآية: 11.

³⁷⁹ - سورة الأنبياء: الآية: 37.

³⁸⁰ - الملاحق: (ملحق قسطنطيني)، ص: 142-146.

³⁸¹ - سورة القيامة: الآية: 30-31.

المطلب الأول: المحور الأول: تربية الفرد.

التربية عملية اجتماعية تنشأ من حاجة الأفراد إلى إشباع رغبتهم النفسية الداخلية، وفي الاستمرار والتواصل، وهي تقوم على تلقين الجيل الجديد مكتسبات الجيل السابق، وتشبيعه بالقيم التي يرتكز عليها بناء المجتمع وتبصيره بقوانينه الاجتماعية التي يسير عليها، وتدريبه على التكيف معها واحترامها في سبيل المحافظة على كيانه الثقافي والتاريخي، واكتساب القدرة على الانخراط في الحياة الاجتماعية.

وقد مارس الإنسان التربية منذ القديم، ومازالت إلى يومنا هذا، وهي وسيلة لإعداد أجيال المستقبل، إعداد أفراد مهذبين من ذوي الشخصيات المتزنة السوية والنفوس الأبوية والأخلاق العالية، ويعرفون معنى الحق والواجب والخير، كما أن التربية هي الأداة الفعالة التي تحفظ قيم الأمة، ويسلم بواسطتها الآباء أمانة الريادة للأبناء، على أساس أن التربية: "نظام اجتماعي ينبع من عقيدة الأمة وفلسفتها في الحياة ويقوم على إبراز تلك العقيدة والفلسفة إلى الوجود بغرسها في عقول ونفوس أبنائها منذ الصغر"³⁸².

وفي إطار المكانة المركزية التي أولها الإسلام للإنسان احتلت التربية حيزا مهما في المنظومة الإسلامية، حين جعل إعداد الإنسان وتربيته وتغيير سلوكه، وتطويره نحو الأرقى والأفضل مدار عمل العلماء والدعاة والمصلحين، ومناطق نشاطهم ومن أجل الأعمال وأول الأولويات لما يترتب على تكوين الإنسان تكويننا سليما، وتأديب نفسه وتركيتها، وثقيف عقله، وتصفية روحه من أثر عميق في صلاح المجتمع والإعداد للتغيرات الحضارية الكبرى التي تشهد بها البشرية. والنورسي رحمه الله من المربيين الذين أكدوا على تربية الإنسان على الطريقة القرآنية وهدفه الأسى الذي أفنى عمره في سبيل تحقيقه معتمدا على مجموعة من الأساليب التربوية كالإرشاد والقدوة الحسنة والقصة وضرب الأمثال، والترغيب والترهيب.

وهذا ما سأوضحه من خلال الحديث عن النقاط التالية:

- رسائل النور مدرسة للتربية.
- أهداف التربية عند النورسي.
- طرق وأساليب التربية عند النورسي.
- منهج وأسس التربية عند النورسي.

- النقطة الأولى: رسائل النور مدرسة للتربية.

رسائل النور مدرسة تربوية رائدة من المدارس الإسلامية التجديدية الكبرى التي اقتفت آثار القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في الاهتمام بالإنسان كقيمة عليا في الوجود، واستلهمت منها أساليب وطرائق تربيته وتقويمه في سبيل الارتقاء بملكاته النفسية والعقلية، واجتهد صاحبها في إحياء

³⁸² - د. زغلول راغب النجار: أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي 1990م، ص: 131.

الحقائق الإيمانية والأخلاق القرآنية في النفوس التي غلب عليها الغفلة وران عليها الجهل، وعصفت بها موجات الإلحاد وغارات المسخ والتشويه، ونذر عمره كله لهذا العمل التربوي الجبار هادفاً من وراء نشر رسائل النور، وتعمد النفس البشرية بالتوجيه والتهذيب إلى إيجاد الإنسان الرباني الصالح الذي يقيم المجتمع الصالح.

في هذا الوقت الذي يبدو في الظاهر انحسار وتقهقر تلك المشارب والمسالك الحقة القوية جداً، والتي ينضوي تحت لوائها الملايين من المؤمنين المستعدين لكل تضحية أمام الهجوم العنيف لهذه الضلالة، تحملت رسالة النور جميع تلك الهجمات، وحملت على عاتقها الأعباء كافة، وشقت طريقها سابقة الجميع في طريق الإيمان³⁸³.

- النقلة الثانية: أهداف التربية عند النورسي -

لقد راع النورسي رحمه الله ما كان عليه أفراد المجتمع في عصره من ضياع وحيرة وقنوط، وما كان يتقاذفهم من ألوان الزيغ وصنوف الانحراف، وأدرك مبلغ ابتعاد المسلمين عن هدي الكتاب والسنة، وشراسة الهجمة الاستعمارية عليهم للقضاء على ما بقي لهم من مقومات حضارية فنذر نفسه لمواجهة هذه الأعاصير العاتية، واستمسك بعروة الله الوثقى التي لا انفصام لها، وباشر عملية تجديد ديني واسعة وعميقة ومتأنية في ظروف حرجة جداً، كانت سهام الاستئصال موجهة فيها إلى الإسلام حيث اعتبرت قراءة القرآن وتعليمه وتلقيه أحكام الشريعة جريمة يعاقب عليها القانون بتهمة الخيانة العظمى فأغلقت المدارس والزوايا وعلق العلماء على أعواد المشانق لأدنى شبهة في غمرة هذه الظلمات الحالكة، انتهى النورسي إلى هذا العصر هو عصر الإلحاد والزندقة والفوضى وأن أسى هدف تبذل به المهج هو إنقاذ الإيمان في النفوس وتلقيها سبل الاعتصام بحقائق القرآن.

وكانت رسائل النور هي الخطة التي وضعها لقيادة حركة المقاومة الثقافية والحضارية، وإنقاذ أمتة من مخالب الإلحاد وأنياب التغريب وأخطار الاستيلاء الحضاري، وكان هدف النورسي هو بناء جيل مؤمن يحمل الإيمان في قلبه، ويحافظ على مقوماته الحضارية ويتمكن من مواجهة المشاريع التغريبية التي ترمي إلى محوه وإفناؤه، وقد أبدى استعداد الكمال لأن يضحي بديناه وآخرته في سبيل هذا الهدف النبيل ولا يهمه بعد أن يرى راية القرآن خفاقة في القلوب والأيدي ما يكون مصيره.

حيث يقول النورسي: "أيضونوني رجلاً مغتما بحاله يسعى لإنقاذ نفسه؟ إني افتديت دنياي وافتديت آخرتي أيضاً من أجل إنقاذ إيمان المجتمع، لم أعرف شيئاً يسمى لذة دنيوية في سنين حياتي التي بلغت بضعا وثمانين عاماً، ثم إني فديت آخرتي أيضاً من أجل سلامة إيمان المجتمع... لا ضير أن يفتدي ألف سعيد وليس سعيد واحد من أجل المجتمع، لا من أجل المجتمع التركي ذي الملايين الخمسة والعشرين فحسب بل أيضاً من أجل المجتمع الإسلامي، أنا لا أطلب إذا صار قرآناً بلا جماعة

³⁸³ - الملاحق: ملحق فسطموني: ص: 181.

فوق وجه الأرض، بل تغذوا الجنة سحنا لي أنا أرضي أن أحرق وسط لهيب نار جهنم إذا رأيت شعبنا
سالمًا لأن قلبي يكون في جنان وورود وإن كان جسدي في النار"³⁸⁴.

ومن أجل إيجاد الإنسان القرآني اختار أسلوبًا جديدًا ركز فيه على الفكرة الإسلامية من الناحية
التربوية الروحية وابتعد كليًا عن دلائل الكلام لأن المعرفة المستنبطة منها ليست كاملة ولا تورث
الاطمئنان القلبي ولأن: "لأن الإيمان لا يحصل بالعلم وحده، إذ أن هناك لطائف كثيرة للإنسان لها
حظها من الإيمان... فإن فقدت لطيفة من اللطائف... فالمعرفة إذن ناقصة مبثورة وتظل تلك اللطيفة
محرومة"³⁸⁵.

كما أنه رحمه الله ابتعد أيضًا عن التصوف لأنه كان دائمًا يقول: "إن هذا العصر ليس بعصر
تصوف وطريقة إنما هو عصر إنقاذ الإيمان"³⁸⁶.

ويقول عن شيخ الطريقة الصوفية كمعبد القادر الجيلاني والشاه النقشبندي وغيرهم: "لو أنهم
وجدوا في عصرنا الحاضر لبدلوا كل ما في وسعهم لتقوية الحقائق الإيمانية والعقائد الإسلامية، ذلك
لأنهما منشأ السعادة الأبدية وأن أي تقصير فيهما يعني الشقاء الأبدي، نعم لا يمكن دخول الجنة من
دون إيمان، بينما يدخلها الكثيرون جدا دون تصوف، فالإنسان لا يمكن أن يعيش دون خبز بينما
يمكنه العيش دون فاكهة فالتصوف فاكهة والحقائق الإسلامية خبز"³⁸⁷.

وكان البديل لهذين المصدرين المعرفيين هو منهج القرآن الكريم الذي يمنح المعرفة التامة
ويكسب القلب الاطمئنان من خلال العرض الشامل البسيط لمسائل وجود الله والوحدانية والنبوة
والقضاء والقدر بأسلوب واضح يخاطب قلب الإنسان وفكره وعقله وخياله... وصدر المنهج الذي سلكته
رسائل النور يقول النورسي: "إن الكلمات التي كتبت لبيان أسرار القرآن هي أنجع دواء للأمراض هذا
العصر وأفضل مرهم يمرر على جروحه، وأنفع نور يبدد هجمات خيول الظلام الحالك على المجتمع
الإسلامي... نسأل الله العلي القدير أن يجعل كل جزء من أجزاء رسائل النور بمثابة مصباح يضيء
السبيل القويم النوراني للقرآن الكريم"³⁸⁸.

إذا يتضح لنا أن النورسي رحمه الله كان مقتنعا إلى حد بعيد أن التربية الإيمانية هي الأسلوب
الأمثل للإبقاء على نفحة الإيمان مشتعلة في أعماق النفوس، وأنها هي وحدها الكفيلة بأن تحول
المجتمع إلى خزان رئيسي سيكون بلا شك مصدر كل تغيير حضاري أو فكري محتمل في قادم الأيام.

- النقطة الثالثة: أساليب التربية عند النورسي -

سلك النورسي في تربية الإنسان أساليب شتى وطرق مختلفة استوحاها كلها بشكل أو بآخر من
القرآن الكريم، الذي جعله المحور الذي تدور عليه كل جهوده التربوية، يقول النورسي: "القرآن الكريم

³⁸⁴ - سيرة ذاتية: ص: 457.

³⁸⁵ - المكتوبات: ص: 422.

³⁸⁶ - بديع الزمان النورسي: نظرة عامة عن حياته وأثاره، لإحسان قاسم صالح: ص: 209.

³⁸⁷ - المكتوبات: ص: 27.

³⁸⁸ - المكتوبات: ص: 27.

هو أسى مرشد وأقدس أستاذ على الإطلاق... ومنذ ذلك اليوم أقبلت على القرآن واعتصمت به واستمدت منه، فاستعدادي الناقص قاصر من أن يرتشف حق الارتشاف فيض ذلك المرشد الحقيقي الذي هو كالنبع السلسبيل الباعث على الحياة، ولكن بفضل ذلك الفيض نفسه يمكننا أن نبين ذلك الفيض وذلك السلسبيل لأهل القلوب وأصحاب الأحوال كل حسب درجته، فالكلمات والأنوار المستقاة من القرآن الكريم إذن ليست مسائل علمية عقلية وحدها بل أيضا مسائل قلبية وروحية وأحوال إيمانية فهي بمثابة علوم إلهية نفيسة ومعارف ربانية سامية³⁸⁹.

ومن خلال اطلاعنا على رسائل النور يتبين لنا أن الإمام النورسي رحمه الله قد اختار طريق التربية كمنهج متكامل، واضح المعالم، محدد الأهداف لإعداد الإنسان وتهذيب سلوكه معتمدا في ذلك على مجموعة من الأساليب التربوية الناجحة منها:

أولا: أسلوب الإرشاد والتوجيه.

وهو أسلوب بليغ من أساليب التربية اعتمده القرآن الكريم في مخاطبة المؤمنين والكافرين على السواء، وانتهجه الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته، فأينع ثمارا زكية وجيلا قرانيا متفردا لأن الإرشاد كثيرا ما يهدي القلوب الشاردة ويؤلف الأفئدة النافرة وإيقاظ الغافل، وتليين القلوب وترقيق النفوس التي غلبت عليها الأهواء، قال تعالى: {فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك}³⁹⁰.

وقد أدرك النورسي من خلال تفاعله القوي مع القرآن الكريم ما للإرشاد من أثر فعال في التربية، وما يمكن أن يحدثه من تغيير عميق في سلوك الإنسان، إذا ما وجه إليه برفق. والنورسي أعطى للإرشاد اهتماما خاصا وأفرد له توجهات عديدة وتحدث عن مظاهره وشروطه وطرقه وآثاره في رسائل النور نظرا لما يترتب على القيام بهذا التكليف الإلهي من نتائج طيبة، وكان رحمه الله هو نفسه مثالا حيا للمرشد الذي رسم ملامحه في رسائل النور، واجتهد ليصنع من تلاميذه نماذج راقية ليحملوا بعده أمانة التبليغ ويؤدوا واجب الإرشاد موجها إياهم إلى نبع القرآن الذي كان ولا يزال المعين الصافي الذي يغترف منه الجميع.

يقول النورسي: "إن تلامذة القرآن والمستمعين لإرشاده من المجتهدين والصدّيقين وحكماء الإسلام والعلماء والمحققين وعلماء وأصول الفقه والمتكلمين والأولياء والعارفين والأقطاب العاشقين والعلماء والمثقفين وعامة المسلمين كلهم يقولون بالاتفاق: نحن نتلقى الإرشاد على أفضل وجه من القرآن"³⁹¹.

ومن الأمور التي بينها النورسي ووضحها على أسلوب الإرشاد:

³⁸⁹ - المكتوبات: ص: 459.

³⁹⁰ - آل عمران: الآية: 159.

³⁹¹ - الكلمات: ص: 451.

- الإرشاد باعتباره أسلوب تربيوي قرآني له أهدافه وغاياته السامية منها إصلاح الفرد والمجتمع الذي يعد من أعظم المسؤوليات وأهم الواجبات المناطة بالإنسان المسلم، ومنها نيل رضى الله عز وجل وهو أسعى ما يتمناه الإنسان المؤمن.

- أسهب في بيان شروط المرشد وحرص أن تكون صفاته متناسبة مع ثقل مسؤولية الإرشاد التي يحملها، ومن شروط المرشد:

* أن يكون إيمانه راسخا، عميقا صافيا، يظهر بشكل واضح في سلوكه الذي يجب أن يتطابق مع تعاليم الإسلام كدليل حي على تطابق قوله مع فعله، والنورسي يوجه تلاميذه إلى أن ينصحوا أنفسهم بالشيء أربعين مرة قبل أن ينصحوا به غيرهم مع التأكيد أن المرشد لا يمكن أن يكون معصوما، غير أنه يتعهد نفسه على الدوام بالتزكية والتربية والتقويم حتى لا يقع منه ما يخالف أقواله.

* ومن الفضائل التي طالب النورسي أن يجمعها المرشد في نفسه العلم والفقه والوقار والصبر والتضحية والشفقة والرحمة والاهتمام بأحوال البشر.

* أن يكون طلق الوجه لين القول حليما مسلما ساعيا إلى إعلاء كلمة الحق، مستحضرا أن غاية وجوده التخلق بأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم إذ هو المرشد الأعظم بلا منازع الجامع لخصال الفضائل كلها في كل شيء مثلما في الإرشاد.

* يتعين على المرشد أن يحتسب إرشاده عند الله عز وجل وأن لا يقصد به جلب منفعة أو شهرة أو مال اقتداءا بالأنبياء الذين سعوا إلى تبليغ رسالات الله وإرشاد أقوامهم محتسبين أجرهم عند الله.

- كما اهتم النورسي بشخصية المرشد وبين الشروط الواجب توفرها فيه، عالج من ناحية أخرى حال المخاطبين بالإرشاد: وشدد على ضرورة الأخذ بعين الاعتبار مستوى عقولهم، ومقدار اقترابهم أو ابتعادهم عن الدين ودرجة ورعهم وتقاهم، ووجه تلاميذه إلى مراعاة هذه الأمور والتفطن إليها.

- وهو يؤكد أن الإرشاد إنما يؤتي ثماره ويؤدي الهدف منه إذا ما راعى المرشد درجة استعداد الناس وخطابهم بما يتناسب مع تركيبتهم النفسية البسيطة خشية أن يصلهم من حيث أراد هدايتهم: "إن الإرشاد إنما يكون نافعا إذا كان على درجة استعداد أفكار الجمهور الأكثر والجمهور - باعتبار معظمهم - عوام، والعوام لا يعتدرون على رؤية الحقيقة عريانة، ولا يستأنسون بها إلا بلباس خيالهم المؤلف، فلهذه النكته صور القرآن الكريم، تلك الحقائق بمتشابهات وتشبيهات واستعارات وحفظ الجمهور الذين لم يتكلموا عن الوقوع في ورطة المغلطة"³⁹².

ويقول النورسي أيضا في هذا الصدد: "فالذي يقتضيه منهج البلاغة ويستلزمه طريق الإرشاد رعاية أفهامهم، واحترام حسياتهم ومماشاة عقولهم ومراعاة أفكارهم، كمن يتكلم مع صبي فهو يتصابي في كلامه ليفهمه ويستأنس به، فالأساليب القرآنية في أمثال هذه المنازل المرعي فيها الجمهور تسمى "التنزيلات الإلهية إلى عقول البشر" فهذا لتأنيس أذهانهم"³⁹³.

³⁹² - إرشادات الإعجاز: ص: 171-172.

³⁹³ - إشارات الإعجاز: ص: 175.

ومن الأمور المهمة التي نبه إليها النورسي المرشدين الالتفات إلى العمل البناء والإخلاص في أداء الواجبات على أحسن وجه وأكمل صورة وعدم الالتفات إلى المعارضين وعدم الانشغال بهم والابتعاد كلياً عن معاداتهم أو تحقيرهم أو الحط من شأن الشخصيات وسبها، أو ادعاء امتلاك الحقيقة الكاملة، وتخطئة الجميع فكل هذه الممارسات النابعة من الغرور، يراها النورسي خطيرة تضر بالبشرية وتفوت على المرشدين تحقيق الأهداف التي يعملون لها.

ثانياً: أسلوب القدوة الصالحة.

وهي من الأساليب المؤثرة في تربية الإنسان وتهذيب سلوكه لأن المبادئ وحدها لا تكفي مهما سمت حتى تصبح سلوكاً في واقع الحياة، هذا بالإضافة إلى أن الكلمة لا تستمد قوتها وتأثيرها من سلوك صاحبها وإيمانه بها، لذلك كانت القدوة في التربية من أفضل الوسائل جميعاً وأقربها إلى النجاح لما لها من أثر في غرس القيم الفاضلة.

وقد أدرك الإمام النورسي أن تربية الناس بالسيرة الحسنة أبلغ من تربيتهم باللسان، وإن إرشادهم بالأسلوب العلمي التطبيقي سيكون له أوقع الأثر في النفس وأدعى إلى ثبات النصح واستقراره في القلب لأن التربية في الإسلام ممارسته فعلية تتجسد فيها كل الأخلاق والحكمة التي تقوم عليها وتتحقق فيها القدوة الحسنة في المربي والقرآن يعلمنا أن العقيدة والعلم وحدهما لا يكفيان إذا جردا من العمل الصالح: قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾³⁹⁴.

القرآن الكريم هو الكتاب الصامت والنبي محمد صلى الله عليه وسلم هو القرآن الناطق العلمي الذي جسد تعاليم السماء حركة في الحياة لتسهيل نقل مضمونها وأثارها إلى الآخرين. لقد وعى النورسي هذه الحقائق وعياً عميقاً، وجاهد نفسه كي لا يكون ممن قال فيهم الله عز وجل: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾³⁹⁵. أو ممن حذرهم بقوله سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾³⁹⁶.

فوطن نفسه على أن يعيش الحقائق الإيمانية بنفسه بشكل كامل قبل أن يعرضها على الناس لذلك نجده يخاطب نفسه واسمه كثيراً في رسائل النور وينسب الأخطاء والذنوب لنفسه بهدف إعطاء القدوة الحسنة للآخرين وهو يؤكد أن رسائل النور تسعى لإقناع نفس صاحبها أولاً، يقول النورسي: "ثم إن الرسائل تحاول أولاً إقناع نفس مؤلفها ثم تخاطب الآخرين، لذا فالدارس الذي أقنع المؤلف به نفسه الأمانة بالسوء إقناعاً كافياً، وتمكن من إزالة وساوسها وشبهاتها إزالة تامة لهو درس قوي بلا شك، وخالص أيضاً بحيث يتمكن وحده من أن يصد تيار الضلالة الحاضرة التي اتخذت شخصية معنوية رهينة -بتشكيلاتها الجماعية المنظمة- بل أن يجاهاها ويتغلب عليها"³⁹⁷.

³⁹⁴ - سورة الأحزاب: الآية: 21.

³⁹⁵ - سورة البقرة: الآية: 44.

³⁹⁶ - سورة الصف: الآية: 2 و 3.

³⁹⁷ - الملاحق: ملحق قسصموني: ص: 105.

لقد استوحى النورسي أسلوب القدوة الحسنة من القرآن الكريم الذي كان دوماً هو المنبع الصافي الذي ينهل منه منهجه التربوي بكل خصائص وصفاته، وفي هذا الإطار تناول شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره قدوة المسلمين في الأقوال والأفعال، والنموذج الأعلى الذي يتعين الاقتداء به لكونه المثل الوحيد الذي تجسد الإسلام فيه بأوامره ونواهيه، وتشرب روح القرآن حتى أصبح المثل الحي له، وهذا ما أشارت إليها عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها بقولها: "كان خلقه القرآن".

وفي هذا الإطار بين مكانة السنة النبوية الشريفة في تربية الإنسان المسلم وقدرتها على تغيير سلوكه وتطهير دواخل نفسه إذا ما أخلص النية والقصد، واستخلص من قوله تعالى: {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله} ³⁹⁸.

إن محبة الله عز وجل تستلزم إتباع السنة المطهرة، فحب الله هو العمل بمرضاته ومرضاته تتجلى بأفضل صورها في ذات محمد صلى الله عليه وسلم وسنته هي أفضل دواء وأنفعه للأمراض الروحية والعقلية والقلبية التي تعصف بالنفس ³⁹⁹.

ويؤكد النورسي على أن السنة الخالصة للاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ومراعاة أبسط آدابه يورث في القلب تقوى عظيمة وإيمانا قويا راسخا لما في هذا الاقتداء من تذكير بشخص الرسول الأعظم الذي يستتبع استحضار الرقابة الإلهية، فكل من يجعل أتباع السنة عادته يحول عاداته إلى عبادات ويمكنه أن يجعل عمره كله ثمرا ⁴⁰⁰.

ثالثاً: أسلوب القصص.

استغرقت القصة كأسلوب تربوي حيزاً مهماً من رسائل النور، جرياً على منهج القرآن الكريم الذي وظف القصة في إقرار الإيمان في النفوس والتدليل عليه، وفي تربية المؤمنين وإرشادهم وتثبيت أركان العقيدة الصحيحة في قلوبهم، وفي وعظهم وتنبيههم وإيقاظهم من الغفلة، وحث العقول الراجحة على التفكير في مقاصد هذه القصص لاستخلاص العبرة، وفقه سنن الله في الأنفس والآفاق قال تعالى: {فاقصص القصص لعلهم يتفكرون} ⁴⁰¹.

ففي قصص الأنبياء عليهم السلام يجد المتأمل في حياتهم معرضاً خصياً للتجارب العظيمة التي تزخر بطرق وأساليب ومناهج مواجهة الانحراف في العقول والنفوس والأوضاع.

وقد أشار النورسي في رسائل النور إلى الأهمية الكبرى التي تكتسبها القصة في القرآن وأكد أنها قد وردت للتأمل والتفكير واستخلاص العبر منها وإسقاط حوادثها ومعانيها على حياتنا لوضع اليد على مواطن الانحراف، ومعالجته بالطريقة القرآنية التي أرشدت إليها القصة، ولاستشراق مستقبل الإنسانية في ضوء سنن الله في خلقه اقتداءً بسيرة الأمم السالفة: "إذن في القصص لعبرا... كأن

³⁹⁸ - آل عمران: الآية: 31.

³⁹⁹ - للمعات: ص: 89-93.

⁴⁰⁰ - للمعات: ص: 81.

⁴⁰¹ - الأعراف: الآية: 176.

القرآن بتلك القصص يضع أصبعه على الخطوط الأساسية ونظائر نتائج نهايات مساعي البشر للترقي في الاستقبال الذي بني على مؤسسات الماضي الذي هو مرآة المستقبل"⁴⁰².

أي أن القصص القرآني هو خلاصة تجارب البشرية في نهاية مساعيها نحو الصعود والترقي ويقول في موضوع آخر: "القرآن يقص القصص لأخذ العبرة منها وينتقي منها النقاط التي هي كالعقد الحياتية التي تناسب مقصدا من مقاصد القرآن يربطها به"⁴⁰³.

ومما لا شك فيه أن النورسي قد تأثر إلى حد كبير بهذا الأسلوب القرآني في التربية والتوجيه بدليل ما نجده ماثورا في رسائل النور من قصص كثيرة لافتة للنظر يتخذ منها صاحبها وسيلة هادفة لشد الأسماع وجذب الاهتمام ويضمها محتوى الرسالة التربوية التي يريد أن يبثها للمخاطبين، حيث تعلم من القرآن كيف يأخذ العبرة من القصص وكيف يحسن استعمالها في موضعها لتؤدي الغرض منها وتقع في قلب الهدف: "إن من يأخذ أساسات علم وفن - وفي القصص- ويعرف روحه والعقد الحياتية فيه ويحسن استعمالها في مواضعها ثم يبني مدعاه عليها- فإن ذلك يدل على مهارته وحذاقته في ذلك العلم"⁴⁰⁴.

ورسائل النور عامرة بالقصص والحكايات التي يمهدها صاحبها لشرح حكم شرعي أو توضيح مقصد من مقاصد الشريعة أو تقريب الحكمة المستترة تحت الأوامر والنواهي من الأذهان... يقول النورسي "إن سبب إيراد التشبيه والتمثيل بصورة حكايات في هذه الرسائل هو تقريب المعاني إلى الأذهان من ناحية وإظهار مدى معقولية الحقائق الإسلامية، ومدى تناسبها ورضانها من ناحية أخرى، فمغزى الحكايات إنما هو الحقائق التي تنتهي إليها، والتي تدل عليها كناية، فهي إذن ليست حكايات خيالية وإنما حقائق صادقة"⁴⁰⁵.

والمتمفحص لرسائل النور لا يعجزه أن يقف على هذه الظاهرة التي تبدوا واضحة كوضوح الشمس إذ من السهل جدا أن يعثر على مصداق ما قلناه من الإمام النورسي قد اعتمد على القصة اعتمادا كبيرا ليصل إلى أهدافه التربوية ويبلغ رسالته الإيمانية من خلال ما نجده ماثورا في ثنايا رسائله من أمثال هذه العبارات:

"فإن كنت راغبة في إدراك مدى ما في "بسم الله" من قوة هائلة لا تنفذ ومدى ما فيها من بركة واسعة لا تنضب، فاستمعي إلى هذه الحكاية التمثيلية القصيرة"⁴⁰⁶، وقوله: "إن كنت تريد أن تعرف مدى ما في الإيمان من سعادة ونعمة ومدى ما فيه من لذة وراحة فاستمع إلى هذه الحماية

⁴⁰² - إشارات الإعجاز: ص: 238.

⁴⁰³ - صقيل الإسلام: ص: 80.

⁴⁰⁴ - صقيل الإسلام: ص: 146.

⁴⁰⁵ - الكلمات: ص: 47.

⁴⁰⁶ - الكلمات: ص: 6.

القصيرة"⁴⁰⁷، وقوله أيضا: "إن كنت تريد أن تعرف أهمية الصلاة وقيمتها وكم هو يسير نيلها وزهيد كسبها، وأن من لا يقيمها ولا يؤدي حقها أبله خاسر... فتأمل في هذه الحكاية التمثيلية القصيرة"⁴⁰⁸.

رابعاً: أسلوب ضرب الأمثال.

لقد أكثر الله سبحانه وتعالى من الأمثال في القرآن الكريم للتذكير والعبرة، قال تعالى: {ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون}⁴⁰⁹. وقال عز وجل: {وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون}⁴¹⁰.

ولم يفت النورسي -وهو الذي استوعب القرآن كله شريعة ومنهجاً وطريقة- أن يستفيد من هذا الأسلوب القرآني التربوي ويستخدمه وسيلة ناجعة في تنبيه النفوس وتقويم اعوجاجها ومخاطبة العقول على حسب درجات استعدادها والاستقامة الحقة بتبصيرها بحقائق الألوهية ومقاصد الشريعة وكليات الدين كل ذلك بضرب الأمثال التي استوحاها من طريقة القرآن الكريم في التعامل مع الكينونة الإنسانية وهو يعترف صراحة بذلك الفضل قائلاً: "أما في الوقت الحاضر فقد مرت الضلالة باسم العلم يدها إلى أسس الإيمان وأركانها فوهب لي الحكيم الرحيم -الذي يهب لكل صاحب داء ودواءه المناسب- وأنعم علي سبحانه شعلة من ضرب الأمثال التي هي من أسطع معجزات القرآن وأوضحها، رحمة منه جل وعلا لعجزى وضعفى وفقري واضطراري، لأنير بها كتاباتي التي تخص خدمة القرآن الكريم"⁴¹¹.

ومما لاشك فيه أن الإمام النورسي قد أحاط بهذه الطريقة القرآنية في التوجيه والتهديب إحاطة تامة، وسبر أغوارها، وأدرك أبعادها، واستوعب بشكل جيد أثرها في المخاطبين فكان استخدامه لها في منهجه التربوي عن بصير وعلم وفهم بدليل أنه أشار لهذا الأسلوب في القرآن الكريم واستنتج منه اللطائف والعبر التي سبق من أجلها وفي ذلك يقول: "لقد أكثر القرآن الكريم من التمثيلات إلى أن بلغت الألف لأن من التمثيل سرا لطيفا وبه يتحول الغائب حاضرا والمعقول محسوسا، والمعنى مجسما، وبه يجعل المتفرق مجموعا، والمختلط ممتزجا، والمتخلف متحدا والمنقطع متصلا والأعزل مسلحا"⁴¹².

ومن نماذج الأمثال الكثيرة التي تزخر بها رسائل النور نذكر تشبيه العلماء المخلصين بالشاة التي تقدم لخرافها وللناس لبنا سائغا للشاربين وتشبيه علماء السوء بالطير التي تعطي فراخها الحب ممزوجا بقيئها ولعابها فيضرون أكثر مما ينفعون:

"إن العالم المرشد الحقيقي يهب للناس علمه في سبيل الله دون انتظار عوض، ويصبح كالشاة لا كالطير، فالشاة تطعم بهمتها لبنا خالصا والطير تلقم فراخها قيئها المليء باللعب"⁴¹³.

⁴⁰⁷ - الكلمات: ص: 9.

⁴⁰⁸ - الكلمات: ص: 145.

⁴⁰⁹ - الزمر: الآية: 27.

⁴¹⁰ - العنكبوت: الآية: 43.

⁴¹¹ - المكتوبات: ص: 487.

⁴¹² - إشارات الإعجاز: ص: 113.

⁴¹³ - إشارات الإعجاز: ص: 117.

ومنها أيضا تمثيله الرئيس الذي يكابد المصاعب والمتاعب من أجل راحة رعيته بالجبل العالي الذي يتحمل أثقال ومشاق الثلج والبرد بينما الأودية والسفوح تحته زاهية مخضرة⁴¹⁴.

خامسا: أسلوب الترغيب والترهيب.

استخدم القرآن الكريم أسلوب الترغيب والترهيب كوسيلة تربية تستند إلى طبيعة تكوين النفس البشرية، التي ركب في فطرتها الرجاء والخوف، فإذا رغبت في أمر استعدت للإقدام عليه وجدت في السعي للفوز به، وإذا خافت من أمر تهيات للإحجام عنه وتحاشت الاقتراب منه.

ومن مبادئ التربية الصحيحة أن يتم الاعتماد على الترغيب والترهيب معا، كي تشفى النفس من انحرافها وتستقيم وتقوى على الاستمرار في الوضع الصحيح وهو المسلك الذي سلكه القرآن الكريم حينما وجه الترغيب لإثارة التشويق وحمل المخاطب على فعل أو اعتقاد أو تصور ما، وأردفه بالترهيب للتحويف مما يخالف ذلك الفعل أو الاعتقاد أو التصور.

وقد تنبه النورسي رحمه الله إلى هذا الأسلوب التربوي وعده نوعا من الكلام الجامع بدلالاته وإرشاداته، وأحد المعارف الحقيقية والحاجات البشرية التي تضمنها القرآن الكريم: "إن الآيات القرآنية جامعة بدلالاتها وإرشاداتها بأنواع الكلام والمعارف الحقيقية والحاجات البشرية كالأمر والنهي والوعد والوعيد والترغيب والترهيب والزجر والإرشاد، والقصص والأمثال والأحكام والمعارف الإلهية والعلوم الكونية وقوانين وشرائط الحياة الشخصية والحياة الاجتماعية والحياة القبلية والحياة المعنوية والحياة الأخروية حتى يصدق عليه المثل السائر بين أهل الحقيقة "خذ ما شئت لما شئت" بمعنى أن الآيات القرآنية فيها من الجامعة ما يمكن أن يكون دواء لكل داء وغذاء لكل حاجة"⁴¹⁵.

تربية الإنسان على الطريقة القرآنية وإعداد جيل مؤمن يتحلى بأخلاق قرآنية هو الهدف الأسمى الذي أفنى النورسي عمره في سبيل تحقيقه معتمدا على مجموعة من الأساليب التربوية منها ما ذكرته، وهناك أساليب أخرى كثيرة لم أتطرق إليها.

- النقطة الرابعة: أسس التربية عند النورسي

تعد التربية ضرورة حياتية وفريضة شرعية لإعداد الفرد الصالح، والأسرة الصالحة والمجتمع الصالح الذي يطلق عليه القرآن "الأمة الوسط" والتي حملها الله تعالى مسؤولية إقامة الحياة على منهاجه وشريعته لتكون نظاما حياتيا متكاملا شاملا وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله عز وجل. ولقد صرف بديع الزمان جل جهده لتربية النفوس وتقوية الإيمان وتذكير الناس بالله واليوم الآخر.

⁴¹⁴ - الشعاعات: ص: 337.

⁴¹⁵ - الكلمات: ص: 460.

- الأساس الأول: تربية الفرد.

يرى الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي أن التعليم الفردي أساس تكوين المواطن المسلم، ويكون التعليم الفردي بتعلم مقدار معين يومي من رسائل النور، وهي رسائل في توضيح حقائق الإسلام ومحاسنه وكيفية تكوين الشخصية المسلمة.

وعن ضرورة التعليم الفردي يرى النورسي رحمه الله ضرورة تلازم العلم والإيمان معا قال الأستاذ: "إن الإنسان قد جاء إلى هذه الدنيا لكي يرتقي ويكتمل عن طريق شيئين العلم والدعاء" وهو بذلك يؤكد أن في التعليم الفردي نزج بين عمليتين "التعليم والإيمان"⁴¹⁶.

ويدرك بعملية التعليم الفردي، الواجبات تجاه الحياة التي يحيها⁴¹⁷. وذلك من خلال الأمور

التالية:

1- إذا ما صان الشاب نفسه بتربيتها بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فسيكون شابا رائدا حقا وإنسانا كاملا ومسلما صادقا... نعم إن الشاب إذا ما دفع ساعة واحدة إلى إقامة الفرائض وتاب عن سيئاته ومعاصيه وتجنب الخطايا والذنوب فإنه سيعود بفوائد جمة على حياته، ومستقبله وبلاده وأمته، وأحبابه وأقرباه... فضلا عن أن يكسب شابا خالدا في النعيم المقيم يوم القيامة"⁴¹⁸.

2- إذا كنت تريد أن تعادي أحد فعادي ما في قلبك من العداوة واجتهد في إطفاء نارها، واستئصال شأفتها... وإذا أردت أن تغلب خصمك فادفع سيئته بالحسنة، فيها تخمد نار الخصومة، أما إذا قابلت إساءته بمثلها، فالخصومة تزداد حتى لو أصبح مغلوبا -ظاهرا- فقلبه يمتلئ غيضا عليك، بينما مقابلته بالإحسان تسوقه إلى الندم، ومن شأن المؤمن أن يكون كريما.

وإن أكرمته فقد ملكته، وجعلته أبا لك حتى لو كان لثيما -ظاهرا- إلا أنه كريم من حيث

الإيمان"⁴¹⁹.

3- أن يروض الإيمان لسانه عن الصوم على الكذب والغيبة والعبارات النابية ويمنعه عنها، ويرطب ذلك اللسان بتلاوة القرآن الكريم وذكر الله سبحانه وتعالى... وبغض بصره عن المحرمات... ويصون أذنه من الكلام البدئي حتى يصل بنفسه إلى الإنسان الكامل"⁴²⁰.

4- إن خلق الحواس والمشاعر في وجود الإنسان، وإدراجها ضمن فطرته إنما يستند إلى أساسيين

اثنين:

أ- الشكر اتجاه كل نوع من أنواع النعم التي أسبغها الله علينا.

ب- معرفة أقسام تجليات الأسماء الحسنى التي تعم الوجود كله.

5- ومن عمد منهج تربية الفرد المسلم.

أ- تربيته على معرفة الله معرفة صحيحة.

⁴¹⁶ - الشعاعات: ص: 294.

⁴¹⁷ - الشعاعات: ص: 293.

⁴¹⁸ - الشعاعات: ص: 522.

⁴¹⁹ - المكتوبات: ص: 343.

⁴²⁰ - المكتوبات: 519-593.

ب- تربيته على التعامل الصحيح مع المجتمع.

ج- تربيته على التعامل الصحيح مع الكون.

الأساس الثاني: تربية البيت (الأسرة).

اعتمد الشيخ النورسي حتى عام 1950م، في نشر مفاهيمه التربوية على الجهود الفردية في البيوت، بمعنى أنه يعلم الفرد نفسه عن طريق فهم الإسلام من خلال رسائل النور داخل بيته⁴²¹.
وبيت كل إنسان هي دنياه الصغيرة بل جنته المصغرة، فإن لم يكن الإيمان بالآخرة حاكماً ومهيماً على البيت أفضى ذلك إلى اضطراب الأفراد والعائلة فتتحول تلك الجنة إلى جحيم لا يطاق ولكن ما أن يحل الإيمان بالآخرة في ذلك البيت حتى ينور أرجاءه مباشرة، ويستضيء لأن علاقة القربى والرأفة والمحبة التي تربطهم لا تقاس عندئذ ضمن زمن قصير جداً بل تقاس على وفق علاقات تمتد إلى خلودهم وبقائهم في دار الآخرة والسعادة الأبدية فيقوم عندئذ كل فرد باحترام خالص تجاه الآخرين ويولهم محبة صافية، ويظهر رأفة صادقة....⁴²².

وأوصى الأستاذ النورسي بحسن المعاملة الزوجية إضافة إلى حسن تربية الأبناء والزوج السعيد هو الذي يقلد زوجته الصالحة فيكون صالحاً مثلها لئلا يفقد رفيقة في حياة أبدية خالدة "الجنة"، والزوجة كذلك لئلا تفقد رفيقها الأبدي فتفوز بسعادة آخرتها ضمن سعادة دنياها، والويل كل الويل للزوجين الذين يعين كل منهما الآخر في دفعه إلى الشر.

والبيت هو النواة الأولى للمجتمع، إذا صلح البيت صلح المجتمع ولقد فعل النورسي كل ما في وسعه لأجل استعادة البيت هويته الإسلامية ظاهراً وباطناً نوجه رسالته إلى أرباب البيوت وخاصة طلاب النور قائلاً: "اجعلوا بيتكم مدرسة نورية مصغرة موضع تلقي العلم والعرفان، كي يتربى الأولاد الذين هم ثمار تطبيق هذه السنة على الإيمان، فيكونوا لكم شفعاء يوم القيامة وأبناء بررة في هذه الدنيا، وبخلاف لو تربى الأولاد على التربية الأوروبية وحدها، فإن أولئك الأولاد يكونون غير نافعين لكم في الدنيا من جهة، ومدعين عليكم يوم القيامة من جهة أخرى إذ يقولون لكم "لما لم تنقدوا إيماننا؟ فتندمون وتحزنون من قولهم هذا يوم لا ينفع ندم"⁴²³.

ومن أجل إصلاح الركن المهم في البيت - المرأة - كتب الأستاذ النورسي رسالة الحجاب التي حوكم من أجلها، والتي نادى فيها بصيانة المرأة المسلمة من الأفكار الإلحادية الهدامة التي انتشرت في تركيا وخاصة تلك التي نادى بانسلاخ المرأة المسلمة من عقيدتها وشريعته وبالنتالي من عفتها وطهارتها بحجة التقدم ومسيرة ركب الحضارة الغربية وأوصاهن بالتمسك بأوامر الله تعالى وعرفهن بالمدينة... وأوصاهن ببيوتهن ورعاية الأولاد وتربيتهم على الإسلام.

⁴²¹ - الملاحق: ملحق أميرداغ: ص: 101.

⁴²² - الشعاعات: ص: 282-283.

⁴²³ - اللمعات: ص: 301.

حسن اختيار الزوجة له أهمية كبيرة وأثر عظيم في بناء البيت المسلم، فهي أكثر ملازمة للبيت من الرجل في غالب الأحيان، وهي التي تهئ البيت وتشرف عليه، وذلك لأنه يعد مملكتها الخاصة، إضافة إلى أن المرأة هي التي تحتضن وتربي الأولاد وتؤثر فيهم قبل ذهابهم إلى المدرسة. وتبدأ تربية الأبناء في وقت مبكر بل مبكر جدا مند وعيمهم بما يدور حولهم وإذا ما قصر الآباء في ذلك فقد خالفوا أمر الله عز وجل لأنهم بذلك ضيعوا ما استرعاهم الله عليه.

ويستطيع الإنسان المسلم تكوين البيت المسلم من خلال:

- حمل أهل البيت على احترام الفكر الإسلامي لدى رب الأسرة.

- المحافظة على الآداب الإسلامية في كل مظاهر الحياة المنزلية.

- حسن اختيار الزوجة.

- حسن تربية الأولاد وتنشئتهم على مبادئ الإسلام.

والبيت المسلم إذا صح تكوينه وإعداده وصح عمله يكون لبنة قوية في بناء المجتمع المسلم بمنهج الله تعالى في الحياة.

الأساس الثالث: تربية المجتمع.

لقد وجه الإمام النورسي رحمه الله اهتمامه إلى تأسيس أماكن تربوية وتعليمية أطلق عليها مسمى "المدارس النورية" لتدارس المسائل الإيمانية والحقائق القرآنية، ومن واقع كتابات الشيخ في رسائل النور، والنورسي رحمه الله ركز اهتمامه على هذه المدرسة النورية في خطابات له أرسلها إلى طلابه، وفي أماكن مختلفة من رسائل النور.

وعلى هذا كان من المقرر على طلاب النور في حال الفراغ الاجتماع في هذه المدارس النورية يتدارسون رسائل النور لفترة وجيزة كل يوم يمكن أن تصل إلى ربع ساعة⁴²⁴.

وقد كان للمدرسة النورية مقومات أساسية كانت سببا في نجاحها لعل أهمها:

1- أن يكون الخلاف أو الاختلاف إيجابيا بناء⁴²⁵.

2- أن أهل الحق لا يستطيعون خدمة الحق إلا بترك "الأنا".

حتى لو كانوا على حق وصواب في استعمالهم لها، وإذا نظرنا في نظرة الشيخ في تربية المجتمع بوجه عام نرى أنه قد اعتمد مبادئ تتمثل في:

أ- أن الحسد أشد إيلاما للحاسد من المحسود.

ب- أنه لا يمكن العيش بسلام ووثام في مجتمع إلا بالمحافظة على التوازن القائم بين الخواص والعوام أي بين الأغنياء و الفقراء وأساس هذا التوازن هو رحمة الخواص وشفقتهم على العوام، وإطاعة العوام واحترامهم للخواص⁴²⁶.

⁴²⁴ - المكتريات: ص: 347.

⁴²⁵ - الكلمات: 474.

⁴²⁶ - الكلمات: ص: 145.

لقد أصلح الإسلام حصنا حصينا للعوام أكثر من الخواص، إذ لا يجعل الخواص مستبدين على العوام بل يجعلهم خادمين لهم وذلك بتأدية فريضة الزكاة وتحريم الربا.

ج- العمل على عفة المجتمع وطهارته، قال تعالى: {يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين بدنين عليهن من جلابيبهن} ⁴²⁷.

د- تفضيل الإخوان على النفس في المراتب والمناصب.... والتكريم والتوجيه.

هـ- وحدة المصلحة تجعل الترابط بين أفراد المجتمع ترابطاً لا يتخلخل ولا تنقطع عراه، أنهم ركاب سفينة واحدة ناجية أو غارقة.

و- يمكن إنقاذ البلاد وإنقاذ الحياة الاجتماعية لأبنائها من الانقسام بالاحترام المتبادل بين الناس.

ز- لقد دعا النورسي أصحاب الاتجاهات المختلفة إلى رسائل النور.

- باختصار كبير هذه جملة من الأساسيات التي استهدفها النورسي في إصلاحها، والتي في صلاحها يكون النجاح والفلاح، ونيل الرجا المنشود.

ومما تقدم فإن التربية توجب على الفرد عدة واجبات تجاه مجتمعه منها ما يلي:

1- نشر دعوة الخير فيه.

2- محاربة الرذائل والمنكرات.

3- تشجيع الفضائل.

4- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

5- المبادرة إلى فعل الخير.

6- كسب الرأي العام.

وإعداد المسلم الصالح العابد لربه الناجح في حياته الدنيا المعد لحياته الآخرة، كان غاية ومبلغ

النورسي.

المبحث الثاني: خدمة الغيبن

المطلب الأول: العقيدة

إن العقيدة الإسلامية مصدرها الوحي الإلهي القرآن والسنة وقضاياها ثابتة، وحقائقها لا تتغير بتغير الزمان والمكان، ومن ثم لا يطالها التطوير ولا التجديد، ولكن كما جاء في الوحي الإلهي بأصول العقيدة، فقد جاء أيضا بوسائل إثباتها وطرق الإقناع بها وهذه الأخيرة جاءت متنوعة بتنوع مدارس الناس الذين خاطبهم القرآن واختلاف إمكاناتهم العقلية، ومداركهم العلمية.

وقد التزم السلف من الصحابة والتابعين بأصول العقيدة وبمناهجها معا، ثم خلف من بعدهم خلف اتبعوا مناهج واستحدثوا طرقا اختلفت في درجة بعدها أو قربها من المنهج القرآني.

فهناك المنهج الكلامي والمنهج الصوفي، ومنهج الفلاسفة، وقد كان لتلك المناهج أثرها على دراسة العقيدة، وأدت في النهاية إلى جمود العقيدة وإضعاف أثرها في نفوس الناس، لذلك ظهر خلال التاريخ الإسلامي مجددون حاولوا رد الناس إلى المنهج القرآني وإحياء العقيدة في نفوس الناس من أمثال:

- الإمام أحمد بن حنبل (164-241هـ/780-855م).
- الإمام الأشعري (260-324هـ).
- أبو حامد الغزالي (450-505هـ/1058-1113م).
- ابن تيمية (661-728هـ/1263-1328م).

وغيرهم من الأعلام الذين ظهوروا خلال التاريخ فجددوا الدين وأحيوا تعاليمه في نفوس أتباعه⁴²⁸.

ولاشك أن الإمام بديع الزمان النورسي، بحكم ثقافته الإسلامية وتعليمه الشرعي، خبر الكلام ومدارسه، ووقف على مصطلحات المتكلمين وحججهم، كما عرف التصوف ورجاله، وتجارب الصوفية وأحوالهم ومقاماتهم، كما كان له إلمام واسع بالفلسفة الإسلامية ومنهج أصحابها فضلا عن متابعته للتطور الفكري والعلمي في عصره.

والزمن الذي ظهر فيه النورسي اتسم بالقلق والاضطراب وانهازم المسلمين أمام الغزو وعرف تراجع المسلمين، فتمزق العالم الإسلامي إلى دويلات وقعت معظمها تحت يد الاستعمار الأوروبي وأصاب الخلافة العثمانية الانحلال والانهيار والتفكك.

كما شهد عصر النورسي زلزالا خطيرا هز كل ما توارثه البشر من قيم ومثل وأفكار، وأشاع الفوضى والاضطراب والشك والقلق في نفوس الناس، عصر أله فيه الناس العلم وعبدوا العقل والطبيعة واشتد فيه افتتان بعض المسلمين بالغرب وشاعت فيه موجات الإلحاد والشك والبعد عن معين الدين.

⁴²⁸ - انظر: التطور والتجديد في دراسة العقيدة الإسلامية (أحمد محمد أحمد الجلي)، مؤتمر تجديد الفكر الإسلامي، كلية الشريعة، جامعة اليرموك،

الأردن، 3-5 يوليو 2001.

وقد استوعب النورسي أحداث زمانه لاسيما في تركيا والعالم الإسلامي التي سعت الدوائر الغربية واليهودية والصليبية إلى تمزيق أوصاله، وهدم معتقدات أهله وفساد أحوالهم، مما نتج عنه سقوط الخلافة العثمانية وشيوع الفكر العلماني الإلحادي، وقد أثقلت تلك الأحداث والتطورات كاهل بديع الزمان وأشعرته بعظم المسؤولية الملقاة على كاهله.

فاندفع إلى مواجهة ذلك التحدي وسعى إلى أن يعد للأمة الثقة في نفسها ودينها، ويوقظ شعورها بعظمة إيمانها وقيمها وأن يحي الأمل في نفوس أبنائها.

فدرس كتب التفسير والحديث والفقه والنحو، وطالع كتب الفلسفة وعلم الكلام والمنطق وانكب على دراسة كتب الرياضيات والفلك والكمياء والفيزياء... والفلسفة الحديثة والتاريخ والجغرافيا، وتعمق في هذه العلوم جميعها وحاز متونها وفنونها، فسعى ببديع الزمان اعترافا بتميزه، وعرفانا من قبل أهل العلم بذكائه وغزارة علمه.

ثم بدأ حركة الإصلاحية داعيا إلى نهضة الأمة وانتشالها من براثن الجهل والتخلف وذلك عن طريق نشر العلم، وفتح المدارس التي تعلم العلوم الكونية والعلوم الإنسانية، رغم أن دعوته لم تجد أذانا صاغية ولا استجابة من أولي الأمر، فإن ذلك لم يثنه عن الجهر بأرائه والإعلان عنها في الصحف، وبين يدي من يقابلهم، وإذاعتها بين الناس عامة. فكتب رسائل النور بين من خلالها حقائق الإسلام وأقام الأدلة علة وجود الله تعالى وترسيخ العقيدة الإسلامية، وشهر من خلالها سلاحه لمحاربة التيارات الملحدة، والتوجهات العلمانية، فأعاد الثقة للمسلمين بدينهم وأنقذ الكثيرين من التردّي في شرك المخططات التي سعت إلى فصلهم عن عقيدتهم وحضارتهم، وواجه في هذا السبيل حربا ضروسا ومؤامرات شتى للقضاء عليه وعلى حركته⁴²⁹.

1- أهمية العقيدة في منهج النورسي التجديدي:

يعتبر النورسي العقيدة أساس كل بناء، وصلاحها مؤذن بصلاح الأحوال جميعها، كما أن الخلل فيها يؤدي إلى الضياع والخذلان، في شتى مناحي الحياة، لذا جعل قضية الإيمان القضية الأساسية التي كرس لها حياته وفكره، ووظف لها كل طاقاته "إن دعوتنا هي الإيمان... وإن زماننا هذا هو زمان خدمة الإيمان ووظيفتنا هي الإيمان وخدمتنا تنحصر في الإيمان". وقد اتخذ من رسائل النور وسيلة لإنقاذ أسس الإيمان وأركانه لا بالاستفادة من الإيمان الراسخ الموجود، وإنما بإثبات الإيمان وتحققه وحفظه في القلوب واتقائه من الشبهات والأوهام بدلائل كثيرة وبراهين ساطعة⁴³⁰.

وكما يقول الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، في تلك السنوات الحالكة كان الإسلام يتعرض لزلزلة كبيرة في تركيا، فالحرب ضد الإسلام تقودها الحكومة بكل أجهزة الدعاية والإعلام التي تملكها وبأقلام جميع المنافقين والمتزلفين وأعداء الإسلام من الكتاب والصحافيين. في الوقت الذي كتمت فيه أفواه دعاة الإسلام، وحيل بينهم وبين الدفاع عن عقيدتهم لذلك فقد تعرضت أسس الإسلام وأصوله ومبادئه الأولية إلى الشك والإنكار في نفوس كثير من الشباب الذي لم يكن يجد أمامه مرشدا أو موجها.

⁴²⁹ - بديع الزمان النورسي، نظرة عامة عن حياته وأثاره (إحسان قاسم الصالحي).

⁴³⁰ - الملاحق، ملحق قسطنطيني، ص. 105.

لذلك فقد قرر الأستاذ بديع الزمان النورسي أن يحمل تلك الأمانة الكبرى على كاهله، وأن يحاول إنقاذ الإيمان في تركيا، نعم إنقاذ الإيمان تلك كانت هي المسألة الرئيسية التي لا تحمل التأجيل أو التسويف أو الاهتمام بأي أمر عداها⁴³¹.

2- مناهج دراسة العقيدة وموقف النورسي منها:

ميز الإمام النورسي في دراسته لقضية العقيدة بين أربعة مناهج اتبعت كل منها طائفة اتخذتها سبيلا للوصول لليقين، وتأسيس الإيمان يقول بديع الزمان النورسي: "هناك أصول أربعة للعروج إلى عرش الكمالات، وهو معرفة الله جل جلاله:

أ- منهج الصوفية (مؤسس على تزكية النفس والسلوك الإشرافي).

ب- منهج علماء الكلام.

ج- مسلك الفلاسفة.

د- طريق القرآن الكريم. وهو أول المناهج، فالقرآن الكريم لا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، فهو أقصر طريق إلى الله عز وجل وأقربه إلى الله، وأشمله لبني الإنسان⁴³².

قام النورسي رحمه الله بتقييم تلك المناهج، وكشف عن ما فيها من قصور وخلل، وما تضمنته من إيجابيات ومحاسن، وتبنى من خلال رسائله منهج القرآن الكريم وعبر عن ذلك بقوله عن رسائل النور: "وشقت رسائل النور طريقا إلى الحقيقة في موضع العبادة ضمن العلم وفتحت سبيلا إلى حقيقة الحقائق في موضع السلوك والأوراد، ضمن براهين منطقية، وحجج علمية وكشفت طريقا مباشرا إلى الولاية الكبرى في موضع علم التصوف والطريقة ضمن علم الكلام وعلم العقيدة وأصول الدين⁴³³.

أ- موقف النورسي من علم الكلام:

إن المنهج الكلامي، وإن كان قد لبى حاجات المجتمع، في الدفاع عن العقيدة الإسلامية، وقابل التحديات التي واجهت الأمة في فترة من التاريخ، فإنه لم يلبث أن أغرق في الجدل وغرق في مناهج الفلاسفة و مصطلحاتهم ومن ثم لم يوفق في عرض قضايا العقيدة وإيجاد القناعة بها، وقد أشار المتكلمون أنفسهم إلى ذلك وعبروا عن خيبة أملمهم في الكلام كمنهج برهاني، يقنع الخاصة ويبعث اليقين والطمأنينة في نفوس العامة وعدم جدوى الكلام ونفعه⁴³⁴.

والغزالي في بحثه عن اليقين وبعد أن خبر الكلام تعلمًا وتعليمًا وتأليفًا يقول: "فصادفته علما وفيها بمقصود غير واف بمقصودي" ومقصود علم الكلام كما يقول يتمثل في "حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها من تشويش المبتدعة"⁴³⁵.

ويذهب الغزالي إلى "أنه لا يحصل عن هذا العلم، ما يمحو بالكلية ظلمات الحيرة في اختلافات الخلف"⁴³⁶. ويقول أيضا "وأما منفعته فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه

⁴³¹ - بديع الزمان النورسي، نظرة عامة عن حياته وأثاره (إحسان قاسم الصالحي)، ص. 73.

⁴³² - المنتوي العربي، ص. 427-428.

⁴³³ - الملاحق (ملحق أمير داغ)، ص. 276.

⁴³⁴ - بديع الزمان النورسي وتجديد دراسة العقيدة، دراسة في ضوء رسائل النور.

⁴³⁵ - المنقذ من الضلال (الغزالي)، دار الكتاب اللبناني، ص. 87.

وهيئات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ولعل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف، وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوي ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا".
ويقول الإمام الغزالي أيضا: "فأما معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله فلا يحصل من علم الكلام، بل يكاد أن يكون الكلام حجابا عليه ومانعا منه وإنما الوصول إليه بالمجاهدة"⁴³⁷.
ويعبر فخر الدين الرازي عن عدم قناعته شخصا بمنهج المتكلمين وكيف أنه أضع عمره سدى في البحث عن اليقين عن هذا الطريق فيقول:

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسمنا وغاية دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأملت الطريق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيها تشفي عليلا، ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق، طريق القرآن، أقرأ في الإثبات "الرحمان على العرش استوى"⁴³⁸، و"إليه يصعد الكلم الطيب"⁴³⁹، واقراً في النفي: "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"⁴⁴⁰، و"ولا يحيطون به علما"⁴⁴¹، ومن جرب مثل تجربتي، عرف مثل معرفتي"⁴⁴².

وقد كانت هذه الأقوال، عاملا هاما من عوامل الشك في قيمة الكلام الإيجابية، من حيث تثليث العقيدة وترسيخ اليقين، الأمر الذي دفع ابن خلدون إلى القول: "ينبغي أن يعلم، أن العلم الذي هو علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم، إذ الملحدة والمبتدعة قد انقرضوا والأئمة من أهل السنة كفونوا شأنهم فيما كتبوا ودونوا، والأدلة العقلية إنما احتاجوا إليها حين دافعوا ونصروا، وأما الآن فلم يبق منها إلا كلام تنزه الباري عن كثير إهاماته وإطلاقه"⁴⁴³.

وفي العصر الذي عاشه النورسي، جمدت الدراسات الكلامية وفقدت العقيدة - التي كانت تدرس من خلالها - أثرها في النفوس، كما أن التحديات التي كان يواجهها الفكر الإسلامي، لم يعد يقيد معها أسلوب الكلام القديم، بل كانت في حاجة إلى أسلوب جديد منطقي في أساسه علمي في أدلته، واقعي في معالجته، منسجم مع روح العصر، معبر عنه بأسلوب واضح قريب إلى العقول جميعا"⁴⁴⁴.
يقول النورسي "إن قسما من مصنفات أغلب العلماء السابقين، والكتب القديمة للأولياء الصالحين، يبحث عن ثمار الإيمان ونتائجه، وفيوضات معرفة الله سبحانه وتعالى، ذلك لأنه لم يكن في عصرهم تحد واضح ولا هجوم سافر لجذور الإيمان وأساسه، إذ كانت تلك الأسس متينة ورسينة. أما الآن فإن

⁴³⁶ - نفسه، ص. 91.

⁴³⁷ - إحياء علوم الدين (الغزالي)، ص. 20-21.

⁴³⁸ - سورة طه، الآية 5.

⁴³⁹ - سورة فاطر، الآية 10.

⁴⁴⁰ - سورة الشورى، الآية 11.

⁴⁴¹ - سورة طه الآية 110.

⁴⁴² - درء تعارض العقل والنقل (ابن تيمية)، تحقيق: محمد رشاد سالم، طبع جامعة الإمام محمد بن مسعود.

⁴⁴³ - مقدمة ابن خلدون (عبد الرحمان بن خلدون)، ج 3، ص. 1083.

⁴⁴⁴ - النورسي الرائد الإسلامي الكبير (محمد عبد الحميد)، ص. 35.

هناك هجوماً جماعياً منظماً عنيفاً على أركان الإيمان وجذوره ولا تستطيع تلك الكتب التي كانت تخاطب المؤمنين فحسب، أن تقف أمام هذا التيار القوي، ولا أن تقاومه وتصده"⁴⁴⁵.

ويتلخص موقف النورسي من علم الكلام في أنه قدر هذا العلم وأثنى على جهود علمائه، ولكن في الوقت نفسه نقد هذا العلم وكشف عن قصوره، فالنورسي كان على معرفة وثيقة بهذا العلم ودقائقه، إذ درس الكلام واستوعب منهجه وقضاياه، ويتضح ذلك جلياً من خلال رسائله. إذ نجده يستخدم المصطلحات الكلامية مثل: إبطال الدور والتسلسل والمحال، وواجب الوجود، ووجوب الوجود، وغيرها من المصطلحات الكلامية كما أنه استخدم بعض أدلة الكلام مثل: دليل التمانع، ودليل الحدوث والإمكان، ولكنه حين استخدم دليل التمانع تميز على المتكلمين، بأن جعله دليلاً يقينياً لا ظنياً كما هو الحال عند المتكلمين، أما دليلي الإمكان والحدوث فقد أشار إلى أنهما دليلان تشعبا من القرآن، لكن البشر أفسدهما، فأصبحا جدليين عميقين مليئين بالشكوك والأوهام"⁴⁴⁶.

ورغم معرفته بعلم الكلام واستفادته من مصطلحاته وخبرته بأدلته وبراهينه فإن النورسي يشترك مع الأئمة الذين نقدوا علم الكلام، وشككوا في قيمته كمنهج يقود إلى اليقين"⁴⁴⁷. ويرى النورسي أن معرفة الله المستنبطة بدلائل علم الكلام ليست هي المعرفة الكاملة، كما أن علم الكلام لا يوصل إلى اليقين الإيماني الذي يطمئن إليه الإنسان، في ما يتعلق بوجود الله تعالى ووحدته وصفاته.

وبدلاً من الكلام استخدم النورسي أسلوب القرآن الكريم في عرض مسائل وجود الله تعالى ووحدانيته ومسائل النبوة والآخرة، والقضاء والقدر... يخاطب قلب الإنسان وفكره وخياله وعقله، بل جميع لطائفه معاً، ولا يحصر الكلام في العقل أو الذوق..."⁴⁴⁸.

وقد أطلق بعض الدارسين على الطريق الذي اتبعه النورسي بأنه علم كلام جديد أو علم كلام قرآني، مبني على القرآن ويستقي من القرآن المنهج والمصطلح"⁴⁴⁹. ويرى البعض على أنه كان لا بد من إطلاق مصطلح الكلام على منهج النورسي فيجب تقييده أنه علم كلام من نوع خاص، يتميز عن الكلام التقليدي بأن منطلقه القرآن الكريم، وأن الاستدلال فيه لا يعود للعقل فحسب بل ينضم إليه مخاطبه القلب"⁴⁵⁰.

ب- موقف النورسي من التصوف:

لاشك أن النورسي عرف التصوف معرفة تامة وخبر أصوله وخاض بعض تجاربه، وقرأ لعمالة التصوف من أمثال الشيخ عبد القادر الجيلاني (مؤسس الطريقة القادرية)، والشاه

⁴⁴⁵ - ملحق قسطنطيني، ص. 10.

⁴⁴⁶ - المنتوي العربي، ص. 428.

⁴⁴⁷ - انظر التجديد في دراسة العقيدة الإسلامية (أحمد الجلي)، انظر بديع الزمان النورسي وتجديد دراسة العقيدة الإسلامية (دراسة في ضوء رسائل النور).

⁴⁴⁸ - بديع الزمان النورسي، نظرة عامة عن حياته وأثاره، ص. 207.

⁴⁴⁹ - انظر النورسي الرائد الإسلامي الكبير (محسن عبد الحميد)، ص. 55-58.

⁴⁵⁰ - انظر بديع الزمان النورسي وإثبات الحقائق الإيمانية (عمار حيدة)، ص. 12-22.

النقشبندي "محمد بهاء الدين" مؤسس الطريقة النقشبندية، والشيخ أحمد بن عبد الله السرهندي القاروقى المشهور بالإمام الرباني. وتأثر بهم، وشهد بإيجابيات التصوف التي تخدم الإيمان وتدعمه، ووقف على مزالق الطريق الصوفي ومخاطره، وقد كان للطريقة النقشبندية أثر كبير عليه إذ استقى منه كثيرا من المصطلحات واستفاد من منهجها التربوي⁴⁵¹.

لذلك وجد التصوف في المنهج النورسي المكانة والتقدير الجدير به، فهو يقدر التصوف الصافي النابع من القرآن والسنة، ويعتبر التصوف مرحلة من مراحل الارتقاء الإيماني، ولكنه لا يمثل قمة هذا الارتقاء⁴⁵².

ويرى النورسي أن التصوف يهدف من خلال الطريق الصوفي إلى تجلي الحقائق المبينة في القرآن، والوصول إلى الكمال عن طريق القلب وذلك من خلال الذكر والتفكير ومن ثم فإن للتصوف أثر لا يجوز إنكاره، وإن ما يبدو من انحرافات لدى بعض السالكين لهذا الطريق الصوفي، لا ينبغي أن يكون سببا في تجاهل أثر التصوف، أو إغفال أعلام التصوف الذين رفعوا راية الإيمان، لأن بعض مظاهر السلوك المنحرف لدى بعض الصوفية، لا يعود إلى أساتذة الطريق الخبيرين به، أو المريدين المتمسكين بأداب الطريق وأصوله، بل تحدث تلك الانحرافات والأخطاء من أناس لم يسلكوا الطريق، ولم يتأدبوا بأدب أهله⁴⁵³.

ورغم ثناء النورسي على التصوف والصوفية فإنه أخذ على التصوف ما يأتي:

1- إن الطريق الصوفي طريق صعب وضيق وطويل ومحفوف بالمخاطر ومن ثم فهو طريق غير مأمون، إذ قد ينتهي ببعض سالكيه إلى الضلال والخسران.

2- رغم قيمة التجربة الصوفية فإنها لا تعتبر مصدرا مناسباً من مصادر المعرفة التي يمكن أن تواجه اكتساح الحضارة الغربية المادية المعاصرة فالعصر في نظر النورسي ليس بعصر التصوف وطريقه، وإنما عصر إنقاذ الإيمان⁴⁵⁴.

3. يأخذ على التصوف انحراف بعض الصوفية المعاصرين، الذين قادوا الأجيال إلى الركون والسكون تحت مظلة السير إلى الله تعالى بلا عودة، وهم في هذا يخالفون نهج السابقين من الأولياء الربانيين الذين كانوا يسلكون الطريق إلى الله من أجل العودة إلى الأرض، وهم أكثر إيمانا وقوة وعزما وإقداما في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا النهج لا يصلح لمواجهة المخاطر التي يواجهها الإسلام في هذا الزمان من الإلحاد والزندقة والفوضى والأوهام، وليس يجدي تجاه هذه المخاطر إلا الاعتصام بحقائق القرآن الكريم⁴⁵⁵.

4. وجه النورسي نقدا خاصا لأصحاب وحدة الوجود، وخص من بينهم محي الدين بن عربي (500-638هـ) الواضع الحقيقي للنظرية في إطارها الإسلامي ويتمثل نقد النورسي للنظرية وأصحابها فيما يأتي.

⁴⁵¹ - انظر بديع الزمان النورسي وتجديد دراسة العقيدة الإسلامية (دراسة في ضوء رسائل النور).

⁴⁵² - انظر السيرة الذاتية لبديع الزمان النورسي.

⁴⁵³ - انظر المكتوبات، ص. 445.

⁴⁵⁴ - ملحق أمير داغ 28/1.

⁴⁵⁵ - من معالم التجديد عند النورسي (محسن عبد الحميد) // ملحق أمير داغ ص 344/بديع الزمان النورسي وتجديد دراسات العقيدة الإسلامية.

* أن النظرية تقود إلى إنكار الموجودات وهو أمر مخالف لتعاليم الإسلام وقيمه فابن عربي كما يقول النورسي يقول: " لا موجود إلا هو" لأجل الحصول على الحضور القلبي الدائم أمام الله سبحانه وتعالى حتى وصل به الأمر إلى إنكار الموجودات ، وإرجاع الموجودات إلى مستوى الخيال المجرد وهذا مخالف لما ورد في القرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما بنيه الصحابة وعلماء الأمة، من أن حقيقة الأشياء ثابتة، وأن لله تجليات بالصورة الحقيقية لجميع أسمائه.⁴⁵⁶

* إن النظرية أو المشرب أو النزعة أو الحال فضل النورسي أن يسميها، مرتبة ناقصة، ولكن لكونها مشربة بلدة وجدانية ونشوة روحية، فإن معظم الدين يحملونها أو يدخلون إليها، لا يرغبون في مغادرتها فيبقون فيها ضانين أنها هي المرتبة الأخيرة التي لا تسمو فوقها مرتبة ولا يطالها أفق.⁴⁵⁷

* إن أهل وحدة الوجود، هم مثل سائر الصوفية والأولياء أهل حق وحقيقة يشهدون الأسرار الدقيقة والحقائق اللطيفة، وخاصة في حال الاستغراق والسكر، ولكن عندما يكونون في حالة الاستغراق يشاهدون أمثلة لطيفة كثيرة في عالم المثال الذي يشبه العالم المادي، وعندما يفوق أحدهم من حالة السكر والاستغراق يمكن أن يذكر ما شاهده في حالة الاستغراق السابقة كما هو هناك، وحتى أنه يمكن أن يكتبه أيضا، وعلى جانب ذلك وبسبب نقصهم في نقطة تحقيق التوازن بين العالمين، فإنهم يخلطون بين موجودات العالم المادي وأمثلة العالم المعنوي، لهذا السبب فإن النورسي يرى أن مرتبة الشهود هي دون مراتب الإيمان لكثير، وإذا أردنا الحديث بشكل واضح فإن استكشافات أهل الشهود ومشاهدتهم وأذواقهم بعيدة جدا عن الأحكام المتعلقة بالحقائق الإيمانية للأصفياء الذين هم ورثته الأنبياء، ويستندون على القرآن والوحي ولا يمكن أن يصلوا إليهم، وباختصار فإنه يجب أن توزن جميع الحالات الغامضة والكشفيات والأذواق والمشاهدات بميزان السنة والقرآن.⁴⁵⁸

لولا من طريق التصوف الضيق الخدر، الذي لا تؤمن عواقبه، قدم النورسي طريقا آخر أكثر إيمانا وأيسر مسكا، يحدد ن خلاله أربع مراتب للرقى الروحي: تبدأ بالعجز الذي يقود إلى الفقر والشفقة وينتهي بالفكر، فالعجز يوصل إلى حبه تعالى الذي وسع كل شيء والفقر الكلي يوصل إلى رحمته تعالى، والشفقة توصل إلى شفقته المطلقة والتفكر يوصل إلى حكمته سبحانه التي وسعت كل شيء ويتميز هذا الطريق بالاتي:

. إن هذا الطريق منشأة أساسه من القرآن ، وهو أقصر من الطريق الصوفي المعروف، وهو أسلم لأنه لا يترك الباب مفتوحا للشطحات الوجدانية أو العبارات الغير منضبطة بأدب الشرع، إذ يلتزم المرء فيه، دوما بحدود الشرع وآدابه كما أنه طريق الصحابة الكرام والتابعين رضي الله عنهم.⁴⁵⁹

. أوراد هذا الطريق وأذكاره تنحصر في اتباع السنة النبوية والعمل بالفرائض، ولاسيما إقامة الصلاة باعتدال الأركان، والعمل بالأذكار عقيها... وترك الكبائر.

⁴⁵⁶ -انظر المكتوبات ص 424-425.

⁴⁵⁷ - انظر المكتوبات ص: 105.

⁴⁵⁸ - بديع الزمان النورسي وتجديد دراسة العقيدة الإسلامية (دراسة في ضوء رسائل النور) أحمد الجلي./ المكتوبات ص: 76/ انظر آراء النورسي حول مذهب الوحدة (بلال فوشبنار) المؤتمر العالمي الثالث لبيدع الزمان النورسي (تحديد الفكر الإسلامي في القرن 20 وبه مع الزمان النورسي).

⁴⁵⁹ - المكتوبات ص: 460/ انظر بديع الزمان والتصوف (جعفر بن الحاج السليبي المؤتمر العالمي الرابع لبيدع الزمان النورسي 1998).

تتولد لدى سالكي هذا الطريق . لأنه يقوم على براهين يقينية . درجة من القناعة أكثر بكثير من مريدي الطريق الصوفي المبني على الاعتقاد في أشخاص الأقطاب وأقوالهم.⁴⁶⁰

. ما يراه أهل الولاية من الحقائق بالعمل وبالعبادة والسلوك والرياضة الروحية، وما يشاهدونه من حقائق الإيمان وراء الحجب، فإنه يتحقق لدى مسالكي هذا الطريق لأن رسائل النور منبثقة منها، شقت طريقا إلى الحقيقة في موضوع العبادة ضمن العلم وفتحت سبيلا إلى حقيقة الحقائق في موضع السلوك والأوراد ضمن براهين منطقية وحجج علمية وكشفت طريقا مباشرا إلى الولاية الكبرى في موضع علم التصوف والطريقة ضمن علم الكلام وعلم العقيدة وأصول الدين، بحيث انتصرت على الضلالة الفلسفية التي تغلبت على تيار الحقيقة والطريقة في هذا العصر والشاهد هو الواقع.⁴⁶¹

. المعرفة الناتجة عن التصوف ناقصة ومبثورة إذا ما قيمت بالمعرفة التي انتقاها ورثة الأنبياء من القرآن الكريم مباشرة، ذلك لأن الحصول على الحضور القلبي الدائم أمام الله سبحانه وتعالى يستلزم لدى أصحاب التصوف إنكار وجود الكائنات ، بينما المعرفة المشتقات من القرآن الكريم تمنح الحضور القلبي الدائم من غير أن تقضي على الكائنات بالعدم، ولا تسجنها في سجن النسيان المطلق، بل تنقذها من الإهمال والعبثية وتستخدمها في سبيل الله سبحانه، جاعلة من كل شيء مرآة تعكس المعرفة الإلهية، تفتح في كل شيء نافذة إلى المعرفة الإلهية.⁴⁶²

. ويستشهد النورسي بأقوال الصوفية أنفسهم الذين أدركوا سمو الطريق القرآني وشموله، ويورد نصا للإمام الرباني السرهندي يقول فيه: " إن أكبر مبلغ للألوهية هو النبي صلى الله عليه وسلم ، وهناك طريقان يوصلان الإنسان إلى كمالات النبوة التي نسرهما النبي صلى الله عليه وسلم في العالم: أحدهما طريق الولاية ويدعى الولاية الصغرى، وهو طريق صعب الوصول إليه وتكثر فيه الأستار، ويتطلب قطع مراتب عديدة فيه، والطريق الثاني: هو طريق الولاية الكبرى، وهو طريق الوراثة النبوية، ويوصل إلى الحقيقة مباشرة دون الدخول إلى برزخ التصوف، وهو طريق خاص بالأنبياء والصحابة والتابعين وبعض كبار تابعي التابعين، وطريق جماعة تأتي في آخر الزمان، وهذا الطريق قصير وسهل ودون أية مخاطر".⁴⁶³

. وينتهي النورسي بالدعوة إلى الدخول في منهجه المؤسس على القرآن، والذي تعبر عنه وسائل النور لأنه المنهج الملائم لمواجهة تحديثات العصر فيقول: " لو كان الشيخ عبد القادر الكيلاني، والشاه النقشبيندي والإمام الرباني وأمثالهم من أقطاب الإيمان رضوان الله عليهم أجمعين، في عصرنا هذا ليبذلوا كل ما في وسعهم لتقوية الحقائق الإيمانية والعقائد الإسلامية، ذلك لأنعما منشأ السعادة الأبدية وأن أي تقصير فيهما يعني الشقاء الأبدي نهم لا يمكن دخول الجنة دون إيمان، بينهما يدخلها الكثيرون دون تصوف".⁴⁶⁴

⁴⁶⁰ - أنظر بديع الزمان النورسي وتجديد دراسة العقيدة لأحمد الجلي.

⁴⁶¹ - الملاحق (أميرداغ) 276.

⁴⁶² - المكتوبات ص 424-425.

⁴⁶³ - الإمام الرباني: الرسائل ج 1 ص: 361-366/ نقلا عن بديع الزمان النورسي وتحديد دراسة العقيدة (دراسة في ضوء رسائل لنور) أحمد الجلي.

⁴⁶⁴ - المكتوبات ص: 27.

وهكذا يتضح موقف النورسي من الصوفية والتصوف والمتمثل في: رفض نظريات التصوف الفلسفية :
الحلول الاتحاد ووحدة الوجود، ووحدة الشهود، والداعي في الوقت نفسه إلى الالتزام بمنهج رسائل
النور التي تحقق ما يحققه الطريق الصوفي بأيسر سبيل.

- موقف النورسي من الفلسفة:

كانت الساحة التركية إبان عصر النورسي مسرحا لمختلف التيارات الفلسفية والسياسية التي ظهرت في
الغرب، من نظريات مادية، وتيارات الإلحادية وفلسفيات طبيعية، وقد كان لكل ذلك تأثير سلبي على
كثير من المثقفين الأتراك الذين تبنا تلك النظريات وبدأوا ينشرون الإلحاد ويدافعون عنه مستندين
إلى بعض من تلك النظريات الفلسفية، ومن هنا كان اهتمام بديع الزمان النورسي بالفلسفة
والمشتغلين بها.

ولم يصدر النورسي حكما عاما على الفلسفة، بل ميز بين أصنافها وحاول تقييم كل صنف منها ،
فهناك فلسفة فاسدة استندت إلى أسس مادية طبيعية وحاولت إيهام الناس بن تلك الأسس أسس
علمية وقد شن النورسي هجوما عنيفا على هذه الفلسفة المادية الطبيعية وبين ما سلكه أولئك
الملاحدة الماديون من طرق ومناهج بعيدة كل البعد عن المسلمات المنطقية والعقلية، وأنها لا تعدوا أن
تكون محض خرافة خرقاء.

. وفي مقابل هذه الفلسفة الطبيعية التي أصبحت وسيلة للتردي والإلحاد فإن هناك نمطا آخر من
الفلسفة أو الحكمة التي تهتم بالنظم الاجتماعية والقيم الأخلاقية والمثل الإنسانية، وتعين على رقي
الإنسان وتقدم المجتمعات فمثل هذه الفلسفة لا تتعارض مع الدين ولا يعارضها، ويمكن للمسلم
الاستفادة منها.⁴⁶⁵

فالنورسي لا يرفض الفلسفة على إطلاقها وإنما يقسم الفلسفة إلى قسمين:

. قسم لا يتعارض مع الحقائق القرآنية وطبيعة أن لا يرفض النورسي هذا القسم.

. الفلسفة التي غدت وسيلة للتردي في الظلال والإلحاد والسقوط في هاوية المستنقع الأسن للطبيعة
فإنها تنتج السفاهة والهبوط والغفلة والظلال وتعارض الحقائق القرآنية.⁴⁶⁶

وهكذا فإن النورسي يرفض الكلام في صورته التقليدية كما يرفض التجربة الصوفية الفلسفية التي
تقوم على المعرفة الاشرافية وتعتمد على رياضات وتجارب فردية، قد تختلط فيها الإلهامات الرحمانية
مع النفثات الشيطانية، ولا نستطيع أن نفرق بين الاثنين فضلا عن رفضه للفلسفة المادية الإلحادية.

3. منهج النورسي في تناول قضايا العقيدة:

نظرا لإخفاق المذاهب الكلامية والطرق الصوفية والمناهج الفلسفية والخلل الذي أصاب مناهجها
وعدم ملائمتها لظروف العصر، دعا النورسي إلى العودة لمنهج القرآن الكريم، والأخذ بأسلوبه في
الخطاب والعرض، ويتميز أسلوب القرآن بالخصائص التالية:

⁴⁶⁵ - انظر بديع الزمان النورسي وتجديد دراسة العقيدة الإسلامية (دراسة في ضوء رسائل النور) أحمد الجلي.

⁴⁶⁶ ملحق أمبرداغ ص: 286/كتاب (عصا موسى) نقلا عن أحمد الجلي.

- يستمد القرآن الكريم أدلته من الكون المحيط بنا وما يعج به من أنماط الكائنات والأحياء.
- يدعو القرآن الكريم الناس إلى التفكير ويعرض عليهم نماذج من الحجج العقلية والبراهين المنطقية والأدلة العلمية.
- تتنوع أساليب القرآن وأنواع خطابه لتشمل جميع البشر على اختلاف مواهبهم ومقرراتهم العقلية.
- تلتقي في القرآن الكريم جميع ملكات الإنسان وخصائصه: عقله وقلبه وحواسه وروحه، ويأخذ كلامها بنصيبه من الخطاب القرآني.⁴⁶⁷

ومن يتتبع رسائل النور يجد أن النورسي التزم بهذا المنهج القرآني في تناوله لقضايا العقيدة وعرضها، متجاوزا الاتجاهات الكلامية، والنزاعات الصوفية، المناهج الفلسفية المادية، واستنبط من القرآن الكريم منهجا زواج فيه بين إقناع العقل وتنوير الروح والقلب.

فالقرآن الكريم يخاطب جميع الموجودات ، ويخاطب الإنسان ككل، ويخاطبه لا يتلقى الفيض العقل أو القلب فحسب، بل تتلقى ذلك الفيض جميع أحاسيس الإنسان وجوارحه: "إن العقل والقلب والروح والنفس، والحس تأخذ حصتها من الحقائق التي هي بحكم الغراء والطعان في وسائل النور، وإلا فإن العقل يأخذ حصة جزئية وتبقى الأحاسيس الأخرى دون غداء، فالكلمات والأنوار المستقاة من القرآن الكريم " أي رسائل النور" إذن ليست مسائل علمية عقلية وحدها بل أيضا مسائل قلبية وروحية، وأحوال إيمانية، فهي بمثابة علوم إلهية نفسية ومعارف ربانية سامية".⁴⁶⁸

إن الخطاب القرآني يتجاوز حدود الكلام والتصوف، إذ قصارى ما يبلغه الكلام إقناع العقول، ومنتهى ما يبلغه التصوف إخضاع القلوب ولا شك أنه لا خير في عقل لا خشوع فيه، ولا خير في لسان يلهج بالذكر ولا فكر معه، فالأجدى والأنفع الجمع بين الحسنين (قناعة العقل وخضوع القلب).⁴⁶⁹ وبهذا المنهج عرض النورسي لمسائل العقيدة وقضاياها كمسألة وجود الله تعالى والوحدانية والنبوة، والآخرة والقضاء والقدر، وغيرها من القضايا التي تمثل أركان العقيدة وأسسها ويدور حولها محور الدراسات العقديّة، والتي تمثل أساسا بناء الإسلام الذي تقوم عليه كل نظم الإسلام وقيمه وتعاليمه والتي كانت ولا زالت مثار الجدل والتحري من قبل طوائف عديدة قديمة وحديثة.⁴⁷⁰

4 - آثار العقيدة في النفس الإنسانية:

تحولت دراسات العقيدة في العصور المتأخرة إلى بحث نظري ينظم المقدمات ويستخلص النتائج وأصبحت شروحها رياضة عقلية شبيهة بمحاولات الجبر، لا تحرك النفسي ولا ينفعل بها الوجدان

⁴⁶⁷ - دراسة العقيدة الإسلامية (دراسة في ضوء رسائل النور) أحمد الجلي. ص: 26-32.

⁴⁶⁸ - الملاحق (ملحق قسطومي ص 105).

⁴⁶⁹ - انظر النورسي وإثبات الحقائق الإيمانية عمار جيدل ص: 65.

⁴⁷⁰ - بديع الزمان النورسي وتجديد دراسة العقيدة الإسلامي لأحمد جيلي.

وأصبحت الأدلة على وجود الله، وواجب الوجود تذكر من غير أن يستشعر من يذكرها عظمة الخالق في قرار نفسه، ويختلج في بدنه عرق من الرغبة أو الرهبة نحو من سواه وألهمه فجوره وتقواه.⁴⁷¹

لذلك اهتم النورسي بآثار العقيدة، وارتباطها بالقيم الأخلاقية والأنماط السلوكية، ودعا إلى تخلق المسلمين بأخلاق الله تعالى وأكثر من التذكير بجلال الله وجماله، وإحسانه لعباده، وحكمته في خلقه وكماله ليفلت نظر المسلم إلى التخلق بتلك الأخلاق الإلهية، والتخلي بما تدل عليه، ولا يكفي أن نعلم أن الله رحيم ولا نرحم ولا نرتحم، وبهذا ربط النورسي الإيمان بآثاره النفسية والواقعية وأعاد التلاحم لجزئيات العقيدة، وبهذا جدد النورسي دراسات العقيدة، وأزال عن تلك الدراسات ما اتسمت به خلال قرون عديدة من جمود وجفاف، ومن ثم جاء تركيزه على الجوانب التي تميز المؤمن عن غيره، وعلى ما يعكسه على نفس المؤمن وعقله وقلبه وأثره في واقع حياته، ومن تلك الآثار التي تترتب على الإيمان.⁴⁷²

أولاً: الإيمان بالله بعد الإنسان بنظرة متميزة للعالم، فبدلاً من النظرة الموحشة المشائمة التي يولدها الإلحاد، وتتولد لدى الغافلين الضالين، نجد أن المؤمن ينظر إلى الكون ويراه: (كتاباً بليغاً كتبه الأحد الصمد، ومرتبة منسقة عمرها الرحمن الرحيم، ومعرضاً بديعاً أقامه الرب الكريم لإشهار مصنوعاته، فيبعث بهذا البيان حياة في تلك الجمادات ويجعل بعضها يسعى لإمداد الآخر وكل جزء يغيب الآخر ويعينه، كأنه يحاوره محاورة ودية صميمة).⁴⁷³

ثانياً: كما أن الإيمان بالله تعالى يزود المؤمن بإجابة شافية على تلك الأسئلة المحيرة التي حارت فيها الفلسفة والإنسانية، وصلت فيها الأمم، فهذا إيمان: ينكشف السر المغلق للأسئلة المحيرة من أين يأتي سبيل الموجودات وقافلة المخلوقات؟ وإلى أين المصير؟ ولم جاء؟ وماذا يعمل؟ ، وبسر التوحيد تتحقق مزايا الكون وكمالاته وتدرك الوظائف الإلهية للموجودات وتتقرر نتيجة خلق المخلوقات وتعرف أهمية المصنوعات وتبرز ما في هذا العالم من مقاصد إلهية.⁴⁷⁴

ثالثاً: يحدث الإيمان توازناً في عقل الإنسان وعواطفه فالعقل الضال الذي يسر بغير هدى ويتخبط في الظلام، يصبح آلة تعذيب ووسيلة إزعاج بما يجمع من آلام الماضي الحزين ومخاوف المستقبل الرهيبة، بينات الإيمان يعالج هذه الأزمة الداخلية بمعنى التوحيد وأعماله القبلية كالصبر والشكر، والرضا واليقين والتوكل وتفويض الأمر لله عز وجل، وتجنب التحسر والأسى على الماضي الفائت، أو الترتب المमित لمآتي المستقبل... والعواطف الرقيقة تتكسر أجنحتها، وتزول شفافيتها، بغياب الإيمان، والشفقة والحنان يتحولان إلى دافعين اليمين بما تنشأه في النفس الغير مؤمنة من ألم الأسى على ما يصيب البشر والحياة من مظاهر الأذى والشر والزوال التي تورث في الوجدان " ألم الحرقه وعذاب الفراق وجرح العطف، وكذلك الحب المتكرر برؤية الزوال ، بينما يكشف التوحيد للمؤمن أسرار وجود الشر والموت والزوال وحكمه ، فتبقى عواطفه متوازنة، سليمة متوافقة مع دواعي العقل ورؤى

⁴⁷¹ - عقيدة المسلم (محمد الغزالي)ص: 8-9.

⁴⁷² - بديع الزمان النورسي وتجديد دراسة العقيدة(على ضوء رسائل النور).

⁴⁷³ - الكلمات: ص: 527.

⁴⁷⁴ - الشعاعات ص: 14.

الإيمان، فالشر في المنظور الإيماني ليس إلا أمرا عارضا جزئيا ولا يخلو من حكمة والموت بمثابة مقدمة لحياة باقية، وزوال الأشياء إنما هو تجديد لها ولأمثالها فهو تجديد ممتع، شبيه بتجدد مشاهد السينما، وشبيه بتجدد جمال حباب النهر الجاري تحت ضوء الشمس.⁴⁷⁵

رابعا: إن للإيمان أثر كبير في تقوية الروابط الاجتماعية وتوثيق عرى الوحدة والمودة بين أفراد المجتمع لأن " الإيمان بعقيدة واحدة يستدعي حتما توحيد قلوب المؤمنين بها على قلب واحد ووحدة العقيدة هذه تقتضي وحدة المجتمع.⁴⁷⁶

من خلال هذه الدراسة الموجزة في العقيدة عند النورسي يتبين لنا ما يأتي.

- أن النورسي كان على معرفة تامة وعميقة، بالمنهج المختلفة لدراسة العقيدة (المنهج الكلامي والمنهج الصوفي والمنهج الفلسفي وقدم تقويما موضوعيا لكل منها، كما كشف عن عجز هذه المناهج في مقابلة التحديات التي كان يواجهها الفكر الإسلامي.

. أقام النورسي منهجه في دراسة العقيدة متتبعا خطر القرآن الكريم، مستمدا من القرآن الكريم القضايا والمنهج، ووفق هذا المنهج القرآني عالج قضايا الإيمان جميعها.

وبهذا المنهج استطاع النورسي أن يحول قضايا العقيدة إلى قضايا حية ينفعل بها المسلم ويتفاعل معها ويكون لها تأثير على سلوكه ورؤيته للكون وتقييمه للأحداث والمواقف ، وبهذا كان النورسي جديرا أن يعد من أكابر المجددين ليس في العصر الحديث فحسب بل في تاريخ الإسلام كله.

⁴⁷⁵ - الشعاعات ص: 21.

⁴⁷⁶ - المكتوبات ص: 341.

المطلب الثالث: الأخلاق

إن الأخلاق الإسلامية من أهم ما جاءت الشريعة الإسلامية لترسيخها وتثبيتها بين الأفراد والمجتمع لأن بها تستقيم الحياة، وتندشر المودة والرحمة، والسعادة، لهذا حث الإسلام عليها ورغب فيها، وجعلها من كمال الإيمان، فركز على غرسها في نفوس أبناءه وهي تشمل سلوك الإنسان في حياته الخاصة وحياته مع غيره في مختلف المجالات الاجتماعية والعلمية والسياسية وغيرها.

وهي أيضا ملازمة لقوة الإيمان، فكلاهما يؤثر في الآخر ويتأثر به لذا فالدين القيم والأخلاق الفاضلة ضروريان لكل مجتمع ليرتفع بهما إلى أعلى المستويات ويرتقي بهما إلى أعلى الدرجات وحين يتخلى أي مجتمع عنهما ينزل إلى أسفل الدرجات.

ونظرا إلى أهمية الأخلاق في الإسلام فقد أفردها علماء المسلمين بالتأليف والتصنيف، قديما وحديثا، وبينوا أهميتها ومكانتها وأثرها في الفرد والمجتمع.

ويعتبر العلامة بديع الزمان النورسي، بديع زمانه، وفريد دهره، ووحيد عصره، من أهم العلماء المعاصرين الذين اهتموا بموضوع الأخلاق، فخصص لها حيزا كبيرا في رسائله القيمة وبين أهميتها ومكانتها وفوائدها ومقاصدها، ودورها في تقدم المجتمع وتقهره، وأعطاه مفهوما واسعا كاملا.

1. تعريف الأخلاق:

أ. التعريف اللغوي:

في لسان العرب: الخلقة بكسر الخاء: الفطرة... والخلق بفتح الخاء وسكون اللام... والخلق بضم الخاء واللام. السجية. الخلق بضم اللام وسكونها: هو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه صورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها.⁴⁷⁷

وقال الراغب الأصفهاني في تعريف الأخلاق: الخلق أصله: التقدير المستقيم ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء (الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما)⁴⁷⁸ أي أبدعها، ويستعمل في إيجاد الشيء من الشيء نحو قوله: (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها)⁴⁷⁹. الخلق بفتح الخاء وسكون اللام، والخلق بضم الخاء في الأصل واحد، وخص الخلق بفتح الخاء وسكون اللام. بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر وخص الخلق بضم الخاء بالقوى والسجيا المدركة بالبصيرة⁴⁸⁰ (وانك لعلى خلق عظيم).⁴⁸¹

⁴⁷⁷- لسان العرب. لابن منظور ج 10 ص 96. باب القاف فصل الخاء مادة الخلق.

⁴⁷⁸- سورة السجدة الآية: 4.

⁴⁷⁹- سورة النساء الآية: 1.

⁴⁸⁰- مفردات الراغب الأصفهاني ص 157. 158. كتاب الخاء مادة الخلق.

⁴⁸¹- سورة القلم الآية: 4.

وقال الجوهرى في الصحاح: (. والخلق بسكون اللام وضمها: السجية، وفلان يتخلق بغير خلقه أي يتكلفه).⁴⁸²

إذا الأخلاق لغة هي: (التصرفات الإنسانية الصادرة عن أوصاف النفس وسحاياها الباطنة، أو هي سيماء النفس وصورتها الباطنة).⁴⁸³

ب . التعريف الاصطلاحي:

عرفه الإمام الغزالي بقوله: (.. الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورواية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً...).⁴⁸⁴

وهذا يعني أن الأخلاق تنقسم إلى قسمين: أخلاق محمودة وهي التي تهمنا هنا وأخلاق مذمومة.

وصفه ابن المبارك بقوله: الخلق الحسن هو بسط الوجه بذل المعروف وكف الأذى.⁴⁸⁵

أما عند النورسي فهي: نظام القرآن الذي يطبع صورة الروح الإنسانية بماهيتها ويسلك بها مدارك التربية والمجاهدة لاكتساب معناها الكوني⁴⁸⁶، وعلى هذا يمكن القول بأن الأخلاق عبارة عن صفة مستقرة في النفيس فطرية أو مكتسبة ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة.⁴⁸⁷

2 . أهمية الأخلاق:

إن الإسلام يحث على الأخلاق الحميدة ويرغب فيها، بل يجعلها من كمال الإيمان، وهي ضرورة لسعادة الشعوب، وازدهارها، وقيام الدول وبقائها، والدول وبقائها، ولذا ركز الإسلام على غرسها في نفوس المسلمين، ولا تجد آية في القرآن إلا وفيها حض على التحلي بمكارم الأخلاق والتخلي عن الأخلاق المذمومة، يقول العلامة النورسي: " لا تجد في القرآن لآية، إلا وتوحي بمحبة شديدة لله ... وفيه حث كبير على الفضيلة خلال تلك القواعد الخاصة بالسلوك الخلقى... وفيه دعوة كبيرة إلى تبادل العواطف وحسن المقاصد والصفح عن الشتائم.

وفيه مقت العجب والغضب، وفيه إشارة إلى أن الذنب قد يكون بالفكر والنظر، وفيه حض على الإيفاء بالعهد حتى مع الكافرين وتحريض على خفض الجناح والتواضع وعلى استغفار الناس لمن يسيئون إليهم لا لعنهم ويكفي جميع تلك الأقوال الجامعة المملوءة بحكمة ورشدا لإثبات صفاء قواعد الأخلاق في القرآن.. أنه أبصر كل شيء..."⁴⁸⁸

ومما يدل على أهمية الأخلاق وقيمتها في الإسلام النصوص الواردة في ذلك منها:

⁴⁸² - الصحاح للجوهري ج 4 ص 1471 باب القاف فصل الغاء . مادة الخلق.

⁴⁸³ - العوامة والأخلاق في ضوء رسائل النور ص 204.

⁴⁸⁴ - إحياء علوم الدين ج 3 ص: 58.

⁴⁸⁵ - سنن الترمذي ج 4 ص: 319.

⁴⁸⁶ - العوامة والأخلاق في ضوء رسائل النور ص: 206.

⁴⁸⁷ - الأخلاق الإسلامية وأسسها . عبد الرحمان حنبكة الميداني ص 10.

⁴⁸⁸ - إشارات الإعجاز في *** الإيجاز ص: 272.

. ما رواه الترمذي عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم: " ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من لق حسن وإن الله ليبغض الفاحش البديء".⁴⁸⁹

. وروى أبو داود عن عائشة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم.⁴⁹⁰

. وروى الترمذي عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: تقوى الله وحسن الخلق.⁴⁹¹

وروى الترمذي عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفهقون.."⁴⁹²

هذه النصوص وغيرها كثير تبين المكانة التي يحتملها حسن الخلق في الإسلام ولهذا جعلها النورسي الوظيفة الأساسية لوجود الإنسان في هذا الكون: "إن الغاية القصوى للإنسانية والوظيفة الأساسية للبشرية هي التخلق بالأخلاق الإلهية، أي التحلي بالسجيا السامية والخصال الحميدة . التي يأمر بها اله سبحانه . وأن يعلم الإنسان عجزه فيلتجئ إلى قدرته تعالى ويرى ضعفه فيحتمي بقوته تعالى ويشاهد فقره فيلوذ برحمته تعالى وينظر إلى حاجته فيستمد من غناه تعالى، ويعرف قصوره فيستغفر ربه تعالى ويلمس نقصه فيسيح ويقدم كماله تعالى".⁴⁹³

ويوضح الإمام النورسي هذا المعنى ويؤكد في مكان آخر بقوله (... من القواعد المقررة للنسوة في حياة الإنسان الشخصية، التخلق بأخلاق الله أي كونوا عبادا لله المخلصين، متحلين بأخلاق الله محتمين بحماه معترفين في قرارة أنفسهم بعجزكم وفقركم وقصوركم.⁴⁹⁴

وللأهمية مكارم الأخلاق في حياة البشرية عامة وفي حياة المسلمين خاصة يعتبر الإمام النورسي أن ما يعانيه المسلمون اليوم من أزمة إنها هو أزمة أخلاق، ولا يمكن الخروج من هذه الأزمة إلا إذا أصلحنا أخلاقنا، ورجعنا إلى ما يأمرنا به الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والامتثال بأوامرهما.

وهذا يظهر لنا أن رسائل النور أعطت للأخلاق أهمية كبيرة وبينت أنها من أهم ما ينبغي أن تعتمد عليه الأمة الإسلامية لتتقدم كما ترى أن سبب تقهقر الدعوة الإسلامية وتخلف المسلمين هو تخلفهم عن مكارم الأخلاق التي يدعو إليها الإسلام . والله دره حيث يقول: ولو أظهرنا بأفعالنا وسلوكنا مكارم أخلاق الإسلام وكمال حقائق الإيمان لدخل أتباع الأديان الأخرى في الإسلام جماعة وأفواجا بل ربما رضخت دول العالم وقاراته للإسلام.⁴⁹⁵

⁴⁸⁹ - سنن الترمذي ج 4 ص 318.

⁴⁹⁰ - سنن أبي داود ج 4 ص 252.

⁴⁹¹ - سنن الترمذي ج 4 ص 319.

⁴⁹² - سنن الترمذي ج 4 ص 325.

⁴⁹³ - الكلمات ص 642

⁴⁹⁴ - الكلمات ص 643

⁴⁹⁵ - الخطبة الشامية ص 27.

3. مصادر الأخلاق عند النورسي :

يقول الإمام: " أن إصابة الأمة في قلبها إنما هو من ضعف الدين، ولن تنعم بالصحة إلا بتقوية الدين ، أما مسلكنا فهو التخلق بالأخلاق المحمدية صلى الله عليه وسلم وإحياء السنة النبوية، ومرشدنا في الحياة: الشريعة الغراء، وإذا كانت الأخلاق فطرة فطر عليها الإنسان، فإن دور الدين يتمثل في تثبيت هذه الفطرة وتكميلها وتهذيبها.⁴⁹⁶ من خلال النصب المائل أمامنا، يتبين لنا أن مصادر الأخلاق عند الإمام تتمثل في:

أ. الفطرة:

الفطرة هي طبيعة الكائن التي تصاحبه منذ نشأته، وهي التي لم تستمد من التجربة، قال تعالى: فطرة التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله" ويذهب الإمام إلى أن الأخلاق فطرية في الإنسان أي أنها مركوزة في بنيتها وخلقته، وأنها مقوم أساسي من مقومات ذاتية وهوية. إن الإيمان مفطور على التدين والخير والصدق والسعي نحو الكمال، وكل الأخلاق الحميدة، فأخلاق الحميدة هي القاعدة، والأخلاق الرذيلة المذمومة هي الاستثناء، والأخلاق الأولى هي غاية في حد ذاتها وهي السائدة الغالبة في نظام الكون ونظام الكائنات، أما الأخلاق الفاسدة، وإن كانت مركوزة هي الأخرى في الفطرة، فهي جزئية وثانوية ، ووجودها إنما كان بقصد التعرف على تجليات الحق والخير والجمال والكمال، وقديما قيل: "بضدها تتبين الأشياء" والدليل على فطرية الأخلاق أن كلمتي الخلق والخلق في اللغة العربية مشتقتان من مادة لغوية واحدة، أي أنهما تنتميان إلى نفس الجذر اللغوي" خ ل.ق.5⁴⁹⁷

ب. القرآن:

إن تصور الإمام للمعنى المستنبط من القرآن قائم على أن القرآن . كل القرآن . إنما جاء لبناء الأخلاق وذلك هو منطوق حديث عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم فقالت في حديثها الذي يرويه مسلم في صحيحه(كان خلقه القرآن) ومن ثم فإن سياسة القرآن إذ ما جاءت لتصنع مجتمعا قائما على أساس الأخلاق، بمعنى كلي، فكل التصرفات البشرية في العلاقات النفسية، والاجتماعية، والوجودية، مع سائر الكائنات، وإنما هي أخلاق.

لذلك فإن تصور الأخلاق على أنها (فضيلة) أو (نافلة) هو مفهوم جزئي، والاقتصار عليه يؤدي إلى تحريف الدلالة القرآنية، ذات البعد الشمولي العميق لمصطلح (أخلاق) فالقرآن نظام رباني، أنزله الله لتنظيم حياة الإنسان، ولذلك بين الإمام أن أخلاق القرآن قد وسعت كل ما جاءت به الكتب السماوية السابقة وزيادة، وقال رحمه الله: (إن أصول الأخلاق في القرآن عالية علق ما جاء في كتب الديانات الأخرى جميعها، أن أهم نتيجة يمكن استنباطها هي تأثير القرآن العظيم في الأمم التي أذعن لأحكامه،

⁴⁹⁶ - الخطبة الشامية ص 85

⁴⁹⁷ - الكونية الأخلاقية بين علوم القرآن وعلوم الإنسان دراسة نظرية الأخلاق عند الأستاذ بديع الزمان النورسي لفريد الأنصاري.

فالديانات التي بها ما للإسلام من السلطان على النفوس قليلة جدا، وقد لا تجد دينا اتفق له ما اتفق للإسلام الأثر الدائم، فالقرآن هو قطب الحياة في الشرق وهو ما نرى أثره في أدق شؤون الحياة.⁴⁹⁸
ج . الرسول:

إن القارئ المرفق لكليات النور يرى من خلالها حبا خالصا للنبي وسنته، وأن الرسائل قد كتب بمداد الحب النبوي، فهي سهلة الوصول إلى شغاف القلوب، ومن ثم يقول الإمام قد ثناياها: " إن آثار محمد صلى الله عليه وسلم وسرقه المباركة وتاريخ حياته تشهد أنه قد اجتمعت فيه الخصال العالية كافة، ومن شأن امتزاج كثرة من تلك الأخلاق توليد عزة النفس، التي تولد شرفا ووقارا يترفعان عن سفساف الأمور، كترفع الملائكة وتنزههم عن الاختلاف بالشياطين، فالأخلاق السامية كذلك لا تسمح أصلا بتداخل الحيلة والكذب بينها ، بل تتزهد وتتبرأ وترفع عنها، بحكمة القضاء فيما بينها⁴⁹⁹ ، ومن ثم فإن " الزمان الماضي والزمان الحاضر. أي عصر السعادة النبوية . والمستقبل بتضمنان براهين نيرة على النبوة ، ويرددان بلسان واحد برهان ذاته صلى الله عليه وسلم بأنه معدن الأخلاق العالية وداعي الصدق ودلال النبوة. وكيف لا وهو القائل: (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق) ولكن محبة المسلمين لنبيهم لا تكتمل إلا باتباع سننه، إذ أن مقياس اتباع السنة رهين بدرجة التخلق بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وسائل اكتساب مكارم الأخلاق:

لقد خلق الله البشر على طبائع مختلفة ووهبهم مكارم الأخلاق فطريا، لكنهم متفاوتون في هذه الهبة الإلهية، وهذه المكارم التي جبلوا عليها منها ما هو غرزي ومنها ما هو مكتسب ينمي ويؤكده بعدة وسائل.

وفي رسائل النور نصوص عديدة نيرة تبين الوسائل الناجحة لاكتساب مكارم الأخلاق وتنميتها، ومن هذه الوسائل:

أ . سلامة العقيدة:

أن العقيدة السليمة لها أثر كبير في تهذيب النفس وتقويم اعوجاجها وقلع كل ما فيها من الرذائل وتوجيهها إلى نهج السلوك القويم حتى يصبح ديدنة في الإنسان، إذا الإيمان القوى النابع من العقيدة السليمة تثبت الأخلاق الفاضلة وتغرسها في نفس الإنسان يقول الإمام بديع الزمان النورسي: ... إن الإيمان دائما يقيم في القلب والعقل حارسا معنويا، أمينا...⁵⁰⁰ كما أن الإيمان يعطي الإنسان قوة

⁴⁹⁸-إشارات الإعجاز ص: 285.

⁴⁹⁹- صقيل الإسلام ص: 143.

⁵⁰⁰- الخطبة الشامية: ص: 73 / إشارات الإعجاز ص: 147.

معنوية يصارع بها جميع الحوادث والمصائب ويكسب الإنسان عزة النفس والشفقة في نفس الوقت والترفع عن الدنيا.⁵⁰¹

ب. الإقناع الفكري:

إن إقناع الإنسان بالمفاهيم الإيمانية والأخلاقية التي جاء بها الدين الإسلامي الحنيف عن طريق النظر في تعاليمه ومقاصده يدفع الإنسان إلى التحلي بهذه الأخلاق الفاضلة التي يدعو إليها الإسلام ويحث عليها ، والتخلي عن رذائلها التي ينفر منها.

ج. التدريب العلمي والرياضة النفسية:

إن التدريب العملي والممارسة التطبيقية لفضائل الأخلاق ومجاهدة النفس فيها، مما يكسب الإنسان مكارم الأخلاق ولذا اعتمد الإسلام على المجاهدة في تربية المسلمين في بعض المواقف، فرغب في بعض الأعمال التي تبدو شاقة لتهديب النفس وتطهيرها يقول سبحانه: (والذين جاهدوا فينا لنهديم سبلنا وإن الله لمع المحسنين)⁵⁰². فمن جاهد نفسه لاكتساب فضائل الأخلاق اكتسبها، لأن الأخلاق منها ما هو غريزي فطري ومنها ما هو اكتسابي يأتي بعد الدرية والممارسة، في تنمية الأخلاق بالممارسة والمجاهدة يقول الإمام النورسي: (إن نشوء الحسيات العالية ، ونمو الأخلاق إنما هو بالمجاهدة، وتكامل الأشياء إنما هو لمقابلة الأضداد ومزاحمتها، ألا ترى أن حكومة إذا جاهدت ينمو فيها الجسارة، وإذا تركت انطفأت...)⁵⁰³.

د. القدوة الصالحة:

أن القدوة الصالحة هي المثال الواقعي للسلوك الأمثل وهذا المثال قد يكون حسيا يقتدي به وقد يكون حاضرا في الذهن بأخباره وسيره ولهذا يرى النورسي أن إدامة النظر في سيرته صلى الله عليه وسلم الذي يعد أفضل نموذج للإقتداء وأكمل مرشد للإتباع والسلوك وإجالة في سيرة أصحابه رضوان الله عليهم مما يكسب الإنسان مكارم الأخلاق كما يرى أنه يجب على كل إنسان يريد أن يتخلق بأخلاق القرآن أن يتبع سيرته صلى الله عليه وسلم وسنته الشريفة⁵⁰⁴ يقول سبحانه وتعالى: (لقد

كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)⁵⁰⁵.

ه. لزوم العبادة والمحافظة عليها:

إن لزوم العبادة والمحافظة عليها مما يهذب النفس وينقيها ويبعد عنها الرذائل، ويرسخ فيها العقائد ويربمها وينمئها و بدون لزوم العبادات يكون آثار العقائد ضعيفة، فالمواظبة على الصلاة مثلا وأدائها في وقتها وفي الجماعة بخضوع وتدبر، مما يربي في الإنسان الأخلاق الفاضلة وينمئها ويبعدها عن ارتكاب المعاصي، كما أن المواظبة على الصيام مما يهذب النفس ويقوم السلوك وينشئ الأخلاق

⁵⁰¹ - إشارات الإعجاز ص 51-52 و 106.

⁵⁰² - العنكبوت الآية: 69.

⁵⁰³ - إشارات الإعجاز ص: 54-55.

⁵⁰⁴ - للمعات ص 94-96/ الأخلاق الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن جنكة الميداني ج 1. ص: 214. 216.

⁵⁰⁵ - سورة الأحزاب الآية: 21.

الفاضلة في الإنسان من رحمة وبر وصلة وانضباط كما أنه يقوي أمانة العزيمة والإرادة ويعلي الهمة ويؤدي إلى التقوى الذي يحتاج إليه المسلم في كل أحواله.

ومن آراء الإمام النورسي في هذا، أن صيام رمضان، يتوجه إلى تربية النفس وتزكيتها والقيام بالشكر تجاه النعم الإلهية، وتهذيب النفس الامارة بالسوء وتقويم أخلاقها، وجعلها تتخلى عن تصرفاتها العشوائية بالصوم يروض لشانه على الصوم من الكذب والغيبة ويرطب لسانه لتلاوة القرآن وذكر الله سبحانه ويغض بصره عن المحرمات وسيد أذنه عن الكلام البذيء وغيرها من الذنوب فالصوم وسيلة فعالة لتهذيب النفس وكسر شهوتها وكسب مكارم الأخلاق.⁵⁰⁶

كما أن إعطاء الزكاة إلى مستحقيها، وانسراح الصدر عند إخراجها مما يكسب الإنسان مكارم الأخلاق ويقطع فيه الأخلاق الرذيلة ويجعله تعود على الذل والعطاء ويتخلق بأخلاق الله تعالى).⁵⁰⁷

خ. إثارة الحياة الأخروية على الحياة الدنيوية:

تذكر الموت وفناء الدنيا وزوالها مما يكسب الإنسان القناعة ويكسر فيه شهوه حب الدنيا.

و. قراءة القرآن الكريم بتدبر وتعقل:

مما يهدي الإنسان إلى الحق إلى الطريق المستقيم والتحلي بمكارم الأخلاق قال تعالى: (إن هذا

القرآن يهدي للتي هي أقوم ويشير المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجر كبير).⁵⁰⁸

وهناك وسائل أخرى كثيرة للإكساب الأخلاق:

. ترك دواعي الحسد.

. ترك الأنانية.

. الافتخار بصحبة السالكين في منهج الحق.

. إدامة النظر في رسائل النور ومثيلاتها من المؤلفات.

. معرفة النفس بتقصيره.

. الامتثال بالأوامر والنواهي.

. اختيار البيئة الصالحة.

. أسباب ضياع وانحيار الأخلاق:

يرجع الإمام النورسي فساد الأخلاق في هذا الزمان وغيره من الأزمنة لعدة أسباب منها ما يلي:

أ. الفقر والجهل: يوضح الإمام النورسي العلاقة بين الفقر وسوء الأخلاق فيقول: لأن السعي والعمل لا يكفيان لمواجهة المصاريف المتزايدة، أنساق الإنسان إلى مزاولة الخداع والحيلة وأكل الحرام وهكذا فسد أساس الأخلاق، وبينما تعطي هذه المدنية للجماعة ثروة وغنى وبهجة، فإذا بها تجعل الفرد فقيرا

⁵⁰⁶ - المكتوبات ص 513-521.

⁵⁰⁷ - إشارات الإعجاز ص 55-54.

⁵⁰⁸ - سورة الإسراء الآية: 9.

محتاجا فاسد الأخلاق"⁵⁰⁹ ، ويرى الإمام أن هذا السبب من السهل تداركه والقضاء عليه وذلك باتباع منهج الاقتصاد الإسلامي، ففي وجوب الزكاة وحرمة الربا وحكمة عظيمة ومصلحة عالية ورحمة واسعة، إذ لو أمعنت النظر في صحيفة العالم نظرا تاريخيا وتأملت في مساوي جمعية البشر لرأيت أس أساس جميع اختلالاتها وفسادها، ومنبع كل الأخلاق الرذيلة في الهيئة الاجتماعية كلمتين فقط إحداهما: إن شبعت فلا علي أن يموت غيري من الجوع " والثانية " اكتسب أنت الأكل أنا واتعب أنت لأستريح أنا"⁵¹⁰ ..

وأما عن العلاقة بين الجهل وسوء الأخلاق فيقول: " إن أعدائنا ليسوا هم الأجنب بل إن عدونا هو الجهل وما تولد منه من منع إعلاء كلمة الله وما نتج عنه من مخالفة الشريعة، ثم البؤس ثمرته سوء الأخلاق وسوء التصرفات، والخلاف وما يتولد عنه ن الحق والنفاق."⁵¹¹ وهو يحذر من آفة التقليد فيقول: " إن أحوالي وأخلاقى مخالفة للناس، كما هو الحال في ملابسي، فاتخذوا الأمر الواقع والحق محل النظر وموضع الاعتبار ولا تتخذوا ما روجه الزمان أو العادات من أخلاق سيئة لتقليد الناس، بعضهم بعضا مقياسا لوزن الأمور.

ويحذر الإمام أشد التحذير من تقليد المستعمرين وأعداء الملة فيقول: " إن الانجليز" كالشيطان الرجيم يثير أحاسيس الإنسان الخبيثة ويشجع الأخلاق الرذيلة في حين يطفئ جذوة المشاعر النبيلة"⁵¹² ..

ب . الإعلام:

لا ينكر الإمام النورسي فضل الإعلام في نشر رسالة الإسلام بل إنه يعد من أخطر وسائل الدعوة، ولكن الإمام يحذر من الإعلام الذي ليس له غاية ولا هدف بل هو إعلام عبثي فيقول: ولقد دأبت الصحف على زعزعة الأخلاق الإسلامية، حتى أهلكوا الأفكار العامة السائدة، فتصدت لهم بمقالات نثرها في الجرائد...⁵¹³

فبالإعلام الغير الرشيد انفتحت الشعوب على ثقافات غيرها ففتح الباب أمام الثقافة الغربية الرخيصة التي تستوجب الرذائل في الأخلاق والقضاء على الفضيلة ". ونشطت الصحافة في نشر الابتذال في الأخلاق والاستهزاء بالدين، فانتشرت كتب الإلحاد وحلت محل كلمات (الله الرب الخالق الإسلام) كلمات (الطبيعة التطور القومية التركية..الخ)."⁵¹⁴

ج . المدارس الفلسفية الفاسدة:

لا ينكر الإمام النورسي الفلسفة التي تدعو إلى الحكمة ومعرفة الحق والخير والجمال، ولكنه ينكر الفلسفة التي غدت وسيلة للتردى في الضلالة والإلحاد إذ يقول فالفلسفة التي تخدم الحياة الاجتماعية وتعين الأخلاق والمصالح الإنسانية وتمهد للرقى الصناعي فهي في وفاق ومصالحة مع القرآن

⁵⁰⁹ - السيرة الذاتية ص: 140.

⁵¹⁰ - المکتوب الثاني والعشرون.

⁵¹¹ - السيرة الذاتية ص 98.

⁵¹² - السيرة الذاتية ص 70.

⁵¹³ - صيقل الإسلام ص 117.

⁵¹⁴ - السيرة الذاتية ص 100.

بل هي خادمة لحكمة القرآن فلا تعارضها ولا يمكنها ذلك، وإنما الفلسفة التي غدت وسيلة للتردي في الضلالة والإلحاد والسقوط في هاوية المستنقع الآسن للطبيعة فإنها تنتج السفاهة واللهو والغفلة والضلالة وتعارض الحقائق القرآنية.⁵¹⁵

مبادئ الأخلاق عند النورسي:

إن نظرية الأخلاق من خلال رسائل النور تعتمد على عدة مبادئ منها:

• **مبدأ التدين:** يظهر من خلال رسائل النور أن من أهم مبادئ وأسس الأخلاق التدين ، لأن الدين الصحيح هو الذي يقوي الأخلاق في الإنسان ويرفعه إلى أعلى المستويات ويرتقي به إلى أعلى الدرجات، ولذا فالدين والأخلاق الفاضلة ضروريان لنجاح أي مجتمع فلا أخلاق بدون دين لا دين بدون أخلاق، ونظرا لهذا التلازم بين الدين والأخلاق يرى الإمام النورسي: " أن إصابة الأمة في قلبها إنما هو من ضعف الدين ولن تنعم بالصحة إلا بتقوى الدين".⁵¹⁶ ويوضح هذا المعنى في مكان آخر بقوله: " إن الإيمان يقيم دائما في القلب ، والعقل حارسا معنويا، أمينا، لذا كلما صدرت ميول فاسدة عن تطلعات النفس والنوازع والأحاسيس المادية قال لها ذلك الحارس الرادع: محظور... ممنوع... فيطردها ويهزمها".⁵¹⁷

وهكذا يظهر أن الدين من أهم مبادئ الأخلاق وأنه لا يمكن الفصل بينهما وأن الدين إنما جاء لتثبيت الأخلاق ولذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاجه: " والله فطر عباده على معرفة الحق والرسول بعثت بتكميل الفطرة، لا بتغيير الفطرة".⁵¹⁸

وخلاصة القول إن الأخلاق مبنية على الدين ولا يمكن الفصل بينهما فهي فطرة في الإنسان وجاء الدين ليثبتها ويغرسها فيه وأي خلل في أحدهما يؤثر في الآخر، ولله در الحكيم الهندي غاندي حين قال: "إن الدين ومكارم الأخلاق هما شيء واحد لا يقبلان الانفصال... ولا يفترق بعضهما عن بعض فهما واحد لا يتجزآن، وأن الدين كالروح للأخلاق والأخلاق كالجسم للروح وبعبارة أخرى، الدين يغذي الأخلاق وينميتها وينعشها كما أن الماء يغذي الزرع وينميه".⁵¹⁹

وصدق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إذ يقول (لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له).⁵²⁰

مبدأ الشمولية ونبد الأنانية:

إن المنظومة الأخلاقية من خلال رسائل النور تتسم بالشمولية والعمومية، فهي شملت جميع قطاعات الحياة التي تتمثل في علاقة الإنسان بربه وعلاقة الإنسان مع أفراد مجتمعه وعلاقته مع الكائنات الحية التي تعيش معها في عالم واحد. ومن هذا المنظور تحدث عن الشورى والعدل والصدق

⁵¹⁵ - الكلمات ص 855.

⁵¹⁶ - الخطبة الشامية ص 85.

⁵¹⁷ - الخطبة الشامية ص 73.

⁵¹⁸ - منهاج السنة النبوية ج 1. ص 300.

⁵¹⁹ - الإعداد الروحي والخلقي للمعلم والمعلمة: الدكتور محمد جميل علي الخياط ص: 69.

⁵²⁰ - مسند الإمام أحمد ج 3/ مسند أنس بن مالك رضي الله عنه.

والتعاون والأخوة ومساعدة الآخرين والموساة والتقدم والتطور وغيرها من الصفات الحميدة التي يدعو إليها الإسلام ويحض المسلمين عليها.⁵²¹ كما أن هذه المنظومة تتسم بنبذ الأنانية والنفعية والانتهازية فالإمام النورسي يرى أن جميع الأخلاق الرذيلة تنبع من الأنانية وحب الذات وكرهية الغير ونقطف شيئاً من كلماته الرائعة والتي تؤكد ما قلناه. حيث يقول:....لو أمعنت النظر في صحيفة العالم نظراً تاريخياً وتأملت في مساوي جمعية البشر لرأيت أسس أساس جميع اختلالاتها وفسادها، ومنبع كل أخلاق الرذيلة في الهيئة الاجتماعية كلمتين فقط: أحدهما إن شبعت فلا علي أن يموت غيري من الجوع.

والثانية: اكتسب أنت لأكل أنا، واتعب أنت لأستريح أنا.⁵²²

وهكذا يتبين أن المنظومة الأخلاقية عند النورسي تتميز بالشمولية حيث تناول جميع القطاعات والمجالات ويتسم بنبذ الأنانية حيث يرى أن الأنانية منبع جميع الأخلاق المدمومة ولتجنب هذه الآفات قدم مجموعة من الحلول والبدائل، إذ اتبعها المسلم سلم من هذه الآفات ، والإمام النورسي بهذه الطريقة الواقعية التي تتميز بتشخيص الداء وتقديم الدواء الناجح له يظهر بمظهر المصلح:المخلص الواعي الذي يؤرقه هموم مجتمعه والذي في تفكير دائم لإيجاد الحلول المناسبة لمشاكل مجتمعه وبهذا استطاع أن يؤثر في مجتمعه وكل من قرأ رسائله. ولا ريب في أن هذا المنهج القويم الذي يربط بين العلم والتطبيق وبين تشخيص الداء وتقديم الدواء الناجح له ويطرح القضايا ويعطي الحلول المناسبة هو ما يحتاج إليه دعاة هذا العصر لأننا نعيش في مجتمع لا يكفي أن تطرح قضيته أو تمنعها دون إعطاء حلول أو بدائل، بل لابد من تقديم حلول وبدائل مناسبة للقضايا التي تطرحها ولعل غياب هذا المنهج القويم في دعوة كثير من دعائنا هو سبب فشل كثير منهم في مهمته الدعوية، ولهذا نرى أن رسائل النور تعتبر مراجع مهمة لكل داعية يريد أن ينجح في مهمته ويؤثر في مجتمعه.

. مبدأ النسبية:

إن المنظومة الأخلاقية عند النورسي تعتمد على مبدأ النسبية حيث أننا نجد الإمام النورسي ينص في رسائله على نسبية الأخلاق ومن ذك قوله:.... إن الفضائل والأخلاق وكذا الحسن والخير أغلبها أمور نسبية تتغير كلما عبرت من نوع إلى لآخر، وتتباين كلما نزلت من صنف إلى صنف وتختلف كلما بدلت مكان بمكان وتتبدل باختلاف الجهات، وتتفاوت ماهيتها كلما علت من الفرد إلى الجماعة ومن الشخص إلى الأمة. فمثلاً الشجاعة والكرم في الرجل تدفعانه إلى النخوة والتعاون، بينما تسوقان المرأة إلى النشوز والوقاحة وفرق حقوق الزوج. ومثلاً إن عزة النفس التي يشعر بها الضعيف تجاه القوي لو كانت في القوي لكانت تكبراً وكذلك التواضع الذي يشعر به القوي تجاه الضعيف لو كان في الضعيف لكان تذلاً.⁵²³

⁵²¹ - المكتوبات ص 606-608/ اللغات ص 29-30/ صيقل الإسلام 506-510. إشارات الإعجاز ص 272.

⁵²² - إشارات الإعجاز ص 54.

⁵²³ - صيقل الإسلام ص 333.

ويقول في مكان آخر (... وحيث إن الحسن النسبي والخير النسبي كثير جدا).⁵²⁴ تنبيه: نسبة الأخلاق التي نتحدث عنها هنا يعني في التوظيف وليس في اعتبار أصول الأخلاق. لأن أصول الأخلاق ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، لكن توظيفها أو التحلي بها قد يتغير من حال إلى حال ومن شخص إلى آخر ومن مكان إلى مكان، أما القيم الأخرى غير الأصول فهي نسبة في أصلها مثل الحسن والقبح.

. مبدأ الواقعية ومراعاة الحال:

هذا المبدأ توكيد وتوضيح للمبدأ السابق من جهة، وذلك أن التحلي بمكارم الأخلاق مطلوب لكن إذا أدى توظيفها إلى مفسدة راجحة أو فتنة فإنه ينبغي التحلي عنها ولو مؤقتا، فمثلا التحلي بالصدق والتصريح به مطلوب لكن إذا أدى التصريح به إلى مفسدة راجحة ينبغي عدم التصريح به، وفي هذا يقول الإمام النورسي: "... عليك أن تصدق في كل ما تتكلمه، ولكن ليس صوابا أن تقول كل صدق فإذا ما أدى الصدق أحيانا إلى ضرر فينبغي السكوت، أما الكذب فلا يسمح له قطعا، عليك أن تقول الحق في كل ما تقوله ولكن لا يحق لك أن تقول كل حق، لأنه إن لم يكن الحق خالصا فقد يؤثر تأثيرا سيئا فتضع الحق في غير موضعه."⁵²⁵

وهذا المبدأ سليم ينبغي على كل داعية أو مصلح أن يراعيه في دعوته وفي إصلاحه وهذا المبدأ كان معروفا عند العلماء القدامى بمراعاة مآلات الأفعال، التي اعتبرها الإمام الشاطبي أصلا من أصول التشريع.⁵²⁶

. مبدأ النسقية: (الترابط والانسجام).

نعني بهذا المبدأ أن الكيفية التي طرح بها الإمام النورسي الأخلاق في رسائله القيمة تؤدي إلى الانسجام والترابط بين القول والعمل وبين النظر والتطبيق، ذلك أنه لا يمكن التحلي بمكارم الأخلاق والتخلي عنها في نفس الوقت، لأن هذا يؤدي إلى التناقض، فالإنسان لا يمكن أن يكون متخلقا بخلق حسن، ثم يصدر منه بعض التصرفات المشينة كما أنه لا يعقل أن يأمر بشيء ولا يأتيه أو ينهى عن شيء ثم يرتكبه يقول سبحانه وتعالى: (**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**).⁵²⁷ ويقول تعالى أيضا: (**يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**).⁵²⁸

⁵²⁴ - صيقل الإسلام ص 334.

⁵²⁵ - الخطبة الشامية ص 50/ صيقل الإسلام ص 508.

⁵²⁶ - الموافقات العلامة الإمام الشاطبي ج 4 ص 140-144.

⁵²⁷ - سورة البقرة الآية: 44.

⁵²⁸ - سورة الصف الآية: 2-3.

وانطلاقاً من هذا المبدأ يرى الإمام النورسي أن سبب تأخر المسلمين وكل ما هم فيه من المشاكل والأزمات في الوقت الراهن يرجع إلى عدم التحلي بهذا المبدأ الذي يقتضي ربط القول بالعمل التناسق والانسجام بين أفعالنا وما يأمرنا به ديننا الحنيف الذي هو الإسلام. علماً أن تطبيق هذا المبدأ هو الذي أدى إلى تقدم أسلافنا ونجاحهم في مهماتهم الدعوية وتأثيرهم في جميع الناس.

يقول الإمام النورسي: "...إن الأخلاق العالية إنما تتصل بأرض الحقيقة" بالجدية" وإن أدامة حياتها وانتظام مجموعها إنما هي "بالصدق" ومتى انقطعت عرى الصدق والجدية منها، صارت كهشيم تذروه الرياح".⁵²⁹ كما يرى أن "...الأخلاق السامية كذلك لا تسمح أصلاً بتداخل الحيلة والكذب بينهما، بل تتنزه وتتبرأ وترفع عنها بحكمة التضاد فيما بينها".⁵³⁰ ويقول أيضاً: "... نريد أن تصدقوا قولكم بفعلكم".⁵³¹

إذا الإمام النورسي رحمه الله يعتبر الأخلاق علماً وعملاً وفكراً وسلوكاً، بل يرى أن المسلمين لو التزموا بمكارم الأخلاق التي يحث عليها الإسلام، لكانوا سادة العالم اليوم ولاعتنق كثير من الناس الإسلام، يقول في هذا المجال: ... لو أننا أظهرنا بأفعالنا وسلوكنا مكارم أخلاق الإسلام وكمال حقائق الإيمان لدخل أتباع الأديان الأخرى في الإسلام جماعة وأفواجا بل لربما رضخت دول العالم وقاراته للإسلام".⁵³²

. مبدأ العبودية لله:

إن منظومة الأخلاق من خلال رسائل النور تتسم بمبدأ العبودية لله تعالى، ونعني بالعبودية هنا أن التحلي ببعض مكارم الأخلاق يعتبر عبادة لله تعالى حين يحتسب المتحلي بها أجره من الله عز وجل. فمثلاً الصبر على الشدائد والعفو عند المقدرة ومساعدة العاجزين والسعي في قضاء حوائج الناس، صلاحاً وإصلاحاً، وغيرها من الأخلاق التي تتعدى منفعتها إلى الآخرين تعتبر عمادة في حد ذاتها، ومن كلامه العذب السلسبيل الذي يؤكد الذي قلناه: .. ما دامت الدنيا دار عمل ومحل عبادة فالأمراض والمصائب عدا الدينية منها وبشرط الصبر عليها تكون ملائمة جداً مع ذلك العمل، بل منسجمة تماماً مع تلك العبادة حيث أنها تمد بقوة وتشد من أزر العبادة فلا يجوز التشكي منها بل يجب التحلي بالشكر لله بها حيث أن تلك الأمراض والنوائب تحول كل ساعة من حياة المصاب عبادة ليوم كامل".⁵³³

ويقول أيضاً: "... فإذا ما تجمل المصاب بالصبر ففكر في ثواب ضره عند الله وجميل أجره عنده وشكر ربه عليها تحولت عندئذ كل ساعة من ساعات عمره كأنها يوم من العبادة، فيغدوا عمره القصير جداً، مديداً طويلاً، بل تتحول كل دقيقة من دقائق عمره بمثابة يوم من العبادة".⁵³⁴

⁵²⁹ - صيقل الإسلام ص: 143

⁵³⁰ - صيقل الإسلام ص: 143.

⁵³¹ - صيقل الإسلام ص: 427.

⁵³² - الخطبى الشامية ص 27.

⁵³³ - للمعات ص 13.

⁵³⁴ - للمعات ص 13.

. مبدأ التأسي والقُدوة بالنبي صلى الله عليه وسلم:

ونقصد بهذا أن مفهوم الأخلاق تقوم على مبدأ التأسي و القُدوة بالنبي صلى الله عليه وسلم، لأنه أعلى من يجسد أخلاق القرآن، فأى إنسان لابد أن يقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم في أخلاقه وتصرفاته...لأنه متصف بأسمى مراتب محاسن الأخلاق باتفاق الأولياء وأنه صلى الله عليه وسلم هو المختار من بين بني البشر وهو أشهر شخصية فيهم باتفاق الجميع، وما دام هو أكمل إنسان، بل أكمل قدوة ومرشد....، وما دام ملايين من أهل الكمال قد سموا في مراتب الكمالات وترقوا فيها بثمرات أتباعه فوصلوا إلى سعادة الدارين ، فلا بد أن سنة هذا النبي صلى الله عليه وسلم وحركاته هي أفضل نموذج بالافتداء وأكمل مرشد للإتباع فالسعيد المحظوظ هو من له أوفر نصيب من هذا الإتباع للسنة الشريفة.⁵³⁵ ويقول الإمام النورسي مؤكدا هذا الكلام (... إن محمدا صلى الله عليه وسلم هو المثال النموذج لما بينه القرآن الكريم من محاسن، وهو أفضل من تمثلت فيه تلك المحاسن بل إنه خلق فطرة على تلك المحاسن، ففي الوقت الذي ينبغي أن يكون كل من أفعال هذا النبي العظيم صلى الله عليه وسلم وأقواله وأحواله وكل من حركاته نموذج اقتداء للبشرية فما أتعب أولئك المؤمنين من أمتهم الذين غفلوا عن سنته صلى الله عليه وسلم ممن لا يبالون بها، أو يريدون تغييرها فما أتعبهم وما أشقاهم".⁵³⁶

وهكذا يمكن القول بأن الأخلاق الإسلامية ربانية في مصدرها وغايتها، وأن أغلبها مبنية على أسس وقواعد وقيم ثابتة لا تتغير بتغير الظروف والأحوال والمكان والزمان.

- أثر الأخلاق في الفرد والمجتمع:

إن أي مجتمع لا يمكن أن يعيش أفرادها بأمان وانسجام ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة، فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية لا يستغني عنها أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية لأن بها يتم إصلاح الفرد الذي هو الخطوة الأولى في إصلاح المجتمع كله وصدق القائل:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ** فإن هموا ذهب أخلاقهم ذهبوا⁵³⁷

إذ كيف يكون هناك ثقة متبادلة بين أفراد المجتمع لولا فضيلة الصدق التي اعتبرها العلامة النورسي أس أساس الإسلام وعقد الحياة في حياة الإسلام الاجتماعية.⁵³⁸

وكيف يكون تعايش بين الناس في أمن وسلام ولولا فضيلة الأمانة وكيف تتصور مجتمعنا مثاليا قادرا على قيادة العالم نحو الأفضل بدون مكارم الأخلاق؟ إذا فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية في كل عصر من العصور حتى تصير أفراد المجتمع أفرادا مسؤولين واعين. فالفرد المتخلق بمكارم الأخلاق لابد أن

⁵³⁵ - اللمعات ص 94 / صيقل الإسلام ص 503.

⁵³⁶ - اللمعات ص 95.

⁵³⁷ - بيت للشاعر أحمد شوقي.

⁵³⁸ - الخطبة الشامية ص 46.

يؤدي ما عليه من حقوق الله في رعيته وأسرته، وأن يؤدي لكل ذي حق حقه، فكل إنسان مكلف ومأمور بالتخلق بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وإحياء سنته الشريفة.

وفي رسائل النور نصوص عديدة تبين أهمية الأخلاق وضرورتها في المجتمع وأثرها في الفرد والمجتمع فيرى أن النبي صلى الله عليه وسلم يجسد أخلاق القرآن العلية، ما أثر في أصحابه ومجتمعه إلا بالأخلاق العلية السامية، فقد استطاع بخلقه أن يغير قبائل العرب، من أخلاق البداوة والتوحش إلى أخلاق السيادة والقيادة حتى صاروا أعظم خلق في العالم يقول الإمام النورسي: (ألا ترى هذه الأقوام المختلفة البدائية في هذه الصحراء الشاسعة المتعصبين لعاداتهم المعاندين في عصبيتهم وخصامهم، كيف رفع هذا الشخص جميع أخلاقهم السيئة البديئة، وقلعها في زمن قليل دفعة واحدة، وجهزهم بأخلاق حسنة عالية، فصيرهم معلمي العالم الإنساني وأساتذة الأمم المتمدنة).⁵³⁹

وبأخلاقه السامية أيضا (... غلب على الأفكار، وتحبب إلى الأرواح، وتسلبت على الطبائع وقلع من أعماق قلوبهم العادات والأخلاق والوحشية والمألوفة الراسخة المستمرة الكثيرة، ثم غرس في موضعها بغاية الأحكام والقوة أخلاقا عالية وعادات حسنة.. وقد بدل قساوة قلوب قوم خامدين في زوايا الوحشة بحسيات رقيقة وأظهر جوهر إنسانيتهم، ثم أخرجهم من زوايا النسيان ورقى بهم إلى أوج المدينة وصيرهم معلمي عالمهم وأسس لهم دولة عظيمة في زمن قليل، فأصبحت كالشعلة الجواله والنور النوار، بل كعصا موسى تبتلع سائر الدول وتمحوها، فأظهر صدقه ونبوته وتمسكه بالحق إلى كل من لم تعم بصيرته).⁵⁴⁰

ويرى الإمام النورسي أن التحلي بمكارم الأخلاق يؤدي إلى إزالة كثير من الأمراض المنتشرة في المجتمع إن الصدق هو أس أساس الإسلام.. فعلينا إذا أن نحى الصدق الذي هو حجر الزاوية في حياتنا الاجتماعية، في نفوسنا ونداوي به أمراضنا).⁵⁴¹

وكما يرى أن الصدق (أروج مال، وأقوم متاع، بل هو مفتاح جميع الحقائق ومرفاة عروج محمد صلى الله عليه وسلم إلى أعلى العليين ...) ⁵⁴² وإنه لا نجاة ولا سعادة إلا التمسك بحقائق الإسلام التي تتمثل في التحلي بمكارم الأخلاق واتباع شريعته ، يقول العلامة الإمام النورسي: (لا سعادة لأمة الإسلام إلا بتحقيق حقائق الإسلام وإلا فلا، ولا يمكن أن تذوق الأمة السعادة في الدنيا أو تعيش حياة اجتماعية فاضلة، إلا بتطبيق الشريعة الإسلامية، وإلا فلا عدالة قطعا ولا أمان مطلقا إذ تتغلب عندئذ الأخلاق الفاسدة، والصفات الذميمة ، ويبقى الأمر معلقا بيد الكاذبين والمرائين...).⁵⁴³

⁵³⁹ - الكلمات ص 258/المنثوي العربي النوري ص 59-60.

⁵⁴⁰ - صيقل الإسلام ص 148.

⁵⁴¹ - الخطبة الشامية ص 46.

⁵⁴² - الخطبة الشامية ص 46.

⁵⁴³ - الخطبة الشامية ص 71.

- الالتزام بمكارم الأخلاق يؤدي إلى تقدم المجتمع وسعادته.

إن التزام الناس بمكارم الأخلاق يؤدي إلى تقدم المجتمع وسعادته، وأن الغرب ما تفوقوا علينا إلا بتحليلهم ببعض المكارم التي يأمر بها ديننا الحنيف. (ويجب الإشارة هنا إلى أن الأجانب الذين سلبوا أموال المسلمين وأوطانهم. قد سلبوا منهم كذلك قسما من الأخلاق الرفيعة، وجعلوا هم الأخلاق والخصال الحميدة محورا لرقيمهم وتقدمهم، ودفعوا إلينا رذائل طبائعهم وسفاهة أخلاقهم، ومن الأمثلة على المبادئ والأخلاق التي أخذوها منا قول الواحد منهم: إن مت فلتحيا أمتي، فإن لي حياة باقية) هذه السجية أقوى أساس وأمتنه لرقيمهم وتقدمهم قد سرقوها منا، إذ هذه الكلمة تنبع من الدين والحق والإيمان فهي لنا وللمؤمنين جميعا بينما دخلت فينا أخلاق رذيلة وسجايا فاسدة فترى ذلك الأناي الذي فينا يقول: إذا مت ضمّانا فلا نزل القطر و(إن لم أرى السعادة فعلى الدنيا الفناء) فهذه الكلمة الحمقاء إنما تنبع من عدم وجود الدين ومن عدم معرفة الآخرة، فهي دخيلة علينا تسممنا، ثم إن تلك السجية الغالية عندما سرت إلى الأجانب اكتسب كل فرد منهم قيمة عظيمة حتى كأنه أمة واحدة لأن قيمة الشخص بهمته فمن كانت همته أمته فهو بذاته أمة صغيرة، وبحكم أخذنا الأخلاق الفاسدة من الأجانب فإن هناك من يقول: نفسي مع ما في أمتنا الإسلامية من سمو ووقدسية فألف رجل مثل هذا الشخص الذي لا يفكر إلا بمصلحته الشخصية ولا يبالي بمصلحة الأمة إنما ينزل بمنزلة شخص واحد.⁵⁴⁴

كما يرى الإمام النورسي أن التزام الناس بمبدأ الشورى يؤدي إلى انتشار الإخلاص والتساند في المجتمع ومن درر كلامه في هذا المبدأ: (إن الشورى الحق تولد الإخلاص والتساند إذ أن ثلاث ألفاظ هكذا (111) تصبح هائة وأحد عشرة، فإنه بالإخلاص والتساند الحقيقي يستطيع ثلاث أشخاص أن يفيدوا أمتهم فائدة مائة شخص، ويخبرنا التاريخ بحوادث كثيرة أو عشرة رجال يمكنهم أن يقوموا بما يقوم به ألف شخص بالإخلاص والتساند الحقيقي والشورى فيما بينهم.⁵⁴⁵

- التحلي بالأخلاق يدفع إلى الاعتزاز بالنفس والتواضع:

يؤكد بديع الزمان النورسي في رسائل النور على أن التحلي بمكارم الأخلاق يدفع إلى الاعتزاز بالنفس والتواضع في نفس الوقت والترفع عن السفساف (ومن شأن امتزاج كثرة من تلك الأخلاق وتجمعها وإحاطتها عزة النفس التي تولد شرفا ووقارا يترفعان عن سفساف الأمور، كترفع الملائكة وتزهرهم عن الاختلاط بالشياطين).⁵⁴⁶

ولبيان أثر الأخلاق وضح الإمام النورسي أن أسلافنا ما نجحوا في مهمتهم الدعوية إلا بأخلاقهم السلمية، وأن المسلمين اليوم لو تشبعوا بأخلاق القرآن لساد الإسلام في العالم ودخل الناس في دين الله أفواجا، ومن دور كلام النورسي في هذا المجال (... ولو أننا أظهرنا بأفعالنا وسلوكنا مكارم أخلاق

⁵⁴⁴ - الخطبة الشامية ص 56-57.

⁵⁴⁵ - الخطبة الشامية ص 60.

⁵⁴⁶ - صقل الإسلام ص 143

الإسلام وكمال حقائق الإيمان لدخل أتباع الأديان الأخرى في الإسلام جماعات وأفواجا بل لربما رضخت دول العالم وقاراته للإسلام...⁵⁴⁷.

- الأخلاق مفتاح الإصلاح:

نستطيع الوصول إلى نتيجة فيما يتعلق باب الخروج من الأزمة الراهنة، التي تكبل نهوض الأمة الإسلامية اليوم، وذلك أن الدارس لكليات رسائل النور، يمكن أن يثبت بسهولة ، أن لأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رأيا في الخلاف المشهور بين علماء الدعوة والإصلاح في الفكر المعاصر والذي مداره حول سؤالين إشكاليين هما:

طبيعة الأزمة ما هي؟

ثم كيف الخروج منها؟

ومعلوم أن الأجوبة تضاربت في ذلك وتباينت، فمن داعية يرى أن الأزمة أزمة فكرية إلى من يرى أنها أزمة روحية أو ثقافية أو اقتصادية، أو سياسية أو عسكرية.. إلى غير ذلك من الاجتهادات والتصورات. ثم يختلفون بعد الاختلاف الأول في باب الخروج منها: أهو العمل السياسي الحزبي؟ أم هو العمل الثقافي العلمي؟ أم هو العمل الروحي الصوفي.. الخ. وربما اتفقت أقوال بعضهم على توصيف معين للأزمة لكنهم يختلفون في تحديد باب الخروج كيف؟

إن بديع الزمان النورسي يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن الأزمة اليوم أزمة أمانة، لكن ليس بالمعنى الفقهي للكلمة بل هو بمعناها الكوني الراجع إلى الوظيفة الوجودية للإنسان في القرآن والتي هي عنوان الاستخلاف الرباني في قوله تعالى (**إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا**).⁵⁴⁸

ثم إن هذا المفهوم الشمولي الذي أعطاه الإمام النورسي للأخلاق جعله يعتبرها هي باب الخروج من الأزمة، صلاحا وإصلاحا، إذ بصلاحها ينهض الناس بالأمانة وبفسادها يتمردون عليها ويخونونها ، فهي غاية ووسيلة في الآن نفسه، وهي مادة التربية وهي مقصدها.

ولقد ألغى الإمام النورسي العمل السياسي . بمعناه الضيق . من الاعتبار في العملية الإصلاحية، وجعله من الهوامش والتوابع، لا من المنطلقات والأصول، في المشروع التجديد للدين، منطلقا في ذلك من الطبيعة التشريعية للإسلام من جهة، ومن فقه الواقع السياسي المعاصر، واعتبار المآلات الاجتماعية من جهة أخرى قال رحمة الله تعالى: (إن نسبة الأخلاق والعبادة وأمور الآخرة والفضيلة في الشريعة، هي تسع وتسعون بالمئة، بينما نسبة السياسي لا تتجاوز الواحد بالمئة).⁵⁴⁹

⁵⁴⁷ - صقل الإسلام ص 494. ص 71.

⁵⁴⁸ - سورة الأحزاب الآية:72.

⁵⁴⁹ - صقيل الإسلام ص: 440. المؤتمر العالمي السادس لبديع الزمان النورسي (الكونية الأخلاقية بين علوم القرآن وعلوم الإنسان دراسة في نظرية الأخلاق عند الأستاذ بديع الزمان النورسي لفريد الأنصاري.

إن الأخلاق في كليات رسائل النور هي جوهر العمل الديني، فمن خلالها خاطب الأستاذ النورسي أجيال ما بعد جيله وزمانه، وضمن للتدين امتدادا في المستقبل، بل ضمن له انتصارا على كل منظومات العولمة في كل أشكالها وكل مقولاتها.

المطلب الثالث: العدالة

يأمر الإسلام بالعدل مع الله، ومع الناس، ومع الأسرة ومع النفس، ومع كل الكائنات، وحسبنا أن العدل يمثل أحد جناحي النظام السياسي الإسلامي، القائم على العدل والشورى، قال تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ**)⁵⁵⁰، وجعل الله الشرك النقيض الأعظم للعدل، لأنه ظلم للخالق العظيم، فالشرك يعطي الذي يعبد من دون الله، حق الله الذي لا معبود سواه (**إِنَّ الشِّرْكَ لَكُفْرٌ عَظِيمٌ**)⁵⁵¹ ويعلق النورسي على هذه الآية الكريمة بقوله: " إن الشرك يحمل ظلما فاضحا، لأنه جريمة عظيمة نكراء لتعديه على حقوق كل مخلوق وإهانتة لشرفه وكرامته، ولا يظهر هذه الجريمة . جريمة الشرك . إلا نار جهنم " .⁵⁵²

والعدل ضروري بالنسبة لعلاقة الإنسان الفرد بأخيه الإنسان وعلاقته أيضا بالأسرة عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " كلكم راع ومسؤول عن رعيته والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته، والخادم في مال سيده راع ومسؤول عن رعيته) قال وحسبت أن قد قال (والرجل راع في مال أبيه).⁵⁵³ فالعدل يكون ضروري في جميع جوانب الحياة: الاجتماعية والسياسية والاقتصادية قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ**)⁵⁵⁴.

1- تعريف العدالة:

قيل معرفة دلالة مصطلح العدالة عند النورسي لا بد أولا أن نتوقف قليلا عند تعريف هذا المصطلح عند أصل اللغة وأهل الاصطلاح لننتقل بعد ذلك في معرفة دلالة المصطلح عند الإمام النورسي رحمه الله.

⁵⁵⁰ - سورة النحل الآية: 90.

⁵⁵¹ - سورة لقمان الآية: 13.

⁵⁵² - الشعاعات الشعاع الثالث ج 4 ص: 13.

⁵⁵³ - صحيح البخاري رقم 853.

⁵⁵⁴ - سورة النساء والآية: 134.

أ - معنى العدالة في اللغة:

جاء في لسان العرب: العدل في اللغة ضد الجور ومعناه: ما قام في النفوس أنه مستقيم ... وفي أسماء الله سبحانه العدل هو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم وهو في الأصل مصدر سمي به فوضع موضع العادل وهو أبلغ منه.. والعدالة وصف بالمصدر معناه ذو عدل).⁵⁵⁵

وقيل هو: (الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط... العدل هو المساواة في المكافأة إن خيرا فخير وإن شرا فشر والعدالة والمعدلة: لفظ يقتضي المساواة ويستعمل باعتبار المضايقة).⁵⁵⁶

وفي المصباح المنير - العدالة صفة توجب مراعاتها الاحتراز كما يخل بالمروءة عادة.⁵⁵⁷
وقيل العدل مصدر بمعنى العدالة وهي الاعتدال والثبات على الحق).⁵⁵⁸

فمن التعاريف اللغوية تبين أن معنى العدالة في اللغة الاستقامة والتوسط والاعتدال والمساواة.

- تعريف العدالة في الاصطلاح:

أما تعريف العدالة في الاصطلاح فقد تنوعت فيها عبارات العلماء والمحدثين والأصوليين فقد عرفها الخطيب البغدادي بقوله (العدل هو من عرف بأداء فرائضه ولزوم ما أمر به، وتوقي ما نهى عنه وتجنب الفواحش المسقطه وتحري الحق والواجب، في أفعاله ومعاملاته، والترقي في لفظه مما يثلم الدين و المروءة، فمن كانت هذه حاله فهو الموصوف بأنه عدل في دينه ومعروف بالصدق في حديثه ليس يكفيه في ذلك اجتناب مباشر الذنوب التي يسمى فاعلها فاسقا حتى يكون مع ذلك مستوفيا لما يقول كثير من الناس أنه لا يعلم أنه كبير).⁵⁵⁹

وعرفها الغزالي بقوله: (والعدالة عبارة عن استقامة السيرة والدين ويرجع حاصلها إلى هيئة راسخة في النفس تحمل على ملازمة التقوى و المروءة جميعا حتى تحصل ثقة النفوس بصدقه فلا ثقة بقول من لا يخاف الله تعالى خوفا وازعا عن الكذب، ثم لا خلاف في أنه لا يشترط العصمة من جميع المعاصي ولا يكفي أيضا اجتناب الكبائر بل من الصغائر ما يرد به كسرقة بصلة، وبالجملة كل ما يدل على ركافة دينه إلى حد يتجرى على الكذب بالأغراض الدنيوية كيف وقد شرط في العدالة التوقي عن بعض المباحات القادحة في المروءة نحو الأكل في الطريق، والبول في الشارع، وصحبة الأزدال وإفراط المزح، وضابط ذلك فيما جاوز محل الإجماع أن يرد إلى اجتهاد الحاكم فما ذل عنه على جرأته على الكذب رد الشهادة به وما لا فلا).⁵⁶⁰

⁵⁵⁵ - لسان العرب 1760/5-1761.

⁵⁵⁶ - المصباح المنير 2/397.

⁵⁵⁷ - القاموس المحيط 4/13.

⁵⁵⁸ - مختار الصحاح 415-416.

⁵⁵⁹ - كتاب الكفاية ص: 103 (باب الكلام في العدالة وأحكامها).

⁵⁶⁰ - المستصفي للغزالي ج 1 ص: 157.

وعرفها ابن الحاجب بقوله: (العدالة هي محافظة دينية تحمل على ملازمة التقوى والمروءة ليس معها بدعة وتحقق باجتناوب الكبائر وترك الإصرار على الصغائر وبعض المباح كاللعب بالحمام واجتماع مع الأزدال والحرف الدنية مما لا يليق به ولا ضرورة).⁵⁶¹

وعرفها الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى بقوله: (المراد بالعدل اجتناب الأعمال السيئة من شرك أو فسق أو بدعة).⁵⁶²

هذه بعض من تعريفات أهل العلم للعدالة في الاصطلاح وهي وإن تنوعت عباراتها إلا أنها ترجع إلى معنى واحد وهو أن العدالة ملكة في النفس تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة ولا تتحقق للإنسان إلا بفعل المأمور وترك المنهي وأن يبتعد عما يخل بالمروءة ، وأيضاً لا تتحقق إلا بالإسلام والبلوغ والعقل والسلامة من الفسق.

2- مفهوم العدالة عند النورسي:

يقول بديع الزمان النورسي: العدالة هي : إعطاء كل ذي حق حقه، فهذا القسم من العدالة محيط شامل لكل ما في هذه الدنيا لدرجة البدهة).⁵⁶³

ولمعرفة مفهوم العدالة عند النورسي وحب الوقوف على مجموعة من النقاط.

النقطة الأولى: العدالة أساس للربوبية:

يرى الإمام النورسي أن العدالة تمثل أساس مهما من أسس الربوبية فيقول في الشعاع الحادي عشر: (ثم إن الحاكم الحكيم والعليم الرحيم الذي كتب هذا الكون بشكل كتاب، حتى سجل تاريخ حياة كل شجرة في كل بذر من بذورها ودون وظائف حياة كل عشب ومهام كل زهر في جميع نواها، وكتب جميع حوادث الحياة لكل ذي شعور في قواه الحافظة الصغيرة كحبة الخردل، واحتفظ بكل عمل في ملكه كافة وبكل حادثة في دوائر سلطته بالتقاط صورها المتعددة، والذي خلق الجنة والنار والصراط والميزان الأكبر لأجل تجليات وتحقيق العدالة والحكمة والرحمة التي هي أهم أساس الربوبية).⁵⁶⁴

النقطة الثانية: العدالة مقصد أساسي في القرآن وأحد عناصره الأربعة:

فالإمام النورسي يرى أن القرآن الكريم جاء لتأكيد قضايا أربعة يدور حولها نصوص القرآن وآياته ولذلك يقول في إشارات الإعجاز (إن المقاصد الأساسية من القرآن وعناصرها الأصلية أربعة : التوحيد والنبوة والحشر والعدالة).⁵⁶⁵

ويذكرها مرة أخرى في المنثوي العربي النوري قائلاً: (اعلم أن مقاصد القرآن الأساسية وعناصره الأصلية أربعة: التوحيد والرسالة والحشر والعدالة مع العبودية فيصير سائر المسائل وسائل هذه المطالب).⁵⁶⁶

⁵⁶¹ - مختصر منتهى الأصول معه شرح القاضي عضه الملة والدين 2/43.

⁵⁶² - نزهة النظر شرح نخبة الفكر ص 29/ وانظر شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول للقرافي ص: 361.

⁵⁶³ - الكلمات والكلمة العاشرة ص: 91.

⁵⁶⁴ - الشعاعات (الشعاع الحادي عشر) ص: 299.

⁵⁶⁵ - إشارات الإعجاز ص: 23.

ويقول النورسي عن القرآن : (ونزل مهديا وموصلا لغايات إرشادية متدرجة متطاولة مع كمال الاستقامة والنظام والموازنة كأن المقصد واحد تدور تلك المقاصد والغايات على الأقطاب وهي:) التوحيد والنبوة والحشر والعدالة.⁵⁶⁷

ويكرر ذلك قائلا: ثم استمع إلى : أن المقصد الأصلي للشارع الحكيم من إرشاد الجمهور محصور في إثبات الصانع الواحد والنبوة والحشر والعدالة.⁵⁶⁸

النقطة الثالثة: العدالة أحد عناصر الكون الأربعة.

يجعل الإمام النورسي العدالة أحد العناصر الأربعة للكون من الناحية الروحية والمعنوية ، فكما أن الكون يتشكل من أربع عناصر مادية وهي الماء والهواء والنار والتراب، فكذلك تتشكل القيمة المعنوية لهذا الكون من عناصر أربعة يذكرها النورسي قائلا: (يلزم عندئذ إنكار الحقائق الأربعة الحكمة والعدالة والعناية والرحمة التي هي عناصر قوية شاملة كالنور والهواء والماء والتراب).⁵⁶⁹

بل جعل حاجة البشرية للعدالة كحاجتها للماء والهواء بقوله: (وبتوظيفه بوظائف ضرورية لازمة لوجود المخلوقات في هذه الكائنات كلزوم الرحمة والحكمة والعدالة وكضرورة لزوم الغذاء والماء والهواء والضياء).⁵⁷⁰

كما نجده يكرر ذلك مرة أخرى قائلا: (البشرية محتاجة إلى دينه وشريعته وحقائقه التي أتى بها في الإسلام حاجتها إلى الرحمة والحكمة والعدالة والغذاء والهواء والماء).⁵⁷¹

النقطة الرابعة: العدالة سنة إلهية جارية.

حيث جعلها الإمام النورسي هي ومعها الاقتصاد والطهر سنن إلهية جارية في الكون، وجعل منها دساتير إلهية شاملة تدور رحى الموجودات عليها فقال في اللمعة الثلاثين: (اعلم أن الاقتصاد والطهر والعدالة سنن إلهية جارية في الكون، ودساتير إلهية شاملة تدور رحى الموجودات عليها لا يفلت منها شيء إلا أنت أمها الشقي، وأنت بمخالفتك الموجودات كلها في سيرها وفق هذه السنن الشاملة تلقى النفرة منها والغضب عليك وأنت تستحقها).⁵⁷²

ثم يشير إلى أن هذه السنن هي عبارة عن حقائق من حقائق القرآن ودساتير الإسلام، وأنها عميقة متجدرة في حياة البشرية قائلا:

(والطهر التي هي من حقائق القرآن ودساتير الإسلام، ما أشدها إيغالاً في أعماق الحياة الاجتماعية ، وما أشدها عراقة وأصالة وأدرك من هذا مجرى قوة ارتباط أحكام القرآن بالكون وكيف أنها مدت

⁵⁶⁶ - المنثوي العربي النوري .ص: 75.

⁵⁶⁷ - المنثوي العربي النوري .ص: 230.

⁵⁶⁸ - امتنالات الإعجاز ص: 177.

⁵⁶⁹ - الكلمات (الكلمة العاشرة ص: 91).

⁵⁷⁰ - الشعاعات (الشعاع الخامس عشر) ص: 666.

⁵⁷¹ - الشعاعات (الشعاع الخامس عشر) ص: 557.

⁵⁷² - اللمعات (اللمعة الثلاثون) ص: 525.

جدورا عميقة في أغوار الكون فأحاطته بعري وثيقة لا انقصاص لها ثم أفهم منها أن إفساد تلك الحقائق ممتنع كامتناع إفساد نظام الكون والإخلال به وتشويه صورته).⁵⁷³

هذه السنن الإلهية والحقائق القرآنية هي أنوار عظيمة محيطتها بالكون وهذه الأنوار العظيمة محيطتها بالكون يذكر ذلك قائلاً، (ومثلما تستلزم هذه الحقائق المحيطية بالكون وهذه الأنوار العظيمة الثلاثة " العدالة والاقتصاد والطهر" الحشر والآخرة فهناك حقائق محيطية والأنوار العظيمة تستلزم الحشر وتقتضي الحياة الآخرة).⁵⁷⁴

- النقطة الخامسة: العدالة هي حقيقة الإسلام.

الإمام بديع الزمان النورسي يرى أن حقيقة الإسلام هي عبارة عن تجلي العدالة الأزلية في الكون ويجعلها. العدالة. هي الإنسانية الكبرى يذكر ذلك في صيقل الإسلام قائلاً: (إن الحاكم على الدهر على طباع البشر إلى يوم القيامة هو. حقيقة الإسلام. التي هي تجلي العدالة الأزلية في عالم الكون والتي هي الإنسانية الكبرى).⁵⁷⁵

- النقطة السادسة: العدالة حياة الوجود.

يجعل الإمام النورسي قوة الوجود في الحق، أما حياة هذا الوجود فيجعلها في العدالة، يقول النورسي في سيرته الذاتية: (فقوة ذلك الوجود المنور هي الحق، وحياته هي العدالة وقلبه هي المعرفة ولسانه هي المحبة وعقله هو القانون لا الشخص...).⁵⁷⁶

كما أنه يجعل العدالة ومعها الحكمة هما اللتان تجريان عجلة الوجود ويذكر ذلك النورسي قائلاً: (الاستجابة المستمرة والدائمة لما يسأل بلسان الاستعداد أو الحاجة الفكرية أو بلسان الاضطراب تظهر أن العدالة مطلقة وحكمة مطلقة هما اللتان تجريان عجلة الوجود).⁵⁷⁷

- النقطة السابعة: سعادة البشرية مرتبهة بالعدالة:

يقول بديع الزمان النورسي في صيقل الإسلام في خطبته الشامية (إن السعادة البشرية في الدنيا مرتبهة بإجراء العدالة، ولا تنفذ العدالة إلا كما بينها القرآن الكريم).⁵⁷⁸

- النقطة الثامنة: العدالة أساس الجمهورية.

يقول الإمام النورسي في صيقل الإسلام في خطبته الشامية: (فالجمهورية عبارة عن العدالة والشورى وحصر القوة في القانون)⁵⁷⁹ والعدالة هي القانون الأساس في الدولة حيث يقول: (إن المشروعية والقانون الأساسيان هما العدالة والشورى وحصر القوة في القانون).⁵⁸⁰

⁵⁷³ - للمعات (اللمعة الثلاثون) ص: 526.

⁵⁷⁴ - للمعات (اللمعة الثلاثون) ص: 526.

⁵⁷⁵ * - صيقل الإسلام (المحاكمات) ص: 51.

⁵⁷⁶ - السيرة الذاتية ص: 81.

⁵⁷⁷ - الكلمات (الكلمة العاشرة) ص: 69.

⁵⁷⁸ - صيقل الإسلام. الخطبة الشامية (ص: 523).

⁵⁷⁹ - صيقل الإسلام. الخطبة الشامية (ص: 527).

⁵⁸⁰ - صيقل الإسلام. الخطبة الشامية (ص: 525).

3. أبعاد العدالة عند النورسي

تتمثل قيمة العدالة عند النورسي في بعدين اثنين:

أ. عدل فردي:

إن الإنسان في المنظور النورسي كرمه الله عز وجل بإنسانيته المتطلعة نحو السمو والارتقاء يقول النورسي رحمه الله (إن تمام الإنسان الراضي وتفوقه على سائر الأحياء وامتيازه عليها إنما هو لسجاياه السامية ولاستعداداته الفطرية الجامعة ، ولعبوديته الكلية ولسعة دوائر وجوده) ⁵⁸¹ ، وهذا التكريم ليس خاصا بسبب الجنس أو العرق أو اللون أو غير ذلك، وإنما بسبب استعداداته الفطرية التي فطره الله عليها يقول تعالى : (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الصيوات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) ⁵⁸² ويذهب النورسي على أن تكريم الإنسان أثبتته الدراسات العلمية فيقول: (تثبت بالاستقراء التام، وتحريات العلوم وأبحاثها أن الإنسان هو أكرم المخلوقات وأشرفها، لأنه يستطيع أن يكشف بعقله عن مراتب الأسباب الظاهرية في خلق الكائنات ونتائجها ويعرف العلاقات بين العلل وأسباب المتسلسلة ، كل ذلك يثبت أن الإنسان أشرف مخلوق وأكرمه).⁵⁸³

وفي عمق هذا التكريم تتجلى الأفضلية النابعة من التقوى كما في قوله تعالى: (يا أيها الناس إننا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير).⁵⁸⁴ ولا تقوم التقوى إلا على أساسا من العدل الذي هو حق للمجتمع، ومن هنا يستمد الإنسان قيمته الإنسانية يقول النورسي وإن قيمة الإنسان بنسبة ماهيته، وماهيته بدرجة همته وهمته بمقدار المقصد الذي يشتغل به).⁵⁸⁵ ، وبقدر هذه القيمة يحقق الأسنان العدل في نفسه، وينفي الظلم عنها.. وهو عدل يجب أن يشمل جميع ما يحيط بالفرد ويرتبط به، فيعدل في جسده وروحه وفي عقله وفكره وفي علمه وتصوره وفي ممارسة علاقاته وغير ذلك من الأمر المرتبطة بتواجد الإنسان في هذه الحياة، والتي يظهر فيها توازنه، ويحفظ نفسه بتحقيق العدل فيها، فلا يضرها بأي شكل أو هيئة.

وضمن هذا المجال يقوم مفهوم العدل الفردي عند النورسي على إرشاد الإنسان إلى عدم ظلم نفسه، وذلك بغرض الإيمان الصحيح فيها وعدم ظلمها بالكفر، لأن الكفر يخرج الإنسان من ماهيته الإنسانية ويعمل على اختلال توازن العلاقة بين روحه النورانية ، وجسده الطيني ، الأمر الذي يسقطه في الشقاء والظنك، يقول تعالى: (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا) ⁵⁸⁶ والمتأمل في

⁵⁸¹ - الشعاعات ص: 278-279.

⁵⁸² - سورة الإسراء الآية: 70.

⁵⁸³ - صيقل الإسلام ص: 128.

⁵⁸⁴ - سورة الحجرات الآية: 13.

⁵⁸⁵ - صيقل الإسلام ص: 128.

⁵⁸⁶ - سورة طه الآية: 124.

رسائل النور يجد أن الهدف منها إنقاذ الإيمان وتفعيله في الممارسة السلوكية وجعله قوة دافعة تصبغ هذه الممارسة السلوكية بصبغة الحق والعدل الضابطة لكل سلوك أو عمل ، ولعل النصوص التالية تسعف في الكشف عن ذلك يقول النورسي: (والإنسان الذي تاه في كثرة المخلوقات وغرق في الكائنات وأخذ حب الدنيا بلبه حتى غره تبسم الفانيات وسقط في أحضانها، لاشك أن هذا الإنسان يخسر خسرانا مبينا، إذ يقع في الضلال و الفناء والعدم، أي يعدم نفسه معنى ففي هذا الإعدام المعنوي ظلم كبير للنفس البشرية كما يرى النورسي مصداقا لقوله تعالى: (إن الشرك لظلم عظيم)⁵⁸⁷ ، لكن إذا ما رفع الإنسان رأسه، واستمع بقلب شهيد لدروس الإيمان من لسان القرآن، وتوجه إلى الوجدانية فإنه يستطيع أن يصعد بمعراج العبادة إلى عرش الكمال والفضائل فيغدوا إنسانا باقيا).⁵⁸⁸

وهذه الرؤية القرآنية تمتد عند النورسي لتشمل تحويل الإيمان الغافل في نفس المسلم إلى إيمان فاعل تحقيقي يربط الإنسان بخالقه، ويقوي صلته بثوابت الكون الظاهرة والخفية، ويدفعه إلى البحث والتأمل والتخلق الأمر الذي ينتج عنه الطمأنينة والسلام والقوة قال تعالى: (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قولا)⁵⁸⁹ . فالإنسان بدون أن يحقق العدل في نفسه بإضاءتها بالإيمان تظل مظلمة ظالمة له ولمن حوله، لا تعكس تجليات لأسماء الحسنى.

إن هذه الرؤية القرآنية التي يرى من خلالها الإمام النورسي، تدفعه إلى تأكيد الأصول والكليات التي يقوم عليها الخطاب القرآني فيركز على قيم الإسلام وأخلاقياته المستوحاة من الوحي الخالد القائم على ميزان العدل، ويقدم العدالة باعتبارها قيمة أخلاقية يسعى إليها المسلم، بل الإنسان أينما كان ، لتحرير المجتمعات من الاستعلاء والاستعباد والاستغلال والظلم، وبنائها على الحق بدلا من القوة وعلى رضا الله بدلا من المنفعة، والتعاون والتراحم بدلا من الصراع.. والتراحم، فهي مقصد شرعي وأصل أخلاقي يحمي المجتمعات من الأمراض المعنوية كالكرهية والحقد والحسد والكذب وغيرها، ويشيع فيه قيما إيجابية قائمة على الصدق والتسامح والتساند وغيرها من الأخلاق الناتجة عن إقامة العدل.

ب . عدل جماعي:

وهو العدل الذي يعنى حقوق الآخرين وما يجب نحوهم من احترام وتقدير، فيعتدل الفرد في أخذ ما له من حقوق وأداء ما عليه من واجبات ، في كل شيء، في الحكم والقضاء، في القول والفعل ، في الأخذ والعطاء في البيع والشراء في الشهادة والأمانة في البيت وخارجه في الاختيار وتولية المناصب والأعمال في كل شيء.

ويسعى النورسي في قراءة ما وصل إليه الواقع من ظلم وتردي من منطلق الوعي الدقيق به، وتقديم القيم في الخطاب القرآني لتفعيلها في إخراج الإنسانية مما تعانیه، لأنها . القيم . تمتلك الميزان الذي تقيم به العدل متى توفرت الإرادة المترجمة إلى عمل وسلوك، ويمكن تلمس أبرز مظاهر هذه القيم كما يراها النورسي في المكونات التالية:

⁵⁸⁷

⁵⁸⁸ - الكلمات ص: 418.

⁵⁸⁹ - سورة الفرقان الآية: 67.

أولاً: المساواة: لا يمكن لأي مجتمع أن ينضبط ويرفي إلا بتطبيق المساواة عند تنزيل قيمة العدل في الممارسة السلوكية، إذ أن العدالة أساسها المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات المعاملات يقول تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون)⁵⁹⁰، ويتأمل رسائل النور تجد أنها تشير إلى المساواة التي تضمنها الخطاب القرآني من خلال أربع زوايا:

- الزاوية الأولى: المساواة بين الفرد والمجتمع:

إن حق الفرد لا يبطل ولو من أجل الناس أجمعين يقول تعالى: (ولا تزولوا زواجركم من أجل الناس أجمعين يقول تعالى)⁵⁹¹ فالعدالة الإلهية تفيد أنه لا يجب معاقبة إنسان بجريرة غيره أو هضم حقه في سبيل آخرين ومن هذا المنطلق لا يجوز التضحية بالفرد لأجل الجماعة لأن له واقع وأحداث قاسية ظالمة تحت اسم أهون الشريف الذي اتخذه بعض الحكام نوعاً من أنواع العدالة الإضافية والنسبية وأبرزوه لمصلحة إقامته حكمهم،⁵⁹² ولذا نجد النورسي يؤكد على العدالة القرآنية المحضنة لا تهدردم بريء ولا تزهد حياته حتى لو كان في ذلك حياة البشرية جمعاء.⁵⁹³

- الزاوية الثانية: المساواة بين الذكر والأنثى

الخطاب القرآني يساوي بين الرجل والمرأة في الإنسانية وفي الحقوق والواجبات كل منهما في إطار خصائصه النوعية ويقضي لهما بالحق والعدل جزاء ما يقترfan من أعمال يقول تعالى: (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون فيها)⁵⁹⁴. وفي إشارته للحكم القرآني: (فللذكر مثل حظ الأنثيين)⁵⁹⁵ يقول النورسي: (إن المدينة التي لا تتحاكم على المنطق العقلي تنتقد الآية الكريمة (فللذكر مثل حظ الأنثيين) التي تمنح النساء الثلث من الميراث (أي نصف ما يأخذه الذكر) ومن البديهي أن أغلب الأحكام في الحياة الاجتماعية إنما تسن حسب الأكثرية من الناس، فغالبية النساء يجدن أزواجا يعيلونهن، بينما الكثير من الرجال مضطرون إلى إعالة زوجاتهم وتحمل نفقاتهن، فإذا ما أخذت الأنثى من أبيها (- أي نصف ما يأخذه الزوج من أبيه) فإن زوجها سيسد حاجاتها بينما إذا أخذ الرجل حظين من أبيه فإنه سينفق قسطاً

⁵⁹⁰ - سورة المائدة الآية: 8.

⁵⁹¹ - سورة الأنعام الآية: 164.

⁵⁹² - الكلمات ص: 301.

⁵⁹³ - الكلمة الثالثة والثلاثون.

⁵⁹⁴ - سورة النساء الآية: 124.

⁵⁹⁵ - سورة النساء الآية: 176.

منه على زوجته، وبذلك تحصل المساواة ويكون الرجل مساويا لأخته، وهكذا تقتضي العدالة القرآنية".⁵⁹⁶

- الزاوية الثالثة: المساواة بين القوميات:

ومن أسس العدالة عدم التفرقة بين بني البشر والمساواة بينهم دون اعتبار لأي انتساب عرقي أو غيره، يقول الإمام النورسي عن المساواة بين المسلمين. (إن الاسس المتبعة في القومية والعنصرية أسس ظالمة لا تتبع العدالة ولا توافق الحق إذ لا تسير تلك الاسس على وفق العدالة، لأن الحاكم العنصري يفضل من هم بنو جنسه على غيرهم، فأنى له أن يبلغ العدالة، بينما الاسم يدب ما قبله من عصبية جاهلية، لا فرق بين عبد حبشي وسيد قرشي إذا أسلما فلا يمكن إقامة رابطة القومية بدلا من رابطة الدين في ضوء هذا الأمر الجازم إذ لا تكون هناك عدالة قط، وإنما تهدر الحقوق وتضيع الإنصاف).⁵⁹⁷

وحين سئل رحمه الله عن المساواة مع غير المسلمين أجاب قائلا: (المساواة ليست في الفضيلة والشرف بل في الحقوق، فالسلطان الملك والفقير المسكين كلاهما سيان في الحقوق.. فياللعجب إن الشريعة التي نهت عن تعذيب نملة وأمرت ألا تداس عمدا، أهمل حقوق بني آدم كلا.⁵⁹⁸

- الزاوية الرابعة: المساواة بين الأديان

يعتبر النورسي الوحدة والمساواة بين الأديان السماوية وإمكانية التعاون بينها ، أساس لرفع وثيرة الإيمان في نفوس المؤمنين من مختلف الأديان لمواجهة موجات الإلحاد الجارفة التي تؤدي إلى الظلم والعنف وعدم الرحمة فيدعوا كل المؤمنين سواء كانوا مسلمين أو نصارى إلى رفع الظلم عن أنفسهم بتثبيت الإيمان ومواجهة العدو المشترك يقول النورسي (لقد ثبت في الحديث الصحيح أن المتدينين الحقيقيين من النصارى سيتفقون في آخر الزمان مستندين إلى أهل القرآن للوقوف معا تجاه عدوهم المشترك الزندقة لذا فأهل الإيمان والحقيقة في زماننا هذا ليسوا بحاجة إلى الاتفاق الخالص فيما بينهم وحده، بل مدعون أيضا إلى الاتفاق حتى مع الروحانيين المتدينين الحقيقيين من النصارى فيتركوا مؤقتا كل ما يثير الخلافات والمناقشات دفعا لعدوهم المشترك الملحد المتعدى).⁵⁹⁹

ثانيا: التوازن

من شأن العدالة أن يكون لها ميزان دقيق تضبط به الممارسة السلوكية للفرد، وإذا كان التوازن أساس الكون فإنه ضروري لاستمرار الوجود الإنساني من هنا كانت العدالة عند النورسي من مكوناتها

⁵⁹⁶ - الكلمة الخامسة والعشرون.

⁵⁹⁷ - المكتوب الخامس عشر.

⁵⁹⁸ - صيقل الإسلام ص: 399

⁵⁹⁹ - صيقل الإسلام ص: 358.

أنها تقوم على دعامة خضوع الكون بكل مخلوقاته لله العادل الحكيم، وهو خضوع يستمد إلى توازن دقيق تنتظم عناصره ومفرداته في سوق موحد يصب في مجال التوحيد، فالذي يدبر أمر هذا الكون هو الذي يحافظ على كل شيء فيه ضمن نظام وميزان لأنهما مظهران من مظاهر العلم والحكمة.

وكما خلق الله تعالى ذرات أي عنصر في الكون متوازنة بالفطرة من حيث القيمة الموجبة مساوية للقيمة السالبة، فإنه تعالى خلق الإنسان من مادة وروح وألهم نفسه الخير والشر. (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلم من زكاتها وقد خاب من دسها⁶⁰⁰).⁶⁰¹

وهنا يتجلى عدل الله عز وجل بأبرز صورته حين يفلح من يزكي نفسه ويطهرها من شوائب الشر، يقول النورسي (أما أهل الحقيقة فهم متوازنون آمنوا بالخالق المبدع والقدير المطلق الذي يبدع كل شيء من العدم ويبيني ويصنع ويتقن قسما من الموجودات من عناصر الكون نفسه إظهارا لكمال حكمته وتبينا لتجليات أسمائه الحسنی).⁶⁰²

ولا يكتفي النورسي بعرض مكون التوازن وأهميته في إقامة العدل بل يبسط في حكمة التقابل المتوازن بين القيم المتقابلة فيقول: إن تقابل الخير والشر في هذا الكون واللذة والألم والنور والظلام والحرارة والبرودة والجمال والقبح والهداية والضلالة وتداخل بعضها ببعض إنما هي لحكمة كبرى، لأنه ما لم يكن هناك الشر فلا يفهم الخير، وما لم يكن هناك الألم فلا تعرف اللذة، مقياسا على هذا يمكن أن يعرف كل شيء من جهة ضده وبوجود الضد يمكن أن تثمر حقيقة واحدة، حقائق عدة).⁶⁰³ ولا يقيم التقابل المتوازن بين القيم فقط، وإنما يشير أيضا إلى العدالة في توزيع المقامات والأرزاق الممثلة للتوازن القائم على الرحمة بين الغني والفقير، العالم والجاهل الرئيس والمرؤوس، ويذهب إلى القول بأن أساس هذا التوازن هو رحمة الخواص)⁶⁰⁴، وهذا الأمر يسلمنا إلى مكون آخر من مكونات العدالة والرحمة.

ثالثا: الرحمة:

من أبرز القيم التي تقيم العدل وتسعف فيه الرحمة وقد ذكر القرآن الكريم أن العدالة تتجلى في رحمة الله الشاملة لكل الكون يقول تعالى: (ورحمتي وسعت كل شيء)⁶⁰⁵، ويشير النورسي إلى أن بعض المظاهر التي قد لا يطلع الإنسان على تجليات الرحمة فيها. كالفناء والزوال والموت تعبر عن منتهى الرحمة الإلهية العامة (والحسن المحيط والخير الشامل فكما أن كل أنواع البر والنعم آتية

⁶⁰⁰ -سورة الشمس الآية: 7-10.

⁶⁰¹ - قيمة العدل في الانضباط السلوكي عند النورسي انظر فكر بديع الزمان النورسي في العدالة في الإسلام في ضوء رسائل النور لعبد الرحيم شلي.

⁶⁰² - للمعات ص: 296-297.

⁶⁰³ - الشعاعات ص: 290.

⁶⁰⁴ - الكلمات ص: 474.

⁶⁰⁵ - الأعراف الآية: 156.

مباشرة من خزينة رحمة ذلك الجميل المطلق والرحيم المطلق فهو الفاعل المختار، وكب شيء وثيق الصلة بمشيئة الله تعالى وقوانينه العامة).⁶⁰⁶

والإنسان مطالب بالتفكير في الرحمة الإلهية وتدبرها وتفعيلها في إقامة العدل ومن أجل إخراج الأمة مما تعانيه من تخلف فقد شخص النورسي الأمراض المباشرة في ما وصلت إليه الأمة وما تعانيه في خمس أمراض:

. اليأس أو القنوط.

. موت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية.

. حب العداوة.

. تجاهل الروابط الروحية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض.

. ذيوع الاستبداد.

. حصر الهمة في المنفعة الشخصية دون الانتفاع إلى النفع العام⁶⁰⁷

المتأمل يجد أن الرابط بين هذه الأمراض هو الظلم، أي انتفاء العدل، وخاصة في مكونه الأساس " الرحمة".

وبالنظر إلى الدواء الذي يصفه الإمام النورسي نجد أنه يشير مباشرة إلى القرآن الكريم " فلكي تعالج هذه الأمراض الفتاكة لا بد من استشارة القرآن الكريم، الذي هو بمثابة كلية طب في حياتنا الاجتماعية فنأخذ من صيدلية تلك الكلية ست كلمات إذ أنني لا أعرف أسلوباً للمعالجة سواها.⁶⁰⁸

وهذه الكلمات الست التي يوصي بها تتظمنها روح العدالة التي جاء بها كتاب الله تعالى، هي: الأمل والثقة بالرحمة الإلهية، والصدق والمحبة والاتحاد والحرية والشورى.⁶⁰⁹

لاشك أن هذين البعدين . الفردي والجماعي . يرهما النورسي يكشفان عن عالمية القيم والمبادئ القرآنية التي تحقق العدل والمساواة بين بني البشر بميزان العدل الإلهي الدقيق الذي يحكم بالحق كل شيء.

- تطبيقات في العدالة:

أ. ميراث الذكور والإناث:

لما كانت العقول البشرية المحدودة لا ترغب في التأمل بعدل ميراث الإخوة والأخوات في الإسلام، وقد جعل بعض الناس مسألة الميراث مثار شبهة على التشريع الإسلامي كان رد الإمام النورسي رحمه الله تعالى بقوله: إن الحكم القرآني: (فللذكر مثل حظ الأنثيين)⁶¹⁰ محض العدالة وعين الرحمة

⁶⁰⁶ - الشعاعات ص: 38.

⁶⁰⁷ - الخطبة الشامية ص: 30-31.

⁶⁰⁸ - الخطبة الشامية ص: 31.

⁶⁰⁹ - الخطبة الشامية ص: 38.

⁶¹⁰ - سورة النساء الآية: 176.

في الوقت نفسه نعم إن ذلك الحكم عدالة، لأن الرجل الذي ينكح امرأة يتكفل بنفقتها كما هو في الأكثرية المطلقة أما المرأة تتزوج الرجل وتذهب إليه وتحمل نفقتها عليه فتلاقي نقصها في الإرث. ثم إن الحكم القرآني رحمة، لأن تلك البنت الضعيفة محتاجة كثيرا إلى شفقة والدها وعطفه عليها وإلى رحمة أخيها ورأفته بها فهي تجد . حسب الحكم القرآني . تلك الشفقة عليها من والدها وعطفه دون أن يكدرها حذر، إذ ينظر إليها والدها نظرة من لا يخشى منها ضررا. ولا يقول بأنها ستكون سببا في انتقال نصف ثروتها إلى الأجنبي والأغيار، فلا يشوب تلك الشفقة والعطف الأبوي الحذر والقلق. ثم إنها ترى من أخيها رحمة وحماية لا يعكرها حسد ولا منافسة إذ لا ينظر إليها أخوها نظر من يجد فيها منافسا له يمكن أن تبدد نصف ثروة أبيها بوضعها في يد الأجنبي، فلا يعكس صفو تلك الرحمة والحماية حقد وكدر. فتلك البنت اللطيفة الرقيقة فطرة، والضعيفة النحيبة خلقة، تفقد في هذه الحالة شيئا قليلا في ظاهر الأمر.

إلا أنها تكسب . بدلا منه . ثروة لا تفنى من شفقة الأقارب وعطفهم عليها ورحمتهم بها، وإلا فإن إعطائها نصيبا أكثر مما تستحق بزعم أن ذلك رحمة في حقها يزيد من رحمة الله سبحانه، ليس رحمة بها قط بل ظلم شنيع في حقها، ربما يفتح سبيلا أمام الحرص الوحشي المستولي على النفوس في هذا الزمان لارتكاب ظلم أشنع، يذكر بالغيرة الوحشية التي كانت مستولية على النفوس في زمن الجاهلية في وأدهم البنات.

فالأحكام القرآنية كلها تصدق . كما يصدق هذا الحكم . قوله تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)⁶¹¹ .⁶¹²

ويشير إلى تنطع المدينة المعاصرة في تعاملها على عدالة التشريع الإسلامي فيقول: (إن المدينة التي لا تتحاكم إلى المنطق العقلي تنتقد الآية الكريمة: (للذكر مثل حظ الأنثيين)⁶¹³ التي تمنح النساء الثلث في الميراث (أي نصف ما يأخذه الذكر). ومن البديهي أن أغلب الأحكام في الحياة الاجتماعية إنما تسن حسب الأكثرية من الناس، فغالبية النساء يجدن أزواجا يعيلونهن ويحمونهن، بينما الكثير من الرجال مضطرون إلى إعالة زوجاتهم وتحمل نفقاتهن، فإذا ما أخذت الأنثى الثلث من أبيها (أي نصف ما أخذه الزوج من أبيه) فإن زوجها يسد حاجتها. بينما إذا أخذ الرجل حظين من أبيه فإنه سينفق قسطا منه على زوجته وبذلك تحصل المساواة. ويكون الرجل مساويا لأخته وهكذا تقتضي العدالة القرآنية.⁶¹⁴

⁶¹¹ - سورة الأنبياء الآية: 107.

⁶¹² - العدالة الاجتماعية في الإسلام من فكر بديع الزمان النورسي لعلاء الدين زعتري.

⁶¹³ - النساء الآية 11

⁶¹⁴ - العدالة الاجتماعية في الإسلام من فكر بديع الزمان النورسي لعلاء الدين زعتري

ب . معاقبة المسيء، والعدل في القضاء:

شرع الإسلام في القضاء مبادئ وأصولاً ومناهج لإقامة العدل تعد دستوراً لجميع قضاة الأرض، وستظل علماً ونوراً يهتدون به ويسيروا في ضوئه في كل مكان وعلى كل الأزمان، من هذه المبادئ والأصول.

- أنه صلى الله عليه وسلم أوجب على كل قاض أن لا يقضي في الحادثة حتى يسمع كلام الخصوم سماع فهم وتدبر، لقوله صلى الله عليه وسلم للإمام علي كرم الله وجهه " إذا تقاضى إليك رجلان فلا نقض للأول حتى تسمع كلام الآخر، فسوف تدري كيف تقضي ، قال علي فما زالت قاضياً بعد."⁶¹⁵

. أوجب رسول الله صلى الله عليه وسلم على القاضي حين يقضي أن يكون حاضر الذهن هادئ البال غير منفعل ولا غضبان، حتى يأمن الخطأ في قضاءه فقال صلى الله عليه وسلم " لا يقضي حاكم بين اثنين وهو غضبان."⁶¹⁶

. شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم مبدأ البينة على إقامة الحق والعدل فقال: البينة على المدعي واليمين على من أنكر."⁶¹⁷

ويشير العلامة الإمام النورسي إلى أهمية العدالة في القضاء والحكم بقوله لقوله: (إن الآية الكريمة: **ولا تزر وازرة وزر أخرى**)⁶¹⁸ تفيد العدالة المحضة أي لا يجوز معاقبة إنسان بجريرة غيره. إن لم تكن تصرفات المؤمن وحركاته وفق الدساتير السامية التي وضعها الحديث الشريف (الحب في الله والبغض في الله)⁶¹⁹. والاحتكام إلى أمر الله في الأمور كلها فالنفاق والشقاق يسودان.

إن الذي لا يستهدي بتلك الدساتير يكون مقترفاً ظلماً في الوقت الذي يحال تطبيق العدالة. في إحدى الغزوات الإسلامية كان الإمام علي رضي الله عنه يبارز أحد فرسان المشركين، فتغلب عليه الإمام وصرعه، فلما أراد الإمام أن يجهز عليه تفل على وجه الإمام، فما كان من الإمام إلا أن أخلى سبيله وانصرف عنه، فاستغرب المشرك من هذا العمل فقال: إلى أين؟ قال الإمام: كنت أقاتلك في سبيل الله، فلما فعلت ما فعلت خشيت أن يكون قتلي إياك فيه ثأر لنفسي فأطلقتك لله فأجابه الكافر، كان الأولى أن تثيرك فعلي أكثر فتسرع في قتلي ومادمت تدينون بدين هو في منتهى السماحة فهو بلا شك دين حق.

وفي قصة أخرى: عزل حاكم مسلم قاضيه لما رأى منه شيئاً من الحدة والغضب أثناء قطعه يد السارق.

⁶¹⁵ - رواه الترمذي وقال عنه أن حديث حسن.

⁶¹⁶ - الدراري المضيئة الشوكاني 415/1.

⁶¹⁷ - فتح الباري لابن حجر 283/5.

⁶¹⁸ - الأنعام الآية 164.

⁶¹⁹ - مصنف أبي تيمية 170/6.

فما ينبغي لمن ينفذ أمر الله أن يحمل شيئاً من حظ نفسه على المحكوم، بل عليه أن يشفق على حاله دون أن تأخذه رافة في تنفيذ حكم الله، وحيث أن شيئاً من حظ النفس قد اختلط في الأمر وهو مما ينافي العدالة الخالصة فقد عزل القاضي".⁶²⁰

⁶²⁰ - المكتوبات (المكتوب الثاني والعشرون).

الفصل الثاني: وسائل الإمام النورسي في الإصلاح.

المبحث الأول: التبليغ والإرشاد (الدعوة).

كان من رحمة الله عز وجل بالناس أن جاءتهم الدعوة الإلهية بما اشتملت عليه من أسس صالحة، ونظم كاملة لكافة جوانب الحياة، وقد أوجب الله عز وجل تبليغ دعوته للناس حيث أمر رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بذلك في قوله تعالى: {ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن} ⁶²¹.

والأمر يفيد الوجوب ومن المعلوم الأصل في خطاب الله عز وجل لرسوله دخول أمته فيه إلا ما استثنى وليس هذا المستثنى أمر الله تبارك وتعالى بالدعوة لدينه، فبقي وجوب تبليغ الدعوة على المسلمين كما وجب على رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد وجه الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه هذا الواجب حيث أمرهم وقال: "ليبلغ الشاهد منكم الغائب" ⁶²². كما أن طبيعة الإسلام تؤكد هذا الواجب لأنه دين عام خالد يستلزم استمرار الدعوة إليه وتبليغه للناس.

وواجب تبليغ الدعوة في الحقيقة هو جدير برسول الله صلى الله عليه وسلم، ومواهبه وإيمانه وخلاصه، ومن بعده يجب أن يستمر على نمطه بواسطة دعاة يعدون لحمل الأمانة وأداء الواجب المطلوب والنورسي رحمه الله واحد منهم.

وإعداد الدعاة واجب حيث أمر الله بذلك في قوله تعالى: {وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون} ⁶²³.

ومن الآية الكريمة يتضح أن على المسلمين ألا يخرجوا جميعاً للجهاد في سبيل الله، وإنما عليهم أن يخصصوا كل جماعة نفرًا يخرجون للدعوة يتحملون المشقة في فقها، ومعرفة طرق الإنذار بها، قاصدين من هذا الإعداد إرشاد غيرهم والنصيحة لهم أملاً في هدايتهم وإيمانهم.

وقال تعالى: {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون} ⁶²⁴، فالله عز وجل أمر أن يكون بين المسلمين جماعة تتخصص في الدعوة إلى الخير تعلم المعروف وتأمربه، وتدرك المنكر وتنبه عنه، وتصدير الآية بلام الأمر يفيد وجوب إيجاد هذه الفئة العاملة لتبليغ الدعوة.

⁶²¹ - سورة النحل: الآية: 125.

⁶²² - صحيح البخاري: كتاب العلم، باب لتبليغ الشاهد الغائب.

⁶²³ - سورة التوبة: الآية: 122.

⁶²⁴ - سورة آل عمران: الآية: 104.

المطلب الأول: صفات الداعية.

وحتى يكون الداعية على قدر المسؤولية في التبليغ وجب تمتعهم بصفات منها:

1- الإيمان العميق: الإيمان هو الركيزة الأساسية للداعية وهو القاعدة التي يقوم عليها كيانه كله، والواجب أن تكون صلته بالله عز وجل أوثق ومعرفته به أوضح وشعوره بجلاله أقوى وارتباطه بمنهجه أشد.

إن هذا الإيمان يعني التسليم التام لله لأنه النافع الضار، المعز المذل، كما ينبغي التيقن بأن الدين لله حق كله لا يحتاج لجدل ولا يقبل شكاً ومراجعة.

ويجب إيمان الداعية أن يكون إيمانا تفصيليا على الأدلة والحجة، وأقرب طريق لتأكيد هذا الإيمان مداومة النظر في القرآن الكريم والعكوف على تلاوته وحفظه وتدبر معانيه وتنفيذ تعاليمه، وتبيين أحكامه من خلال دراسته للسنة المطهرة.

ونتائج هذا الإيمان تفيد الداعية وتعينه على الدعوة، لأنه يحب الله، ويصير محبوباً من موله قال تعالى: {والذين آمنوا أشد حبا لله} ⁶²⁵، وقال أيضا: {يحبهم ويحبونه} ⁶²⁶.

والإيمان يعين على الدعوة أيضا حيث يندفع الداعية نحو الإخلاص والعمل ودعوة الناس بلا انتظار أجر مالي، أو الحصول على كسب دنيوي وكل القصد هو طاعة الله وكسب رضاه بالدعوة لأنه يؤمن بأن أحسن الأقوال وأفضل الأعمال ما كان للدعوة وفي سبيلها.

2- العلم الدقيق: دور الداعية يحتاج إلى العلم الوفير والأفق الواسع، لأنه يوضح الدين ويبين للناس سمو مبادئه ونظمه، ويرد الشبهات التي تثار أمامه، ومن هنا كانت حاجته إلى التحصيل الدائم والمعرفة الشاملة.

وطبيعة الإسلام تتطلب من الدعاة أن يكونوا علماء فقهاء، لأن الدين يؤخذ من القرآن والسنة الشريفة، وكلاهما يحتاج إلى القراءة المستمرة والتدبر الواعي، والفهم السليم كما أن تبليغ الإسلام يحتاج إلى معرفة الناس ومعرفة أمثل الطرق للتوجه إليهم وإقناعهم وأهم جوانب علم الداعية:

- العلم بالدعوة: العلم بها من أساسيات علم الداعية، لأن فاقده الشيء لا يعطيه.
- العلم بالمدعوين: يتنوع المدعوين تنوعا واضحا بسبب ما بينهم من اختلاف، ومخاطبة كل نوع يحتاج لطريقة معينة لأن ما يؤثر في جماعة لا يؤثر في غيرها، وهذا العلم من أهم جوانب علم الداعية في العصر الحديث لكثرة المذاهب الوضعية وانتشارها ونشاط دعائها.
- العلم بوسائل الخطاب: وسائل تبليغ الدعوة عديدة، ولكل منها منهجا، ولا بد للداعية من معرفة هذه الوسائل وعليه أن يتقن الطريقة المثلى لتطبيق كل وسيلة مع المخاطبين بعد إعدادها وتنظيمها، ووسائل الدعوة عديدة وقد أضاف العلم الحديث إليها العديد من الوسائل.

⁶²⁵ - سورة البقرة: الآية: 165.

⁶²⁶ - سورة المائدة: الآية: 54.

3- الخلق المتين: حتى يتق المدعون بالداعية ويقدرونه يجب أن يتحلى بالخلق الكريم، وأن يقدر الناس ويكون صادقاً معهم، كريماً في معاملتهم، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: "إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم"⁶²⁷.

إن الأخلاق فوق أنها كمال ذاتي للداعية فهي مدعاة لتبوءه قيادة الناس وتوجيههم والدعاة في ذلك إسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم لقد تمتع بالخلق واشتهر في الناس بالصدق والأمانة، والحلم والعفو والكرم وحب الخير للناس، وصدق الله تعالى وهو يقول: {وإنك لعلی خلق عظیم}، وهكذا يجب أن يكون الدعاة.

المطلب الثاني: وسائل ومنهج التبليغ عند النورسني

1- وسائل التبليغ:

تبليغ الدعوة إلى الله تكون بالقول وبالعمل وبسيرة الداعي التي تجعله قدوة حسنة لغيره فتجذبهم إلى الإسلام ويمكن الحديث عن ثلاث أقسام لوسائل التبليغ:

- التبليغ بالقول.

- التبليغ بالفعل.

- التبليغ بالقدوة الحسنة.

أ- التبليغ بالقول:

القول هو الأصل في تبليغ الدعوة إلى الله فالقرآن هو قول رب العالمين نزل به الروح الأمين على محمد صلى الله عليه وسلم ليكون به التبليغ قال تبارك وتعالى: {ولن أحد من المشركين استجارك فاجر حتى يسمع كلام الله}⁶²⁸.

وكان تبليغ رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسالة ربه للناس بالقول قال تعالى مخاطباً رسوله وأمره له أن يقول للناس: {قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم}⁶²⁹. {قل يا أيها الناس إنني رسول الله إليكم جميعاً}⁶³⁰.

وكذلك أمر الله عز وجل رسله أجمعين بتبليغ أقوامهم رسالة ربهم بالقول المبين قال تعالى: {لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرهِ}⁶³¹. {وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين}⁶³².

⁶²⁷

⁶²⁸ - سورة التوبة: الآية: 6.

⁶²⁹ - سورة يونس: الآية: 108.

⁶³⁰ - سورة الأعراف: الآية: 1/9.

⁶³¹ - سورة الأعراف: الآية: 59.

⁶³² - سورة الأعراف: الآية: 104.

فلا يجوز للداعي أن يغفل مكانة القول في تبليغ الدعوة ولا أثر الكلمة الطيبة في النفوس فالقول إذن هو الوسيلة الأصلية في إيصال الحق للناس.
والنورسي رحمه الله استعمل هذه الوسيلة في دعوته، رغم أن هامش الحرية التي أتيح له لم يكن واسعاً، بل كان ضيقاً، رغم ذلك لم يضيع الوقت والفرص المتاحة له، فكان داعياً داخل السجن، وداعياً خارجه، كان ينصح السجناء ويرشدهم للهدى الرباني وكان يستغل مرافعاته في المحكمة للتأثير في الناس ودعوتهم للرجوع إلى القيم والمبادئ والأخلاق الإسلامية.

* للتبليغ بالقول ضوابط منها:

- أن يكون القول واضحاً بيناً لا غموض فيه ولا إبهام مفهوم عند السامع، لأن الغرض من الكلام إيصال المعاني المطلوبة إلى من يكلمه، ولهذا أرسل الله عز وجل رسوله بالسنة أقوامهم حتى يفهموا ما يدعونهم إليه ويستطيعون بيانه إليهم قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾⁶³³.

وجعل الله تعالى وظيفة الرسل الكرام التبليغ المبين لتقوم الحجة على المخاطبين قال تعالى: ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾⁶³⁴.

- أن يكون الكلام خالياً من الألفاظ المستحدثة التي تحتمل حقاً وباطلاً وخطأً وصواباً، وعلى الداعي أن يحرص على استعمال الألفاظ الشرعية المستعملة في القرآن الكريم والسنة الشريفة، وعند علماء المسلمين، وإذا اضطُر الداعي إلى استخدام الألفاظ المستحدثة فعليه أن يبين مقصوده منها حتى لا يتبادر إلى الأذهان المعاني الباطلة التي تحملها هذه الألفاظ.

* أنواع القول:

- القول في مجال التبليغ أنواع منها:

* الخطبة.

* الدرس.

* المحاضرة.

* المناقشة.

* التحديث أمراً بالمعروف أو نهياً عن المنكر.

ب- التبليغ بالعمل:

العمل هنا في مجال التبليغ هو إزالة المنكر فعلاً وهذا هو الغالب ويجوز أن لا يكون في العمل إزالة منكر وإنما فيه إقامة معروف مثل بناء مسجد أو مدرسة، أو نحو ذلك مما يسهل أو يحقق إقامة

⁶³³ - سورة إبراهيم: الآية: 4.

⁶³⁴ - النور: الآية: 54.

شرع الله في جانب من جوانبه، ويكون هذا العمل كدعوة صامته إلى الإسلام ووسيلة فعالة من وسائل نشر الدعوة إلى الله⁶³⁵.

ج- التبليغ بالسيره الحسنه:

من الوسائل المهمة جدا في تبليغ الدعوة إلى الله وجذب الناس إلى الإسلام، السيرة الطيبة للداعي وأفعاله الحميدة وصفاته العالية وأخلاقه الزاكية مما يجعله قدوة طيبة وإسوة حسنة لغيره، ويكون بها كالكتاب المفتوح يقرأ فيه الناس معاني الإسلام فيقبلون عليها وينجذبون إليها، لأن التأثير بالأفعال والسلوك أبلغ وأكثر من التأثير بالكلام فقط.

والإسلام انتشر في كثير من بلاد الدنيا بالسيره الطيبة للمسلمين التي كانت تجلب أنظار غير المسلمين وتحميلهم على اعتناق الإسلام، فالقدوة الحسنه التي يحققها الداعي بسيرته الطيبة هي في الحقيقة دعوة عملية للإسلام.

ومن السوابق القديمة في أهمية السيرة الحسنه للداعي وأثرها في تصديقه والإيمان بما يدعو إليه أن خديجة بنت خويلد رضي الله عنها عندما أخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدث في غار حراء قالت له: "أبشر والله لا يخزيك أبدا أنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتعين على نوائب الدهر في أوصاف آخر جميلة عدتها من أخلاقه تصديقا منها له وإعانة على الحق"⁶³⁶.

2- وسائل التبليغ عند النورسي:

بما أن هامش الحرية الذي أتيج للإمام بديع الزمان النورسي لم يكن واسعا، لكونه قضى جل حياته بين السجن والمنفى معزولا عن الناس في أغلب الأحيان، ورغم ذلك لم يكن يضيع أي فرصة تتيح له مقابلة الناس والتأثير فيهم.

لقد كانت شخصيته القوية المفعمة بالجاذبية العفوية - غير المتكلفة - وتميزه بتدينه وسلوكه واستقامته المفتاح الوحيد الذي أتاح له الدخول إلى قلوب الناس في بداية أمره، إذ استطاع جذب الناس إلى ما يبثه من إصلاحات وتوجيهات بعد أن لمسوا الصدق في كلامه، الذي لا يطلب من وراءه أي مكسب دنيوي وفق هذه الطريقة ثم له كسب عدة طلبة مستعدين لسماع كلامه وتدوينه والعمل به وتبليغه للآخرين.

كانت تنقله السلطات منفيًا في كل مرة من منطقة إلى أخرى لا يعرفه فيها أحد كي تعزله عن الاتصال بمن التفوا حوله، وأمنوا بفكرته، وكي يندثر ذكره وتأثيره في أوساط الناس، لكن لقوة تأثيره الملاحظ في كلامه ورسوخ يقينه بما يقول، كان يكسب كل مرة طلبة جدد إضافة إلى السابقين، وبدلا من أن تكون عملية نفيه عزلا، انقلبت إلى رحلات مدفوعة الأجر إلى المناطق الأخرى للتعرف بدعوته وبث إصلاحاته بينهم.

⁶³⁵ - أصول الدعوة: ص: 460.

⁶³⁶ - امتناع الأسماع: ص: 13-14.

وبالإضافة إلى شخصيته المفعمة بالجادبية والتأثير التي كانت تضمن وصول دعوته الإصلاحية إلى كافة طلبته ثم الناس أجمعين هناك وسيلة أخرى هي الدروس التي كان يلقيها على طلابه والتي دونت تحت اسم "رسائل النور" ووزعت عبر الأقطار.

وقد أفرغ النورسي جهده في هذه الرسائل باعتبارها الوحيدة القادرة على خدمة الدين خدمة كاملة ويقول في هذا السياق: "ولقد أقنعتنا الحوادث أنه لن تكون خدمة الدين خارج دائرة رسائل النور خدمة كاملة - في الأغلب في هذه البلاد- حيث هو عمل (يقصد العمل خارج دائرتها) خاص جزئي وحيد وشخصي أو مستتر منهزم، أو متساهل مع البدع ضمن تحريفات بتأويلات فاسدة"⁶³⁷.

ولم يضمن النورسي رسائله أفكارا تموت بموته، أو تتلاشى مفعوليتها عبر الزمن من بعده بل قدمها وفق مسلك ينبض بالحياة، ومفعم بالحيوية والتأثير والديمومة، مما يضمن لها الخلود في الأجيال من بعد⁶³⁸.

فالقارئ لها يشعر أن النورسي نفسه حاضر معه يلقنه الدرس وليس أي درس في المعرفة بل -إلى جانب ذلك- يلقنه درس في فن الحياة، يستفيد من كل موضوع منه تجديدا لإيمانه، وتخفيفا لآلامه المعنوية والنفسية.

* الوسائل التبليغية التي استخدمها النورسي في مسيرته الإصلاحية.

*-الوسائل التبليغية التي استخدمها النورسي.

كان هامش الحرية الذي أتيح للأستاذ النورسي ضيق جدا وقد تقدم أنه قضى زهرة عمره في المنافي والسجون والمعتقلات... ثمانية وعشرين عاما قضاهما سجنا ومنفيا بعيدا عن الناس وعن تلاميذه ولهذا لم يتح له من الوسائل التبليغية إلا اليسير للتبشير بدعوته الإصلاحية.

في السجون اهتدى على يديه عدد من المجرمين المحبوسين معه وفي المنافي، حيث كان يشد إليه أنظار الفلاحين البسطاء إليه بمنظره ودينه وأوراده واستقامته وصبره، كما شد عددا من أفراد الشرطة القائمين على مراقبته، وكذلك بعض القضاة الذين كانوا يستمعون إلى مرافعاته، ودفوعه الرائعة المقنعة ببراهينها وأدلتها المصحوبة بحماسة وجرأة وفعالية.

وقد استثمر النورسي رحمه الله كل الوسائل التبليغية المتاحة له من:

- اتصالات شخصية.
- الخطب.
- المواعظ (استعان في بداية عمله الدعوي بقرى كردستان).
- المحاضرات.
- المرافعات داخل المحاكم، (كان النورسي يدافع ويترافع عن نفسه).
- الحوار والمجادلة (مع علماء عصره) يناقشهم ويكشف تقصيرهم في أداء الدور المنوط بهم).

⁶³⁷ - الملاحق: ص: 262.

⁶³⁸ - عشراقي سليمان: النورسي في رحاب القرآن الكريم، ص: 5 و 6.

- الدروس: (التي كان يقدمها لتلاميذه والتي دونت ورسخت في رسائل النور).

- الكتابة في الصحف: (لقد نشط النورسي في المجال الإعلامي من خلال كتابته المقالات الصحفية، التي ترصد الأحداث وتكشف ما يهدد كيان الآفة، وتدعوا جميع المسلمين إلى القضية والعمل على إصلاح الأوضاع كي لا يشغلها أعداء الإسلام، سواء في الداخل أو في الخارج، ولقد كانت مقالاته هادفة⁶³⁹ .

- وكان يكتب المكاتب أي الرسائل الشخصية إلى تلاميذه وإلى الهيئات الإسلامية وغير الإسلامية ويجيب بها سائله كما كان يكتب الرسائل إلى الحكام والعلماء والوجهاء، ينصحهم حيناً ويأمرهم وينهاهم حيناً آخر.

وقد ظهرت مواهبه المتعددة في تبليغ دعوته، وكانت له مؤهلات عقلية ومنطقية وعلمية في محاوراته ومناظراته... ظهر فيها عقله المرتب ومنطقه العلمي السليم، فكان يلزم الخصوم حدودهم، وكسب ذوي الضمائر الحية والمخلصين المغرر بهم.

ومن بين حواراته و مناظراته ما كان مع وزير داخلية السلطان عبد الحميد ومع مفتي مصر الشيخ محمد بخيت المطيعي، ومع القائد العام للجيش الروسي خال القيصر نقولا، ومع مصطفى كمال، ومع حسين باشا رئيس إحدى العشائر الكردية الذي جاء يدعو إلى الاشتراك في ثورة الشيخ سعيد بيران ضد النظام الكمالي العلماني، وحواره مع رؤساء العشائر الكردية والتركية، لتحطيم اليأس وبعث الأمل في النفوس.

وأروع تلك المحاورات والمناظرات ما كان مع المحققين والقضاة الذين كانوا يحققون معه، لإدانتته والإيقاع به، وقد كانت دعوته ومرافعاته في المحاكم العلنية وسيلة فعالة في نشر أفكاره وآراءه، بل كانت خير وسيلة لشرح غاية دعوته، وفضح مرامي الذين يقفون ضده، ومقاصدهم المعادية للإسلام والداعين إليه.

التحديات التي عاشها النورسي كانت أكبر من الوسائل التي أتاحت له، حيث كان الناس يسبحون مع تيار الإلحاد والانفلات وكان هو وتلاميذه يسبحون ضد تلك التيار الهائل الهادر الذي حشر له الحاشدون الحشود التي أرادوا بها القضاء على الإسلام، في نفوس أبناء الإسلام وحماته والإجهاز على علمائه والدعاة إليه فالقوى لم تكن متكافئة، ولم يكن الخصوم أخلاقيين في خصومتهم لأنهم كانوا يسرون في ركاب أفكار و حضارة بلا أخلاق.

- منهج التبليغ.

يعتبر المنهج النبوي في الدعوة والتبليغ المنهج السليم الذي اتبعه كل الأئمة والدعاة، ومن بين الأمور التي ابتليت بها الأمة الإسلامية في هذا العصر، انحراف كثير من دعاة عن منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله عز وجل.

⁶³⁹ - السيرة الذاتية: ص: 101 / إحسان قاسم صالح: بديع الزمان سعيد النورسي.

إن المنهج النبوي في الدعوة إلى الله تعالى يظهر بوضوح في جملة من النصوص الشرعية، من هذه النصوص قوله تعالى: {قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون} ⁶⁴⁰.

هذا المنهج النبوي في الدعوة إلى الله عز وجل توضحه نصوص أخرى كما في كتابه صلى الله عليه وسلم الذي وجهه إلى هرقل عظيم الروم والذي جاء فيه "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بين عبد الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فعليك إثم الأريسين {يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون} ⁶⁴¹.

وعن ابن عباس أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً إلى اليمن قال: "إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم الزكاة من أموالهم، وترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وثوق كرائم أموال الناس" ⁶⁴².

من الآية الكريمة والحديثين الشريفين يتضح لنا التدرج في الدعوة، فالتسلسل في الدعوة إلى الله تكمن أهميته في أن العمل التالي لا يمكن أن يستجيب له المرئ إلا بعد أن يستجيب للذي قبله وأن العمل التالي لا يقبل إلا إذا أتى بالعمل الذي قبله بقوله: {ولو أشركوا لحببنا عنهم ما كانوا يعملون} ⁶⁴³. وقال تعالى: {ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين} ⁶⁴⁴.

بعض الدعاة في عصرنا الحالي ينشغلون مع الآخرين في دعوتهم إلى تقصير الثوب، أو استخدام السواك أو حرمة الدخان وتحذير ذلك من الفروع بينما هؤلاء الآخرين يشركون مع الله آلهة أخرى وهم ممن يتخذون بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، ومع ذلك لا يسمعون كلمة واحدة حول ذلك من أولئك الدعاة.

ومن جملة الأدلة على المنهج النبوي في الدعوة إلى الله، موقف وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم في المرحلة المكية من مشركي وكفار قريش، حيث كان صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز أن يطالبهم أولاً

⁶⁴⁰ - سورة الأعراف: الآية: 64.

⁶⁴¹ - متفق عليه.

⁶⁴² - متفق عليه.

⁶⁴³ - سورة الأنعام: الآية: 88.

⁶⁴⁴ - سورة الزمر: الآية: 65-62.

بالتوحيد والانخلاع من الشرك والأوثان، فإن أجابوه إلى ذلك، أخبرهم بعد ذلك بما يجب عليهم من صلاة وغير ذلك من الواجبات.

هذا كان منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوة غير المسلمين، فكيف كان منهجه صلى الله عليه وسلم في دعوة المسلمين بعد أن أسلموا وأجابوه للتوحيد.

أما المسلمون فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يربهم على معاني التوحيد والإخلاص ويزودهم علما ويقينا بالتوحيد، ليتمكنوا فيما بعد من تحمل تبعات الرسالة وأعبائها.

جاء في الأثر عن جندب بن عبد الله قال: "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن فتيان فعلمنا الإيمان أي التوحيد، قبل أن نتعلم القرآن ثم تعلمنا القرآن فإزدادنا به إيماناً"⁶⁴⁵.

التوحيد يمثل جهاز المناعة على مستوى الفرد والجماعة والأمة ومن دون التوحيد لا يمكن أن تفهم شيئاً مما يدور حولك، فهما جيداً وصحيحاً، ولا أن تفرق بين الحق والباطل.

ومن الآيات الدالة على منهج الدعوة عند الرسول صلى الله عليه وسلم والذي وجب على الأئمة

والدعاة الثبات عليه قوله تعالى: {ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي

هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين}⁶⁴⁶.

تفسير الآية: أي ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح - بالحكمة - أي كل على حسب فهمه وقوله وانقياده، ومن الحكمة الدعوة

بالعلم لا بالجهل والبدء بالأهم فالأهم وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبالرفق واللين⁶⁴⁷.

إذا تميز المنهج النبوي في تبليغ الدعوة إلى الناس بخصائص من بينها:

- الدعوة إلى الله عز وجل بالحكمة والموعظة الحسنة.

- التيسير.

- اجتناب التعابير الغير اللائقة.

- المجادلة بالتي هي أحسن.

* - منهج النورسي في التبليغ.

لقد اعتمد النورسي رحمه الله على الاتصال المباشر بالقول أو الرسائل لذا سلك مسلك الجمع

بين مخاطبة العقل والقلب في آن واحد، متجاوزاً التركيز على الإقناع الخالي من التحريك الوجداني من جهة، ومتجاوزاً من جهة أخرى التأجيج العاطفي دون مراعاة الإقناع العلمي، بل تعدى أثناء مخاطبة

القلب والعقل وإلى إثارة النفس والمشاعر وفي ذلك يذكر: "نعم إن من يشاهد أسلوب بيان رسائل النور لا يمكن أن لا يهتم بها فهي لا تشبه المؤلفات الأخرى بتأثيرها في القلب والعقل وحدهما بل تسخر أيضاً

النفس والمشاعر"⁶⁴⁸.

⁶⁴⁵ - سنن ابن ماجه.

⁶⁴⁶ - سورة النحل: الآية: 125.

⁶⁴⁷ - تفسير ابن كثير.

⁶⁴⁸ - الشعاعات: ص: 383.

- تناول الإجابة القاطعة على الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام دون ذكر الشبهة نفسها في غالب الأحيان، بخلاف مسلك أغلب العلماء -فتسد بذلك دخول أية شبهة في ذهن القارئ، وتحفظه من ترك أثر سيء فيه⁶⁴⁹.

- الاقتداء بمسلك القرآن الكريم في التبليغ الذي يستخرج زلال معرفة الله من كل شيء، ويستثمر ذكر الحوادث والموجودات، وكل ما يمكن الاستفادة منه للتوجيه إلى معرفة الله والهداية إلى الاستقامة على صراطه⁶⁵⁰.

- سمات أساسية وضرورية في الواعظ أو المبلغ.

يرى بديع الزمان أن نجاح الواعظ المرشد في واجبه التبليغي يتطلب منه أمور:⁶⁵¹

- أن يكون في نفسه باحثاً مستطلعاً حتى يعين الداء ويجد الدواء الشافي.

- أن يكون عارفاً بدقائق الحكمة مثل لقمان الحكيم حتى لا يخل بالتوازن القائم بين القيم الإسلامية.

وأن يكون صاحب فراسة وبلاغة حتى يعرف ما يقول وأين وكيف يقول.

العوامل المؤثرة في التبليغ.

1- أن يبدأ بنفسه: الرسول صلى الله عليه وسلم جمع مكارم الأخلاق الفطرية منذ نعومة أظفاره وبعد اصطفائه بالوحي الإلهي تألقت فيه هذه الأخلاق وشاع نورها بالتربية الربانية والرعاية الإلهية ولعل ما روته عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: "فإن خلق النبي صلى الله عليه وسلم كان القرآن"⁶⁵².

أما بديع الزمان فقد التزم بهذه القاعدة أكمل التزام وقصد من دروس رسائل النور أن يعلم نفسه قبل غيره، فهو يؤكد أنه يرى نفسه محتاجاً إلى النصح أكثر من غيره ويشير إلى هذه الحقيقة بقوله: "من لا يصلح نفسه، لن يصلح غيره"⁶⁵³.

وقال: "أنا خاطبت نفسي مباشرة بالحقائق الإيمانية التي كتبتها أنا لا أخاطب الناس جميعاً لكن الذين أرواحهم ظامئة وقلوبهم جريحة يبحثون عن تلك الأدوية القرآنية فيجدونها"⁶⁵⁴.

2- تقديم الأقربين في التبليغ: قال تعالى: {وانذر عشيرتَكِ الْأَقْرَبِينَ وَارْحَمِ الْأَقْرَبِينَ}

لَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرَأْسِي مِمَّا تَعْمَلُونَ⁶⁵⁵.

في هذه الآيات الكريمة يأمر الله عز وجل سيد المرشدين محمد صلى الله عليه وسلم أن يبدأ بالأقربين إليه.

⁶⁴⁹ - إشارات الإعجاز: ص: 19.

⁶⁵⁰ - من روائع القرآن: ص: 182، عمر سعيد رمضان البوطي.

⁶⁵¹ - أسلوب الإرشاد في القرآن الكريم، المؤتمر العالمي الرابع لبديع الزمان النورسي اسطنبول 1998.

⁶⁵² - أنظر صحيح مسلم: المسافرين: ج 18، ص: 139.

⁶⁵³ - الكلمات: ص: 5، و ص: 297.

⁶⁵⁴ - المكتوبات: ص: 88.

⁶⁵⁵ - سورة الشعراء: الآية: 214-215.

وبدع الزمان النورسي يرى البدئ بما يلزم من النفس ثم الدائرة الصغرى من الأقرب فالأقرب حتى تتسع الدائرة.

إذا ينبغي أن يبدأ الإنسان بذاته أولا من دائرة النفس والقلب والعقل والبطن، ثم من دائرة البدن والعائلة، ثم دائرة المحلة والحاضرة ثم من دائرة البلاد والوطن إلى دائرة نوع الإنسان والأرض، بل إلى دائرة الأحياء كلهم والعالم كله، في دائرة متداخلة، وترتيب الأولويات في وظيفة الإصلاح حسب اللزوم، الأمثل فالأمثل، فإن الوظائف الكبيرة والكثيرة في الدوائر الصغرى أو الوظائف الصغيرة والقليلة في الحلقات الكبيرة، قلب للموازن⁶⁵⁶.

3- الاحتساب عند الله والإخلاص: والاحتساب عند الله هو القيام بالخدمة لغير غرض أو يعني لغير جلب منفعة "الاحتساب ليس الإخلاص والصدق، الإخلاص ضد الرياء، والاحتساب ضده المنفعة والعوض"⁶⁵⁷.

والقرآن الكريم يبين أن من خير خصال الأنبياء المبلغين لرسالات الله، سعيهم في التبليغ بغير أجر أو عوض، قال تعالى: {وَمَا قَوْمٌ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِحٍ الدِّينِ آمَنُوا} ⁶⁵⁸. والقرآن الكريم يأمر بإتباع من لا يريد أجرا على خدمة الدين قال تعالى: {اتَّبِعُوا مَنْ لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مَهْتَدُونَ} ⁶⁵⁹.

وبدع الزمان النورسي يقول: "لا تتخذ الحقائق الإيمانية والأساسات القرآنية، معاملات دنيوية بصورة رسمية ومقابل أجرة، بل قال تنال هذه الفيوض والأسرار التي هي هبة إلهية بينة خالصة وبالتجرد من الدنيا والحظوظ النفسية"⁶⁶⁰.

لقد بلغ بدع الزمان النورسي ذروة لا يبلغها الخيال في الإخلاص والاحتساب "أيظنونني رجلا مغتما بحاله يسعى لإنقاذ نفسه؟ إني افتديت دنياي وافتديت آخرتي أيضا من أجل إنقاذ المجتمع، لم أعرف شيئا يسمى لذة دنيوية في سنين حياتي التي بلغت بضعا وثمانين عاما.

ثم إني فديت آخرتي أيضا من أجل سلامة إيمان المجتمع، إني لا أجد في نفسي حبا للجنة أو خوفا من جهنم، لا خير أن أفندي ألف سعيد، وليس سعيد واحد، من أجل المجتمع، لا من أجل المجتمع التركي ذي الملايين الخمس والعشرين فحسب بل أيضا من أجل المجتمع الإسلامي، أما لا أطلب الجنة إذا صار قرآننا بلا جماعة في وجه الأرض، بل تغذوا الجنة سجننا أيضا لي، أنا أرض أن أحرص وسط لهيب جهنم، وإذا رأيت إيمان شعبنا سالما، لأن قلبي يكون في جنات وورود وإن كان جسدي في النار"⁶⁶¹.

⁶⁵⁶ - الشعاعات: ص: 252.

⁶⁵⁷ - أولو ضاع سليمان: "الإرشاد في الإسلام"، ص: 205.

⁶⁵⁸ - سورة هود: الآية: 29.

⁶⁵⁹ - سورة يس: الآية: 21.

⁶⁶⁰ - المكتوبات: ص: 88.

⁶⁶¹ - السيرة الذاتية: ص: 456-457.

(4)- حال المخاطب: من أهم ما يلزم المرشد أن يراعيه العلم بالمخاطب وعقله، والتكلم فيما يحتاجه، واختيار معيار الترغيب والترهيب حسب ورعه وتقواه، لذلك على المبلغ أو المرشد أن يتحرى أنواع المخاطبين وأحوالهم وتوجهاتهم.

أما إذا كان حال المخاطبين غير معلوم، فيلتزم التوسط في الدروس بين الترغيب والترهيب والتوسط في المستوى العلمي، ويحذر النورسي المرشدين الذين لا يراعون حال المخاطبين "يا من يدعوا الناس إلى الحياة الدنيوية التي هي لعب في نوم ولهو ويشوقهم للخروج من دائرة ما أحله الله من الطيبات الكافية" "لكيفهم"⁶⁶²، إلى الدخول في دائرة ما حرمه من الخبيثات المنغصة التي تجبرهم على ترك بعض شعائر دينهم... إن مثلك معهم كمثل سكران بسكر لا يميز بين الأسد المفترس والفرس المؤنس... ولا يعرف الجرح المبرح من الورد المفرح بل يظن الأسد فرسا..."⁶⁶³.

(5)- العمل البناء: والقرآن الكريم يعلمنا العمل البناء قال:

قال تعالى: {ولخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون}⁶⁶⁴. وقوله تعالى: {تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين}⁶⁶⁵. إذا فما على المرشد إلا البلاغ المأمور به وليس مسؤولاً عن النتيجة.

والعمل البناء عند النورسي أن يعمل المتصدي لخدمة الدين والإيمان والإنسانية بدافع الحب لعمله، وألا ينشغل بعداء المسالك الأخرى، ولا يحقرهم، ولا يعترض بأفكارهم وعلومهم، فينبغي ألا يتعرض سالك مسلك الحق لغيره وما عليه إلا أن يعرض ما عنده، وله أن يقول أن "مسلكي حق، أو خير من غيره" وليس له أن يقول "إن الحق في مسلكي فقط" أو "أن الخير مشربي فقط" وما يشبه ذلك، ففيه تعريض بطلان المسالك الأخرى أو شرها وقبحها⁶⁶⁶.

(6)- الاقتداء والتبليغ: الاقتداء هو التخلق بأخلاق القرآن الكريم أو أخلاق النبي صلى الله

عليه وسلم وخير نموذج لعلاقة الاقتداء بالتبليغ هذه الآية الكريمة: {لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً}⁶⁶⁷.

إن الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة المسلمين في حركاته وسكناته سواء الفردية أو الاجتماعية، بل إن الاقتداء والتأسي به من مقتضيات الإيمان ففيه صلى الله عليه وسلم تتجسد أوامر الإسلام ونواهيه وهو أول من نفذها في الحياة وتمثلت فيه بأعظم ما تتمثل. وفي الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتأسي به في كل أحواله ثلاثة نكات مهمة:

⁶⁶² - أي لأذواقهم.

⁶⁶³ - المنتوي النوري العربي: ص: 218.

⁶⁶⁴ - سورة الشعراء: الآية: 215-216.

⁶⁶⁵ - سورة القصص: الآية: 83.

⁶⁶⁶ - للمعات: الآية: 229.

⁶⁶⁷ - سورة الأحزاب: الآية: 21.

الأولى: البصر وهو أقوى عوامل التأثير في التربية والتعليم، ويتبع ذلك الرسائل والمواد المشاهدة فالإنسان بحاجة إلى أنموذج يراه بعينه، ولا جدال في اقتداء الصبيان والبنات بالكبار، يقول تعالى: {إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نَضْفَةِ آمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ، فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} ⁶⁶⁸. فنعلم من هذه الآية حاجة الإنسان إلى المسموعات والمشاهدات في الامتحان الإلهي وأيضا إلى المعقول والمنقول، لذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم "ليس الخبر كالمعاينة" ⁶⁶⁹.

الثانية: أن محبة الله عز وجل المقتضية إطاعة أوامره وطلب رضائه، يلزم التشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أكمل مرشد وهادي إلى الله تعالى ⁶⁷⁰.

الثالثة: مادام الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم وسيلة للأُنعم الإلهية اللانهائية التي أنعم الله بها بني الإنسان، فلا محالة أنه جدير ولائق بمحبة لا حدود بها حبا لله، ومن فطرة البشر أن يتشبه بمن يجب ما وسعته طاقته، كذلك حب النبي صلى الله عليه وسلم يقتضي التشبه به، فلا بد إذن أن يقتدي المؤمنون بالرسول صلى الله عليه وسلم ويتشبهوا به بسبب حبه لله تعالى أو حبه للرسول صلى الله عليه وسلم ⁶⁷¹.

يشرح النورسي الآية الكريمة الآتية: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} ⁶⁷². بقوله إن الآية فيها استدلال منطقي، فالمراد: إن كنتم مؤمنين بالله، فلا بد أنكم تحبون الله وما دتمت تحبون الله، فلا بد أن تتصرفوا كما يجب لكم أما التصرف في الدائرة التي يحبها الله تعالى، فلا بد له من الاقتداء بمن أحبه الله وأثنى عليه بقوله: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ}. والاقتداء به يكون باتباعه والتشبه به في كل أمر، ما استطاع المؤمن، وثمره هذا هو نوال حب الله، وفي نفس الأمر، أن المقصود من حب المؤمنين لله، الفوز بحب الله له ⁶⁷³.

- الغاية من التبليغ.

1- (1)- رضاء الله عز وجل:

إن أكثر شيء يحتاج إليه الإنسان هو كسب رضاء الله عز وجل، وما أجل مرتبة الرضاء التي يذكرها الله تعالى في الثناء على الصحابة الكرام قال تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالْغِزِينَ مَعَهُ أَشْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُم رُكْعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا} ⁶⁷⁴.

وقد اعتمد بديع الزمان النورسي الإخلاص أساس الإرشاد وعلم طلابه ذلك حيث يقول: "ينبغي أن يكون رضاء الله في عملكم فإذا حصل رضاءه، فلا بأس في سخط الدنيا كلها، وإذا قبل هو فلا خير

⁶⁶⁸ - سورة الإنسان: الآية: 2.

⁶⁶⁹ - أنظر الإمام أحمد: ص: 315-317.

⁶⁷⁰ - أسلوب الإرشاد في القرآن الكريم المؤتمر العالمي الرابع لبديع الزمان النورسي اسطنبول 1998.

⁶⁷¹ - اللمعات: ص: 93.

⁶⁷² - سورة آل عمران: الآية: 32.

⁶⁷³ - اللمعات: ص: 91.

⁶⁷⁴ - سورة الفتح: الآية: 29.

أن يرد الناس كلهم، فإذا حصل رضاؤه وقبوله فسيجعل الخلق يقبلون ويرضون إن شاء الله واقتضت حكمته، إن لم تطلبوا ذلك، ومن أجل ذلك ينبغي أن يكون المقصود الأساس المباشر والوحيد هي هذه الخدمة هو رضا الحق تعالى"⁶⁷⁵.

(2)- طلب الآخرة:

ينبغي أن يجعل الإنسان مقصوده وغايته الآخرة من أعمال الخير كلها قال تعالى: {وسارعول إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين}⁶⁷⁶. وقال أيضا: {قل إنما بشر مثلكم يوحي إلي إنما إليكم إله واحد}⁶⁷⁷. وقال أيضا: {وايتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة}⁶⁷⁸. فخدمة الإرشاد والتبليغ يقصد منها سعادة الآخرة للمرشد⁶⁷⁹. والمسترشد.

الغاية من التبليغ:

(3)- إصلاح الفرد والمجتمع: لا يصلح المجتمع إلا بصالح الفرد، فالفرد من المجتمع وهو مرآة له، والمجتمع السامي في قيمه الإنسانية، مدين في ذلك لأفراده الممتازين، لذلك ينبغي أن يبدأ المرشد بوظيفة الإرشاد من نفسه وعائلته، وما أجمل ما قيل: إن كل إنسان لو نظف باب بيته لتنظيف المدينة، فالفرد والمجتمع مثل حوضي ماء يغذي كل منهما الآخر، وفي حال الرغبة في الخلاص يلزم بداية التربية من الفرد⁶⁸⁰.

وهذه آيات في أهمية إصلاح الفرد: {قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الضلمات والنور}⁶⁸¹. وقوله تعالى: {أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما بحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون}⁶⁸². وقوله تعالى {ولا تزروا زرة وزر أخرى}⁶⁸³. كل الآيات تؤكد المسؤولية الفردية، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"⁶⁸⁴.

يؤكد على مسؤولية الفرد في كل مجتمع، وبذلك يجعل المسؤولية الفردية شعورا اجتماعيا تكافليا، وبديع الزمان النورسي يرى أن حركات الإصلاح ينبغي أن تبدأ من الأفراد إذ لا يصح المجتمع إلا بصالح الأفراد، كما جاء فيما سبق.

⁶⁷⁵ - اللمعات: ص: 242.

⁶⁷⁶ - سورة آل عمران: الآية: 133.

⁶⁷⁷ - سورة الكهف: الآية: 110.

⁶⁷⁸ - سورة القصص: الآية: 77.

⁶⁷⁹ - أصول الدعوة: عبد الكريم زيدان.

⁶⁸⁰ - أسلوب الإرشاد في القرآن الكريم: المؤتمر العالمي الرابع لبديع الزمان النورسي.

⁶⁸¹ - اسطنبول: سنة 1998.

⁶⁸² - سورة الرعد: الآية: 16.

⁶⁸³ - سورة الزمر: الآية/ 9.

⁶⁸⁴ - سورة فاطر: الآية: 18.

(4)- تحقيق السلام الاجتماعي.

الآيات التي تحث على السلام الاجتماعي كثيرة منها: {واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ولاذكروا نعمة الله عليكم إن كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتمون⁶⁸⁵ .

ويقول بديع الزمان النورسي "إنني على استعداد لأفدي حياتي ألف مرة وكرامتي ألف مرة من أجل أمان هذا الشعب، والراحة الدنيوية والسعادة الأخروية للأطفال الأبرياء والعجائز الموقرين والمرضى والفقراء المساكين منهم خاصة، ويؤكد أنه يسعى لإنقاذ الناس من الفوضوية وتأسيس السلام الاجتماعي بكلمات "رسائل النور": يلزم بالضرورة خمسة أمور لإنقاذ الحياة الاجتماعية لهذا الوطن والشعب من الفوضوية في هذا الزمان العجيب: التوقير- الرحمة- اجتناب الحرام- الأمانة والطاعة بدلا من التسبب الفردي، إن أثر رسائل النور في الحياة الاجتماعية هو تثبيت هذه الأسس ورسها بقوة وقدسية⁶⁸⁶ .

⁶⁸⁵ - البخاري ومسلم. سورة آل عمران: الآية: 103.

⁶⁸⁶ - الملاحق: أمير داغ: 2/ ص: 239، أسلوب الإرشاد في القرآن الكريم، المؤتمر العالمي الرابع لبديع الزمان النورسي، اسطنبول 1998.

المبحث الثاني: الكتابة

الكتابة هي من أنواع القول في الدعوة، والكتابة إما أن تكون كتابة رسائل، إلى من يريد دعوتهم إلى الإسلام وبين ما خالفه وإما أن يكون بتأليف الكتب والأبحاث والمقالات في المجالات وغيرهم. وكلها وسيلة جيدة للدعوة إلى الله، فقد كان رسول الله ص يأمر بكتابة الرسائل إلى حكام البلاط غير الإسلامية يدعوهم فيها إلى الله واعتناق دين الإسلام كرسائله عليه الصلاة والسلام إلى كسرى في العراق، وهرقل في الشام والمقوقس في مصر، وكذلك علماء الإسلام يرسلون الرسائل إلى الحكام المسلمون يدعوهم فيها إلى ما أمرهم الله به، مثل رسالة الأوزاعي إلى الوالي العباسي في الشام حول أهل الذمة ولزوم رعاية حقهم المشروع. وتأليف الكتب في معاني الإسلام وكتابة الأبحاث والمقالات والرسائل، من الوسائل المفيدة جدا في الدعوة إلى الله لاسيما اذا ترجمت إلى لغات من يراد تعريفهم بالإسلام ودعوتهم إليه فيمكن بهذه الوسيلة تبليغ الإسلام إلى ملايين الناس اللذين لا يعرفون اللغة العربية ولم تصلهم معاني الإسلام. ويلاحظ في كتابة الرسائل والأبحاث والكتب إنها توجه إلى العموم ويقروها كثير من الناس على اختلاف مستوياتهم في العلم والفهم فيجب على الداعي أن يكتبها بأسلوب بسيط مفهوم واضح يدركه أقل الناس قدرة على فهم الخطاب وأن تكون المعاني التي يبينها مما لا يسع أي إنسان يريد الإسلام أن يجهلها. وأن تكون خالية من ذكر المسائل الدقيقة والأخلاقية وأن تكون مختصرة دون إدخال بالمعنى ومقتضيات التفهيم.

ورسائل النور للإمام بديع الزمان النورسي هي كذلك من الكتابات التي تركت أثرا كبيرا في العالم الإسلامي ولازال صدها ليومنا هذا، ولن ينطفأ لأنها مقتبسة من القرآن الكريم وتنهل منه فندشأ بها أجيال ومازال.

فرسائل النور هي رسائل سجل فيها الأستاذ سعيد النورسي كل ما استلهمه من نور القرآن الكريم من معاني الإيمان وأمله على محبيه في ظروف عسيرة، بهدف إيمان الناس في هذا العصر بإحياء معاني القرآن ومقاصده في النفوس والعقول والأرواح، وتقع كليات رسائل النور في تسعة أجزاء.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو ما هي رسائل النور؟

1 - كيف وصف الإمام النورسي رسائل النور.

رسائل النور كما وصفها الأستاذ المجدد الإمام النورسي رحمه الله:

- إن رسائل النور في هذا العصر وفي هذا الوقت بالذات عروة وثقى، أي سلسلة قوية لا تنقطع، وهي حبل الله، فمن استمسك به فقد نجا.⁶⁸⁷

- إن رسائل النور برهان باهر للقرآن الكريم وتفسير قيم له وهي لمعة براءة من لمعات إعجازه المعنوي ورشحة من رشحات ذلك البحر وشعاع من تلك الشمس،

وحقيقة ملهمة من كنز علم الحقيقة وترجمة معنوية نابعة من فيوضاته.⁶⁸⁸

⁶⁸⁷ - الملاحق ص 170

⁶⁸⁸ - الملاحق (ملحق قسطنوني) ص 120.

- إن رسائل النور ليست كالمؤلفات الأخرى التي تستقي معلوماتها من مصادر متعددة من العلوم والفنون فلا مصدر لها سوى القرآن الكريم ولم يكن عند المؤلف أي كتاب آخر حين تأليفها، فهي ملهمة مباشرة من فيض القرآن الكريم، فهي تنزيل من سماء القرآن ومن نجوم آياته الكريمة.⁶⁸⁹

- إن رسائل النور ملك للقرآن العظيم، فأني لي الجرأة أن أدعي تملكها لذا لا تسري أخطائي وتقصيراتي فيها قطعا، فأنا لست إلا خادما مذنبا لذلك النور الباهر، ودالا داعيا في متجر المجوهرات والألماس، فأحوالي المضطربة لا تؤثر فيها ولا تمسها أصلا.⁶⁹⁰

- هي رسائل إيمانية عالية وعميقة مكتوبة باليد وبالعقل وبالقلب وبالروح وبالصدق والإخلاص، وهي مدرسة مهمة وراقية من مدارس الإيمان في العصر الحديث، فيها مناهج للعبادة الخاشعة والتفكير الإيماني الراقى ولمشاهدة تجليات أسماء الله الحسنى وصفاته العلى في آياته الرائعة المبتوثة من حولنا في هذا الكون المحسوس الرائع الذي نعيش فيه ومناهج للعبادة الأعلى والتفكير الأرقى للوصول إلى مراتب الإيمان.⁶⁹¹

- إن رسائل النور ليست طريقة صوفية بل حقيقة وهي نور مفاض من الآيات القرآنية ولم تستق من علوم الشرق ولا من فنون الغرب بل هي معجزة معنوية للقرآن الكريم خاص لهذا الزمان.⁶⁹²

2 - كيف ظهرت رسائل النور؟

يقول الإمام النورسي: صرفت كل همي ووقتي إلى تدبير معاني القرآن الكريم وبدأت أعيش حياة سعيد جديد، أخذتني الأقدار نفيا من مدينة إلى أخرى وفي هذه الأثناء تولدت من صميم قلبي معاني جليلة نابعة من فيوضات القرآن الكريم... أمليتها على من حولي من الأشخاص، تلك الرسائل التي أطلقت عليها "رسائل النور" إنها انبعثت حقا، من نور القرآن الكريم، لذا نبع هذا الاسم من صميم وجداني، فأنا على قناعة تامة ويقين جازم بأن هذه الرسائل ليست مما مضغته أفاكري، وإنما الهام الهني أفاضه الله سبحانه على قلبي من نور القرآن الكريم، فباركت كل من استنسخها، لأنني على يقين أن لا سبيل إلى حفظ إيمان الآخرين غير هذا السبيل...

وهكذا تلقيتها الأيادي الأمانة بالاستنساخ والنشر فأيقنت أن هذا تسخير رباني، وسوق الهني لحفظ إيمان المسلمين، فاستشعرت بضرورة تشجيع كل من يعمل في هذا السبيل امتثالاً بما يأمرني به ديني.⁶⁹³

هكذا استمر الإمام النورسي على تأليف رسائله حتى سنة 1950م، وهو ينقل من سجن إلى آخر ومن محكمة إلى أخرى، هكذا طوال ربع قرن من الزمان، ولم يتوقف خلاله من التأليف والتبليغ حتى

⁶⁸⁹ - الملاحق ص 248.

⁶⁹⁰ - الملاحق ص 248 (أميرداغ).

⁶⁹¹ - المكتوبات ص 424.

⁶⁹² - الملاحق (ملحق قسطنطيني) ص 202.

⁶⁹³ - الشعاعات ص 541 - 542.

أصبحت في أكثر من 130 رسالة، جمعت تحت عنوان كليات رسائل النور. التي لم يتيسر لها أن ترى طريقها إلى المطابع إلا بعد 1954م.⁶⁹⁴

3 - السبيل إلى نشر رسائل النور:

كانت الحروف العربية في تركيا قد بدلت إلى حروف لاتينية، وحضر الطبع والنشر بها، وأغلقت مطابعها، فكانت "طريقة الاستنساخ" باليد سرا هي الطريقة الوحيدة والعملية لنشر مؤلفات رجل منفي ومراقب، قد سدت في وجهه جميع سبل التأليف والنشر، وخاصة أنه كان يريد - بالإصرار على الكتابة بالحروف العربية. المحافظة عليها من الاندثار والنسيان، فعندما بدأت حلقات الطلاب تتسع، بدأت الرسائل تصل إلى القرى والنواحي القريبة من (بارلا) وبدأت الأيدي تتلقف سرا هذه الرسائل وتتدارسها، وتمهدها حتى إلى المدن البعيدة، حيث بدأت تكتسب قلوبا جديدة، وأرواحا عطشى إلى الهداية والنور في تلك الصحراء المحرقة والحالكة الظلام.

4. ترجمة رسائل النور:

وفق الأستاذ: إحسان قاسم الصالحي لترجمة كليات رسائل النور" كاملة إلى اللغة العربية في تسعة مجلدات، وطبعت في كل من اسطنبول والقاهرة، وتولت الأستاذة" شكران واحدة" مريم ويلد ترجمة: "الكلمات"، و"المكتوبات" و"المكتوبات"، و"اللمعات"، و"الشعاعات"... من كليات رسائل النور، كما ألقت مجلدا كاملا في تاريخ حياة الأستاذ النورسي، فضلا عن ترجمتها عددا كبيرا من الرسائل الصغيرة، وهكذا أخذت الترجمات طريقها إلى الانتشار، فترجمت مجموعة من الرسائل إلى الألمانية والروسية، والفارسية، والكردية، والمالوية، والصينية، والبوسنية، وكثيرا من لغات دول آسيا الوسطى وغيرها من اللغات.

واستطاعت رسائل النور أن تبني مدرسة إيمانية قرآنية، أنقذت كثيرا من الناس من التيه، والحيرة، والجهد، والوقوع في براثن الشرك الجلي والخفي، ذلك لأنها نابعة من القرآن الكريم، وإدراك طبيعة العصر وحركته وأفكاره، وكتبت بأسلوب مطابق لروحه، يفهمه الخاصة والعامه.

كليات رسائل النور تضم تسعة أجزاء، سجل فيها" بديع الزمان" كل ما استلمه من نور القرآن الكريم من معاني الإيمان، وأملاها على محبيه في ظروف عسيرة، بقصد إنقاذ إيمان الناس في هذا العصر العجيب، بإحياء معاني القرآن ومقاصده في النفوس والعقول والأرواح، فوضع بيد الجيل الجديد منهلا ثريا، ونبعا قرآنيا صافيا، يحفظ عليهم دينهم، ويظهر قلوبهم وعقولهم مما قد علق بها وهي كالاتي:

. المجلد الأول: الكلمات (سوزلر) وتضم ثلاثة وثلاثين رسالة كلمة.

. المجلد الثاني: المكتوبات (مكتوبات) وتضم ثلاثة وثلاثين رسالة مكتوب.

. المجلد الثالث: اللمعات (لمعلر) وتضم ثلاثة وثلاثين رسالة لمعة.

. المجلد الرابع: الشعاعات (شعاعلر) وتضم خمسة عشر رسالة شعاعا

⁶⁹⁴ - نفس المصدر.

. المجلد الخامس: وهو الملاحق:

أ. ملحق بارلا

ب. ملحق قسطموني

ج. ملحق أميرداغ في جزأين.

. المجلد السادس: السيرة الذاتية.

. المجلد السابع : صقيل الإسلام.

وقد جمعت هذه المجلدات التي كتبت باللغة التركية مع التي باللغة العربية المجلد الثامن: إشارات الإعجاز والمجلد التاسع:المنتوي العربي النوري تحت عنوان "كليات رسائل النور .

5. أهمية رسائل النور:

بدأ تأليف رسائل النور بعد نفي الإمام النورسي من مدينة "وان" في شرقي الأناضول إلى " بارلا" في غرب الأناضول وذلك عقب حركة" الشيخ سعيد بيران" هذه الفترة هي بداية تنفيذ إجراءات شديدة لاستبداد مطلق دام ربع قرن من الزمان. ان المنظمات الإلحادية السرية كانت تستهدف إزالة الشعائر الإسلامية ورفعها الواحدة تلو الأخرى وطمس روح الإسلام في الأمة التركية التي رفعت راية الإسلام طوال ستة قرون بل منذ عهد العباسيين ، ولتحقيق هدفهم هذا بدأوا بتنفيذ خطة تنشئة جيل يقوم بنفسه بعد ثلاثين سنة بإزالة القرآن ونزعه من القلوب . وفعلا بدأوا بتنفيذ خطتهم هذه، ونجحوا في قطع روابط هذه الأمة بالإسلام وسعوا لها بشتى الوسائل.

فالقضية إذا ليست قضية جزئية موضعية، بل هي قضية كلية عامة شاملة تتعلق بإيمان الملايين من أبناء الجيل المقبل، وتعلق بالحياة الأبدية لشعب كامل، حيث شهدت تلك الفترة تحولات رهيبية ودمارا فظيع وعداء شرسا للإسلام والقرآن الكريم، ومسحا للتاريخ المجيد لهذه الأمة البطلة، حتى دفعت تلك المنظمات الإلحادية الجيل الناشئ إلى نسيان الماضي المليء بالجهاد في سبيل إعلان كلمة الله، فهبأوا جوا ملائما للإقرار بنظام إلحادي سافر.⁶⁹⁵

فينبغي إذا وضع تلك الأيام الحالكة القاسية الرهيبية نصب العين لدى دراسة دعوة الإمام النورسي وخدمته للقرآن والإيمان، ولعل بعض الإشارات الغيبية المتعلقة بالعنايات الإلهية التي رافقت دعوة" والتوفيق الرباني الذي لازم مؤلفها، ليست لشخص مؤلفها بذاته، وإنما الأهمية هذه الخدمة القرآنية في تلك الأوقات العصيبة، ويعلل الإمام النورسي هذه الأهمية فيقول: من المعلوم أن دقيقة واحدة تكون ذات أهمية تقابل ساعة كاملة وأنها تثمر من النتائج ما تنتجه تلك الساعة، وربما ما ينتجه يوم كامل، قد يكون بمثابة سنين، ويحدث أحيانا أن تكون ساعة واحدة لها من الأهمية ونعطي من النتائج ما لسنة من العمر بل العمر كله. فمثلا أن الذي يستشهد في سبيل الله في دقيقة واحدة يفوز بمرتبة الأولياء وان مرابطة ساعة واحدة في ثغر المسلمين عند اشتداد البرد وصوله الأعداء الرهيبية، قد تكون له من الأهمية ما لسنة من العبادة".⁶⁹⁶

⁶⁹⁵ - سيرة ذاتية ص 3 (تقديم الفاضل مصطفى صنفور).

⁶⁹⁶ - سيرة ذاتية ص 4 (تقديم الفاضل مصطفى صنفور).

وهكذا الأمر في رسائل النور، إذ أن سبب الاهتمام الذي نالته "رسائل النور" نابع من أهمية الزمان نفسه ، من شدة الهدم الذي أحدثه هذا العصر في الشريعة المحمدية والشعائر الأحمدية ومن الفتن.

ورسائل النور تؤدي خدمتها الإيمانية بأسلوب يفهمه الناس جميعا، وأثبتت أعماق حقائق القرآن وأخفاها براهين قوية، حتى أصبح كل طالب نور وفيها صادقا يحمل في قلبه الإيمان التحقيقي كأنه قطب مخفي من أقطاب الأولياء وركيزة معنوية للمؤمنين ، وذلك لخدماته الإيمانية في القرية أو القصبة أو المدينة التي فيها، فصار كل منهم بعقيدته المعنوية القوية كالضابط في الجيش يبعث مددا معنويا إلى قلوب أهل الإيمان. فيبث فيهم روح الحماس والشجاعة.⁶⁹⁷

وللإمام بديع الزمان النورسي ما لا يعد ولا يحصى من خوارق الأحوال وفي مقدمتها" تأليف رسائل النور" فالإمام النورسي رحمه الله كان يقرأ خواطر قلوب طلابه، وكان ينههم. وكان الإمام النورسي رحمه الله عندما يذهب مع طلابه إلى الجبل، في بعض الأحيان يقوم فوراً ويأمرهم بالقيام قبل أن يحين موعد العودة إلى البيت، وعندما يستفسرون عن السبب يقول رحمه الله : لنعد إلى المدينة بسرعة، إنهم ينتظروننا لخدمة رسائل النور وفعلا لدى عودتهم يجدون أحد الطلاب ينتظرهم، أو يخبرهم الجيران أن أحدا قد سأل عنهم وتردد إلى البيت كثيرا ثم مضى إلى الطريقة.⁶⁹⁸

الخصائص التي ميزت كتابة النورسي:

لقد تميزت كتابات النورسي وعطاءاته الفكرية والعلمية التي بلغتنا بفضل الله عز وجل بخصائص كثيرة منها:

• غزارة المضمون وعمق المحتوى:

إن الذي يقرأ لبديع الزمان النورسي مهما كان موضوع المقروءات وطبيعتها يجد غزارة في المضمون وعمقا في المحتوى ، يؤكد ذلك ويصدقه أمور منها:

1/ إن القارئ لأي أثر من آثار بديع الزمان النورسي، يتمتع فيما يقرأ بكثرة الفوائد العلمية والكنوز المعرفية ، ففي كتابة النورسي حكم وأمثال، وتشبيهات بيانية رائعة، ومضامين دعوية، وإشارات صوفية، وإشراقات عقلية بليغة.. وهو في ذلك يقتبس من القرآن الكريم ومعينه.⁶⁹⁹

2/ إننا ونحن نقرأ كتاب النورسي بإمعان و تدبر وتفكر نجد وكأن الجمل كليات وقواعد⁷⁰⁰ ، مثلا: وهو يقول في المقدمة السابعة من المحاكمات العقلية، قال المبالغة تشوش الأمور وتبليبلها لأن من سجايا البشر مزج الخيال بالحقيقة بميل إلى الاستزادة في الكلام فيما التذبه، والرغبة في إطلاق الكلام جزافا فيما يصف والانجذاب إلى المبالغة فيما يحكى، وهذه السجية السيئة يكون الإحسان كالإفساد ومن حيث لا يعلم يتولد النقصان من حيث يزيد، وينجم الفساد من حيث يصلح، وينشأ الدم من حيث

⁶⁹⁷ - سيرة ذاتية ص 5 (تقديم الفاضل مصطفى صغور).

⁶⁹⁸ - سيرة ذاتية ص 36 (تقديم الفاضل مصطفى صغور).

⁶⁹⁹ - أثر الريانية والنفحات القرآنية في كتابة النورسي لمحمد الروكي.

⁷⁰⁰ - صيقل الإسلام ص: 46.

يمدح، ويتولد القبح من حيث يحسن، وذلك لإخلاصه بالحسن الناشئ من الانسجام والموازنة في المقاصد.⁷⁰¹

فكلام النورسي كله قواعد وحكم وفوائد بالغة الأهمية إذا استعان بها المسلم تنورت طريقة فهي كالمصاييح في ظلمات الليل الحالكة. وهذا الجانب سأطرق له إنشاء الله في الباب الثالث من هذا البحث المتواضع تحت عنوان (قواعد الإصلاح عند الإمام النورسي).

• الحكمة والسداد في القول:

كلام النورسي مليء بالحكم والأقوال السديدة وذلك مستمد من القرآن ومن حكمة القرآن، لأن القرآن الكريم كله حكم، وكله قول سديد وحق، وكله ينور العقل ويجعله سديدا والأمثلة على ذلك من كتابات النورسي كثيرة، مثلا قوله: فكما الاستزادة من دواء شاف قلب له إلى داء، كذلك المبالغون في الترغيب والترهيب المستغني عنهما الحق، كجعل الغيبة كالقتل، أو إظهار التبول وقوفا بدرجة الزنا، والتصديق بدرهم مكافئ بحجة وغيرها من الكلمات الغير الموزونة التي يطلقها المبالغون إنما يستخفون بالزنى والقتل ويهينون شأن الحج فبناء على هذا لا بد أن يكون الواعظ حكيما وذا دراية بالمحكمات العقلية.⁷⁰²

فهو كلام أشبع حكمة وسدادا ونضجا ورشادا.

• اللفظ المؤثر والمصطلح المعبر:

إن الإمام بديع الزمان النورسي كان ينظر إلى الكتابة على أنها رسالة وأمانة فكان يعطيها ما تستحق من العناية والرعاية، ومن ذلك أنه كان يختار اللفظ المؤثر الذي يطرق القلوب من غير استثناءات، والمصطلح المعبر الذي يختزل مضمون ما يريد. مثلا: يقول الإمام النورسي: إن الشارع قد وضع سكنه وختمه" فانظر كيف يشخص المعاني ويختار لها من الألفاظ ما فيه حرارة وقوة وحيوية، ثم يقول بعد ذلك: "فيا هذا! إنك بكلامك هذا (يعني الذي فيه مبالغة) تعادي الشريعة...".⁷⁰³

فانظر كيف حكم على المبالغة في أحكام الشرع بالحكم الذي يناسبه ويليق به ويطابقه تمام المطابقة، بحيث لو سمعه لتأثر لا محالة "تعادي الشريعة" إذ لا أحد يجب أن يعادي الشريعة، إذ لا أحد يحب أن يقال فيه ذلك... ثم يقول: "أيها الظالمون الذين يحاولون جرح الإسلام ونقده من بعيد من الخارج، زنوا الأمور بالمحاكمة العقلية، لا تنخدعوا ولا تكتفوا بالنظر السطحي فهؤلاء الذين أصبحوا سببا لأعدائكم الواهية في نقد الإسلام يسمون بلسان الشريعة "علماء السوء" فانظر إلى ما وراء الحجاب

⁷⁰¹ - صيقل الإسلام ص: 46.

⁷⁰² - نفسه.

⁷⁰³ - صيقل الإسلام ص: 48.

الذي ولده عدم موازنتهم الأمور، وتعلقهم الشديد بالظاهر، سترون إن كل حقيقة من حقائق الإسلام برهان نير كالنجم الساطع يتلألأ عليه نقش الأزل والأبد.⁷⁰⁴

• القصد في المعنى والاقتصاد في المبني:

إن الكلام ثمرة، أي هي نتيجة تفاعل فكري داخل الإنسان فقبل أن يتكلم يفكر، والكلام قبل أن يكون كلاماً فقد كان أفكاراً تعتلج في قلب المتكلم، ومن ثم وجب أن لا يخرج شيء من ذلك الكلام إلا بعد أن ينضج مضمونه وتستوي فكرته ومعانيه، لأن الكلام ثمرة.

وقد كان النورسي رحمه الله يحس بذلك ويدرك أن الكلمة مسؤولة وأمانة وأن الكلام ثمرة ولذلك تجد في كتابته وكلامه قصداً واضحاً إلى المعنى، لا يسود صحائفه بأي معنى وبأي فكرة وبأي مضمون إلا وهو قاصد واع بما يقول، مستشعر مسؤولة كما يقول: مقتصد في الكلام، لأن كثرتة غير مقصودة مثال: يقول الإمام النورسي: يجب على كل محب للدين، وعائق للحقيقة، الاطمئنان بقيمة كل شيء، وعدم إطلاق الكلام جزافاً، وعدم التجاوز، إذ المبالغة افتراء على القدرة الإلهية، وهي فقدان الثقة بالكمال والحسن في العالم واستخفاف بهما...⁷⁰⁵ والمبالغة إنما تكون من حيث أننا لا نعطي قيمة ولا وزناً للكلام والمصطلحات والألفاظ والعبر والجمل فالكلام إذا فرغ من قيمته ولم نقدر مضمونه ومحتواه حق قدره، لم نبال حينئذ به، وإذا أردنا للكلام أن يكون له وزن وقيمتة وتأثير فيجب أن نطمئن إلى قيمته، والاطمئنان على قيمة الإيمان بها نستلزم القصد في المعنى والاقتصاد في المبني، وهو المنحى الذي كان يسير عليه الإمام النورسي في كلامه والمنهج الذي اطرده عليه في حياته العلمية والتربوية. فيقول الإمام النورسي: (إن الشارح سبحانه وتعالى قد وضع سكتته وختمه المعتمد على كل حكم من أحكام الشرع، ولا بد من قراءة تلك السكتة والختم، فذلك الحكم مستغن عن كل شيء سوى قيمته وسكتته...)⁷⁰⁶.

وهذه الخاصية مستفادة من القرآن الكريم وأسلوبه ومنهجه في القول.

بالإضافة إلى الخصائص التي ذكرت هناك خصائص أخرى كثيرة مثل:

. انسجامها وتلاؤمها مع قوانين الفطرة.

. مصدرها رباني (موضوعاتها القرآن الكريم).

. نعطي أهمية كبرى لصحة البنية الاجتماعية.

. تقوم رسائل النور بالتربية والتعليم وتوسيع الأفق وبيان السبيل القويم.

. تقوم رسائل النور بمزج المادة مع المعنى وتحتضن الدنيا والآخرة معاً.

⁷⁰⁴ - نفسه.

⁷⁰⁵ - صيقل الإسلام ص: 46-47.

⁷⁰⁶ - صيقل الإسلام ص: 47.

المبحث الثالث: الإخلاص

الإخلاص سر بين المخلص وربّه، ولا يعلم المخلصين إلا خالقهم، إذ هو عز وجل وحده علام

القلوب (والله يعلم ما في قلوبكم، وكان الله عليماً حكيماً).

والإخلاص هو الشعور بالتقصير إزاء شكر الله (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون، والذين هم بآيات ربهم يؤمنون، والذين هم بربهم لا يشركون، والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وحلة، أنهم إلى ربهم راجعون، أولئك يسارعون في الخيرات، وهم لها سابقون).⁷⁰⁷

سألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى الآية (والذين يؤتون...) فقالت (الرجل يسرق ويزني ويخاف الله؟) قال صلى الله عليه وسلم (بل الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ثم يخاف الله ألا يتقبل منه).

تلك أربع صفات أصلية للمؤمن الذي يسارع في الخيرات ويسابق إليها، إذ هو البناء للحياة الكريمة: أولها: خشية الله عز وجل في كل نية وإرادة وعمل وقول والتزام واستقامة ودعوة وجهاد. ثانياً: الإيمان بآيات الله، أي التسليم المطلق والطاعة لنظامه الذي شمل الحياة بآفاقها بعد فهمه وإجلاله والالتزام به.

ثالثاً: عدم الشرك بالله، إذ هو غاية في سلوك المسلم لا ينصرف عنها، وإلا وقع في الشرك (نعود بالله منه).

رابعاً: اتهام النفس بالتقصير، والخضوع لنظام الله في سائر شؤون حياته والغاية الوحيدة في حياته (الله خالقه وهاديه) لا ينحرف فيه حتى يغرغر.

والإخلاص هو الثقة التامة بالله من غير خوف من غيره إذ هو يكفيننا (أليس الله بكاف عبده).⁷⁰⁸ والإمام بديع الزمان النورسي رحمه الله تعالى كان مخلصاً في حياته وواقعه ودعوته، مخلصاً مع ربه ومع نفسه ومع طلابه لذلك ففكره استطاع أن يصل إلى قلوب الناس ولازال فكره يقوم الاعوجاج الذي أصاب الأمة الإسلامية.

1. ما أفاض الله على إمامنا من ثمار الإخلاص:

لقد أفاض الله عز وجل على الإمام النورسي من ثمار إخلاصه السعادة التي أحالت جحيم العذاب إلى ماء سلسبيل، بل إلى جنه الدنيا، يذوق فيها إشراقه جنة الخلد، قبل أن يراها، إنه يعيش للأخرة، بناؤه للدنيا من خلال معاني آخرته، هو البناء الصلب الذي جمع إليه إخوان الآخرة كما كان يناديهم. وكان أهل الدنيا من المسؤولين الطغاة الطورانيين العلمانيين، لا وزن لهم عنده ولا ضياع للوقت معهم في السياسة الخداعة، إذ لا فائدة في الدعوة لقساة القلوب. (إن الله لا يهدى كيد الخائنين)⁷⁰⁹

⁷⁰⁷ - سورة المومنون الآية 57.

⁷⁰⁸ - سورة الزمر الآية 36.

⁷⁰⁹ - سورة يوسف الآية: 52.

(كذلك يلهم الله على كل قلب متكبر جباراً⁷¹⁰، (ويهدي إليه من أناب)⁷¹¹. ولا جلوس معهم إلا للتذكير: (ولما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين)⁷¹² ولا طاعة لهم. (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا، واتبع هواه وكان أمره فرها)⁷¹³.

لقد عاش لإخوانه من خلال الإخلاص وكان هو وهم في عمل دؤوب يصدق فيه قول عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: إن لأهل التقوى علامات يعرفون بها ويعرفونها من أنفسهم، من صبر على البلاء ورضا بالقضاء، وشكر للنعماء، وذل لحكم القرآن)⁷¹⁴.

فالإمام النورسي ترك كل ما في الدنيا لله عز وجل، فأكرمه الله بأن فتح على يديه قلوب إخوانه، وهم بالملايين اليوم، فصدق فيه قول الصحابي الجليل أبي بن كعب رضي الله عنه (اتخذ كتاب الله إماماً، وارض به قاضياً وحكماً)⁷¹⁵، وقوله: (ما من عبد ترك شيئاً لله عز وجل إلا أبدله الله به ما هو خير منه، من حيث لا يحسب وما تهاون به عبد فأخذه من حيث لا يصبغ إلا أتاه الله، ما هو أشد عليه منه من حيث لا يحتسب)⁷¹⁶.

لقد صاغت عقيدته وإخلاصه شخصية نادرة، لا يأس فيها ولا تردد في الحق، لا يخاف من البشر في وعيدهم وتهديدهم، بل لا يخاف من الأجل، لأن الذي يبني أخراه في الدنيا يفرح بترك الخراب إلى العمران وإلى الرحمن. فهو زاهد في الدنيا، بل هو معدم، إذ يرنو ببصيرته إلى رحمة ربه، فتَهون الدنيا كلها بقلبه (وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون)⁷¹⁷ والذي بنى شخصية النورسي المميزة تطلعه إلى حب الله ورسوله والفناء في طاعتهما وليس له في الوجود إلاهما.

2. ثمار إخلاص النورسي:⁷¹⁸

أولاً: فقه الإخلاص في فهم الدنيا والأخرى:

لقد فهم الإمام النورسي بعقله معنى الدنيا والأخرى واستوعبه كما خشع لهذا الفهم قلبه، وسرى في نبض عروقه، وأخضع سائر سلوكه من نوايا وعزائم وإرادة وعمل، ولسان وقلم وجهد وجهاد موصول، ووقت ومال وعلم، كما أخضع حياته وروحه لهذا الفهم، فكان إيماناً صادقاً يمشي على

⁷¹⁰ - سورة غافر الآية 35.

⁷¹¹ - سورة الرعد الآية 2.

⁷¹² - سورة الأنعام الآية 68.

⁷¹³ - سورة الكهف الآية: 28.

⁷¹⁴ - حياة الصحابة ج3/512-514.

⁷¹⁵ - نفس المصدر ج3/ص 512-514.

⁷¹⁶ - نفسه ج3/ص 521.

⁷¹⁷ - سورة الشورى الآية 36.

⁷¹⁸ - إخلاص الإمام النورسي ودعوة القرآن الكريم، عابد توفيق الهاشمي .

الأرض، إن الدنيا لا تعيش بقلبه . بما فيها من فتنة وزينة وإغراء (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور).⁷¹⁹

فمن أعمر الدنيا ببناء نفسه وبناء غيره، وإن كان له طاقة ببناء شعبه فذلك هو الفائز في الدارين: (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة هنية، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)⁷²⁰ (فأتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة) والله يحب المحسنين)⁷²¹ لذا فإن فقه الإمام النورسي مستقى كله من كتاب الله عز وجل فنراه يقول: (إن من عرف حقيقة الآخرة وكشف عن حقيقة الدنيا، لا يندم أبدا إذ كان ذالبا، ولا يتشبث بالعودة إلى الدنيا مرة أخرى)⁷²²، (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة، فما متاع الدنيا في الآخرة إلا قليل).⁷²³ فالإمام النورسي كان هدفه الآخرة في سلوكه وتعامله مع الناس صالحين وطالحين بميزان هدى الله تعالى: (وإن الدار الآخرة لهي الحيوات ولو كانوا يعلمون)⁷²⁴ . ويستحثه المصطفى صلى الله عليه وسلم في حب الآخرة والعمل الدائب الموصل إليها، بل تركيز الجهود لإعمارها (من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فاثروا ما بقى على ما يفنى)⁷²⁵ . لذا فالإمام النورسي ينادي إخوانه المخلصين في دعوته يناديهم بأحب نداء: (السيد الحافظ) (يا أبا الآخرة العزيز)، فما بعد الموت عنده يجمع، لأن العالم لها يتجرد ولا يتجرد من غير إخلاص، وإخوة الآخرة هم بحق إخوة الدنيا، والمتحابون في الدنيا على منابر من نور يوم القيامة كما أخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم، لذا فإن الناس بميزانه صنفان أهل الدنيا وأهل آخرة، وموقفه في كل منها موقف الفاروق عمر رضي الله عنه. (الناس طالبان : فطالب يطلب الدنيا فإرضوها في نحره فإنه ربما أدرك الذي يطلبه منها فهلك بما أصاب منها وطالب يطلب الآخرة، فإذا رأيتم طالبا يطلب الآخرة فنافسوه فيها) فالإمام النورسي لا يحب دنياه بمعانيه الفانية ولا يحب أهلها المفتونين بها، ولا يطمع بحبة خردل من دنياهم وعطائهم وجاههم وما لهم كما لا يطمع أولئك بالآخرة ونعيمها ورضوان الله وعطائه⁷²⁶ ، ومن كانت الأخرى غاية حياته فلا يشغله عنها ما سواها إذ هو منهمك في العيش برحاب القرآن الكريم يغرف من بحر عطائه، ويهبه إخوانه، ليثبت الإخلاص النقي من شوائب الدنيا في قلوبهم ، فلا خوف في دعوته ولا انحراف عنها إلى السياسة الخادعة، بل إن عيشه للقرآن وخدمته أنسته السياسة الماكرة.⁷²⁷

⁷¹⁹ - سورة آل عمران الآية 185.

⁷²⁰ - سورة النحل الآية 97.

⁷²¹ - سورة آل عمران الآية 148.

⁷²² - المكتوبات ص 85-86.

⁷²³ - سورة التوبة الآية 38.

⁷²⁴ - العنكبوت الآية 46

⁷²⁵ - رواه الحاكم عن أبي موسى.

⁷²⁶ - إمام العلماء والمحدثين عبد الله بن المبارك.

⁷²⁷ - المكتوبات 67-68.

ثانيا: تواضعه في حياته وإنكاره ذاته.

والتواضع من شعب الإخلاص للحق، ونقيضه التكبر. ويرى عبد الله بن المبارك أن رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا، حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل.

ويرى إمامنا بديع الزمان النورسي أن منبع التكبر هو صغر النفس، ومنبع الغرور ضعف القلب. فالضعيف بقلبه ونفسه يظهر التكبر ليغطي ضعفه وتفاهته. ثم إن الذات التي هي أعز على كل أحد ينكرها ويكفيه أنه عبد الله، أسوة برسوله صلى الله عليه وسلم لذا هو يخاطب من يعتبر بنفسه (أنا) فيقول: (يا من يحمل (أنا) مضاعفة، ويحمل في رأسه غرورا وكبرا، عليك أن تعرف هذا الميزان أن مقياس العظمة في الكاملين هو التواضع، أما الناقصون القاصرون فميزان الصغر فيهم و التكبر). ذلك أن الإنسان لو يعرف مقداره لما استعلى على أخيه.

لو عرف الإنسان مقداره ** لم يفخر المولى على عبده

أمس الذي مر على قربه ** يعجز أهل الأرض عن رده.

والعالم أبدا متواضع، لأنه يعرف قدر العلم ومقامه، لذا فهو يتواضع مدعيا الجهل، ونقيضه الجاهل: (لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم، فمتى ظن أنه علم فقد جهل).⁷²⁸

لذا فالإمام الشافعي رضي الله عنه وهو الذي ملأ طباق الأرض علما يقول:

كلما أدبني الدهر ** أراني نقص عقلي

وإذا ازددت علما ** زادني علما بجهلي

وهو كذلك يتواضع مع الصالحين ويميزهم عليه ويأمل شفاعتهم

أحب الصالحين وليس منهم لعلي أن أنال بهم شفاعته

وأكره من تجارته المعاصي ** ولو كنا سواء في البضاعة⁷²⁹

والتواضع في نظر العقلاء عظيم وبعيد المنال، حين يتواضع يسمو، والمتكبر الذي يستعلي و يصعد بنفسه يكون حقيرا فالتواضع زينة وسمو، والكبر قذارة وانحطاط. وهذه الثمرة ظهرت جلية على منهج النورسي الإصلاحية، فمن خصائص منهجه أنه ينفي ذاته في دعوته.

• الصبر والإرادة والعزم:

لولا الإخلاص الصادق في دعوته لما ثبت فيها منذ حدوثه حتى غرغر بالموت، وإن حياة سبعين سنة في جهاد موصول. باستثناء الاثنى عشرة الأولى في طفولته والسنين الخمس المتفرقة في حياة صبر وعناء. تنوء بحملها الجبال الشم، وكواهل الرجال الأشداء رغم ضعفه ومرضه وهزاله وشيخوخته.

وقيمة الرجال بعزائمهم، هكذا كان الإمام بديع الزمان النورسي اقتداءا بحديث الفاروق رضي الله عنه: (لا تصغرت هممكم فإني لم أرى أقعد عن المكرمات من صغر الهمم).⁷³⁰

⁷²⁸ - حديث نبوي

⁷²⁹ - أبيات للإمام الشافعي.

⁷³⁰ - قولة مشهورة للفاروق عمر بن الخطاب.

ومن دلائل صبره العجيب ما يرويه الإمام النورسي عن نفسه (أنه حيل بينه وبين أصدقائه ومعارفه وأقربائه سنين، إذ أبعد أكثر من 1500 كم عن مدينته "وان" إلى قرية في أقصى الغرب لا يلقى فيها واحداً أو اثنين من الأحباب خلال أسبوع إلا مرة أو مرتين، غير أن هذا المنع لا يبعد القلوب عن بعضها، بل يزيد شوقاً وحناناً وتماسكاً:

وإن كانت الأجسام منا تباعدت ** فإن المدى بين القلوب قريب⁷³¹

وفي الحديث النبوي الشريف الصحيح (الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف)⁷³².

أما الضيوف القادمون فلا يسمح لهم اللقاء به إلا دقيقة أو دقيقتين خلال شهر والمسألة أخروية منعت كل الناس، عن كل شيء وبقية وحيدا غريبا. لسنين عمرت مسجدا خريا. قمت فيه بالإمامة لأربع سنين. نسأل الله القبول. غير أنني لم أستطع الذهاب إليه في رمضان فصليت منفردا.⁷³³

وإمام النورسي صابر فيما يصيبه شخصا، ولكنه نأثر ضد انتهاكات الإسلام من قبل الطغاة من المسؤولين وهو القائل، (الرضا بالكفر كفر، والرضا بالظلم ظلم)، ثم إن الشدائد والمحن بعقيدته تقوى العزيمة وتضاعفها ولا تدعوه إلى اليأس قط إذ اليأس قرين الكفر، قال تعالى: (ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون)⁷³⁴. واليأس ضلالة ومناهة قال تعالى: (ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون).⁷³⁵

لذا فهو بالحق الذي يؤمن قوي، وشعاره القوة (القوة في الحق وليس الحق في القوة)⁷³⁶ فلو جعلتم الدنيا على رأسي نارا تتأجج، فإن هذا الرأس الذي أضحي به فداء للحقيقة القرآنية، لا يخضع لكم أبدا.⁷³⁷

لقد كانت أهم ثمار إخلاص الإمام النورسي في عقيدته وتتجلى في شعوره حين دخول المقابر بالسعادة والاطمئنان⁷³⁸ فالإمام كان يردد كثيرا: (إذا مت فأنا مجاهد، وإن قتلت فأنا شهيد).⁷³⁹

لقد قلب الإمام النورسي خطط الملحدين والعلمانيين والعملاء في تركيا رأسا على عقب، وأثمرت دعوة الإخلاص كله جيلا صلب الإرادة لا يلين، ولقد طلب الآخرة وأحبها فأكرمه الله عز وجل بنصر الدنيا وثواب الآخرة قال تعالى: (من كان يريد حرث الآخرة نزع له في حرقه. ومن كان يريد

⁷³¹ - من الأبيات الشعرية التي اتخذت من الحكم.

⁷³² - حديث نبوي.

⁷³³ - المکتوبات 81.

⁷³⁴ - سورة يوسف الآية 87.

⁷³⁵ - سورة الحجر الآية 56.

⁷³⁶ - تفصيلها في كتاب (العقيدة اليهودية وخطرها على المسلمين والبشرية).

⁷³⁷ - المکتوبات ص 548.

⁷³⁸ - المکتوبات ص 321.

⁷³⁹ - المکتوبات ص 321.

حرق الدنيا نؤته منها ، وماله في الآخرة من نصيب) ⁷⁴⁰ وقد ابغض الدنيا ومتاعها بخوف الله من التعلق بها فهانت بين يديه.

ومن أدعية النورسي التي فيها إخلاص وتجرد في حفظ دعوته ونشر أنوارها قوله: (اللهم يا من أجاب نوحا في قومه، ومن نصر إبراهيم على أعدائه، ويامن أرجع يوسف إلى يعقوب، ويا من كشف الضر من أيوب، ويا من أجاب دعوة زكريا.. نسألك بأسرار أصحاب هذه الدعوات المستجبات أن تحفظني وتحفظ ناشر هذه الرسائل ورفقاءهم من شر شياطين الإنس والجن، وانصرونا على أعدائنا، واكشف كربتنا وكربتهم، واشف أمراض قلوبنا وقلوبهم... آمين آمين آمين).⁷⁴¹

وإن هذا الدعاء لدعاء جليل له قدرة عند الله، أشبه ما يكون بدعاء الغريق في صدق الإلجاء إليه عز وجل: يقول حذيفة بن اليمان الصحابي الجليل رضي الله عنه (ليأتين على الناس زمان لا ينجو فيه إلا من دعا بدعاء كدعاء الغريق).⁷⁴² ليكون هذا الدعاء مستجابا وقد نجا رضي الله عنه هو وجماعته بهذا الدعاء وهم الآن ملئ السمع والبصر تغمد الله تعالى برحمته ورضوانه.

شروط الظفر بالإخلاص والحفاظ عليه.

لقد سعى النورس هذه الشروط بالدساتير التي ينبغي الأخذ بها وهي أربعة.

الدستور الأول: ابتغاء مرضاة الله في العمل.⁷⁴³

الدستور الثاني: عدم انتقاد الإخوان العالمين في خدمة القرآن إذ طلاب النور (رسائل النور) وخدام القرآن أجزاء وأعضاء في شخصية معنوية جديرة بأن يطلق عليها الإنسان الكامل.⁷⁴⁴

الدستور الثالث: معرفة أن القوة جميعا هي في الإخلاص لله واتباع الحق، ذلك أن الخدمة في سبيل الإيمان والقرآن هي دليل بذاتها على أن القوة في الحق والإخلاص، فيء يسير من الإخلاص في سبيل هذه الخدمة ويثبت هذه الدعوة، ويكون دليلا عليها.

الدستور الرابع: الافتخار بالإخوان والفاء وفهم بما يكفي لأن ينسى كل أخ حساسياته النفسانية ويعيش فكرا مع مزايا إخوانه وفضائلهم حيث أن أساس المسلك والمنهج هو الإخوة في الله يقول: (وما دام مسلكنا هو الخليلية فمشرينا إذا الخلّة، والخلّة تقتضي صديقا صدوقا، ورفيقا مضحيا، وأخا شهيا غيورا، وأس الأساس لهذه الخلّة هو الإخلاص التام... فالذين دخلوا ميدان خدمة القرآن الكريم المقدسة بواسطة رسائل النور لا يهونون بإذن الله في مثل تلك الهاوية بل سيمدون النور والإخلاص والإيمان قوة).⁷⁴⁵

⁷⁴⁰ - سورة الشورى الآية:

⁷⁴¹ - المکتوبات 544.

⁷⁴² - حياة الصحابة ج3/511.

⁷⁴³ - للمعات ص242.

⁷⁴⁴ - للمعات ص 243

⁷⁴⁵ - للمعات ص 246.

- أسباب كسب الإخلاص.

يعد ما تحدث الإمام النورسي على أهم الشروط التي ينبغي لخدام القرآن الكريم الأخذ بها، فقد وضع إلى جانب ذلك أهم الأسباب المؤدية إلى كسب الإخلاص (من وجهة نظره)، وأعظم وسيلة مؤثرة للمحافظة على الإخلاص، الموت، إذ طول الأمل يثلم الإخلاص ويفسده ويسوق الناس إلى حب الدنيا والرياء، في حين تنفر رابطة الموت من الرياء، وتجعل المرابط معه يحرز الإخلاص، وذلك من تخليصه من دسائس النفس الأمارة بالسوء، عن طريق تذكر الموت، وملاحظة الفناء الدنيوي، وقد استطاع الكثير من العابدين ومنهم الصوفية إزالة توهم البقاء وحلم الأبدية الذي يولد طول الأمل وذلك عن طريق الاستحضار الدائم لقوله تعالى: (كل نفس ذائقة الموت).⁷⁴⁶

وبين النورسي أن المسلك الذي يسلكه طلاب النور يختلف عن مسلك الصوفية، فلا يرى هؤلاء الطلاب أنفسهم " مضطرين مثلهم إلى مباشرة تلك الرابطة بالافتراض والخيال، فضلا عن أن هذا الأسلوب لا يلائم منهج الحقيقة، إذ التفكير في العقبي ليس هو بجلب المستقبل على الحاضر خيالا، بل الذهاب من الحاضر إلى المستقبل ومشاهدة المستقبل، ومشاهدة المستقبل من خلال الحاضر الواقع كما هو في الحقيقة، فلا حاجة إلى الخيال ولا يلزم الافتراض، إذ الإنسان يمكنه مشاهدة جنازته وهي ثمرة محمولة على شجرة عمره القصير، وإذا ما حول نظره قليلا لا يرى موته وحده، بل يرى أيضا موت عصره حتى إذا جال بنظره أكثر يرى موت الدنيا ودمارها، وعندها يفتح أمامه الطريق إلى الإخلاص التام.⁷⁴⁷

والسبب الثاني في إحراز الإخلاص عند الإمام النورسي يكمن في ضرورة أن يكسب المرء حضورا وسكينة بالإيمان التحقيقي واللمعات الواردة عن التفكير الإيماني في المخلوقات، إذ بهذا الضرب من الأمل يستطيع المرء إلى الوصول إلى معرفة الله تعالى، فتكون النتيجة النهائية لهذه المعرفة حصول الطمأنينة والسكينة في القلب. وهو بهذا النوع من الحضور والسكينة ينجو من الرياء، فيظفر بالإخلاص.⁷⁴⁸

- موانع حصول الإخلاص:

من أهم الموانع للوصول إلى الدرجة المطلوبة من الإخلاص والتي لخصها النورسي في ثلاثة موانع حدد أولها في الحسد الناشئ من المنافع المادية، والذي لا يقتصر على إفساد الإخلاص فقط، بقدر ما يعمل على تشويه نتائج العمل، ويفوت حتى تلك المنافع المادية أيضا، ذلك أن الرغبة في تحصيل هذه المنافع وترقيتها بدافع من أثره النفس الأمارة بالسوء، بل وحرصها على كسب المنافع ذاتها، تثير في المرء عرق الحسد وتحرك نوازعه تجاه أخيه وصاحبه في الخدمة القرآنية والإيمانية، فتكون النتيجة الإخلاص، وفقدان قدسية الدعوة إلى الله تعالى.

⁷⁴⁶ - سورة آل عمران الآية 185.

⁷⁴⁷ - اللمعات ص 246-247.

⁷⁴⁸ - اللمعات ص: 247.

وأما ثاني هذه الموانع، فإعطاء ما يداعب أنانية النفس الأمانة بالسوء وما تستشرفه من منزلة ومكانة تتوجه إليها الأنظار، وحب إقبال الناس، وطلب توجههم بدافع من حب الشهرة، وذياع الصيت الناشئ من التطلع إلى الجاه وحبه وأما ثالث الموانع فجعله النورسي الخوف والطمع.⁷⁴⁹

وهكذا تحدث الإمام النورسي رحمه الله تعالى عن قضية الإخلاص أحد أهم الوسائل المعنوية التي ساهمت في نشر دعوته، فحاول بيان أهميته وثماره وفوائده وأسباب تحصيله وكسبه وتنميته وبين أهم الموانع التي تعيق حصوله، وهو بذلك يوجه أنظار طلاب النور وخدام القرآن الكريم وأصحاب الدعوة إلى الله عامة، إلى أهمية هذا المسلك التربوي الإيماني الذي يدفع بالسائر فيه لا إلى تصويب علاقته بخالقه فقط، وإنما لتحقيق الحياة الأدمية الحقيقية التي يعيش فيها الإنسان داخل دائرة التكريم المسيح بواجب التكليف بما يجعله قادرا على فهم وإدراك مقاصد عمارة الأرض واستعمارها بما يحقق أسمى مقصد من أجله خلق الإنسان ألا وهو عبادة الله تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون).⁷⁵⁰

⁷⁴⁹ - اللمعات ص 247/ المكتوبات ص 533-557.

⁷⁵⁰ - سورة الملك الآية 22.

المبحث الرابع: التفاؤل

كان الإمام النورسي رحمه الله متفائلاً دائماً وما ينبغي له إلا أن يكون كذلك، لأن التشاؤم واليأس والقنوط من صفات الكافرين، والنورسي من سادة المؤمنين المتفائلين بالنصر المبين لهذا الدين، ويعتبر التفاؤل من أهم الوسائل المعنوية التي تثبت بها الإمام النورسي، ودفعت به وبدعوته إلى الإمام.

فبرغم المتبببات والمحبببات والحياة المريرة والمؤامرات الداخلية والخارجية على الإسلام والمسلمين، وبرغم السجون و المعتقلات والمنافي والمحاكمات، برغم هذا كله كان الأمام النورسي رحمه الله متفائلاً، ومؤملاً بإصلاح الفساد الذي في الدولة العثمانية، وفي صفوف المسلمين ورجال الإدارة والحكم، ففي سنة 1911 م سافر الإمام بديع الزمان النورسي إلى بلاد الشام، وألقى خطبته البليغة من على منبر الجامع الأموي، دعا فيها المسلمين إلى اليقظة والنهوض، وبين فيها أمراض الأمة الإسلامية، مبتدئاً باليأس وبين سبل علاج تلك الأمراض مستهلاً بالأمل.⁷⁵¹

ولما آلت الدولة العثمانية إلى السقوط، ودخلت الجيوش الكافرة إلى اسطنبول، كان بديع الزمان النورسي يحس بالألام في أعماق قلبه ، وبدأ بتأليف كتابه الخطوات الست هاجم فيه الغزاة بشدة وأزال دواعي اليأس الذي خيم على كثير من الناس.

وبرغم الظلام الذي لف آسيا ومسلمها، كان يرى مستقبلها في هذا الإسلام، وليس في تلك الدعوات الهدامة التي اجتاحتها في جملة ما اجتاحت من ديار الإسلام المسلمين. يقول الإمام بديع الزمان النورسي وعينه تمتد إلى المستقبل المأمول (وغدا أنطلق إلى ساحة عقباي، وأنا على يقين أن مستقبل آسيا بأرضها وسمائها يستسلم ليد الإسلام البيضاء إذ يمينه يمن الإيمان يمنح الطمأنينة والأمان للأنام".⁷⁵²

وكان الإمام النورسي متفائلاً بمستقبل الإنسان المستضعف المظلوم الذي سيكسر قيوده يوماً ما، ضمن نظرة مستقبلية قائمة على دراسة لماضي بمراحله التي اجتازها هذا الإنسان (إن الحروب الطفيفة بين الدول والشعوب تتخلى عن مواضعها إلى صراعات أشد ضراوة بين طبقات البشر. لأن الإنسان لم يرض في أدواره التاريخية بالأسر، بل كسر الأغلال بدمه ولكنه الآن أصبح أجيراً يتحمل أعباءه وسيكسرهما يوماً ما).

لقد اشتعل رأس الإنسان شيباً بعد أن مر بأدوار خمسة الوحشية والرق وأسير الإقطاع، وهو الآن أجير، هكذا بدأ، وهكذا يمضي⁷⁵³ ولسمع إلى شهادة أحد تلاميذه وهو يروي هذه الحادثة التي تدل على تفاؤله من كل ما يحيط به:

كنت جالسا مع الاستاذ في جامع " نور شين" فقال لي:

. يا هلا حميد انظر إنني محاط بالانوار

⁷⁵¹ - الخطبة الشامية.

⁷⁵² - اللوامع ص 837.

⁷⁵³ - اللوامع ص 852.

فلم أفهم قصده من هذا الكلام فبدأ يوضح كلامه بقوله: (إن القرية التي ولدت فيها اسمها " نورس " واسم والدتي " نورية " وجدي هو " نوري " والجامع الذي أبيت فيه " نورشين ".
ثم تبسم وقال: (انظر إلى اللوحة المعلقة هنا على الحائط فقد كتب عثمان ذو النورين رضي الله عنه.⁷⁵⁴

المبحث الخامس: الحوار

لقد اتخذ الإمام النورسي الحوار وسيلة أساسية في دعوته الإصلاحية، فالهدف الرئيسي من الحوار عند الإمام النورسي هو إقناع الغرب بشبابية الإسلام وصلاحه للبشرية أبد الدهر، إذ هو دين الله الخالد، وعجز حضارته عن تحقيق سعادة الإنسان والفرق بينهما شاسع: (فضل كلام الله على سائر الكلام، كفضل الله على خلقه)⁷⁵⁵. وحين يتحقق الهدف من حوار الأديان والحضارات يتبين الخداع القائم والمجاملات الزائفة ونشاد العلاقات على صدق الحقائق، لا الأوهام والمصالح ولا منطق القوة والبطش.

إلا أن الحوار بحاجة إلى سلاح العلم وهو مادة الحوار في (التوحيد وصدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وصدق القرآن وعالمية الإسلام في تشريعه، كما يحتاج الحوار إلى شجاعة في القول (فاصدم بما تؤمن)⁷⁵⁶ كما يحتاج الحوار إلى حكمة وأدب وخلق وجوه هادئ حليم (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتالي هي أحسن).⁷⁵⁷

وأعداء الدين وأعداء النورسي خصوم يسيطر عليهم العند قال تعالى: (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم، قل إن هدى الله هو الهدى، ولن أتبعن أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم، مالك من الله من ولي ولا نصيب)⁷⁵⁸ غير أن منهم من يستجيب للحق في الحوار (ليسوا سوا)⁷⁵⁹ ومنهم من يئس من دينه، وبحث عن الحقيقة في دين سماوي يعتنقه، ولنا في تحول العقلاء في العالم الغربي إلى الإسلام وهم اليوم بعشرات الملايين، الأمل في نتائج هذا الحوار الذي يدعو إليه الإمام النورسي رحمه الله قال تعالى: (وبأبى الله إلا أن يتم نوره، ولو كره الكافرون)⁷⁶⁰، لكن النورسي أعد لهذا الحوار عدته من اضطلاع على الأديان والحضارة وواقعها وكذلك الجهد

⁷⁵⁴- ذكريات عن سعيد النورسي ترجمة إحسان قاسم صالح ص: 11.

⁷⁵⁵- أخرجه الترميذي.

⁷⁵⁶- سورة الحجر الآية "94.

⁷⁵⁷- سورة النحل الآية: 125.

⁷⁵⁸- سورة البقرة الآية: 120.

⁷⁵⁹- سورة آل عمران الآية: 113.

⁷⁶⁰- سورة التوبة الآية: 32.

والصبر الذي لا يقدر عليه من وقف حياته على نشر الإسلام والسبيل بعد هذا العزم الصارم واضحة: (إذا صدق العزم فقد وضع السبيل).⁷⁶¹

إن الحوار الذي يدعو إليه القرآن الكريم، إنما هو الحوار البناء بأدب جم، لا رعونه فيه ولا تنمیز باستفهام واستغراب خفيف رقيق رغم إجرامهم في الحقد والخداع بالحق وكتمانه وهم يعلمونه (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل، وتكتمون الحق وأنتم تعلمون).⁷⁶²

والإسلام ينهانا حين المحاورة أن نسيء إليهم إلا للظالمين منهم والغاية من الحوار جمع وتوحيد صف الأمة الإسلامية وإعلاء كلمة الحق وسأحاول تقريب الحوار النوري من خلال المحاور التالية.

1. تعريف الحوار:

هو طريقة من طرق التواصل هدفه المراجعة في الكلام للوصول إلى الصواب أو الأكثر صواباً، وفيه حجة ودليل والحوار نقاش وتبادل الحديث بين طرفين أو أكثر يريد كل من المتحاورين الوصول إلى أهدافه، ومن أهم هذه الأهداف:

إيصال الدعوة.

إثبات الصواب.

. الوصول إلى الحقيقة يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى (رأي صواب يحتمل الخطأ ورأي غير خطأ يحتمل الصواب).

2. أهمية الحوار:

للحوار أهمية كبيرة . فهو من وسائل الاتصال الفعالة، حيث يتعاون المحاورون على معرفة الحقيقة والتوصل إليها، ليكشف كل طرف نهم ما خفي على صاحبه منها واليسر بطريق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق والحوار مطلب إنساني، تتمثل أهميته باستخدام أساليب الحوار البناء لإشباع حاجة الإنسان للاندماج في جماعة والتواصل مع الآخرين، والحوار يعكس الواقع الحضاري والثقافي للأمم والشعوب حيث تعلق مرتبته وقيمه.

3. أهداف الحوار:

من أهداف الحوار تحقيق سعادة البشرية من خلال جمعها في إطار القيم الإسلامية الخالد في الحق والحكمة⁷⁶³، (وقل الحق من ربكم)⁷⁶⁴ بعد قناعة كاملة وتسليم لها من غير إكراه (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي).⁷⁶⁵

⁷⁶¹ - قولة للإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله.

⁷⁶² - سورة آل عمران الآية: 17.

⁷⁶³ - الكلمات ص 473.

⁷⁶⁴ - سورة الكهف الآية: 29.

⁷⁶⁵ - سورة البقرة الآية 256.

ويتحقق هذا الهدف في الحوار الفردي والجماعي، وأكثر المعتنقين للإسلام في عمر التاريخ أسلموا من طريقين: القدوة الحسنة والحوار الفردي (الدعوة الحكيمة)، لاسيما في صدر الإسلام وزمن منتوجات الدولة العثمانية وأسلمة الشرق الأقصى وسواحل أفريقيا وصحارها.

ويعرض الإمام الصالح بديع الزمان النورسي فلسفة لحوار بين الحضارتين الغربية والإسلامية، بما تنتهي إلى انتصار القرآن الحكيم في نهاية المطاف⁷⁶⁶، وتتلخص أهدافه بهدفين:

أولاً: تحليل واقع المدينتين، وكأنه يقودنا من خلال هذا التحليل لطبيعة الحوار المنطقي بينهما فيقول: (المدينة الحاضرة تؤمن بفلسفتها إن ركيزة الحياة الاجتماعية هي (القوة) وهي ستهدف (المنفعة) في كل شيء وتتخذ (الصراع) دستور للحياة، وتلتزم بالعنصرية والقومية السلبية رابطة للجماعات، هذا (لهو عابث) لإشباع رغبات الأهواء وميول النفس التي من شأنها تزيد جموح النفس، إثارة الهوى (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله، إن الله لا يهدي القوم الضالين).⁷⁶⁷

ومن المعلوم أن شأن (القوة) هو (التجاوز)، وشأن (المنفعة) هو (التزاحم) غد هي لا تفي بحاجات الجميع وتلبية رغباتهم وشأن (الصراع) هو (التصادم) وشأن (العنصرية) هو (التجاوز)، حيث تكبر بابتلاع غيرها.

أما حكمة القرآن فهي تقبل (الحق) نقطة استثناء في الحياة الاجتماعية، بدلا من (القوة) وتجعل (رضى الله ونيل الفضائل) هو الغاية، والهدف بدلا من (المنفعة). وتتخذ دستور(التعاون) أساسا في الحياة، بدلا من دستور (الصراع)، وتلتزم رابطة الدين والوكن لربط فئات الجماعات، بدلا من (العنصرية والقومية السلبية)، وتجعل غاياتها (الحد من تجاوز النفس الأمانة، ودفع الروح إلى معالي الأمور، وتطمين مشاعرها السامية لسوق الإنسان نحو الكمال والمثل العليا لجعل الإنسان إنسانا حقا).

إن شأن (الحق) هو الاتفاق، وشأن الفضيلة هو التساند، وشأن التعاون هو إغاثة كل للآخر، وشأن الدين هو الأخوة والتكاتف، وشأن إجماع النفس وكبح جماحها وإطلاق الروح، وحثها نحو (الكمال) هو سعادة الدارين)، وهكذا غلبت المدينة الحاضرة أمام القرآن الحكيم.⁷⁶⁸

ثانياً: ومن أهداف الحوار إثبات هرم الدساتير البشرية وموتها، أما أزلية دساتير القرآن الكريم، الدائمة الشباب والقوة، ويضرب مثلين حقيقيين لذلك: (وَأَتُوا الزَّكَاةَ).⁷⁶⁹

(وَأَحِلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا)⁷⁷⁰ ، وذلك أن أساس جميع الاضطرابات في المجتمع الإنساني وما تمثله المدينة الحديثة الكافرة كلمتان (إن شبعت فلا علي بموت غيري من الجوع)، دفعت الخواص إلى الظلم والفساد، (واكتسب أنت لأكل أنا، واتعب أنت لأستريح أنا)، دفعت العوام إلى الحقد والحسد

⁷⁶⁶ - الكلمات ص 473.

⁷⁶⁷ - سورة القصص الآية: 50.

⁷⁶⁸ - الكلمات ص 472-473.

⁷⁶⁹ - سورة البقرة الآية: 43.

⁷⁷⁰ - سورة البقرة الآية: 275.

والصراع، فليست البشرية من الراحة والأمان لعصور خلت، ولقد عجزت البشرية بكامل طاقتها أن تصلح من هاتين الطبقتين أو تضمد جراحها.

أما القرآن الكريم فإنه يقتلع الكلمة الأولى من جذورها ويداومها بوجوب الزكاة ويقتلع الكلمة الثانية من أساسها ويداومها بحرمة الربا.⁷⁷¹

4 - مادة الحوار:

إن الحوار الذي يهدف إلى السعادة البشرية، كما يؤمن به الإمام النورسي رحمه الله فهو الحوار العقدي، والمتناثرة مادته في أجزاء القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

إن مادة الحوار هي الدعوة الربانية لأهل الكتاب (اليهود والنصارى خاصة) إلى الحوار في الدعوة إلى أربعة مجالات أساس أمد عليها الاسم، وعلى تفصيلها الإمام النورسي وهي: (التوحيد ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم، صدق القرآن الكريم، وعالمية الإسلام في نظامه الشامل للحياة) تجمعها آية في القرآن الكريم، (وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، وإلهنا إلهكم واحد، ونحن له مسلمون).⁷⁷²

أ . التوحيد: إن الحوار مع الكفار والمشركين في مجال التوحيد لا يكون إلا براهين يقدمها صاحب الحوار، ثم يوضح ثمار التوحيد لزيادة القناعة بأهميته.

* خلاصة التوحيد: "هي دعاء المصطفى صلى الله عليه وسلم (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك ، وله الحمد، يحيي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير وإليه المصير)، وهو روي أنها تحمل مرتبة الاسم الأعظم لله تعالى.⁷⁷³

* براهين التوحيد: هي أهم ما في الحوار الديني الذي عني به الإمام الداعية مع أهل لكتاب والمشركين بنص القرآن، والمتناقضين في عقيدة التوراة إشراكا وتوحيداً.⁷⁷⁴

ب . نبوة محمد صلى الله عليه وسلم:

الحوار حول نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، لابد من براهين قاطعة تزهري في الحوار لإقناع الطرف الآخر، وتتمثل هذه البراهين، بما ذكره الإمام النورسي رحمه الله تعالى:

. براهين نبوته: أهمها ما يلي:

* إخبار الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم بنبوته قال تعالى: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى،

ومدين الحق ليظهره على الدين كله وكفر بالله شهيدا، محمد رسول الله).⁷⁷⁵

* الإجماع على صدق نبوته.⁷⁷⁶

⁷⁷¹ - الكلمات ص 473-474.

⁷⁷² - سورة البقرة الآية: 136.

⁷⁷³ - المكتوبات 288-297.

⁷⁷⁴ - لا يكن اجتماع الضدين لا عقيدة ولا عقلا ولا عاطفة.

⁷⁷⁵ - سورة الفتح الآية 28-29/ المكتوبات ص 113 (رسالة المعجزات الاحمدية).

⁷⁷⁶ - الشعاعات 172.

* المعجزات الأحمدية أكثر 300 معجزة بل ألف.⁷⁷⁷

* القرآن الكريم ، معجزته الكبرى.

* الإرهاسات (الحوادث الخارقة قبل نبوته ووقت ولادته).⁷⁷⁸

* إخباره صلى الله عليه وسلم بأبناء الغيب بالأزمنة السابقة والأنبياء السابقين وهي كثيرة.⁷⁷⁹
* معجزاته عن المستقبل.

. أخباره الغيبية بما سيصيب الآل والأصحاب من بعده.

. أخباره الغيبية عن أصحابه وأمته من بعده.

. معجزاته من خلال الجمادات.

. معجزاته صلى الله عليه وسلم باستجابة دعائه

* معجزاته والبشائر بنبوته من خلال التوراة والإنجيل وصحف الأنبياء.⁷⁸⁰

* معجزته الكبرى القرآن الكريم.

* النبي صلى الله عليه وسلم هو ذاته معجزته كامل في الخلق والخلق.

ج . صدق القرآن الكريم : وهو من أهم الأمور التي تدعم الحوار وتعطيه مصداقيه.

د . عالمية الإسلام: الإسلام هو نظام الحياة الذي سيحكم القارات، قال تعالى: (تبارك الذي نزل

الفرقان على عبده، ليكون للعالمين نذيراً).⁷⁸¹

ولقد خصص الإمام النورسي صفحات تفصيلية لمسألة عالمية الإسلام في سيرته الذاتية (ص 102-116-117-138-141).

5- المدعوون إلى الحوار:

أ . أوروبا وما وراءها في الحضارة المضللة، تاركين دينها ويدعو الإمام النورسي رحمه الله بخطابه أوروبا:

أنك أخذت بيمينك الفلسفة المضلة السقيمة وبيسارك المذنبه المضرة السفهية تدعين أن سعادة

البشر بها شلت يداك وبئست هدايتك، ويعلل كيف يوجه إلى السعادة من أصيب بيتهم في روحه وشؤم

في قلبه، ومصيرة على جهنم وهو جنة كاذبة زائلة (كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون).⁷⁸²

وحيثما توجهنا لا نسمع إلا صيحات الظالمين ونيحات المظلومين ثم يخدرون بالملاهي دواء، وهي الداء!

ولا نرى إلا عساكر يحمون الطواغيت، ويقاتلون للحفاظ عليهم (وما دعاء الكافرين إلا في

ضلال).⁷⁸³

⁷⁷⁷ - المتنوي العربي ص 66.

⁷⁷⁸ - المكتوبات 116-130.

⁷⁷⁹ - يرجع إليها في المكتوبات 117.

⁷⁸⁰ - المكتوبات ص 219-227.

⁷⁸¹ - سورة الفرقان الآية: 1.

⁷⁸² - سورة الأنعام الآية: 122.

⁷⁸³ - سورة الرعد الآية: 14/المنثوي العربي ص 268-271.

ب . يدعو النصارى الذين أخذوا بمحاسن المدينة ومازالوا تائهين في البحث عن سعادتهم في الحياة: ويستترسل الإمام النورسي النورسي في خطاب أوروبا التي تدعو إلى فساد فلسفتها للحياة التي تغري بالبطن والفرج.

ج . يدعو البابا من خلال برقية جوابيه لتوثيق الصلات، تمهيدا لما بعدها من تقارب وود.⁷⁸⁴
6 . المبعدون من الحوار: (لا فائدة من الحوار معهم). المبعدين من الحوار عن الإمام النورسي رحمه الله يمثلون في صنفين:

. الصنف الأول: المصرون على كفرهم وعنادهم، كاليهود والصهيانية.
. الصنف الثاني: المستعمرون، وطلّاع جنودهم من المبشرين وأكثر المستشرقين واليهود عموما، وقد جهزوا طاقاتهم لمحاربة الإسلام.

ويحذر الإمام النورسي رحمه الله من الخوض في الحوار من غير تسليح بالعلم والإيمان: (اعلم يا من يشتغل بالمناظرة مع الملحدين والمتشككين والمقلدين ببزنادقة الأوروبيين أنك على خطر عظيم إن كانت نفسك غير مزكاة، لأجل التحاق نفسك سرا وتدرجيا من حيث لا تشعر بخصائك ويضيف إليها قوله: إن الكفار لاسيما الأوروبيون ولاسيما شياطين في انكلترا وأبالييس الفرنك أعداء الداء وخصماء معاندون أبدا للمسلمين وأهل القرآن).⁷⁸⁵

7 . أخلاقية الحوار غير النورسي:

أ . التزام الصدق:

يؤكد النورسي تأكيدا قويا ولا يسمح للكذب قط فيقول: (أما السكوت وإما الصدق)⁷⁸⁶ وذلك لأن حبة واحدة من صدق تبديد بيدرا من الأكاذيب، وأن حقيقة واحدة تهدم صرحا من خيال. فالصدق أساس العظيم وجوهر ساطع، وربما يتخلى عن مكانه للسكوت... ليكون كلامك كله صدقا لتكون أحكامك كلها حقا، ولكن عليك أن تدرك هذا، أنه لاحق لك أن تبوح بالصدق كله.⁷⁸⁷
ب . المحبة:

يولي النورسي المحبة في الرسائل أهمية عظيمة حتى بعدها (سبب وجود هذه الكائنات والرابطة لأجزائها، وأنها فور الأكوان وحياتها).⁷⁸⁸
ج . دفع الخطر المشترك:

لما كان الكفر المطلق عدو الإنسانية قاطبة على اختلاف الأديان والحضارات، حيث يدمر حياة الإنسان الدنيوية مثلما يبديد حياته الأخروية فمن الضرورة قيام الأديان معا لمجابهة هذا العدو المشترك الذي لا يميز دينا عن دين. ومن هذا المنطلق نرى النورسي يدعو إلى التعاون والتآزر مع الأديان السماوية.

⁷⁸⁴ - المؤتمر العالمي السابع لبيدع الزمان سعيد النورسي/ العالم الإسلامي والغرب والحاجة إلى الحوار والفهم المتبادل.

⁷⁸⁵ - المنثوي العربي النوري ص 180.

⁷⁸⁶ - إشارات الانجاز في مكان الإيجاز ص 97.

⁷⁸⁷ - صيقل الإسلام ص 506.

⁷⁸⁸ - الكلمات ص 410.

8. الحوار في رسائل النور:

أن الذي يدرس رسائل النور ويتمعن فيها يتوصل إلى النتائج التالية:

- رسائل النور ذات بنية حوارية واضحة، إنها بعبارة أخرى مجموعة من الحوارات المباشرة وغير المباشرة، الحوارات الصريحة أو المضمرة، الحوارات المنجزة الفعلية أو المفترضة المتخيلة.
- الحوار في رسائل النور له أشكال عديدة وأنماط متنوعة ، فقد جاءت تارة على شكل مناجاة (حوار مع النفس) وجاء تارة أخرى على شكل مكاتب ومراسلات مع الطلاب (الملاحق) وقد جاء أيضا على شكل مناظرة أو مناقشة أو فقد أو جوابا عن أسئلة.
- اشتملت رسائل النور على معجم حوارى غني فنحن نجد فيها مصطلحات كثيرة من قبيل الحوار والمحاور، النقاش، الجدل المناقشة المناظرة، المذاكرة، الاقتناع، المناجاة التشاور، الرسائل...الخ.
- هناك العديد من المؤثرات التي تدل دلالة أكيدة على أن رسائل النور هي مجموعة من الحوارات.

خلاصة:

الإمام النورسي لا يدعو إلى الحوار والتواصل مع المسلمين فقط بل إنه يدعو إلى التواصل والتحاور مع المسلمين وغير المسلمين. ويؤكد على اللجوء إلى أسلوب الإقناع والحجاج والاستدلال، لأن الإسلام دين حوار وحجاج وإقناع، لا دين إكراه وعداء قال تعالى: (لا إكراه في الدين).⁷⁸⁹

⁷⁸⁹ - سورة البقرة الآية: 255.

الفصل الثالث: منهج النورسي في الإصلاح

كان الهدف الرئيسي للإمام بديع الزمان النورسي رحمه الله تعالى هو إنقاذ الإيمان ليعود الناس إلى دينهم، وقيموا في بيوتهم ومجتمعهم ودلتهم على الإسلام.

يقول الإمام النورسي: إن غايته إصلاح الأسس التي يبني عليها الإيمان فإذا أصبح الأساس صلباً قوياً فلا يؤثر فيه مؤثر بعد حتى الزلزال.⁷⁹⁰ فليس له غاية في هذه الحياة، سوى إنقاذ الإيمان وإعادةه إلى القلوب التي فرغت وإلى الحياة بعدما وإن عليه ما ران من الضلالات والإلحاد الذي يسعى إلى القضاء عليه، وفي القضاء على الإيمان قضاء على الأمة في الدنيا والآخرة، لذلك مركز كل مساعيه على بيان حقيقة الإيمان التي تبعت الطمأنينة في الفرد والسعادة في المجتمع. وبالنسبة للأهداف الأخرى التي شغلت بال الإمام النورسي فهي تنبثق من الهدف الأعلى (إنقاذ الإيمان) وهي كثيرة:

- القضاء على الجهل.
- نشر العلم (تعميم المدارس والجامعات في أنحاء الدولة).
- القضاء على الفقر.
- القضاء على الاستبداد.
- الدعوة إلى وحدة المسلمين.

وللوصول إلى هذه الغايات والأهداف ولتحقيق مقصده الإصلاحية وظف الإمام النورسي منهجاً خاصاً به استلهمه من القرآن الكريم ومن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم

⁷⁹⁰ - السيرة الذاتية (إحسان قاسم صالح) ص 21.

المبحث الأول: التدرج في الإصلاح والدعوة إلى التغيير والومضية وعدم التعصب والشمولية والعالمية خصائص ميزت منهج النورسي الدعوي.

1 - التدرج في الإصلاح والدعوة إلى التغيير.

يقول الدكتور محسن عبد الحميد في كتابه عن النورسي:

كان النورسي يؤمن (بالنظام) ويبعد (الفوضى) ويؤمن (بالتدرج) ولا يعتقد (بالطفرة) فالنظام والتدرج هما أساس الوجود كله، وأي خروج عليهما، يعني إدخال الفساد عليه، وهو خروج واضح من تعاليم القرآن الكريم، والسنة الشريفة، فالقرآن هو الكذب المقرون والسنة هي الكون المطبق في الحياة العلمية.

وفي ضوء ذلك يدعو النورسي إلى تغيير اجتماعي منظم يتمسك بقانون التطور الفطري التدريجي، ويجب أن يبوأ من القاعدة ويصعد إلى القمة لا العكس، لأن العكس سيؤدي إلى زعزعة الحياة الاجتماعية، ويحصل منه شر مستطير وتخریب كبير.

فالإمام النورسي يقول: (إن من يشق طريقاً في الحياة الاجتماعية ويؤسس حركة لا يستثمر مساعيه، ولن يكون النجاح حليفه، ما لم تكن الحركة منسجمة مع القوانين الفطرية التي تحكم الكون بل تكون جميع أعماله لأجل التخریب والشر.⁷⁹¹ إذا فلا بد أن يكون قانون التغيير في حياته هو التغيير التدريجي حتى لا يختل توازن الحياة فيؤدي إلى نتائج عكسية.⁷⁹²

ولهذا بدأ بالأهم ثم المهم في سلم الأوليات الذي هو منهج الأنبياء، ومن هنا كان تركيزه على إعادة الإيمان إلى النفوس والقلوب والحياة، وكل الأهداف الأخرى كانت تابعة للإيمان وتابعة منه، يقول الإمام النورسي: (إنه لابد لهذا العصر من مجدد له شأنه، ليقوم بتجديد الدين والإيمان وتجديد الحياة الاجتماعية والشرعية، وتجديد الحقوق العامة، والسياسة الشرعية ولكن أهم تلك الوظائف هو التجديد في مجال المحافظة على الحقائق الإيمانية، فهو أجل تلك الوظائف الثلاث لذا تبقى دوائر الشريعة والحياة الاجتماعية والسياسة في الدرجة الثانية والثالثة والرابعة، بالنسبة إلى دائرة الإيمان).⁷⁹³

أي أن الإمام النورسي ومع سلم أولوياته على النحو التالي: الإيمان ثم التربية ثم الشريعة، ولهذا تدرج في دعوته الإصلاحية من الفرد عاملاً وطالبا وعاملاً، ورجل إدارة وسياسة، يفرس في نفوسهم العقيدة والإيمان والأخلاق، ومبادئ الإسلام وفضائله ثم ينتقل إلى البيت زوجاً وزوجة وأولاداً وأسرة ثم إلى المجتمع بكل ما فيه من شرائح وطبقات وفئات، ثم إلى الأمة الإسلامية.

واستمر النورسي رحمه الله في تطبيق نظريته التغييرية عن طريق.

. نشر حقائق الإسلام بالأدلة والبراهين.

⁷⁹¹ - اللغات ص 160.

⁷⁹² - كتاب الدكتور حسين عبد الحميد (النورسي رائد الإصلاح) ص: 62.

⁷⁹³ - الملاحق ص: 196.

. تكوين الجيل المؤمن الصالح.

. بث الوعي الإسلامي بخطورة الحملة الشرسة على الإسلام والمسلمين.

. تهيئة صفوف الأمة للوقوف أمام الموجة اللادينية الطاغية.

. نقل التربية الإسلامية إلى داخل البيوت.

وقد نجح في أسلوبه هذا إلى حد بعيد.⁷⁹⁴

2 - الوسطية وعدم التعصب:

كان منهج الإمام النورسي في الإصلاح والتغيير يقوم كذلك على الوسطية وعدم التعصب أو المغالاة في التحيز، يقول الشيخ بديع الزمان النورسي : (أيها العالم الإسلامي ، إن حياتك في الاتحاد إن كنت طالبا للاتحاد، فاتخذ هذا دستورك ، لا بد أن يكون " هو حق" ، بدلا من " هو الحق" إذ يحق لكل مسلم أن يقول في مذهبه ومسلكه، " إن هذا حق" ولا أتعرض لما عداه فإن يكن جميلا فمذهبي أجمل بينما لا يحق له أن يقول في مذهبه، إن هذا هو الحق، وما عداه باطل، وما عندي هو الحسن فحسب، وغيره قبيح وخطأ.) إن ضيق الذهن وانحصاره على شيء ينشأ من حب النفس ثم يكون داء ومنه ينجم النزاع.⁷⁹⁵

وبهذا السلوك يكون التعاون والاتحاد، وبغيره يكون التنازع والتخاصم والتناذب ، وهو ما يسعى إليه أعداد الأمة الإسلامية، وعلى هذه الوسطية ربي الإمام النورسي تلامذته، ليصلح بهم الناس، وبهذه الوسطية نفس موقفه من الحضارة الغربية و فلسفتها، وعلومها، وموقفه من المدارس الدينية والمدارس الحديثة ومن العلماء المبتدعين ، ومن الصوفية المنعزلين.

3 . الشمولية:

تميزت دعوة النورسي كذلك بكونها، دعوة شمولية، وتحاول أن تكون مكافئة للقوى الثقافية المعادية، لأن المدى الإلحادي في تركيا كان يشمل جميع جوانب الحياة، وكان يركز على الأصول والكليات في الإسلام قبل الفروع والجزئيات، ولذلك جاءت دعوة النورسي متممة بسمته الشمول والكلية⁷⁹⁶ . وفي هذا الصدد يقول الإمام النورسي: (إن رسائل النور لا تعكر تخريبات جزئية، ولا ترمم بيتا صغيرا مهتما، بل تعمر أيضا تغريبات عامة كلية، وترمم قلعة عظيمة صخورها كالجبال، تحتضن الإسلام وتحيط به، وهي لا تسعى لإصلاح قلب خاص ووجدات معين، بل تسعى أيضا لمداواة القلب العام المجروح، ووضياء الأفكار العامة المكلومة بالوسائل المفسدة التي هيئت لها، وركمت منذ ألف سنة، وتنشط لمداواة الوجدان العام الذي توجه نحو الفساد نتيجة تحطم الأسس الإسلامية وتياراته وشعائره التي هي المستند العظيم للجميع ولاسيما عوام المؤمنين ، نعم إنها تسعى لمداواة تلك الجروح الواسعة الغائرة بأدوية إعجاز القرآن والإيمان.

⁷⁹⁴ - السيرة الذاتية للنورسي (محسن عبد الحميد) ص 65.

⁷⁹⁵ - الكلمات ص: 896.

⁷⁹⁶ - فرح محمد الوصيف (بديع الزمان النورسي) ص 105.

فأمام هذه التخريبات الكلية الرهيبة، والشكوك الواسعة والجروح الغائرة، ينبغي وجود حجج دامغة، وأعتدة مجهزة بدرجة حق اليقين، وبقوة الجبال ورسوخها، ووجود أدوية مجربة لها من الخواص ما يفوق ترياق وترياق، ولها من المزايا ما يضاهي علاجات لا حد لها.⁷⁹⁷

ولذلك فالإمام النورسي رحمه الله تعالى كان يخاطب سائر فئات المجتمع حكاما ومحكومين علماء وعمامة: وانطلاقا من هذا الشمول فقد سار في الخطوط العامة المتوازنة في دعوته، حيث إصلاح الفرد، وإصلاح البيت، وإصلاح المجتمع، وإظهار الحقائق بإزالة اللبس لدى طلاب النور، وتفنيده شبه العلمانية والملحدين، وشبه غير المسلمين، وكشف الحقيقة حول دعوته لدى المسؤولين وفي دفاعاته في المحاكم، وإظهار الحقائق حول الأفكار السائدة في تركيا على زمانه، وبدل مساعيه المضنية لأجل عودة الخلافة الإسلامية. ولم يقصر الدعوة على جانب معرف معين، بل كانت شاملة لجميع العلوم والمعارف التي شملها الإسلام، يقول عن الرسائل التي هي مرآة دعوته: (إن رسائل النور تسد الحاجة التي تخص الحقائق الإسلامية، فلا تدع حاجة إلى مراجعة مؤلفات أخرى).⁷⁹⁸

4 - العالمية:

كانت دعوة الإمام النورسي دعوة عالمية وليست إقليمية كانت يحث على ترجمة رسائله إلى اللغة العربية وإلى اللغات الأخرى التي تنطق بها سائر الشعوب الإسلامية، بل وغير الإسلامية، من أجل التبشير بأفكار وتعاليمه المنبثقة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وكان يأمل أن يقوم علماء الأزهر أو من بلاد الشام بترجمتها إلى اللغة العربية، كما أوفد أحد طلبته إلى العراق ومصر من أجل هذا الغرض.

ولذلك كان الإمام النورسي رحمه الله يضع أمله في العرب وليس في قومه الأكراد ولا في الأتراك شأنه شأن أي عالم مجدد أو مصلح إسلامي يعمل على النهوض بالأمة الإسلامية. وليس أحق من العرب المسلمين بالنهوض، واستلام زمام القيادة قال الإمام النورسي رحمه الله في خطبة الشامية: (إنني انتظر من العرب أن يوحدوا صفوف المسلمين ويعيدوا إلى الإسلام سالف عهده وأملي كبير بأن الأجيال القادمة سوف تعيش اليوم الذي يمتد فيه الإسلام إلى شتى أنحاء العالم).⁷⁹⁹

ويعرض بالقوميين العرب العلمانيين المنادين بالقومية العنصرية البعيدة عن الإسلام، كدعاة القومية التركية الطوارنية فيقول النورسي: (وكذا العرب قد سرى الإسلام فيهم، فلا يمكنهم الانفصال عنه والانفصال، فلا معنى للعرب ولا مكانة إلا إذا اقتربت عروبتهم بإسلامهم فالقومية خطر عظيم).⁸⁰⁰

ولذلك كان الإمام النورسي رحمه الله يؤكد على اللغة العربية والحروف العربية، يعلمها تلاميذه، ويدعو إلى أن تكون خطبة الجمعة باللغة العربية، ولا يرى إلقاءها بغير العربية تحت أي ذريعة، ونظرته إلى الأتراك كنظرته إلى العرب في تمسكهم بالإسلام، وأنهم جزء لا يتجزأ منه. يقول الإمام النورسي: (إن

⁷⁹⁷ - الملاحق ص 118.

⁷⁹⁸ - فرح محمد الوصيف (بديع الزمان النورسي) ص 277-278.

⁷⁹⁹ - عبد الفتاح أبو غدة . العلماء العزاب ص 244.

⁸⁰⁰ - عبد الفتاح أبو غدة . العلماء العزاب ص 249.

الأترك قوم لا يمكنهم الانفصال عن الإسلام وهم جزء غير قابل للانفصال عن الأمة الإسلامية، حتى أن غير المسلم فيهم لا يكون تركيا فكل تركي مسلم).⁸⁰¹

وتبقى أبرز صفة ممكن أن نصف بها دعوته ، أنها إسلامية تعنى بقضايا العقيدة، لاسيما وجود الله ووحدانيتها واليوم الآخر (الحشر) وما يتعلق به من أمور غيبته، وكل خصائص ومنهج دعوته التي أشرنا إليها وهي (التدرج والوسطية والشمول والعالمية) وهي من خصائص هذا الدين.

المبحث الثاني: منهج معاصر لتحقيق مفهوم العالمية القرآنية

لكل عصر أسلوب ومنهج في تبليغ الدعوة الإسلامية إلى أرجاء العالم، وعصرنا يعتمد بالدرجة الأولى على الكلمة الطيبة الهادفة الواعية، ومخاطبة العقول والأفكار للإقناع، وإثارة الميول الروحانية الصحيحة القائمة على النزعة الفطرية القومية واعتماد العلم والمعرفة أساسا في غرس القناعة ، ومواكبة ظروف العصر وتطلعاته وحاجياته.

وكذلك في الواقع ما قامت عليه الدعوة الإسلامية، فالله عز وجل يأمرنا بحسن العرض ونصاعة البيان وطيب الكلام وإشعار الآخرين بالاحترام والتكريم، قال تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن أن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمفتدين).⁸⁰²

قال سبحانه: (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين أضلوا منكم، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، وإلينا وإلهمم واحد ونحن له مسلمون).⁸⁰³

وإسلام دين العقل والفكر، وقد عني القرآن الكريم بإثارة الأفكار والعقول والتأمل في الكون والاهتداء بذلك لإثبات وجود الله ووحدانيته . والروح مركز الإشعاع الإيماني، وإيقاظ المشاعر الروحية: لسبيل لإنارة العقل وتنبيه الإنسان نحو الخير وتحقيق السعادة.

وإسلام دين الفطرة الإنسانية، فكل أحكامه وتعاليمه تنسجم معها وتلتقي بها فيتحقق اليسر والسماحة وتمتنع كل ألوان الحرج والمشقة.

والعلم في الإسلام، دعامة له وقاعدة رسالته، والقرآن مصدر العلوم والمعارف وأداة لنشر العلم وتوجيه العلماء وهذا ما أكده النورسي مبينا أن القرآن هو المصدر الأساسي للعلم والمعرفة، وأن العلوم الاجتماعية والإنسانية والطبيعة تنبثق من مشكاة القرآن الكريم.

⁸⁰¹ - عبد الفتاح أبو غدة . العلماء العزاب ص 249.

⁸⁰² - سورة النحل الآية: 125.

⁸⁰³ -سورة العنكبوت الآية: 46.

لكن من العلوم ضرورة الاعتماد في تبليغ العالمية القرآنية والدعوة إلى الإسلام بأساليب العلم المعاصرة، لتتحقق الغاية من نحو قريب ومن طريق يسير لذا حرص النورسي على إصلاح نظام التعليم، بتعليم العلوم الدينية والعلوم الدنيوية المعاصرة معا، دون اقتصار على إحداها دون الأخرى. ولقد كان النورسي رحمه الله تعالى عميق الفهم لدين الإسلام وعالمية القرآن، في مجال العقيدة الصحيحة، والعبادة القويمة، وفي تربية النفسي على معاني الأخلاق والتزام الآداب السلوكية، وفي المعاملة والتحضر والسياسة، ومراعاة ظروف الدولة، فوظف منهج التدرج والتغير ومنهج المناقشة والمفاضلة و الموازنة في سبيل الدعوة إلى القرآن وكان يعتمد التخفيض السليم في كل شيء.⁸⁰⁴ ونجح منهج النورسي وكانت رسائله وآثاره خيرا وبركة مادية ومعنوية على تركيا والعالم الإسلامي في حياته وبعد مماته.

واستمر طلابه بعده في أداء رسالته ودعوته، ولاسيما الشيخ الجليل " محمد فتح الله كولن" الذي قدم خدمات كبيرة في مجال تطبيق أفكار الإمام النورسي، في الواقع العلمي . وفي الحياة الاجتماعية، وعلى نطاق شعبي واسع، من طريق نشر العلم سواء في تركيا أو خارجها.⁸⁰⁵ وكان النورسي بهذا المنهج الرشيد علما من أعلام العلم والعمل والجهاد، والدعوة إلى سبيل الله والحق لترسيخ عالمية القرآن، وجعل دين التوحيد، وعقيدة الوحدانية عالمية لأن جميع النفوس تتجاوب معها، ولأنها عقيدة الفطرة الإلهية وتتقبلها العقول الرشيدة بسرعة وأدنى تأمل.

المبحث الثالث: منهج نوربي أخلاقي ينفي البعد الشخصي

من القوانين المتحكمة في العمل السياسي، مركزية الزعامة وهي تقابل قانونا آخر متحكما في الممارسة العرفانية وهي مركزية المشيخة، المنهج الأول يقوم على استثمار الرأسمالي الرمزي للزعيم في عملية الاستقطاب اليومي للجماهير التي يراد بدورها استثمارها في التدافع السياسي، ولا يخفى أن العمل الإسلامي المعاصر دخل بطريقة شعورية في شرنقة هذا القانون ، وتحول إلى أحد مصدقاته، بحيث إن الزعامات الإسلامية السياسية التقليدية لازالت تهيمن على العمل السياسي.⁸⁰⁶ وفي المجال الصوفي أو العرفاني، يحتل الشيخ ذات المرتبة التي يحتلها الزعيم السياسي وربما أكثر مع الخلاف المعتبر في طبيعة الدلالات الرمزية التي يمثلها الشيخ الصوفي والذي تستمر سلطته الروحية في توسع قاعدة المريدين..

في المجال النوربي يلاحظ أن ثمة تركيز على البعد الرمزي للأفكار التي تمثلها رسائل النور، مع حرص متواضع ولكنه بناء على الضرورة التربوية في استبعاد الشخص ولو كان النورسي نفسه، هنا يظهر أن دعوة النورسي دعوة صريحة للأتباع حتى يدوروا في فك الفكرة يدل الدوران في فلك

⁸⁰⁴ - بديع الزمان فكره ودعوته ص 166/ سعيد النورسي رجل الأقدار ص 44.

⁸⁰⁵ - بديع الزمان فكره ودعوته إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي مكتب الأردن ومركز بحوث رسائل النور.

⁸⁰⁶ - المؤتمر العالمي السادس لبديع الزمان النورسي (مركزية الأخلاق في منهج الإصلاح عند النورسي المصطفى تاج الدين) يمكن هنا استثناء بعض التجارب الإسلامية التي حاولت القليل من البعد الشخصي في العمل الحركي).

الشخص يقول النورسي: (لأنه لا يمكن قبول حسن الظن المفرط نحوي ومنحي مقاما وأهمية تفوق حدي ألف درجة إلا إذا كان باسم رسائل النور وخدمتها وكونها داعية ودلالة إلى جواهر القرآن الكريم ، نعم ليس لي حق قط قبول مثل هذا الظن الحسن باعتباري الشخصي الذي حق قط قبول مثل هذا الظن الحسن باعتباري الشخصي الذي لا أهمية له إطلاقاً).⁸⁰⁷

وسؤال مهم يطرح نفيه هنا: كيف يتم لهذا الرجل الإلهي أو يوفق بين واجب التبشير برسائل النور ودعوى التفاخر وتضخم الذات؟

لقد كان التوفيق هنا منبعثاً: لا من استراتيجية مركبة تحاول إبعاد المهمة خوفاً من حسران حركي ولكن الجواب كان أخلاقياً في بعده، إيمانياً في مصدره، حضارياً في وعيه بطبائع الصراع وخصائصه ملكي بدار العمل الإسلامي على مركزية أخلاقية لا بد من تحقيق مطلبين:

المطلب الأول: نزع الصفة الشخصية عن الذات العاملة.

تتحول الذات الداعية إلى أداة في يد الأقدار، تجتهد وتعمل وتستفرغ الوسع، فلا تنسب الانجاز إلى نفسها بل إلى الألفاظ الإلهية، والتقديرية الربانية، وصيتها يتحقق بهذا النكران للذات رصيد من صدق يجعل كل نتائج العمل الإسلامي عملاً قديراً، لا في النظر إليه من الآخرين بل في تقييمه من قبل الذات التي أنتجته وأخرجته إلى الوجود، هذا الصدق مع الله يفك الإنسان من الارتباط الآلي بالأسباب المادية بل وحتى بسنن التغيير ذاتها والتي تضخمت في أذهان كثير من العاملين للإسلام حتى أضحت آلهة من دون الله مع أن خالق هذه السنن ومبدعها وهو القادر إن شاء أن يحولها حيث نشاء بقدره ومشيتها، لقد تحولت الذات عند النورسي إلى شخص اعتباري وبعبارة الرسائل إلى شخص معنوي، تحدده الفكرة لا الشخص والمبدأ لا الفرد، فهذا هذا الزمان زمان الجماعة فالأهمية والقيمة تكونان حسب الشخصية المعنوية للجماعة. ولا ينبغي أن تؤخذ يظن الاعتبار ماهية الفرد المادية الفردية الفانية، ولا سيما شخص ضعيف مثلي الذي لا حول له ولا قوة، فإن منحه أهمية تفوق قيمته ألف درجة وتحميل كاهله ألوف الأبطال وهو الذي لا يتحمل ألف درجة وتحميل كاهله ألوف الأبطال وهو الذي لا يتحمل رطلاً واحداً لاشك أن ينسحق تحت الحمل هذا).⁸⁰⁸

فالذي يتحرك للإسلام في نظر النورسي ليس هو الشخص وإنما هو شخص اعتباري معنوي تمثله أفكار رسائل النور التي هي يحكم شخص معنوي وبعث طلابها الذين هم . بسر التساند والترابط . يحكم الفرد الفريد، إلى هذا العصر، عصر الجماعة، المحاط بالظروف المعقدة والأوضاع الرهيبة، لأجل القيام بتلك المهمة الجليلة، وبناء على هذا السر الدقيق، فإن جندياً مثلي، لا وظيفة له إلا وظيفة الطليعة لدى مقام المشيرية المثقلة بالمهام الجسيمة).⁸⁰⁹

⁸⁰⁷ -ملحق قسطنطيني ص 105.

⁸⁰⁸ - قسطنطيني ص 100 و 108 و 133-134.

⁸⁰⁹ - قسطنطيني ص 101.

المطلب الثاني: نزع الصفة الشخصية عن موضوع الدعوة:

إن العمل الإسلامي حين يتصور الواقع المنحرف بصفته موضوعا للدعوة عبارة عن أشخاص يكيدون للدعوة، ويبحثون عن وسائل لإفشالها، فإنه يكون تحت رحمة تصور بسيط لطبيعة المعركة، حيث تصبح صراعا بين أشخاص يريدون الإصلاح، وآخرين يحاربونه، وهذا ما جعل الخطاب الإسلامي ضعيفا من الناحية الأخلاقية، مليئا بالسب والتفسيق لأشخاص بأعينهم وخصوصا في مرحلة الفتنة والابتلاء، ولقد أثبت هذا الخطاب فشله وخضع لمسار من التعديل اقترب فيه كثيرا مما توصل إليه النورسي فمؤسسته الباطل شخص اعتباري أيضا إنه عبارة عن نسق من العلاقات والرموز الثقافية التي شكلت المنظور الفكري والوجداني لهؤلاء الذين يواجهون رسالة النور" تم إن رسائل النور تحاول أولا إقناع نفس مؤلفها، ثم تخاطب الآخرين ، لذا فالدرس الذي أفنعه نفس المؤلف الأمانة بالسوء إقناعا كافيا وتمكن من إزالة وساوسها وشبهاتها إزالة تامة لهو درس قوي بلا شك، وخالص أيضا بحيث يتمكن وحده من أن يصدر تيار الضلالة الحاضرة التي اتخذت شخصية معنوية رهيبة بل أن يجابهها ويتغلب عليها.⁸¹⁰

وقد حاول الإمام النورسي معالجة هذا الوضع، و نستطيع أن نقول إن قوة أفكاره وخطورتها على الباطل لأنها مبنية على بعد أخلاقي أصيل، فالرجل ليس طالب حكم، ولا ناصر فكرة يجادل من أجل إظهارها، ولكنه مصلح بكل ما في الكلمة من جمال وبراءة.

ولهذا لم يجد الإمام النورسي يذكر جماعة بسوء بل إنه يأخذ نفسه بالقسطاس المستقيم، فيرجع بعض المحاميد إليهم، ولولا هذا العمق الأخلاقي في بنائه التربوي، لضاقت نفسه عن ذكرهم بخير، ولتاقت إلى أن تنسب لها مجمل ما اجترح من عمل في سبيل الله، ومن هنا فالإصلاح النوري إصلاح شامل تطلبه الأمة ولا ترتفع شعاره جماعة بذاتها، إذ كلما تحيز المشروع الإصلاح في إطار محدد، فقد امتداده وجاذبيته، لما يرثه في نفوس الحاملين له من التعصب والتحيز، ولما يدخله في قلوب المناوئين له من العداة والتربص فيستطيع المشروع وتنتهي فعاليته.⁸¹¹

⁸¹⁰ - قسطنوني ص 105.

⁸¹¹ - المؤتمر العالمي السادس لبيدع الزمان ص 125-127.

المبحث الرابع : منهج نوربي يفيد الوعي بالمنظور الكوني للقرآن الكريم

لقد أعاد الإمام النورسي إلى الذاكرة المسلمة ضرورة الوعي بالمنظور الكوني للقرآن، الذي طالما أغفله المسلمون في رهانهم مع الزمان ووقائعه وحيثيات أحداثه المتعاقبة المتسالية حيث تعاني بعض الكتابات الفقهية والتفسيرية من شح في تدقيق تجليات المنظور الكوني للقرآن، وزهادة في إبراز المخزون القرآني الهائل في هذا الصدد، ذلك الشح الذي أدى ببعض الفقهاء حيناً إلى تصور بعض الوقائع الشرعية، ب تفسير بعض النصوص بمعزل عن الرؤية الكونية للقرآن التي أقامها على ناموس قويم لا يضطرب وتسنن ثابت لا يختلف، ونظام رشيد لا ينقلب ولذلك بين الإمام النورسي أن فهم القرآن الكريم والاطلاع على حقائقه بمقدماته ونتائجه في عالم الأنفس والآفاق هو الذي يرسم الطريق إلى قانون الموزانة والاتساق ويولد المعرفة الشاملة به، وبالقانون الرابط للكون⁸¹²، وعلى الرغم من أن النورسي كان مسبقاً في اتجاهه هذا إلى ضرورة الجمع بين هدايات الوحي وحقائق الكون، إلا أنه كان فريداً وسباقاً في تجاوزه لمظاهر الانزلاق والتعثر التي صاحبت خطوات غيرهم من سبقوه في هذا الطريق، فوقعوا في اضطرابات علمية أكيدة وسقطوا في تأويلات ساذجة دخيلة.⁸¹³

المبحث الخامس : منهجه في التعامل مع الخلافات الفكرية.

يقول الله تعالى: (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين، إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم)⁸¹⁴ فالاختلاف ظاهرة طبيعية لتباين العقول والمدارك والتصورات والأفكار، وتلك الأمور تفضي إلى تعدد الآراء والأحكام وتختلف باختلاف قائلها وقد تباينت آراء العلماء في الاختلاف، فمنهم من عده شراً كله، كابن مسعود رضي الله عنه ومنهم من قال: إن الرحمة تقتضي عدم الاختلاف كالسبكي الذي تسامح في الاختلاف في الفروع، وإن كان الاتفاق فيه خيراً من الاختلاف أما ابن حزم فقد ذم الاختلاف، ولم يجعل شيئاً منه رحمة بل عده كله عذاباً، ومع ذلك ظهر الاختلاف منذ عصر الصحابة رضي الله عنهم، واستمر إلى يومنا هذا، ولكن العلماء وضعوا له ضوابط استنبطوها من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، كالعدل والإنصاف والاجتهاد في الوصول إلى الحق والمجادلة بالحسنى، والموضوعية والبعد عن الإفحاش في القول، أو السخرية من الطرف الآخر والتجرد عن الهوى وما إلى ذلك من الضوابط التي تحافظ على روح الأخوة، وتلتزم التقوى وتقلل من حجم الخسائر، والله عز وجل يعلمنا كيف نتعامل مع الذين نخلف فكرياً معهم من الناس يقول

⁸¹² - محسن عبد الحميد النورسي متكلم العصر الحديث " ص 699.

⁸¹³ - انظر نجم الدين قادر كريم الزنكي (قيمة العدل في الوصل بين قوانين الوحي والكون) ص 36-37/ انظر محمد عمارة (النس الاسلامي بين

الاجتهاد والجمود والتأريخية ص 17-23.

⁸¹⁴ - سورة هود الآية: 118-119.

تعالى: (وجادلهم بالتي هي أحسن)⁸¹⁵ (وقولوا للناس حسنا)⁸¹⁶ ويقول سبحانه: (قل للذين آمنوا يغفرون للذين لا يرجون أيام الله).⁸¹⁷

والإمام النورسي رحمه الله رجل قرآني، ومنهجه في سائر أحواله، هو المنهج الذي نص عليه القرآن، ولذلك نراه يتعامل مع مخالفه في الرأي بموضوعية، لا يتعصب لرأي ولا ينحاز لفريق دون آخر فيما اختلف فيه الناس، الموقف من الأولياء، وأصحاب الكرامات، والشخصيات التي تكلم فيها، كالشيخ محي الدين بن العربي وسواه، وكأصحاب الجذب من الصوفية... يجادل هؤلاء باللين وبالتي هي أحسن، إلا إذا وجد شططا أو خروجا عن دين الله فإنه يثور ويحتد ويشدد.

يقول الإمام النورسي حول الخلاف في القضايا الاجتهادية فيما ليس فيه نص صريح، (إن تسعين في المئة من أحكام الشريعة مسلمات وضروريات دينية شبيهة بأعمدة من الألماس، أما المسائل الاجتهادية الخلافية الفرعية فلا تبلغ إلا عشرة في المئة فلا ينبغي أن يكون تسعون عمودا من الألماس، تحت حماية حماية منها من ذهب ولا تابعة لها، إن معدل أعمدة الألماس وكثرتها: الكتاب والسنة فهي في ملكها ولا تطلب إلا منها).⁸¹⁸

أما الكتب الأخرى، والاجتهادات فينبغي أن تكون مرآيا عاكسة للقرآن، أو مناظر إليه ليس إلا، إذ أن تلك الشمس المثيرة المعجزة، لا ترضى لها ظلا ولا وكيلا: فعوامل الإنفاق تسعة أضعاف عوامل الاختلاف وهي جديرة بأن تجمع المسلمين ولا تفرقهم، ولا ينبغي إلا أن تكون كذلك.⁸¹⁹

وتستطيع تلخيص منهجه الذي التزمه طوال حياته تجاه مخالفه في الرأي، بالنقاط التالية:
. لا يذكر أسماء الأشخاص والهيئات التي ينتقدها. أو يرد عليها وعلى ما أثارته من شبهات حول الإسلام.

. لا يشرح الشبهة، ولا يبسط المسألة التي يسرد عليها، حتى لا يشوش العقول، يفكر القلوب، بل يكتفي بالرد عليها. ودحضها بالأدلة والبراهين.

. يستخدم أسلوب الاستثناء في الرد مثلا: عندما يهاجم الأستاذ أوروبا وحضارتها، لا يهاجمها ككل. بل يستثنى منها الطيب النافع، ويشدد هجومه على القسم الفاسد منها، وكذلك الأمر في موقفه من القومية عندما هاجم النوع السلبي منها، واستثنى الجانب الايجابي.

. الحذر فيما يكتب ويرد، حتى لا يقع هو ورسائله وتلاميذه فرائس سهلة في أيدي المتربصين به وبدعوته.

. اللين مع العلماء ومشايخ الصوفية، والشدة والحدة مع الملاحدة من علمانيين وقوميين ودعاة التغريب.

⁸¹⁵ - سورة النحل الآية 125.

⁸¹⁶ - سورة البقرة الآية 83.

⁸¹⁷ - سورة الجاثية الآية 14.

⁸¹⁸ - نفسه ص 846.

⁸¹⁹ - نفسه ص 846.

. وضع أسس وقواعد للبحث العلمي، والتزامها في مباحثه وردوده، ودعا الآخرين إلى الإلزام بها، ليقبل من تشعب الخلافات.

. بعض المسائل التي وظف فيها الامام النورسي هذا المنهج.

* التصوف

* قضية الاجتهاد.

* العلماء والوعاظ.

* موقفه من الأطروحات العلمانية.

* التخريب.

* القومية.

* جميع التيارات المعادية للإسلام (كالاشتراكية والشيوعية. والصهيونية والمذاهب الوضعية،

والفلسفة المادية.

المبحث السادس: منهج الإمام النورسي في إصلاح الفرع والمجتمع.

يستهدف الإمام النورسي رحمه الله من البداية إصلاح الفرد، ويعتقد أن التخريب قد بدأ بالقلب، ولهذا يلزم إصلاح القلب، ويخبرنا أن الحركات الإصلاحية التي لا تستند إلى إصلاح القلب صعب جدا الحصول منها على نتيجة ولهذا بدأ الامام النورسي بإصلاح نفسه أولا يقول: (من لا يصلح نفسه لا يمكنه إصلاح الغير). علينا أن نرشد أنفسنا ثم نرشد غيرنا، ولهذا ينادي الإمام النورسي بالتمسك بالأخلاق الإسلامية قائلا: (لو تمسكنا بالأخلاق الإسلامية وأظهرنا بأفعالنا هذه الكمالات لدخل أتباع سائر الأديان الإسلام أفواجا)⁸²⁰. ولقد عمق الإمام النورسي مفردات أخلاقية عديدة كالصدق والأمل والصبر والشجاعة والتضحية وجعلها وقودا لإظهار الإنسان الأخلاقي كما رسم خطوطا كثيرة لوصول الإنسان إلى رضا ربه كخط الشكر والتذلل والتوكل والحب والإخلاص، وحل الإشكالية المؤدية بين ميل الإنسان إلى الانتماء لذاته أو للمجتمع، وأقام طلابه على معادلة مريحة متوازنة بينهما، وقد قوى اللحمة الاجتماعية بدعوته لطلابيه للتسامح والحب والتعاون وعدم الإسراف والتورط في المطالب الكمالية التي يختلقها الرأسماليون، كما وضع أسسا موضوعية جادة للحوار ورسم قواعد لمنع الاختلاف أو تجاوزه وتخفيفه باختصار فقد سعى إلى بناء مجتمع يقوم على الحق بدلا من القوة، وعلى ابتغاء رضا الله بدلا من التراحم على طلب المنافع، ويقوم بنائه على البر والتقوى لا على الصراع والجدل وتشد لبناته الأخوة الدينية الجامعة ولا تسثنه العنصريات وتهذب رغبات الإنسان فيه ولا تطلقها بعشوائية.⁸²¹

⁸²⁰ - سمير رجب، الفكر الأدبي والديني عند الداعية الإسلامي ص 193 الخطبة الشامية ص 35.

⁸²¹ - محمد رشدي عبيد (ملاحق تربوية في رسائل النور ص 87-88).

المبحث السابع: منهج النورسي بين الأخلاق والسياسة.

من الصعب أن نزيل عن المشروع النوري طابعه السياسي، فهو مشروع يبتغي تحرير الإنسان عن طريق إنقاذ الإيمان، ولهذا لوازم معروفة ، إذ كلما أنقذ إيمان فرد تحول إلى لبنه في البناء المجتمعي المستقبلي، ويلاحظ أن فهم السياسة عند النورسي الجديد لا يخرج عن هذا الإطار، ومن ثم فقد تجاوز الرؤية التقليدية للسياسة بوصفها فن إدارة الصراع من أجل الوصول إلى الحكم.

إن رسائل النور إذن هي مقدمة بين يدي البشارة الكبرى وهي المجتمع المؤمن الذي يقوم على أساس الإيمان ليفي بواجب الخلافة ومقتضى الأمانة، ولذلك فليس العمل الإيماني النوري عملاً فردياً كما هو الحال في العمل الصوفي، كما أنه ليس عمل جماعي لا يراعي الفرد وحاجاته في التزكية ولكنه عمل إيماني جماعي ذو أهداف جماعية كلية تتجاوز النصر السياسي البسيط إلى نقل المجتمع من حال التيه إلى الرشاد ومن الضلالة إلى الهداية فالرسائل: (لا تسعى لإصلاح قلب خاص ووجدان معين بل تسعى أيضاً لمداواة القلب العام المجروح، وضمان الأفكار العامة المكلومة بالوسائل المفيدة التي هيئت لها وركمت منذ ألف سنة، وتنشط لمداواة الوجدان العام الذي توده نحو الفساد نتيجة تحطم الأسس الإسلامية عوام المؤمنين نعم إنها تسعى لمداواة تلك الجروح الواسعة الغائرة بأدوية إعجاز القرآن والإيمان.⁸²²

ويرى النورسي خطوة حصر الاهتمام في العمل السياسي، وهو ما نشاهده الآن في الجسم الحركي من تضخم في التحليلات وبرود في التفاعل مع حقائق الإيمان، لقد أنتج التلهف على العمل السياسي قلباً جافاً، وضماناً رهشة تخاف من أهل السلطة في المغارم، وتخاف على الحظوظ في المغانم يقول بديع الزمان النورسي (نعم إن مسائل السياسة تتعلق . إلى حد ما . بوظيفة العالمين في الشؤون الخارجية وأركان الحرب في الجيش والقيادة المسؤولين.

أما دفع تلك المسائل إلى رجل عامي ساذج وإثارة بها وصرفه عما يلزمه من وظائف تجاه شؤون روحه وأمور دينه، بل حتى تجاه شؤون الشخصية بالذات ولوازم بيته وقريتهن ومن ثم جعله لهذا التلهف والفضول سائب الروح، وثرثار العقل، فاقدا لأذواق القلب نحو الحقائق الإيمانية والإسلامية، خائر الشوق إليهما... وكذا إثارتهم بتلك الاهتمامات التافهة التي تقتل قلوبهم ودفعهم إلى استماع الراديو في شؤون سياسية لا تعنيهم في شيء، إن لكل ذلك لضرر بالغ للحياة الاجتماعية الإسلامية بحيث أن الإنسان كلما فكر بنتائجها الوخيمة المترتبة عليها يقشعر من هولها جلده، ويقف شعره، إن لكل إنسان علاقة بوطنه وقومه وحكومته، ولكن من الخطأ الجسيم جعل منافع الأمة ومصالحه الوطن والحكومة تابعة لسياسة مؤقتة لبعض الأشخاص انحرافاً لتيارات مؤقتة، فضلاً على أن حصة كل شخص من تلك الروح الوطنية والقومية وما تترتب عليها من وظائف إن كانت واحدة فإن حصته تجاه وظائف قلبه ومهمات روحه وواجباته الشخصية والبيئية والدينية وغيرها عشرون بل مائة حصة.⁸²³

⁸²²

⁸²³ - ملحق قسطنطيني 119-120.

إن وظيفة العمل السياسي عند النورسي ذات بعد أخلاقي أصيل يترقى بغرائز الناس نحو الفضائل، ويربي نوازعهم نحو طلب الكمال ولعمري إن هذا التصور على رغم ما قد يوجه إليه من نقد بدعوى مثاليته، تصور يعيد للعمل السياسي معناه ويخرجه من كونه فن اللعب بالممكن إلى فن تخليق الحياة العامة والخاصة في اتجاه إيجاد مجتمع الذوق العالي والأخلاق النبيلة وإذا تأتى لمجتمع ما أن يصل إلى هذا المستوى فإن السياسة ستصبح فيه مكرمة وجهادا والقعود عنها مغمزة وتخلف.

الباب الثالث: مقاصد و قواعد الإصلاح عند النوراني

الفصل الأول: مقاصد الإصلاح عند النورسي

المبحث الأول: إنقاذ الإيمان والاعتصام بالقرآن الكريم

لقد جعل الإمام بديع الزمان النورسي إنقاذ الإيمان وصد الإلحاد مقصدا رئيسيا في إصلاحه، فكان رغم الصعاب المتمثلة في المراقبة التي لا تغادره يتحين فرص تبليغ هذا المقصد النبيل، فكان يتجاذب الحديث مع من وقفوا إلى لقائه ويخاطبهم حسب مستواهم الفكري والثقافي حيث كان الزائدون من طبقات الشعب كافة، فينصب حديثه مجملا حول أهمية الإيمان في الوقت الحاضر، وكان يصرح بأن القصد الأساس لرسائل النور تقوية الإيمان، وصد الإلحاد الذي يهدد الأمة.

واعتبر النورسي رحمه الله أهم قضية في الوقت الحاضر هي إنقاذ الإيمان وتقويته بالاعتصام بالقرآن الكريم، ورسائل النور تدعو إلى هذا المقصد، وإلى حمايته، حماية الإيمان وإنقاذه لأمة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها. وهذا المقصد يرمي إلى حماية البلاد والعباد من الوقوع في مخالف الأمراض القائلة بالكفر والإلحاد.

وسعيا وراء إنقاذ الإيمان تعرض الإمام النورسي رحمه الله لتكالب أعداء الوطن والدين من الملحدين، وروغم ذلك بقى صلبا شامخا صابرا، يجابه كل ذلك بثقة المؤمن بالله، والسبب وراء ذلك التحمل، الإيمان، الذي تحلى به وعمل على إنقاذه.

1. أهداف إنقاذ الإيمان:

أ. إنقاذ الإيمان يعطي معنى إيجابيا لكل يوم من أيام العمر التي تمضي، فيمكن للمرء أن يكسب ثواب عبادة عشرة أيام من عبادة يوم واحد، ويمكن أن يحول ساعته الفانية إلى ساعات باقية خالدة بن يمكن أن يكون قضاء بضع سنين في السجن وسيلة نجاة من سجين أيدي لملايين السنين.⁸²⁴

يحلي الإيمان المنقذ الحياة بالرحمة، وذلك نكسب الحياة معنى وتشد إليها القلوب والعقول بما يخدم تعبيدها لله تعالى، فالرحمة وفق ضبط الشرع لها من أدلة القيامة والسعادة الأبدية، لأن الرحمة إنما تكون رحمة، والنعمة نعمة إذا جاءت القيامة وحطت السعادة الأبدية، وإلا فالعقل الذي هو من أعظم النعم يكون مصيبة إلى الإنسان، والمحبة والشفقة اللتان هما من أطف أنواع الرحمة تتحولان ألما شديدا بملاحظة الفراق الأبدي.⁸²⁵

ب - إنقاذ الإنسان، والاستجابة لحاجاته:

ترمي المقاصد الكلية والجزئية إلى إنقاذ الإنسان، فتستجيب تلك المقاصد لحاجاته، إذ لا يمكن تصور عدم استجابة العدالة والحكمة الربانيتين لتلك الحاجة العظمى، خاصة البقاء لأسمى مخلوق

⁸²⁴ - انظر الشعاعات ص 519.

⁸²⁵ - إشارات الإعجاز ص 29.

وهو الإنسان؟ في حين إنهما تستجيبان لأدنى حاجة لأضعف مخلوق؟ فهل من الممكن أن تردا أهم ما يرحوه الإنسان وأعظم ما يتمناه وألا تصونا حتمية الربوبية وتتخلفا أن الإجابة لحقوق العباد؟⁸²⁶

وبذلك تعطي لحياة البشرية معنا وتزودها بالعناصر الإنسانية في التصرفات والمقاصد والأهداف المتعلقة بالحياة الدنيوية نفسها.

ج . تجاوز الهلاك

إنقاذ الإيمان يؤسس لحائط صد معرفي واجتماعي.. فيؤسس للتطعيم المعرفي والحضاري المانع من تجاوز الفكر المهلك بل وإسعاف المبتلى به على تجاوز مرضه لهذا ينصح الإمام النورسي بالتعلق بالدين والعض عليه بالنواجد فهو حامينا من الهلاك الدنيوي والأخروي، لهذا قال الإمام النورسي ناصحا: " أمها المسلم لا ترخ يدك عن الإسلام الذي هو حامي وجودنا وكياننا تجاه الدمار الذي تولده هذه النتيجة المخيفة لتقدم أوربا، بل عض عليه بالنواجد واستعصم به قوة ، إلا فمصيرك الهلاك".⁸²⁷

و - تليين القلوب:

ترمي رسائل النور إلى تثبيت القلوب وتنشيط عزائم الأتقياء والصالحين وتشد على أيديهم، فتزودهم بالقيم والأصول الميسرة لتحقيق ذلك الأمر بيسر ووضوح، بل تتجاوز ذلك إلى خدمة كل من دخلها محررا من أفكار مسبقة.

لقد استطاعت رسائل النور بفضل الله تعالى أن تلين قلوبهم وتجعلها تنجح إلى جانبها، فتوسعت بذلك المدارس النورية وفرضت احترامها بذات الدولة تقدرها تعجب بها بدلا من جرحها ونقدها .

هـ - خدمة الإيمان:

تتميز رسائل النور بإكساب قارئها علما بطريقة مبتكرة أصلية في تحصيل الحقيقة، ذلك أن كل تحصيل علمية آخر تكون الغاية من الاستمرارية، هي المنعة المادية أو الحصول على موقع ما. أي أن الدوام لهذه الدروس لا تكون عن رغبة بل في الغالب للحصول على منافع مادية أو على شهرة، أما رسائل النور وصاحبها الإمام النورسي تشبه جامعة ، والدين يداومون في هذه الجامعة بقراءة رسائل النور لا يبتغون أي هدف دنيوي بل يبتغون خدمة الإيمان والقرآن فقط لا غير.⁸²⁸

وطريق خدمة الإيمان إنقاذه، وقد حاول الإمام النورسي جهده تلقين تلاميذ وسائل النور دروسا في إنقاذ إيمان، وع ذلك أكبر غاية وأهم هدف للبشرية على سطح الأرض، إن قيامه منذ ما يقرب من خمس وعشرين سنة بمحاولة إنقاذ إيمان مئات الآلاف من الناس برسائل النور، وهو نفسه كان أحوج الناس إلى معرفتها، ذلك أنهم بحاجة إلى معرفة شيء عن الإسلام ودروس الإيمان الذي هو السعادة القصوى والغاية من الحياة يعد دون شك فضلا إليها.⁸²⁹

⁸²⁶ - انظر الكلمات ص 69.

⁸²⁷ - انظر صيقل الإسلام 367.

⁸²⁸ - انظر الشعاعات ص 593.

⁸²⁹ - انظر الشعاعات ص 601.

وإنقاذ الإيمان يسير للإنسان تذكر الغايات والمقاصد لأن الإنسان مبتلى بالنسيان، وأسوأ النسيان نسيان نفسه، إلا أن نسيان النفس أن كان في المعاملة والخدمة والسعي والتفكير فهو الضلال، وغن كان في النتائج والغايات فهو الكمال، فأهل الضلالة وأهمل الهدى متعاكسان في النسيان والتذكر، أما الضال فينسى نفسه عند النظر للعمل، وتطبيق دساتير الوظيفة، بل يمد نظره إلى الآفاق لتطمين الأناية المتفرغة وغروره المنبسط الذي تضيق عنه النفي لكن يتذكر نفسه في كل شيء من الغايات فتيلاً أو نفيراً حتى لا غاية عنده، إلا ما يعود إلى نفسه، وإن غاية الغايات في نظره حب ذاته.⁸³⁰

ومن مظاهر خدمة الإيمان جعل الهدف المباشر لرسائل النور هو الآخرة، ولا علاقة بالدنيا إلا بقدر يسر له العمل على تحقيق مقصد الآخرة، يشهد لهذا قول بديع الزمان النورسي: (إن رسائل النور لا تستهدف الدنيا بل تستهدف السعادة الأخروية الدائمة وتستهدف نبل رضى الله الباني الأزلي الرحيم ذي الجلال الذي لا يشكل الحسن والجمال في الدنيا إلا ظلاً خافتاً لجماله ولا تشكل لطائف الجنة جميعاً إلا لمعة من محبته سبحانه، فما دام مثل هذا الهدف الإلهي المقدس ومثل هذا السامي موجوداً فإنني أبرئ رسائل النور وأنزهها ألف مرة من الوقوع أمور سفلية ومحرمة تؤدي إلى نتيجة كتحرير الناس ضد الحكومة، ونحن نلوذ بحمى الله تعالى من شرور هؤلاء الذين لا يريدون منا أن نتعلم أمور ديننا ولا أن نخدم إيماننا فيفترون علينا مثل هذه الافتراءات لكي يقضوا علينا.⁸³¹

أساس التواصل الإسلامي والإنساني:

فالإيمان يؤسس للتواصل بين المؤمنين من جهة والأسرة الإنسانية من جهة أخرى، ذلك أنه رابطة قوية في التأسيس المعنوي لاسمى جمعية وأقدسها في الوقت الماضي والحاضر والمستقبل هي جمعية الجنود المؤمنين، فجميع الدين انخرطوا في سلك الجندية المؤمنة المضحية، ابتداءً من الجندي إلى القائد هم داخلون في هذه الجمعية.⁸³²

نيل رضى الله سبحانه وتعالى:

يحقق الإيمان بالله وجل، نيل رضاه، وبالإيمان في الدنيا يريح الإنسان السعادة في الدار الآخرة وهذه أهم غاية للإنسان.

2. الاتحاد بين أهل الإيمان:

صرح بديع الزمان في أكثر من موضع بأسلوب صريح أن من أهم غايات ومقاصد رسائل النور العمل على توحيد كلمة المؤمنين ولم شملهم لخدمة هدف واحد مؤداه خدمة الإيمان نفسه، وطريقة التأسيس العملي للوحدة الشعورية بين المؤمنين أنفسهم، فلا يصح أن يبقى المؤمنون مشتتين في أهدافهم وجهودهم، ولهذا المسعى أثر عظيم في استئصال مرض خطير معبر عنه بقولهم "مالي وما علي فليفكر غيري" يشهد لهذا المعاني قوله رحمه الله: (ان قصدنا وهدفنا هو الإتحاد في المسالك والمشارب فلا يجوز أيضاً، لأن التقليد يشق طريقه ويؤدي الى القول: "وما علي فليفكر غيري"

⁸³⁰ - انظر المنثوي العربي ص 406.

⁸³¹ - انظر الشعاعات ص 429-601.

⁸³² - صيقل الإسلام (الخطبة الشامية) 536/سيرة ذاتية 99.

3. الإيمان يدفع الأمراض الاجتماعية:

يدفع الإيمان كثير من الأمراض الاجتماعية الفتاكة، منها على سبيل المثال لا الحصر، مرض الحرص الذي يعد من رؤوس البلايا الأخلاقية والاجتماعية ذلك أنه كان وسيبقى سببا لتضييع كنز العيش الهنيئ الرغيد ومبعث الراحة في الحياة المنبعث من القناعة ومن هنا كان الحرص علة الخيبة ومعدن الخسران والسفالة كما يتبين ذلك في الحديث الشريف: (القناعة كنز لا يفنى)⁸³³ فيلغ الحرص الإخلاص ويفسد العمل الأخروي، لأنه لو وجد حرص في الإنسان المؤمن التقي لرغب في توجه الناس وإقبالهم عليه، ومن يراقب توجه الناس وينتظره لا يبلغ الإخلاص التام قطعاً ولا يمكنه الحصول عليه، فهذه النتيجة ذات أهمية عظمى جديرة بالدقة والملاحظة والعناية⁸³⁴

يدفع الإيمان الحسد والمنافسة غير الشريفة، ذلك أن من مقتضيات الإيمان أن يتحرر المؤمن من تلك الأمراض إذ ليس في أمور ديننا أمثال هذه الأمراض، والسبب وراء هذه الأمراض يعود إلى تجاوز أو غفلة عن الأبعاد الوظيفية للإيمان.

ولما كانت الدنيا ضيقة ومؤقتة ولا تشبع رغبات الإنسان ومطالبة الكثيرة وحيث المتهاكين على شيء واحد كثر، فالنتيجة إذا السقوط في الهاوية، هاوية الحسد والمنافسة.

ويرجع خطر هذه الأمراض والأسقام، إلى عدم التعلق بالإيمان ومقتضياته وخاصة التفكير العلمي في الآخرة وما أعد الله فيها للمؤمنين، بحيث يكون لكل مؤمن جنة عرضها السموات والأرض تمتد إلى مسافة خمس مائة سنة، ولكل منهم سبعون ألف من الحور والقصور، فلا موجب هناك إذا إلى الحسد والمنافسة، فيدلنا هذا على أنه لا حسد ولا مشاحنة في أعمال صالحة تفضي إلى الآخرة، أي لا مجال للتحاسد فيها⁸³⁵.

4. الحقائق الإيمانية:

هناك الكثير من الدسائس الدخيلة التي تسعى لإفساد سلامة تفكير المؤمن، من بينها المحاولات المتكررة للإخلال بصحة نظرته إلى الحقائق الإيمانية، أو بمنعى آخر وكما يقول النورسي: (إبطال حكم مئات الدلائل الثبوتية . حول حقيقة إيمانية. بشبهة تدل على نفيها علما أن القاعدة هي: أن دليلا واحدا ثبوتيا يرجح على كثير من النفي ، وأن حكما لشاه ثبوتي واحد لدعوى ، يؤخذ به ويرجح على مائة من المنكرين النافين)⁸³⁶

فهناك إذن الكثير من الحجج والأدلة القوية المؤيدة للحقائق الإيمانية ، ولكن هؤلاء الدسائسين يريدون دوما شبهة أو شبهتين في السعي منهم لتجريدتها من ثباتها العلمي ووضوحها اليقيني نع أنه من المعروف بدهاة أن برهان واحد وشاهد واحد يؤخذ مأخذا علميا يزيل ويبطل نفي النافين وإنكار المنكرين.

⁸³³ -

⁸³⁴ - انظر للمعات ص 220-222.

⁸³⁵ - انظر للمعات ص 237.

⁸³⁶ - نفسه ، ص 135

ويبين النورسي هذه الحقيقة بالمثل التالي (بناية عظيمة لها مئات من الأبواب المقفلة يمكن الدخول فيها بفتح باب واحد منها وعندما تفتح بقية الأبواب ، ولا يمنع بقاء قسم من الأبواب مقفلة من الدخول في البناية)⁸³⁷ فمدخل واحد إذا رغما عن ذلك العدد الهائل من المنافذ المؤدية داخل المبنى يقود إلى فتح باقي المنافذ ومع هذا يظل عدد كبير منها مغلقا أمام الداخلين .

ثم فسر الإمام النورسي المثل بقوله:(فالحقائق الإيمانية هي كتلك البناية العظيمة، وكل دليل تبوتي هو مفتاح يفتح بابا معيناً، فلا يمكن إنكار الحقيقة الإيمانية أو العدول عندها بمجرد بقاء باب واحد مسدود من بين تلك المئات من الأبواب المفتوحة.

ولكن الشيطان يقنع جماعة من الناس بناء على أسباب كالجهل أو الغفلة . بقوله لهم: لا يمكن الدخول إلى هذه البناية مشيراً إلى أحد تلك الأبواب المسدودة ليسقط في الإعتبار جميع الأدلة الثبوتية. فيغيرهم بقوله: إن هذا القصر لا يمكن الدخول فيه أبداً، فأنت تحسبه قصراً وهو ليس بقصر، وليس فيه شيء⁸³⁸ .

والمراد أن كل برهان يقيني أو حجة فاصلة من الحقائق الإيمان تكشف عن حقيقة من حقائق الإيمان الكبرى، ومن ثم فمن المستحيل نفي أو إنكار أي من حقائق الإيمان لمجرد شبهات لا أساس لها من الصدق من بين الكثير من الحجج القوية والشواهد المدحضة. غير أن الشيطان يحاول إيهام ضعاف الإيمان وغير العارفين، أنه يصعب فهم حقائق الإيمان صعوبة تشبه دخول ذلك المبنى من أحد أبوابه المغلقة، وذلك كي يبطل كل أدلة وبراهين الإيمان اليقينية، وهدفه سد كل المنافذ أمام المؤمن، كي لا يؤمن أبداً.

5 - الإيمان والكفر:

خلص الإمام النورسي بعد مقارنة وافية بين حقيقة كل من لإيمان والكفر إلى الآتي:
إن الإنسان يسمو بنور الإيمان إلى أعلى عليين، فيكتسب بذلك قيمة تجعله لائقاً بالجنة، بينما يتردى بظلمة الكفر إلى أسفل سافلين فيكون في وضع يؤهله لنار جهنم.
-الإيمان يربط الإنسان بخالقه، ويربط بوثاق شديد، وينسبه إليه، فالإيمان إنما هو انتساب به يكتسب الإنسان قيمة سامية، أما الكفر فيقطع تلك النسبة وذلك الانتساب، فتتقص قيمة الإنسان حيث تنحصر في مادته فحسب.

ولا يفهم للكفر معنى عند النورسي أكثر من أن الإنسان اختار بمحض إرادته الحرة ألا يقيم صلة أو علاقة بالله تمتاز بصفة الخصوصية وباختياره هذا لا تنفصم ما بينه وبين الله من علاقة أو صلة ، بل يتجرد تماماً من كل قيمة يمكن أن يكتسبها بالإيمان، وربما انحدر إلى منزلة دون منزلة الحيوان بكثير⁸³⁹ .

⁸³⁷ - انظر اللغات ، ص 135 .

⁸³⁸ - نفسه، ص 135 .

⁸³⁹ - اللغات ، ص 121-122 .

المبحث الثاني: (الجمل) القضاء على الجهل والفقر. والفرقة

1 - الجهل:

الجهل هو احد الأعداد الثلاثة (الجهل . الفقر . الفرقة) التي ذكرها في جميع مقالاته وكتاباته حيث يقول: إن أعداءنا هي الجهل والبؤس الفرقة، وسنجاهد ضد هذه الأعداد بأسلحة الصناعة والمعرفة والاتفاق.⁸⁴⁰

ولقد اعتبر الإمام النورسي رحمه الله تعالى الجهل هو رأس الشرور حيث يقول: " ثم أن الجهل هو عدونا ويسعى لإبادتنا وهو ابن الأغا(السيد) أما البؤس فهو ابنه والخصومة حفيده).⁸⁴¹ وبديع الزمان يرى الجهل أساسه كل سوء ويرى أن لخلاص يكون بالعلم، فهو يقول: "كنت أرى الأحوال البائسة للعشائر في الولايات الشرقية، فأدركت أن جزءا من سعادتنا الدنيوية سيتحقق بالعلوم الجديدة للمدينة".⁸⁴²

أ - حل مسألة الجهل:

لقد رأى الإمام النورسي رحمه الله تعالى أن إزالة الجهل الذي عده السبب الأصلي كل أنواع سوء الخلق والتأخر والهزائم أمام الأعداء الخارجين . تتم بنشر المدارس الدينية . غير أنه لم يكف راضيا من هذه المدارس لا من حيث عددها ولا من حيث كفاءتها ومستواها، أجل كأن من الضروري زيادة عددها، ولكن قبل هذا يجب إصلاحها، بل عمل انقلاب وثورة فيها، فهذه المدارس لم تكن تستطيع تنشئة رجال يستطيعون مجابهة ومواجهة احتياجات العصر وذلك لوجود ثلاثة نواقص فيها".⁸⁴³ هذه النواقص هي: النظام والرقى والتخرج، ويقصد بالنظام النواقص المهمة في بنيتها الداخلية.

فالمدارس الدينية كانت تخرج نمطا واحدا من الإنسان، إذا لم تكن تملك شعبا متخصصة** يتمنى أن تكون لهذه المدارس شعبا متخصصة مثلها في ذلك مثل دار الفنون " أي الجامعة" أي تنقسم إلى شعب مترابطة فيما بينها يقول: (يجب أن يطبق هنا تقسيم الأعمال بتمامها)⁸⁴⁴ وإذا تناولنا بياناته الأخرى نرى أنه كان يرغب أن تنظم هذه المدارس من جديد فيوضع لها أولا قسما فيه دروس أساسية ثم ينقسم إلى أقسام متخصصة أي تون جامعة لها كلياتها المختلفة.⁸⁴⁵

• ويقصد بالرقى: الرقى العلمي وهو يرى أن لهذا النقص أسباب عديدة:

- أولا: احتلت دروس الآلة محل الدروس الأصلية، ويقصد من دروس الآلة اللغة وما يتعلق بها من علوم، فالطلاب لم يكونوا يستطيعون تجاوز هذه العلوم ويقضون أعمارهم في فك رموز العبارات.

⁸⁴⁰ - ديوان الحرب العربي ص 57.

⁸⁴¹ - بديع الزمان النورسي مناظرات/ اسطنبول 1991 . ص 69.

⁸⁴² - ديوان الحرب العربي ص 28.

⁸⁴³ - الكلمات ص 264.

⁸⁴⁴ - مناظرات ص 134.

⁸⁴⁵ -

- ثانياً: كانت البرامج الرسمية لهذه المدارس الدينية حافلة بالكتب التي تتناول المسائل نفسها ولم يكن بمقدور الطلاب أن يتجاوزوا هذه الكتب التي كانت تستغرق أعمالهم، فالمتون الأصلية وشروح هذه المتوى، وهوامش هذه الشروح، وأحياناً هوامش هذه الهوامش... الخ. كانت سحبنا لأفكار الطلاب وهذرا لأوقاتهم، وما كانت تسمع لهم بالخروج عن قبضتها.

- ثالثاً: لعدم وجود الاختصاصات لم يكن أمام الطلاب أية فرصة للإبداع حسب ميولهم الفطرية، وحسب تعبير النورسي فإن الميل عند الجميع كان نحو البرور وحب السيطرة والتزوع إلى التحكم، ولم يكن عناك من يهتم بتطوير نفسه علمياً، لذا " فقد سارت هذه المدارس الدينية نحو الاندثار"⁸⁴⁶.

وعامل آخر كان يعرقل الرقي العلمي وهو عدم وجود العلوم الوضعية في هذه المدارس الدينية، ويقترح بديع الزمان النورسي إدخال هذه العلوم الوضعية أو " العلوم المدنية بتعبيره" إلى هذه المدارس، وإن عدم وجود هذه العلوم يؤدي إلى تعصب الطلاب، لذا فإن الإمام النورسي عندما كان يقترح إدخال العلوم الوضعية إلى المدارس الدينية كان يقترح في الوقت نفسه إدخال العلوم الوضعية إلى المدارس الدينية كان يقترح في الوقت نفسه إدخال الدروس الدينية إلى مدارس الاعتيادية، فعدم وجود العلوم الوضعية في المدارس الدينية كان يقود طلاب هذه المدارس إلى التعصب، وعدم وجود الدروس الدينية في المدارس الاعتيادية كان يقود الطلاب إلى الشكر إلى الاحتيال.

- التخرج:

تتعلق بساحة عمل خريجي هذه المدارس الدينية، لقد أدت النواقص الموجودة في المدارس الدينية إلى عدم توجه الطلاب الأذكياء وأصحاب الكفاءات إلى هذه المدارس" فالأذكياء ذهبوا إلى المدارس الاعتيادية والأغنياء استنكفوا من طراز عيش المدارس الدينية"⁸⁴⁷، فيقول بديع الزمان النورسي هذا منبها إلى الآثار السلبية التي يلعبها موضوع التخرج على هذه المدارس الدينية، وعندما كان يعدد الشروط والأمور التي يجب توفرها في " مدرسة الزهراء". التي كانت المثل للمدارس الدينية عنده. والتي بذل جهود. لتأسيسها طوال 55 عاماً، نراه يقول بأن الملتحقين بها يجب أن يعاملوا على قدم المساواة مع طلاب الدراسات العليا الملتحقين بالمؤسسات التعليمية الأخرى، يجب أن تعد امتحاناتهم على نفس الدرجة من الاعتبار والأهمية لامتحانات المؤسسات التعليمية الأخرى وألا تكون امتحانات عقيمة.⁸⁴⁸

- تعليم الأطفال:

كان بديع الزمان النورسي يناضل من أجل إصلاح المدارس الدينية وزيادة عددها، وفي نفي الوقت كان يشجع ويدعو في الوقت نفسه إلى تعليم الصغار، وعندما سن قانون توحيد التدريس بعد إعلان الجمهورية ومنعت الدروس الدينية تماماً في المدارس وانتشر في طول البلاد وعرضها شعار لا نعرف

⁸⁴⁶ - محاكمات ص 47.

⁸⁴⁷ - الملاحق ص 134.

⁸⁴⁸ - الملاحق ص 134.

مصدره يقول: " إن هذه المدارس مدارس كفار لا ترسلوا أبنائكم إليها وعندما بدأ مفعول هذا الشعار في بعض العهود يسري لدى الأوساط الدينية كان بديع الزمان يقول: (إن جميع العلوم الوضعية تتحدث بألسنتها الخاصة بها عن الله، لا تستمعوا أنتم إلى المعلمين بل استمعوا غليها " أي أنه بدلا من التوصية بمنع إرسال الصغار إلى المدارس كان على العكس من ذلك يشجع لي إرسالهم إليها. ويمكن العثور على أمثلة متعددة على هذا الحض والتشجيع في الذكريات المروية عن بديع الزمان.⁸⁴⁹

2 - البؤس:

البؤس عند الإمام النورسي يعني التخلف المادي والتقني الذي أصاب المسلمين، وقد عبر فيه بعدة تعابير منها: (الفقر. الجوع. الحاجة... إلخ.

ويعتبر بديع الزمان بهذا الفقر وهذه الحاجة وبهذا التخلق الذي ين تحت عبئه العالم الإسلامي والذي يحس بثقله على عائقه وبالذلل الناتج عنه ... يعرف به كما هو في الواقع، ولكنه لا يجعل هذا وسيلة يأس يدفع الناس إلى حالة من الشلل يمنعهم من القيام بأية محاولة ومن بذل أي مجهود، على العكس من ذلك فإنه يجعل هذا دليلا على قناعته بأن المسلمون يستقدمون في المستقبل ويسترقون وسيلحقون بالغرب في مضمار العلم والتقنية بل سيسبقونه⁸⁵⁰ ، ويشرح ذلك بالحاجة التي ظهرت في الغرب والفاقة هي التي دفعت إلى التقدم، ويورد في هذا الصدد مثلا كثيرا ما سعمله وكرره وهو: (الحاجة هي معلم المدنية)⁸⁵¹ ، ويقول بأن هذا المبدأ ليس قناعة شخصية له، بل إنه " ثابت حكمه . أي علما. " ويستشهد بنظريات لعلماء الاجتماع تقول بأن الحروب والجفاف والزلازل والأوبئة تلعب أدوارا إيمانية في تطوير المدنيات ورقمها.⁸⁵²

ويبين بديع الزمان بأن الفقر والحاجة تحفز الناس نحو بذل السعي وبذل المجهود، وهكذا ينقلب الميل الفطري الموجود لدى الأفراد نحو الرقي من القوة إلى الفعل، وبنتيجة بذل المساعي وبذل المجهود يأتي الرقي.

ولتوضيح هذا الموضوع قام بديع الزمان النورسي بتحليلات عديدة لذا نراه يتناول مواضيع عديدة يعدها مواضيع الساعة ويعطي الإيضاحات حولها، فيقول: (ما هي العوامل التي تدفع إلى السعي؟ لماذا انطفت عندنا شعلة السعي والشوق إليه؟ وكيف نوقظ هذا الشوق؟ وكيف نحيا لدى الناس نبض الحياة؟ وما هي الأخطاء في أنموذج عملية النمو والتطوير المتبعة حاليا؟ وما الأنموذج الذي يجب أن نتبعه في عملية الارتقاء والنمو؟

يقول الإمام النورسي مثلا: (إن الحياة عبارة عن حركة وفعالية والشوق مطيتها⁸⁵³ أو (السعي هو بخار الإنسان)⁸⁵⁴ ، يبين أن الشوق يشكل الأساس لجميع الفعاليات والجهود، ويقول بأن بعضا ن

⁸⁴⁹ - نجم الدين شاهينز " آخر الشهود اسطنبول 1988 ج 4 ص 372.

⁸⁵⁰ - الآثار البديعية ص 349.

⁸⁵¹ - المكتوبات ص 55.

⁸⁵² - المكتوبات ص 55.

⁸⁵³ - الملاحق ص 136.

العلماء غير الكاملين الذين لم يأخذوا بعين الاعتبار ظروف وشروط الزمن أطفالاً شوق الناس إلى العمل بدفعهم على تواكل خاطئ استناداً إلى المعاني الظاهرية لبعض المتون الدينية، وعلى كسل وبطالة.⁸⁵⁵ ثم يبين المعنى الصحيح المتوكل الإسلامي في هذا الموضوع، ثم يبين العلاقة الوثيقة بين الشق الموجود لدى الفرد بين همته أي شعوره بمصالح آتة، ويوضح كيف أن من يحمل هدفا ساميا مثل هدف خدمة الدين لا بد أن تزداد همته فيقول: (إن من كانت همته موجهة لأمتة فهو أمة صغيرة)⁸⁵⁶ ، ويقول بأن الغرب الذي سرق منا شعور الأمة وشعور الملية ترقى بهذا الشعور⁸⁵⁷ ، وإن الأرض أدوا تضحيات كبيرة بقوة وعظمة هذه المهمة.⁸⁵⁸

عند بديع الزمان النورسي يرى بأن أس الأساس لرقى الغرب هو شعور الملية⁸⁵⁹ ، لذا يجب إثارة هذا الشعور لدينا أيضا، إلا أنه عندما يذكر شعور الملية عندنا فإنه يعني بذلك الإسلام إذ يقول (الملية جسم وروحه الدين) ويقول: (الدين هو حياة الملية ورجها). يجب أن نأخذ علوم الغرب، ولكننا عندما نفعل هذا يشترط ألا ننسى عاداتنا الملية وألا ننضحى بها، إن ترك العادات الملية بدل شيخوخة تلك الأمة⁸⁶⁰ ، لذا يرى من المناسب اتباع طريق اليابان في الرقي.⁸⁶¹

عند اكتساب المدينة يلزمننا الاقتداء باليابان، فمع أنهم أخذوا بمحاسن المدينة من أورها إلا أنهم حافظوا على تقليدهم الملية هذه التقاليد التي بها تدوم حياة الأمم.⁸⁶² ويقول بأن السعي نحو الرقي المادي وجيبة دينية على المسلمين (إن كل مؤمن مكلف بإعلاء كلمة الله، وأكبر عامل لهذا في هذا الزمن هو الرقي المادي).⁸⁶³

إن السعي والعمل من القوانين والشروط الكونية لله سبحانه وتعالى، وأن المكافآت جزاء اتباع هذه القوانين الشروط أو العقاب جزاء تركها يكون عاجلا وفي الدنيا ويقول: (إن جزاء العمل والسعي هو الثروة وجزاء الكسل والبطالة هو البؤس).⁸⁶⁴

ويقف الإمام النورسي طويلا وبشكل مستقل حول الأعداء الذين كسروا المهمة التي هي منبع الشوق الذي يدفع الإنسان نحو العمل، ويبحث عن حلول لعلاج هذا الأمر وتلافيه.⁸⁶⁵ ولكي يكون هناك عمل مثمر وجهد منتج فإنه يوصي باختيار المهن حسب القابليات الفطرية.⁸⁶⁶

⁸⁵⁴ - الملاحق ص 30.

⁸⁵⁵ - الملاحق ص 78.

⁸⁵⁶ - الخطبة الشامية ص 56.

⁸⁵⁷ - الخطبة الشامية ص 58-59.

⁸⁵⁸ - الملاحق ص 98.

⁸⁵⁹ - الملاحق ص 100.

⁸⁶⁰ - الخطبة الشامية ص 64.

⁸⁶¹ - الآثار البديعية ص 64.

⁸⁶² - الآثار البديعية ص 350.

⁸⁶³ - محاكمات ص 37.

⁸⁶⁴ - الخطبة الشامية ص 129.

⁸⁶⁵ - الملاحق ص 136-139.

⁸⁶⁶ - محاكمات ص 46.

ويبين الإمام النورسي أنه يمكن الاستفادة من صناعة غير المسلمين ، فكفر الكافر وفسق الفاسق لا يضر بالمهارة ولا بالصنعة.⁸⁶⁷

كما أن النورسي يوصي باستعمال المنتوجات المحلية، مثلما فعل غاندي فقد قاطع طوال حياته مصنوعات الغرب (إنني ألبس فقط النتاج المادي والمعنوي لبلدي).⁸⁶⁸ وهناك نقطة مهمة في موضوع الفقر تحدث منها النورسي وهي أنه يرى أن أحد أسباب زيادة غنى الأقليات، وزيادة فقر المسلمين في الدولة العثمانية يعود إلى كيفية اختيار المهنة (لقد لقينا عقابنا لأننا اخترنا طرق الأمانة في المعيشة التي تساعد على الكل والتي تدغدع غرور الإنسان) ويقول إن الطرق الطبيعية: و" المشروعة" و " الحيوية" للمعيشة هي " الزراعة" و " التجارة" و الصناعة ويقول: (إنني أرى بأن من يتقلد وظيفة أو إمارة يجب أن يدخلها من أجل إيفاء خدمة، ولكن إن دخلها كطريقة كسب ومعيشة فإنه يكون قد تصرف بحمق).⁸⁶⁹

1 - الفرقة أو الاختلاف.

العدو الثالث للإمام النورسي هو الاختلاف ويعبر عنه أحيانا بكلمات وتعابير أخرى مثل "الفضوز" أو " النفاق" أو الخصومة وضدها الاتفاق وأحيانا يستعمل كلمات أخرى مثل " الوفاق" أو التساند أو التعاون أو الاتحاد أو الأخوة.

والإمام النورسي نجده بنظر إلى الاختلاف بمقصده الضيق النطاق بين المسلمين وكذلك الاختلاف بين المجموعات الدينية، ويتناول كلا منهما ويكررها حسب أهميتها، واختلاف الذي يقف عنده طويلا ويقدم الحلول لتلافيه هو الاختلاف الموجود بين المدارس الدينية والمدارس الاعتيادية والثكايا وهي الشعب الثلاثة لمنايع الغيظ.

ولكي يبين حدية الاختلافات على نطاق المجتمع في نظره فإنه يستعين بقاعدة عن علم الرياضيات فيقول: (إذا لم يكن المجتمع واحدا صحيحا فإن الجمع والضم يؤدي إلى النقصان مثلما يؤدي إلى ذلك ضرب الكسور... ثم يوضح فيقول: (من المعلوم في علم الحساب أن الضرب والجمع يؤدي إلى الزيادة، فأربعة مضروبة في أربعة يساوي ستة عشر، ولكن الضرب في الكسور يؤدي إلى النقصان فالثلث في الثلث يساوي التسع، ونجد نظيرها هذا في علم الإنسان، فإذا لم يتحد الإنسان مع الصحة ومع الاستقامة فإن النتيجة يكون نقصانا وخللا ودون أية قيمة.⁸⁷⁰

ولكي يظهر مدى الآلام الذي يلم به نتيجة الاختلاف في المجتمع فإنه يستفيد من الأبيات التالية للسلطان باروز سليم:

إن الخشية من الاختلاف

⁸⁶⁷ - الآثار البديعية ص 396.

⁸⁶⁸ - ديوان الحرب العربي ص 15-16 الهامش.

⁸⁶⁹ - الملاحق ص 77-79.

⁸⁷⁰ - الخطبة الشامية ص 142.

يجعلني اضطرب حتى وأنا في القبر

إن الاتحاد هو وسيلتنا في الصولات.

إن لم تتحد الأمة أكون مجروح القلب.⁸⁷¹

وحسب رأي بديع الزمان النورسي فإن " الحياة في الاتحاد"⁸⁷² يستفيد أن الحياة وكل شيء بعد امتدادا لها لا يظهر للوجود إلا بعد اتحاد معين" هناك قوة في الاتحاد، وهناك حياة في الاتحاد، وهناك سعادة في الأخوة.⁸⁷³

ويقول الإمام النورسي بأن العالم الإسلامي إن أسس فيما يینه اتحادا تاما فليس هناك قوة دنيوية تستطيع أن تقف أمامه، ولكي يبين مدى القوة الحاصلة نتيجة الاتفاق يقول: (نعم... أن لم تتجد ثلاث ألفات فستبقى قيمتها ثلاثا فقط، أما إذا اتحدت وتساندت بسر العددية فإنها تكسب قيمة مائة وأحد عشر(111) وكذلك الحال في أربع أربعات عندما تكتب كل 4 منفردة من البغية فإن مجموعها(16) ، أما إذا اتحدت هذه الأرقام واتفتت بسر الأخوة ووحدة الصدق والمهمة الواحدة على سطر واحد فعندها تكسب قيمة أربعة آلاف وأربعمائة وأربع وأربعين (4444) وقوتها.⁸⁷⁴

- أسباب الخلاف:

يوضح بديع الزمان النورسي أسباب الخلاف بين المسلمين فيقول أنه يعود إلى بعض النواقص وإلى بعض التصرفات الغير السليمة. مثل ضعف الإيمان والأناية والبحث عن الأحق، وحسب رأي الإمام بديع الزمان ما يرى أن عدم معرفة الروابط النورانية التي تربط أهل الإيمان بعضهم ببعض هي التي تؤدي إلى تأخر المسلمين.⁸⁷⁵ إذا يجب إظهار هذه الروابط الإيمانية والدينية إلى ضوء النهار، وإعادة الفعالية إليها يقول الإمام النورسي: (الاتفاق من الله تعالى وليس من الهوى ورغبات النفس⁸⁷⁶ ، وهكذا فهو يبين أن الاتفاق والوحدة لا يمكن أن تتم بصيغ بشرية، فمثلا لا يمكن أن تتحقق الوحدة بالتخويف، أو بالضبط أو بالإكراه ، على العكس من ذلك فهذا يؤدي إلى زيادة الفرقة والنفاق بين الأطراف.⁸⁷⁷

- حلول للتوحيد:

يذكر بديع الزمان النورسي في هذا الصدد حولا عديدة وطرقا كثيرة وإيضاحات مختلفة وسأشير إلى بعضها:

⁸⁷¹ - ديوان الحرب العرفي ص 21-22.

⁸⁷² - الآثار البديعية ص 365.

⁸⁷³ - محاكمات ص 42.

⁸⁷⁴ - اللمعات ص 243.

⁸⁷⁵ - الخطبة الشامية ص 20.

⁸⁷⁶ - نفسه.

⁸⁷⁷ - ديوان الحرب العرفي ص 58.

أولاً: الشعور الإيماني:

يأمر القرآن الكريم المؤمنين بالرجوع إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم عندما يقع بينهم أي خلاف، والمؤمن مادام مؤمناً فهو لا يستطيع إهمال أو ناسي هذا الأمر يقول بديع الزمان النورسي: (فكما أنك إذا استعطت حصيات تافهة ووصفتها بأنها أسى من الكعبة المشرفة، وأعظم من جب أحد، فإنك بلا شك ترتكب حماقة مشينة)⁸⁷⁸ ويقول أيضاً: (ما الحل الذي يعالج الخلاف في العالم الإسلامي؟ يجب بديع الزمان على هذا السؤال بالإجابة التالية: (يجب أولاً النظر إلى ما هو متفق عليه من المقاصد السامية ذلك لأن إلهنا واحد ونبينا واحد وقرآننا واحد ونحن متفقون حول الضرورات الدينية.⁸⁷⁹

ثانياً: المساواة

من بين الخصائص والعوامل التي تؤمن وحدة الأمة، وبديع الزمان النورسي يعير لها أهمية كبرى (المساواة): ما الذي يؤدي إلى وحدة الأمة غير رفع الامتياز⁸⁸⁰. وهذه يمكن تحقيقها بتأمين الحاكمية التامة للقانون وإلا فإن كل إداري سيكون مستبداً مستقبلاً وتزداد محاولات الجمعيات السرية مما سيؤدي إلى زيادة الاستبداد.⁸⁸¹

ثالثاً: محاوراة السواد الأعظم.

يرى بديع الزمان النورسي بأن مجاراة السواء الأعظم من الناس في بعض المسائل يزيل الاختلاف، لأن من الخطر الانشقاق عن الأكثرية.⁸⁸²

رابعاً: المعارف

لقد تنبأ بديع الزمان عند بداية هذا القرن بهذه الفوضى التي تعصف بمناطقنا الشرقية، وقال بأن العلاج يتم عن طريق المعارف، واقترح على الدولة القيام بفتح المدارس الدينية في المراكز المهمة التي سماها بالمناطق الشرقية وتنشئة وتربية الطلاب، وهو يقدم هذا الاقتراح مع إيضاح أسبابه يقول النورسي: (... بهذا يتم تأمين أساسا التربية والثقافة، وبعد تأسيس هذا المبدأ يتقرر الاتحاد ويتحقق أننا أعطينا هذه القوة العظيمة التي تذهب صوراً نتيجة الخلاف الداخلي على يد الحكومة لكي تستعملها في الخارج ولكي يظهر أنهم بفطرتهم السليمة يستحقون العدالة وأنهم مهياؤون ومستعدون لتقبل المدنية.⁸⁸³

⁸⁷⁸ - المكتوبات ص 341.

⁸⁷⁹ - المكتوبات ص 48.

⁸⁸⁰ - ديوان الحرب العرفي ص 41.

⁸⁸¹ - ديوان الحرب العرفي ص 41.

⁸⁸² - الخطبة الشامية ص 124-125.

⁸⁸³ - الآثار البديعية ص 465.

خامسا: البحث عن الأحق.

هذه صيغة لإزالة الخلافات المذهبية الخلافات بين المجموعات الدينية على الأخص يقول بديع الزمان النورسي (عندما يون هناك اتفاق على الحق ولكن مع وجود خلاف حول الأحق يكون الحق أحق من الأحق⁸⁸⁴ . ويقول : أن كل واحد يحق له أن يفهم أن مسلكه حق وأنه أجمل، ولكن لا يحق له أن يفهم أو يتصور أن مسلك الآخرين باطله وقبيحة، وهو يرى بأن الشخص إن عتقد بأن مسلكه فقط هو المسلم الحق فإن هذا يدل على ضيق أفقه وعلى أنانيته وحبه لنفسه، وهو لكي يعالج مثل هذا المرض فإنه يستعرض أمثلة على إمكانية تعدد الحق.⁸⁸⁵

سادسا: حب المحبة والعداء للعداوة.

في سبيل إزالة الخلاف يوحى الإمام النورسي بنشر المحبة بين المؤمنين وإزالة العراء يقول: (نحن فدائيون المحبة، لا وقت لدينا للخصومة)⁸⁸⁶ ، وقد أعلن على أنه عفا عن جميع الذين عذبوه طوال حياته وملأوا حياته ألما وضيقا، وعن جميع الذي جروه من محكمة إلى محكمة ومن مركز شرطة إلى مركز شرطة والذين ألقوا به في السجون، وسامحهم وصفح عنهم.⁸⁸⁷

سابعا: اتفاق الجماعات الدينية:

قدم بديع الزمان في هذه المسألة اقتراحات حلول نعتقد أنها لا تزال حتى الآن معتبرة، فقبل كل شيء عد وجود هذه الجماعات المختلفة ضرورية ومفيدة، ولكنه يريد منها أن تكون غايتها واحدة ولا شك في وجوب كون هذه الغاية إيجابية وبناءة وتهدف إلى خدمة الدين والأمة فإذا تحقق هذا فلا يشترط أن تكون الطرق والمشارب واحدة، بل تكون مثل هذه الوحدة ضارة لآتها قد تدفع الناس إلى اللامبالاة وإلى القول: (ليفكر غيري بهذا)⁸⁸⁸ ، إذ يقول: (إن الجماعات التي تتشكل بدافع المحبة الدينية إن حققت شرطين فنحن على استعداد لتهنئتها جميعا والاتحاد معها: الشرط الأول: المحافظة على الحرية الشرعية على الأمن العام. الشرط الثاني: أن يكون طراز حركتها قائما على المحبة وعدم محاولة إبراز نفسها بإلقاء التهم على الجماعات الأخرى وتلويث سمعتها.⁸⁸⁹

⁸⁸⁴ - الخطبة الشامية ص 124-125.

⁸⁸⁵ - كلمات ص 719.

⁸⁸⁶ - ديوان الحرية الغرقي ص 57.

⁸⁸⁷ - السيرة الذاتية ص 604.

⁸⁸⁸ - الخطبة الشامية ص 99.

⁸⁸⁹ - الخطبة الشامية ص 98.

ومن هنا يتبين لنا أن الإمام النورسي ربه الله تعالى كان ضد الجمعيات الثورية. رغم هذه الأعداء الثلاثة وغيرها، فإن الإمام النورسي رحمه الله تعالى كان دائما يتحلى بالأمل، ولو تم تلخيص كل مؤلفاته في ثلاث أو خمس نقاط رئيسية لكن الأمل في المستقبل أحد هذه النقاط دون أي شك، لدى فإن الإمام النورسي كان يؤمن بأن العالم الإسلامي سوف يستطيع التغلب على هذه الأعداء الثلاثة، وسوف يكون رائدا للإنسانية حتى من الناحية المادية وسيؤسس السلام العالمي، يقول: (إن العقل والعلم هما اللذان سيحكمان في المستقبل لذا لا بد أن يحكم القرآن الذي تستند جميع أحكامه على البراهين العقلية والذي يستمد جميع أحكامه من العقل).⁸⁹⁰

ويقول أيضا: (إنني أعلن دون أي تردد وبكل ما أملك من يقين وعقيدة... سينتشر الحق وسيترعرع، وأنا أعتقد أن الحقائق الإسلامية هي التي ستحكم جميع القارات حكما مطلقا في المستقبل.⁸⁹¹ ويقول: (إن المستقبل سيكون فقط للإسلام والحقائق القرآنية والإيمانية ستكون هي الحاكمة.⁸⁹²

⁸⁹⁰ - الخطبة الشامية ص 29.

⁸⁹¹ - المحاكمات ص 7.

⁸⁹² - الخطبة الشامية ص 21.

المبحث الثاني: محاربة الغزو الفكري

بالبحث والاستقراء في صفحات التاريخ الإسلامي، وقر في قلوب أعداء الإسلام أن مواجهة المسلمين بالقوة لا فائدة منها فقد جربوها عدة مرات ولم تفلح، بل كانوا دائما هم الخاسرين حتى في المغرب التي انتصروا فيها، كانت خسارتهم أفدح من خسارة المسلمين، فحول الغرب بناء على تجاربهم السابقة الغزو العسكري إلى الغزو الفكري، ذلك أن الفكر لا يقاوم إلا بالفكر مثله، ولا يمكن أن يقاوم بالسلح، ولا تستطيع الجيوش الجرارة أن تجعل إنسانا واحدا يعدل عن فكرته بالقوة.⁸⁹³

إن أعداء الإسلام يحاولون حصار الإسلام بكل الوسائل فإن لم تنفع واحدة فربما *** الأخرى، وإذا لم تكن المواجهة الصريحة مفيدة، فهناك وسائل أخرى وفي هذا المجال شهد العالم الإسلامي غزو مجموعة من المنظمات العالمية المعادية، وهي تحاول النشل إلى الأمة الإسلامية تحت شعارات، ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله الخراب عبر مجالات مختلفة، منها التربية و التعليم والصحافة والإعلام وتحرير المرأة.. ويعد الاستعمار والاستشراق والتبشير وسائل لهذا الغزو... ثم أخذن وسائل هذا الغزو تتنامى مساعدة الوسائل الحضارية الحديثة.

والإمام بديع الزمان النورسي أحد المصلحين الذين حاولوا محاربة هذا الغزو الفكري، أسهموا في رسم حاضرنا من خلال لمعات كلماته ومكتوباته وليبقي منهجا للحياة من خلال الكشف عن إشارات إعجازه، ولتتجمع مع إشاعات الصالحين المصلحين في بؤرة الإصلاح والبناء...

1 - أثر الغزو الفكري على النورسي وعلى تفسيره القرآن الكريم.

لقد أدرك النورسي طبيعة المواجهة بين الإسلام وأعدائه فهي لم تعد مواجهة عسكرية تتطلب تضييع السلاح، بل أصبحت مواجهة ثقافية حضارية، أقوى سلاح فيها هو العلم، وهذه المواجهة تتطلب الدعوة بل القيام بجهود كبيرة لتسلم المسلمين به.

إن نظرة النورسي إلى التغير نظرة شمولية تلائم خصائص القرآن الكريم الذي طرح قضايا شاملة، وخطب الناس كافة في كل عصر من العصور، لذا فهو يرى أن الطريق الأمثل لإخراج تفسير جامع للقرآن الكريم يستجيب لحاجة العصر هو في إجماع لجنة من بار العلماء المتخصصين كل في مجال تخصصه يقوم كل عالم بدراسة مستفيضة في جانب من جوانب القرآن الكريم، فيحصر من مجموع تلك الدراسات على تفسير جامع للقرآن الكريم مستجيب لمستحدثات العصر.⁸⁹⁴

وقد أضاف الإمام النورسي شرطا مهما هو ضرورة توافر الحرية الفكرية للمفسر، إذ بدونها يختل جانب مهم في الدراسة العلمية الموضوعية المرجوة.⁸⁹⁵

⁸⁹³ - الغزو الفكري أهدافه ووسائله، لعبد الصبور مرزوق ص 40-41.

⁸⁹⁴ - إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز ص 20.

⁸⁹⁵ - إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز ص 7-8.

إن اشتداء العراء للذين ومحاولة تحطيم أسسه، جعل الإمام النورسي يغير منهجه في الدعوة إلى الإسلام، فمن خلال وسائل النور أصبح يدافع عن العقيدة ويرسخ أركانها، وقد لجأ كثيراً إلى تفسير آيات قرآنية في رسائله حتى عدها كلها تفسيراً لمعاني القرآن، بقوله الإمام النورسي: (إن رسائل النور برهان باهر للقرآن الكريم، وتفسير قيم له، وهي لمعة براقعة من لمعات إعجازه المعنوي، ورسخة من رسخات ذلك البحر وشعاع من تلط الشمس وحقيقة ملهمة من كنز علم الحقيقة، وترجمة معنوية نابعة من فيوضاته.⁸⁹⁶

ولكن تفسير النورسي لم يتخذ نما واحدا ولم يتبع منهجا محمدا فالقارئ له يكتشف أن الإمام النورسي اتجه إلى الآيات اتجاهها روحيا، وتعامل معها تعامل ذوقيا. وتبقى الموضوعات المهمة التي تناولها النورسي في رسائله هي: الله عز وجل . الإنسان والكون والقرآن والانتساب الإيماني والأخلاق.⁸⁹⁷ ولك موضوع من هذه الموضوعات يتناولها النورسي في ضوء ما فهمه من مقاصد القرآن الكريم. ومن هذا المنطلق حاول النورسي جعل رسائل النور أداة لمواجهة الغزو الفكري.

2 - طريقة النورسي في التعامل مع أحداث الغزو الفكري.

كثرت أنماط التحديات والهجمات الفكرية على العقائد الإسلامية في عصر النورسي، قصد تشكيك المسلمين في دينهم وقرآنهم ومقدساتهم فأدرك النورسي أن مواجهة هذه الموجات العنيفة الحديثة لا يمكن أن تفيدها أساليب الكلاميين القدماء، إنما تحتاج إلى أسلوب جديد منطقي في أساسه، علمي في أدلته منسجم مع روح العصر، معمر عنه بأسلوب واضح قريب من القول. كل مصنفات أغلب العلماء السابقين والكتب القديمة للصالحين تبحث عن قمار الإيمان ونتائجه، وفيوضات معرفة الله تعالى، ذلك لأنه لم يكن في عصرهم تحد واضح ولا هجوم سافر لجدور الإيمان وأساسه، إذ كانت تلك الأسس متينة، أما في عصر النورسي فهناك هجوم منظم على أركان الإيمان وجدوره لا تستطيع تلك الكتب التي كانت تخاطب المسلمين فحسب أن تقف أمام هذا التيار القوي، ولا أن تقاومه وتصده. وقد أحم النورسي التعامل مع أحداث الغزو الفكري التي عاشها في عصره، فوضع لنفسه منهجا يسير عليه في تفسيره للآيات القرآنية.

3. أساليب النورسي في التصدي للغزو الفكري.

أ. قراءة الواقع:

لقد أصل النورسي منظومة معتبرة أناط الجهد فيها بتحقيق نوعية الأمة وتبصيرها بما كان الأعداء يحكيونه لها من ويلات. لقد كانت قراءته لهذا المستوى من الآثار الدينية وجها يندرج ضمن روح

⁸⁹⁶ - الملاحق ص 220.

⁸⁹⁷ - تناول الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله هذه الموضوعات الستة في كتابه مفاتيح النور.

الجهاد التي انبرى بها للفساد والردة ، كما أن هذا الوجه من القراءة التأويل، قد كشف الإستراتيجية التأويلية التي تبناها بوصفها موقف فكريا ملتزما ومتصديا للعدوان.

إن قراءة الواقع وتأويله في إطار الشريعة الإسلامية قد شكل أحد الأسلحة المدافعة والاقترام التي دك بها الإمام النورسي قلاع الانحراف والكفر، تلك القلاع التي أقامتها الكمالية الطورانية والصهيونية المدعمة لها واستهدفت بها ضرب الإسلام في الصميم.

ب. تدعيم الوحدة الفكرية الإسلامية:

يرى الإمام النورسي أن الاجتماع والتعاون في هذا العصر ضرورة لحياة المسلمين (فهم في غاية القلة والضعف والفقر، وأعداؤهم على قوة ومنعة ويلقون بالشبهات لصرف قلوب أبنائهم عن الإسلام).⁸⁹⁸

فبداهة العقل تفرض الاجتماع والايعجز المسلمون من الدفاع عن حقوقهم بل حتى عن الحفاظ على حياتهم، ويزيد النورسي هذه الحقيقة بيانا بالوقائع والشواهد والأمثلة من واقع الناس وحياة البشر فيقول: (إن هذا الزمان لأهل الحقيقة زمان الجماعة، وليس زمان الشخصية الفردية وإظهار الفردية والأنانية، فالشخص المعنوي الناشئ من الجماعة ينفذ حكمه ويصمد تجاه الأعاصير.⁸⁹⁹ ومن أجل الوصول إلى الوحدة الفكرية الإسلامية، ويرى الإمام النورسي أن هناك أحدا مهما يجب على المسلمين أن يطبقوه في حياتهم العلمية، وهو الحرص على جعل الاختلاف في النظر والاجتهاد سببا لإظهار الحق وازدهار المعرفة وقراء الفكر الإسلامي.

ج - الاهتمام بتشخيص داء الأمة و البحث من العلاج:

لقد شص النورسي العلة التي تعيق المسلم، فردا و جماعة ومجمعا من اعتناق الحياة الفاعلية البناءة المنسجمة مع مقاصد الوجود، كما قضى بها الله على عباده، لقد جعل الفرد المسلم التمزقات تراثا مشتركا بتوارثه الخلق من السلف، وتفاقم من أدوائه الأجيال مما تضيف إليه من تصدعات، الأمر الذي يستتبع استفحال بواعث العجز والقصور، وهو ما يعطي حركة الحياة ويجعلها رديقا للمأساة، إذ يعدم الفرد فيها أدنى أسباب الأمل والتفاؤل والوثوق.

من هنا كان وجه المقارنة منعما بين حال الغرب، وحالنا نحن المسلمين، بين تلاحق ثمار الأفكار لديهم، وانقطاعات سعي المجتهد الفرد المخدول عندنا، وفي هذا السياق يلتفت النورسي إلى تسجيل ملاحظة على درجة من الأهمية حين يستدرك على كثير ممن تطيب أنفسهم أن يعقدوا مثل هذه المقارنة بين حال أوربا وحال المسلمين، خصوصا حين تكون نفوس هؤلاء المقارنين موجهة بمشاعر الاستلاب، إذ يغدو موقفهم ذلك محض محاكمة وتشف وتخديل... ولقد كان هذا شأن من أسماهم النورسي لقطاع أوربا فأولئك كانوا يوازنون بين الحالين (الحضارتين) لاطهار افتتاهم بالغرب ، ونفورهم من أمتهن.

⁸⁹⁸ - اللمعات ص 241.

⁸⁹⁹ - اللمعات ص 313.

وزيادة على التحريك الاستيلابي الذي كان يوجههم ضد وأتيتهم، قد وقف هؤلاء موقفا يظهر من خلاله تعاليمهم على أمتهم، وغرورهم بأنفسهم عبيدين على ذلك الوجه عداهم السافر والمريض للإسلام.⁹⁰⁰ ومما لاشك فيه أن الإمام النورسي كان يتصدي بالتجريح لقوى الاستيلاب إلى حكام تركيا أنفسهم، منها وجدناه يقارعهم على ما كانوا يبذرونه من عواطف نقمة وكرهة لأمتهم ، فقد كان المتوقع منهم أن يظهروا ما ينبغي إظهاره من المشاركة وإبداء الشفقة على تلك الأمة باعتبارهم حكامها وساساتها والقائمين على خدمتها.

أما إظهار الحمية نحو الجماعة والملة هو وازع إنساني يعبر من أصالة لاسيما إذا كان هذا الفرد ولي أمر ومسؤول (ذلك لأن الحمية هي نتيجة ضرورية للمحبة والاحترام والرحمة فلا حمية بدون هذه الأمور، وإلا فهي حمية خادعة والنفور من الأمة خلاف الحمية أيضا)⁹⁰¹. لقد كان النورسي رحمته الله يرى أن من الواجب على أولئك الساسة المستلبين أن يظهروا مستوى من التعاطف يبرز انتماءهم ، ويسوغ تقمهم لقيادة الأمة والتحدث باسمها.

3 - التكاملية بين التفسير وعلوم العصر:

لقد استوجب الإمام النورسي معارف عصره من خلال دراسته لعلوم العصر والاطلاع على نظرياتها في الاجتماع، والاقتصاد السياسة والعلوم البحث الأخرى كالفيزياء والكيمياء والرياضيات، لقد وظف الإمام النورسي هذه العلوم لمناقشة نظرية داروين في أصل الأنواع والذي أراد الغرب أن يجعلوها سببا لإنكار الخالق فتصدى لهم، وكذلك النظريات الأخرى في السياسة والاجتماع.⁹⁰² يرى النورسي أن حديث القرآن عن الشمس والقمر وحكمة خلقهما ووظيفتهما ، والحديث عن الجبال والبحار والسحاب والمطر وما يصحبه من وعد وبرق والتصعد في السماء كل ذلك إعجاز أورده القرآن ليقيم به الحجة على الإنسان. وقد عد القرآن الكريم لبحث في هذا الكون عباءة رفيعة يتقرب بها إلى الله.

لقد اعترف النورسي أن التكامل بين علوم الشرع وعلوم العصر لا يتم بمجهود علماء الشرع فحسب، ولا يتم كذلك، ومن حماقة أن نتصور أن علمية التكامل يمكن أن تتم بمعزل عن المتخصصين في علوم الشريعة ليخلو الأمر إلى علماء الإنسانيات والاجتماعيات الذين يعوزهم المنهج المتكامل، والمؤهلات الكافية في التعامل مع القرآن لا لابد أن تتضافر كل الاختصاصات على ذلك.

ه - اعتبار أحوال الزمان المعاصر واستحضار واقع الحال:

إن مراعاة أحوال أهل الإسلام ضرورة ي هذا الزمان، حيث لم يعرف المسلمون من قبل زمنا مثله، من جهة قوة الباطل وغلبة الشر والفساد وإغراء الشهوات، وغير ذلك من أحوال هذا العصر، التي تجعل التمسك بالدين والتزام التقوى والصلاح، كأنما يحاول المرء نقل جبل أو يعاكس تيارا قويا،

⁹⁰⁰ - صيقل الإسلام ص 370.

⁹⁰¹ - صيقل الإسلام ص 370.

⁹⁰² - النورسي رجل القدر في حياة الأمة ص 21 . 31 . 34.

فليس من العقل أخذ عامة المسلمين بالعزيمة والتشديد عليهم، خاصة فيما هو مختلف فيه، مثل الإنكار الشديد على من يكشف الوجه والكفين من النساء، وتفسيق من يجوز ذلك من العلماء، مع أن الغالب على نساء المسلمين التهتك إلى درجة الهيمنة، فكيف يشدد في الإنكار على من خالف هذا التيار القوي الغالب وسارت على مذهب معروف عند العلماء.⁹⁰³

ومن ذلك أن العصر الحاضر ضاعت فيه القضايا الكبرى والمصالح الضرورية التي جاء الشرع بحفظها، فهل يصح صرف الجهد إلى القضايا الجزئية التحسينية والتكميلية وقد ضاعت الأصول الضرورية.

ومن هنا أكد الإمام النورسي رحمه الله على العمل على إنقاذ الإيمان في القلوب وتجديده في النفوس، وهداية الضالين والمنحرفين، وإقامة الحجّة على الملحدين.

و - الموضوعية في تقويم الأفكار والأشخاص.

لقد كان الإمام النورسي رحمه الله يبحث طلبته على ضرورة النظر إلى ما أودعه من أفكار في رسائل النور وألا يلتفتوا إلى شخصه، وكان كثيرا ما يأمر بالتثبت فيما يليق به على طلبته، وعرض ما يأخذون من أفكار على ضوابط البحث العلمي، وسيهر بميزان منهج المعرفة الإسلامية القائم على قبول الحق حيث ما كان ورد الباطل على صاحبه مهما كان مقامه في العلم والفكر، ومهما علا قدره في الدين والأمانة.

ويدخل هنا أيضا عدم التعيين والكف عن ذكر الأسماء وتسمية الأشخاص عند تصحيح الأفكار ومناقشتها والرد عليها. فإذا تعين الرد والتصحيح، فليكن الرد على الأفكار كما هي من غير نسبتها على التعيين وذلك لقطع طريق نزعات النفس عند هذا المخالف وليبقى أقرب إلى الإنصاف.

وكان الإمام النورسي عندما يحكي كلاما من عالم من علماء عصره أو حادثه عنه في سياق الرد والتخطئة، فإنه يأتي به في الغالب مبهما.⁹⁰⁴

ومن الفروع الموضوعية في تقويم الأفكار والأشخاص النظر إلى الشخص بحسناته وسيئاته وبالنظرة الشمولية، وقد بين المحدثون من قبل أن العدل المرضي ليس من تحققت فيه العصمة من جميع الذنوب والمعاصي، وأن الضابط ليس هو من لم يكن له غلط قط، إنما العدل من غلبت حسناته سيئاته والضابط من كان ما يحفظ ويتقن أكثر مما يغلط فيه.⁹⁰⁵

خلاصة القول: فالإمام النورسي رحمه الله قاوم الغزو الفكري الذي صبغ الحياة الفكرية والاجتماعية في الدولة العثمانية بعد مجيء جمعية الاتحاد والترقي العلمانية.

فلقد اختار الإمام النورسي رحمه الله توظيف العلوم التطبيقية والاجتماعية في المناقحة عن القرآن والإسلام لمداخلة هذا التيار العارم، ويظهر تأثير ذلك في النقاط التالية:

⁹⁰³ - الغزو الفكري وأثره على منهج سعيد النورسي ص 173 . 174 . ليث سعود جاسم والزمخشري بن حسب الله.

⁹⁰⁴ - للمعات ص 138.

⁹⁰⁵ - علوم الحديث ومصطلحة ص 131 لصبي الصالح.

- توظيف علوم العصر في دحض شبه العلمانيين ضد القرآن.
- استخدام التفسير الإشاري في استنطاق الآيات واستنباط معان تعالج الانحرافات الاجتماعية والسياسية والفكرية، ولا تقع تحت طائلة المضايقات الأمنية.
- من أوائل المفسرين الذين فطنوا إلى منهج التكامل بين العلوم الشرقية والعلوم الطبيعية والإنسانية.

المبحث الرابع: الدعوة إلى الوحدة الإسلامية ونيل القومية.

لقد اختار الغربيون إثارة المواطنين الغير مسلمين ضد الدولة العثمانية ، ثم اختاروا إثارة الثغرات القومية بين الأتباع المسلمين، وكان الهدف الرئيسي المستشرقين الأوروبيين الذين أبرزوا الحياة التي كان يعيشها العرب والأتراك والألبان قبل الإسلام وجعلوها حياة مثالية، وكانت غايتهم الرئيسية من وراء ذلك هو القضاء على الإسلام وإفساد الإتحاد الإسلامي.

هذا ما دفع الإمام النورسي رحمه الله تعالى إلى بدء الكفاح في سبيل الإتحاد الإسلامي، وقد اعتقد أن الأخوة الإسلامية هي الوصفة التي ستخلص العالم الإسلامي الذي يقع معظمه تحت الأسر، وهذا الاعتقاد عند بديع الزمان كان يرجوا بموجة رضا الله وإتباع أوامره. وقد كان للإمام النورسي أفكار حول القومية والإتحاد الإسلامي وكان أعلى أمانيه الوحدة الإسلامية وهذا ما سألينه في هذا المبحث:
- النورسي والمناداة الإسلامية:

دعا الإمام النورسي رحمه الله إلى الوحدة الإسلامية الجامعة، وبين ضرورها لظهور الأمة المسلمة وإخراجها، وكعادته بدأ بتأصيل هذا المفهوم في عقله وقلبه، فقد جدر انتسابه إلى عموم هذه الأمة السامية، وأعلن عن تبرئه من أفراد عنصره الذين سلكوا سبيل الإتحاد والانسلاخ من المذاهب الإسلامية.⁹⁰⁶

إن الفكر القومي العنصري قد شاع في العالم الإسلامي تحت تأثير عوامل شتى، ونفى أصالته، فهذا الفكر العدواني" مرض أوروبي خبيث سار"⁹⁰⁷ وقد زرعه الأوروبيين بين المسلمين ليمزقهم ويفرقهم، ويجعلهم لقمة سائغة للتفرق والتشتت، وكذلك إن هذا الفكر غير مقبول إنسانياً، لأنه ينمو ويتربى بكراهية الآخرين وبعدهاتهم، إذن فالفكر القومي تنشأ عنه عدة أمور منها:

_ يولد المخاصمة.

_ النزاع بين الشعوب.

⁹⁰⁶ - المكتوبات ص 542.

⁹⁰⁷ - المكتوبات ص 29.

_ يستهلك طاقتها.

_ مخالفة الشريعة التي تدعو إلى الوحدة وعدم التفرقة.

_ يلغي التآلف، والتعارف والتعاون.

_ هذا الفكر مرفوض إنسانياً.

أهم شيء هنا أن الوحدة الإسلامية هي أساس الإتحاد فالفكر القومي لا يوافق الأصول الإيمانية فالمسلمون خالقهم واحد ورازقهم واحد ورسولهم واحد وكتابهم واحد هذه هي الوحدة التي تذيب الفروق لا فرق بين عربي وعجمي ولا أبيض وأسود إلا بالتقوى فالوحدة الإسلامية رمز للتآلف والتعارف والتعاون والإتحاد والإخاء.

ولتقوية الوحدة الإسلامية والابتعاد عن أسباب التفرق والخصومة والجفاء، والاجتماع تحت لواء التوحيد والوحدة فالإمام النورسي يدعوا إلى التناصح والتعاون والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المستمدة من القرآن الكريم ، وكذلك إلى الالتزام بالأسس التالية:

_ تقوية الأخوة الإسلامية.

_ إخلاص العبودية والعمل لله سبحانه.

_ ترك غرور النفس وحظوظها والتجرد من الحسد والمنافسة غير المشروعة.

_ ترك معاداة المسلمين والتهوين من شأنهم، والحرص على العمل الإيجابي البناء.

_ الحذر من المشاعر الاستعلائية المتلبسة بمعاني العزة والكرامة الموجهة إلى غير مقاصدها الإسلامية الخالصة.

_ الموضوعية في تقويم الغير إنصافه.

_ تحري نقاط اللقاء على الحق وإبرازها..⁹⁰⁸

- النورسي وحربه ضد القومية والعنصرية:

- معنى القومية ونشأتها:

القومية لغة: مشتقة من القوم، والقوم عشيرة الرجل وجماعته.⁹⁰⁹ واصطلاحاً تعني: "الانتماء إلى أمة معينة والتعلق بها وتقوم على عنصرين: عنصر موضوعي ويتمثل في الروابط المشتركة التي تجمع بين أفراد شعب هذه الأمة. كالاتشارك في الأصل أو اللغة أو العقيدة ن وعنصر معنوي أو شعوري، يتمثل في الحالة النفسية التي يولدها الشعور بالانتماء والتعلق بالوحدة."⁹¹⁰

ظهرت هذه الفكر في أوروبا ولاقت منها ما لاقت من صراع القوميات فشاعت روح الاحتقار الشديد بين مختلف القوميات العربية بعضها تجاه بعض، وقد كان لليهود والماسونية دور رئيسي في ذلك

⁹⁰⁸ - اللغات ص 229.

⁹⁰⁹ - انظر لسان العرب ابن منظور.

⁹¹⁰ - الموسوعة الثقافية ص 776/ انظر سقوط الدولة العثمانية وأثره على الدعوة الإسلامية كمجدي عبد المجيد الصاقوري.

لهدم الطابع المسيحي الغربي، وبعدها أرادت نقل المعركة للعالم الإسلامي انطلاقاً من الدولة العثمانية التي كان رعاياها من قوميات مختلفة كالعرب والترك والأرمن والألبان، والأكراد وغيرهم.⁹¹¹

بعد ذلك حولت الدولة الأوروبية نبد القومية وجمع الشمل في تكتلات سياسية واقتصادية وعسكرية وبموازات مع ذلك امتدت الحركة القومية خلال أواخر القرن 19 وبدايات العشرين إلى آسيا وإفريقيا، وظهرت أشهر الحركات القومية في الدولة العثمانية مثل: - القومية العربية- والقومية الطورانية التركية، وقد قامت هاتين الحركتين بأخطار دور تغييري في تاريخ الدولة العثمانية في النواحي الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، في النواحي الفكرية الكردية فجاء تأثرها متأخراً عن القوميتين الأخيرتين.⁹¹²

ومن الوسائل التي استخدمها الأوروبيون لتفتيت الدولة العثمانية إثارة الثغرات القومية واستشارة الأفكار الجاهلية.

وهكذا استطاع الاستعمار ضرب وحدة المسلمين وتمزيق كيانهم عن طريق القومية، فتكونت في الشرق الإسلامي دويلات لكل منها كيان منفصل وحدود سياسية مرسومة وانتقل الولاء لله وشريعته إلى الولاء للأرض والقوم.

ولنشر الفكر القومي استخدم الأوروبيون الصحافة ونشر الكتب وسيلة لترويج الشعور القومي، ومن ذلك إحياء الكتب التي تعظم تاريخ الأجداد من عرب، وترك، وهنود، وغرس، وأكراد وغيرهم.⁹¹³

- بديع الزمان النورسي ومواجهة للتيار القومي:

لقد أدرك الإمام النورسي رحمه الله خطورة القومية، وعلم أنها تؤدي إلى حروب كثيرة وتسبب مصائب للبشرية، ذلك حاول محاربة هذه الظاهرة بتبيان أن حضارة القرآن تجعل وحدة الدين والوطن بدل رابطة العنصرية، وبذلك تنمو الأخوة الإسلامية بين الناس، فلذلك كانت أهم رسائله الأخوة.

أدرك الكثير من المصلحين أن العلاج الناجح يبدأ ببناء الفرد وهذا ما دفع بديع الزمان النورسي إلى اقتحام الميدان بإعطائه لتفصيل يوضح فيه مفهوم القومية في ميزان الإسلام، لتسهيل معالجة هذه العنصرية، وهذا فقد قسم الإمام النورسي القومية إلى قسمين:

أ - القومية السلبية:

قال الإمام النورسي عنها (وهو قسم سلبي مشؤوم مضر يترى وينمو بابتلاع الآخرين ويدوم بعداوة من سواه ويتصرف بحذر وهذا يولد المخاصمة والنزاع ولهذا ورد في الحديث الشريف أن الإسلام (يجب ما قبله) ويرفض العصبية الجاهلية، وأمر القرآن الكريم- (إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلة فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى

⁹¹¹ - سقوط الدولة العثمانية لمجدي عبد الحميد الصاقوري ص 210-211.

⁹¹² - نفسه ص 213

⁹¹³ - نفسه ص 218-219

وكانوا أحق بما وأهلها، وكان الله بكل شيء عليماً).⁹¹⁴ فهذه الآية الكريمة ترفض رفضاً قاطعاً القومية السلبية وفكر العنصرية، لأن الغيرة الإسلامية الإيجابية المقدسة لا تدع حاجة إليها).⁹¹⁵

ب - القومية الإيجابية:

والتي وصفها الإمام النورسي رحمه الله تعالى بأنها (النابعة من حاجة داخلية للحياة الاجتماعية وهي سبب للتعاون والتساند وتحقيق قوة نافعة للمجتمع وتكون وسيلة لإسناد أكثر للأخوة الإسلامية... هذا الفكر القومي ينبغي أن يكون حاد ما بالإسلام، وأن يحل محل الإسلام، ولا بديل عنه، لأن الأخوة التي يمنحها الإسلام تتضمن ألوف أنواع الأخوة... ولهذا فلا تكون الأخوة القومية مهما كانت إلا ستارا من أستار الأخوة الإسلامية...)⁹¹⁶.

- خطاب النورسي إلى القوميين:

أولاً: الأتراك: لقد وجه الإمام النورسي خطابه للقوميين الأتراك محذراً من الإنحراف في فهم الذي يؤدي إلى النظر إلى القوميات الأخرى نظرة العدو للعدو ولا نظرة الأخ المسلم لأخيه المسلم، يقول الإمام النورسي (يا أبناء الوطن من أهل القرآن فهو يفجر فيهم حقيقة الانتماء ويحذرهم وساوس الشيطان يقول: "إن بعض الملحدين الذين يشغلون مناصب مهمة هجوما... إذ يقولون أنتم أتراك وفي الأتراك أصناف العلماء... وإنما سعيداً هذا كردي كالتعاون مع من ليس من قوميتهم ينافي القومية"⁹¹⁷ وحث على الأخوة الكردية التركية بقوله (الأتراك هم عقلنا ونحن قوتهم) وأن الحياة الاجتماعية للأكراد مرتبطة بحياة وسعادة الأتراك.⁹¹⁸

وينقل حسه ككردي بكل إخلاص ليزيل ركام القومية عن قلب أخيه التركي فيقول (قلت لأحد طلابي الأكراد الغيورين لقد خدم الأتراك الإسلام كثيراً فكيف تراهم؟ قال: إني أفضل تركيا مسلماً على شقيقي الفاسق، وعندما سألته بعد سنين حين درس في اسطنبول ولمس العنصرية التركية وسأل نفس السؤال فقال: إني أفضل الآن كردياً فاسقاً... على تركي صالح...⁹¹⁹

وقد تخلى الإمام النورسي عن لقبه (الكردي) الذي كان يستخدمه كي لا يؤديك إلى الاستغلال العنصري، فترك لقب (كردي) واتخذ لقب (نورسي) نسبته إلى قريته ومسقط رأسه. ولذلك عندما جاءه مندوب الشيخ سعيد سسران يدعوه للمشاركة في الثورة ضد سياسة مصطفى كمال أتاتورك العنصرية ولإعادة الخلافة قال له الإمام النورسي في حوارهِ.

- الإمام النورسي: ومن ستحارب؟

- حسين باشا: سنحارب مصطفى كمال.

- الإمام النورسي: ومن هم جنود مصطفى كمال؟

⁹¹⁴ - سورة الفتح الآية: 26.

⁹¹⁵ - المکتوبات ص 414.

⁹¹⁶ - المکتوبات ص 414-415.

⁹¹⁷ - حسين حليک بديع الزمان وفكرة المؤتمر 1996 ص 544.

⁹¹⁸ - حسين حليک بديع الزمان وفكرة المؤتمر 1996 ص 544.

⁹¹⁹ - المکتوبات ص 442.

- حسين باشا: إنهم جنود.

- الإمام النورسي: إن جنوده أبناء هذا الوطن، هم أقرباؤه وأقربائي فمن نقتل؟ ومن سيقتلون؟ فكروا لأنهم إنك تريد أن يقتل الأخ أخاه.

هكذا يخاطب سعيد النورسي الكردي حسين باشا الكردي عن الأتراك فأبي صفاء هذا.⁹²⁰
ثانياً: الأكراد: كان الإمام النورس كرديا يحس بمشاعر قومه وحاجتهم إلى العناية من ناحية التعليم والثقافة فلذلك قدم مطالبة للسلطان لتطوير شرق الأناضول.

فضلا من تقديمه النصح لقومه وكان يرى ابتداءً أن الحركة القومية عامة من صنع الأوروبيين والمهود فكان الأستاذ النورسي جازما في هذا الأمر لا يساوم فيه حتى مع الأكراد، ورد على أن المشايخ اسمه محمد أفندي حول الحركة الكردية، بقوله: (إن مثل هذه الحركة وهذا التصرف مخالف للشريعة وأغلب الظن أن مصدرها ومثيرها الأصابع الخارجية، لا يمكن جعل المطالبة بالشريعة آلة وذريعة لمخالفة الشريعة نفسها).⁹²¹

وقال لمجموعة من الشيوخ الأكراد من مدينة وان (هل جئتم بأفكار سلبية مرة أخرى؟ إن الأمة التركية تزعمت الإسلام على أحسن ما يرام وتتزعم هذه الأمة الإسلام بعد الآن فتخلوا عن تلك الحركة السيئة).⁹²²

هكذا كان الإمام النورسي يربي طلابه ويوجه الأكراد ويحاول أن ينتشل جرثومة القومية التي سرت في نفوس الأتراك ولكن القوميون قد ألحوا وركبوا سبيل الشيطان.

3 - العرب:

وقد كان للعرب حظ ومكان في قلب الإمام النورسي⁹²³ فأرضهم مهد الإسلام، ومنها انطلق نوره إلى بقاع الأرض لذلك قام برحلة خاصة إلى بلاد الشام في شتاء (1327 هـ - 1911 م) أحد أبرز منابع القومية العربية، وألقى خطبة باللغة العربية في الجامع الأموي في دمشق تحت إلهام العلماء وإصرارهم واستمع إلى الخطبة جمع غفير من الناس فيهم مئات من العلماء.

وقد قال موجها كلامه للعرب:

(فيا إخواني العرب الذين يستمعون إلى هذا الدرس في هذا الجامع الأموي، إنني ما صعدت هذا المنبر، لأرشدكم فشاننا معكم شأن الصبيان مع الكبار، فنحن تلامذة إليكم، وأنتم أساتذة لنا ولسائر أمة الإسلام).⁹²⁴

⁹²⁰ - رجل الأقدار أورخان محمد علي 79-81.

⁹²¹ - أحمد النعبي الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا ص 80.

⁹²² - نفسه ص 80.

⁹²³ - الخطبة الشامية: 29.

⁹²⁴ - الخطبة الشامية ص 32.

(وإنما حازت جميع قبائل الإسلام وفي مقدمتها طوائف الترك والعرب نوعا من السعادة الدنيوية بتسليمهم الأمر إلى الله والرضى بقضائه وقدره ورؤية الحكمة وتلقي دروس العبرة من الحوادث بدل الرهبة والهلع لها).⁹²⁵

وقال الإمام النورسي مذكرا إخوانه العرب بمسؤولياتهم وواجباتهم اتجاه إخوانهم الأتراك والقوميات الأخرى قائلا لهم: (لا يذهب بكم الظن أنني صعدت هذا المنبر لأرشدكم وأنصحكم بل ما صعدت إلا لأذكر حقنا عليكم وأطالبكم به إذ أن مصالح الطوائف الصغيرة⁹²⁶ وسعادتها الدنيوية والأخروية ترتبط بأمثالكم من الطوائف الكبيرة العظيمة والحكام والأساتذة من العرب والترك فإن تكاسلتم وتخاذلتُم يضران بإخوانكم من الطوائف الصغيرة من أمثالنا أيما ضرر).⁹²⁷ "إنني أوجه كلامي هذا بوجه خاص إليكم يا معشر العرب العظماء الأمجاد ويا من أخذتم من التيقظ حظا أو ستستيقظون في المستقبل لأنكم أساتذتنا وأساتذة جميع الطوائف الإسلامية وأئمتها".⁹²⁸

ثم يضع أمل الشعوب الإسلامية في إتحاد العرب والترك من أجل رفع راية الإسلام فيذكرهم (وأملنا بالله عظيم أن يتخلى العرب عن اليأس ويمدوا يد العون والوفاق الصادق إلى الترك الذين هم جيش الإسلام الباسل فيرفعوا معا راية القرآن عالية خفاقة في أرجاء العالم إن شاء الله).⁹²⁹

ويقول أيضا: (أقول وبكل اطمئنان واقتناع أن أوروبا وأمريكا حبالى بالإسلام وستلذن يوما ما دولة إسلامية كما حبلت الدولة العثمانية بأوروبا وولدت دولة أوربية).⁹³⁰

وقال كذلك في خطبته الشامية (إن الإسلام وحده سيكون حاكما قارات المستقبل حكما حقيقيا ومعنويا وهو الذي سيقود البشرية إلى السعادتين الدنيوية والأخروية).⁹³¹

عموما فالإمام النورسي رحمه الله كانت تهمه مسألة واحدة هي أن تكون وحدة إسلامية تجمع جميع الأمم والشعوب، فهو يرى أن الإسلام فوق كل قومية وفوق كل تعصب قد يهدم الوحدة الإسلامية.

⁹²⁵ - الخطبة الشامية

⁹²⁶ - الطوائف الصغيرة: القوميات الصغيرة.

⁹²⁷ - الخطبة الشامية ص 69.

⁹²⁸ - الخطبة الشامية ص 69.

⁹²⁹ - الخطبة الشامية ص 45.

⁹³⁰ - الخطبة الشامية ص 45.

⁹³¹ - الخطبة الشامية ص 49.

المبحث الخامس: إصلاح التعليم

1 - التعليم في عصر النورسي:

لقد كان الانقلاب الذي عاشته تركيا بعد سقوط الخلافة انقلابا مروعا، فقد طال الحياة في كل ميادينها وأثر تأثيرا باسرا على قضية التعليم باعتبارها وسيلة من وسائل تكوين الشخصية وعاشت تركيا فترة من التمزق والتشردم والتخلف السياسي والاجتماعي والاقتصادي وسيطر الجهل وعمت الفوضى والخواء الروحي، وفرغ الإنسان المسلم من محتواه أو كاد بعد أن بسطت العلمانية نفوذها وسيطرتها على المرافق والمؤسسات العامة وصبغت البلاد بصبغة قطعت أو حاولت أن تقطع كل صلة بينها وبين الإسلام.⁹³²

فالعلماء قد قتلوا وشردوا ومن بقي منهم فر بدمه وبدنه إلى البلدان المجاورة وفي وسط هذا الغبار المثار الذي سود وجه الحياة في تركيا بلاد الخلافة وعاصمة الإسلام لم يكن التعليم ذا معنى يذكر، وبالتالي فقد همشت التعاليم الإسلامية، وألغيت الحروف العربية، وألغى الأذان من فوق المآذن، وأضحت مصادر التعليم ومنابعه مجففة بقرار الساسة الجدد الذين التوت أعناقهم نحو الغرب وأرادوا أن يستبدلوا شمس الإسلام بضباب أوروبا وجليدها البارد وخيمت الماسونية بظلامها على الحياة في تركيا من خلال الجمعيات التي تعمل لها، كجمعية الاتحاد والترقي وجمعية تركيا الفتاة، ولم يكن وسط هذا الظلام من ضوء يذكر غير ضوء القلب المؤمن المتحدي بإيمانه رياح الخماسين التي صبت على الحياة فعكرت صفوها، ونثرت فيها جراثيم الجهل ولم يكن هنالك من شعاع غير موافق الرجل العظيم بصلافة إيمانه وقوة يقينه ترد التائبين الحائرين وتبعث في النفوس أمل الخلاص في يوم يراه الظالمون بعيدا ويراه المؤمنون قريبا.

وبعد تأسيس الاتحاد المحمدي في سنة 1909م ردا على دعاة القومية والطورانية والوطنية الضيقة، انظم النورسي إلى تشكيلات خاصة وكان النورسي من أنشط أعضاء الاتحاد الذين أهابوا بالمسلمين أن يدافعوا عن الخلافة، وبذا يلقي دروسه ومحاضراته بين القبائل والعشائر مما أن له الأثر الفعال في إيقاظ الروح الإسلامية التي حاولت قوى خبيثة أن تميته في تركيا وأن تحي القومية الطورانية بديلا عنها ولم يكن لتعاليم الدين من وجود فعال، اللهم إلا من خلال ما تركه النورسي في رسائله وبين طلابه ومريديه، فانتشرت الرسائل كما ينتشر الضوء والسنا في الليل الطويل المتعكر.

2- دور النورسي في إحياء حركة التعليم:

لقد تألقت رسائل النورسي وكأنها نسيم يحمل بشائر الشفاء لأمة مرضها وطال ليلها وكانت مواقفه وكلماته بمثابة إكسير الحياة للهمم التي أصابها الناس وحطنها القنوط فكادت تستسلم فلما تعرفت على مواقف الرجل وقرأت كلماته دبت فيها الحياة من جديد وبعثت كل عناصر الاستعصاء على المسخ والتشويه. والذوبان واستيقظت روح المقاومة ضد الهزيمة النفسية والفكرية التي يريد

⁹³² - الشعاعات ص 294.

العلمانيون أن يعرضونها على أبناء الأمة لذلك يوجه أتباعه بضرورة التصدي لهؤلاء عن طريق القراءة والتسلح بالعلم من خلال رسائله التي تفضح خططهم وتكشف خباياهم وتهتك ستر مؤامراتهم. ولم تكن كلماته قط هي التي تحمل إلى أتباعه المعنى العظيم لإيمان رجل عظيم بفكرته وإنما كانت مواقفها أيضا تلك التي تتضمن أرقى درجات الصلابة في مواجهة الأعداء الذين يريدون إفساد الحياة والإحياء وذلك بقطع صلتهم بالإيمان الذي يمنح الحياة قيمتها ومعناها. ففي مواقف التحدي وما أكثرها في حياة الرجل يقول النورسي موجهها كلامه للقضاة الذين يحاكموه: "ألا فلتعلموا جيدا أنه لو كان لي من الرؤوس بعدد ما في رأس من شعر وفصل في كل يوم واحد منها عن جسدي فلن أحيي الرأس الذي نذرته للحقائق القرآنية أمام الزنادقة".⁹³³

ولقد استطاع الرجل العظيم أن يؤثر تأثيرا إيجابيا في حياة المعلمين والمربين والموجهين باعتبارهم القنوات التي تحمل العلم إلى عقول الناشئة وطالبتهم بضرورة التحقيق والتوثيق مع القدرة على الموازنة ومعرفة الأحكام والكتل والنسب بين الأشياء حتى يتمكنوا من الإثبات والإقناع، ولكي تكون حجتهم أوضح، ودليلهم أسندوا وأوثق لأبد لهم أن يسلكوا مسلك القرآن في استعمال التجربة في الماديات المحسوسة واستعمال النظر والبرهان في العقلية وذلك يقتضي صدق الرواية وسلامة التوثيق لذلك يقول لهم: "على الوعاظ والمرشدين المحترمين أن يكونوا محققين كي يتمكنوا من الإثبات والإقناع وأن يكونوا أيضا حكماء مدققين كي لا يعتدوا توازن الشريعة وأن يكونوا بلغاء مقنعين كي يوافق كلامهم حاجات العصر وعلمهم أن يزنوا الأمور بميزان الشريعة".⁹³⁴

وهكذا يزيح هذا الرجل العظيم بكلماته تلك، أهم معوقات التعليم في زمانه، فليس من المقبول أن يعيش المربي والواعظ خارج إطار الزمان والمكان، فهو في واد والناس والزمان والمكان في واد آخر، كما أنه ليس من المعقول ولا من المقبول أن يتعلق المربي والمرشد والواعظ بأسانيد واهية، وقصص لا برهان له ولا دليل عليه وتلك هي أهم أسباب رفض الفكرة وردها حين لا يملك المتحدث عنها دليلا صادقا وحجة ثابتة كما أن المبالغة في حجم الفكرة أو الموضوع يفسد قيمتها ويجعلها موضعا للتشكك والظن، ويخل كذلك بميزان العدالة في الأحكام والأوزان والنسبي بين الحقائق الدينية المتعددة. ومن هنا تأتي ضرورة معرفة الأوليات وأهميتها بالنسبة للداعية والمربي والواعظ، فبغير معرفة الأوليات تختلط الأشياء وتتداخل وبالتالي تصعب روية الحقائق بشكل واضح، وهذا ما يجعل الآخرون يترددون بدورهم في قبول هذه الحقائق والإذعان لسلطانها.

وبناء على ذلك كانت توجهات الإمام النورسي للأمة والمرشدين والمربين أن ينأوا بأنفسهم وبمريدهم وطلابهم عن تناول الخرافات والأساطير وأن يعتمدوا الحقائق وحدها في بناء وتكوين الشخصية المسلمة، وان تستند أقوالهم إلى الحججة القاطعة والدليل الساطع، أن ينأوا عن المبالغة والتهويل، وأن يعيشوا عصرهم وأن يكون الشرعية هي المعيار الثابت لقياس كل الحقائق وكل الأشياء،

⁹³³ - الكلمات ص 856.

⁹³⁴ - المحكمة العسكرية 69، انظر منهج الإصلاح والتغيير عند بديع الزمان النورسي ص 63 عبد الله الطنطاوي ، دار العلم دمشق.

ولهذا كان للرجل دوره العظيم في إزالة المعوقات وتوجيه المعلمين من خلال مواقفه ولقاءاته بهم
ورسائله إليهم.

الفصل الثاني: قواعد الإصلاح

تقديم :

إن المتأمل في رسائل النور، المتمعن في مضامينها ومقاصدها، جد أنها خفا رائل النور، فهي تفيض بمعاني النور، وق فيها أفكار النور، وتشقق مها سيول الهدى وتتاب منها فيض الندى، إنها تبعث م قلب متفجر بالإيمان، تشبع بالقرآن.

إن رسائل النور في الحقيقة لا يدرك قيمتها ولا يذوق حلاوتها ولا يقدرها حق إلا الذين عايشوها وتلقوها مباشرة من معينها الصافي، ومنبعها الرقراق، فيهم حررت وفي وقائهم كثبت وبأيديهم نسخت ووزعت وفي بيوتهم ومجالسهم قرئت فهم أسباب ورودها، وعناصر مادتها ومقومات محتوياتها، ومن قم فإن قارئها يحب أن يستحضر ذلك حتى تفهم حق الفهم، يجب أن يراها القارئ وقد أخذ حظه من معرفة ملبساتها الزمانية والمكانية والإنسانية، إن القارئ لرسائل النور وجب عليه معرفة أصولها ومصادرها ومدرستها مناهجها، والتعرف على محررها وقائدها، الذي تحتها من ذاته، وفجر بنا بيعها في قلبه الوضاء وأوقد مصابحها من فكره الثاقب وبصيرته الساطعة.

إن رسائل النور تفسير لمعاني القرآن الحكيم وهي تعالج القضايا الأساسية في حياة الفرد إذ تنشئ عنده تصورات إيمانية جديدة وتهدم التصورات الفاسدة والسلوك الضعيف.

لقد حلت رسائل النور أكثر من مائة أسرار الدين والشريعة والقرآن الكريم، ووضعها وكشفتها وأجمت أمي المعاندين الملحددين وأقحمتهم، وأثبت بوضوح كوضوح الشمس ما كان يظن بعيدا عن العقل.

نظرا لأهمية، مضمون رسائل النور، ولكثرة محتوياته حاولت اختزاله في بعض القواعد (هذه القواعد ليست كالقواعد الفقهية والأصولية، ولكنها عبارة عن فوائد وحكم في شتى المجالات، في الحياة الاجتماعية (الأمراض الاجتماعية والنفسية والأخلاقية)، في العبادات، في الإيمان، في أهمية القرآن الكريم، فوائد وحكم في بعض الابتلاءات التي ليبتل بها العبد المؤمن من عند الله، فوائد في التصوف، فوائد في السنة الشريفة...

المبحث الأول: جرع القواعد

المكتوبات

1. علاج للمبثلين بالوسوسة ص48
- 2- الشفقة هي ألطف تجليات الرحمة ص99
- 3- عداء الإنسان لأخيه الإنسان ظلم ص340
4. العداء ظلم في نظر الحكمة ص340
5. تعميم العداء على سائر الصفات ظلم ص342
6. عداء المؤمن لأخيه المؤمن ظلم ص342
7. عداء الأخوة المؤمنين ظلم للنفس والأخوة ص344
8. العداء يفسد الإخلاص والعدالة معا ص350
9. الدنيا مزرعة تنتج محاصيل تلائم سوق الآخرة ص380
10. الدعاء روح العبادة ص390
11. أقرب طريق إلى الله عز وجل طريق العجز والفقير والشفقة والتفكير ص594

الكلمات

القواعد

- 12- الإيمان سعادة ونعمة الكلمات ص9
13. العبادة سعادة عظيمة الكلمات ص12
14. الفسق خسارة جسيمة الكلمات ص12
15. الصلاة راحة كبرى للروح والقلب والعقل. الكلمات ص15
16. وظيفة الإنسان هي العبودية لله واجتناب الكبائر الكلمات ص18
17. بيع النفس والمال إلى الله عز وجل تجارة رابحة الكلمات ص21
- 18- حاجة الإنسان إلى الصلاة كحاجة الجسد إلى الروح الكلمات ص26
19. القرآن يبيء الأذهان للإيمان لآخرة الكلمات ص38
20. القرآن يبيء الأذهان للإيمان بالآخرة الكلمات ص123
21. تارك الصلاة خاسرة خسارنا عظيمة. الكلمات ص301
22. تارك الصلاة محروم
23. تارك الصلاة مفلس
24. النفس المقلدة لأهل السفاهة والكفرهالكفة الكلمات ص417
25. القرآن يخاطب كل الناس . الكلمات ص478
26. القرآن لا يقاس بأي كلام آخر الكلمات ص500

ص 562	الكلمات	باب الاجتهاد مفتوح.	27.
ص 565	الكلمات	الضرورات تبيح المحظورات (ليست كلية)	28.

اللمعات

ص 11		في كل اثم طريقا إلى الكفر	29.
ص 14		الصبر على المصائب يرقى إلى مرتبه الشكر	30.
ص 16		المصيبة الحقيقية هي مصيبة الدين	31.
ص 17		كلما استعظمت المصيبة عظمت	32.
ص 19		الأمراض تفجر كنوز العجز والفقير في الإنسان	33.
ص 23		عشق البقاء مغرور في فطرة الإنسان	34.
ص 84		محبة الله عزوجل تستلزم اتباع السنة المطهرة	35.
ص 88		اتباع السنة سعادة	36.
ص 88		ترك السنة شقاء	37.
ص 95		الرسول خلقه القرآن	38.
ص 95		الرسول صلى الله عليه وسلم يمثل الاستقامة في جميع أقواله وأفعاله وأحواله.	39.
ص 98		لا موت من الجوع	40.
ص 117		خلق الشر ليس شرا وإنما كسب الشر شر	41.
ص 117		كيف يبقى من ارتكب الكبار مؤمنا	42.
ص 175		الدنيا إلى الزوال	43.
ص 188		اللذة والسعادة في العمل والشقاء في الكسل	44.
ص 212		الاقتصاد شكر معنوي	45.
ص 212		الإسراف استخفاف بالنعمة	46.
ص 215		الاقتصاد سبب للعزة	47.
ص 220		القناعة كنز لا يفنى والحرص سبب الحرمان	48.
ص 369		اجتماع الأسباب يؤدي إلى تشكيل الأشياء	49.
ص 331		المرض إحسان إلهي	50.
ص 317		المرض مرشد ناصح	51.
ص 321		المرض يذيقك لذة النعمة	52.
ص 322		المرض يكفر الذنوب	53.
ص 325		المرض يفجر ينابيع الدعاء	54.
ص 326		يبليغ العبد بالمرض ما لا يبلغه بالعمل	55.

330ص	56.	رعاية المرضى سنة نبوية
351ص	57.	أنوار الكلمات تبدد الظلمات
447ص	58.	أعدى عدوك نفسك
536ص	59.	لا إسراف في الفطرة
548ص	60.	التوحيد فطري والشرك محال
575ص	61.	الخالق القيوم أزلي

الشعاعات:

174ص	62.	القرآن معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم
174ص	63.	والرسول (ص) معجزة القرآن
174ص	64.	القرآن بذل الحياة الاجتماعية
177ص	65.	تكرارات القرآن الكريم لا تمل
288ص	66.	عقيدة الآخرة أساسا حياة الإنسان الاجتماعية
252ص	67.	واجب أولى من واجب
255ص	68.	لنغنم شبابا خالدا
257ص	69.	العلوم تعرفنا بخالقنا
229ص	70.	الآخرة مهمة للأطفال والشباب والشيخ وللحياة العائلية
277ص	71.	الإيمان بالآخرة يحقق سعادة بالدنيا
286ص	72.	التفكير في جهنم لا يفسد لذائد الإيمان
288ص	73.	ماهية الكفر توحى بجهنم
289ص	74.	الكفر جريمة لا حدود لها
294ص	75.	الإيمان لا يتجزأ
375ص	76.	الاشتغال برسائل النور يخفف الضيق
378ص	77.	قد يكون المريد أحيانا شيخا لشيخه
382ص	78.	العين حق
399ص	79.	مسلكتنا ترك الأنانية والغرور
547ص	80.	الانشغال برسائل النور يزيل الضجر

المثنوي العربي

157 ص	الإيمان يؤسس الأخوة	81
160 ص	التعلق بالأسباب سبب الذلة	82
169 ص	الإسلام رحمة عامة	83
169 ص	النفس تريد الربوبية	84
170 ص	النفس لا تريد رقيبا عليها	85
171 ص	الشهرة عين الرياء	86
175 ص	المصلي يصدقه الملايين	87
176 ص	الجزء يستند بقوة الكل	88
184 ص	باب الاجتهاد مفتوح ولكن	89
209 ص	الجزء أنموذج الكل	90
226 ص	الحمد عين اللذة	91
243 ص	الأصل في الأشياء البقاء	92
243 ص	بسيئاتك لا تضر إلا نفسك	93
243 ص	لا خير فيما لا يبقى	94
243 ص	ما في المرأة ليس عينا ولا غيرا	95
258 ص	العبودية تستلزم التسليم	96
278 ص	فاطرك أرحم بك من كل قريب	97
288 ص	اختلاط الأشياء لا ينافي النظام	98
302 ص	النفس تطلب البقاء	99
302 ص	الواجب لا يشبه الممكن	100
305-306 ص	الإنسان مخلوق للعبودية	101
304 ص	رب الواحد رب الكل	102
447 ص	المرشد محروم من الحياتين	103
481 ص	طوبى لمن نور حركات بالأداب الشرعية	104

الملاحق ملحق بارلا

18 ص	مهمة الداعية لا تنتهي	105
28 ص	رسائل النور تسد حاجة الزمان	106
50 ص	الرسائل تجرد صاحبها من المشاعر الهابطة	107
69 ص	الكفر بذرة جهنم	108
77 ص	رسائل النور من العلوم الايمانية	109

78 ص	الرسائل مرشدة	.110
79 ص	قراءة الرسائل عبادة فكرية	.111
83 ص	الرسائل قوت وغذاء	.112

ملحق قسطنطيني

104 ص	الرسائل تجمع القلب والعقل	.113
107 ص	الرسائل تنتشر بذاتها	.114
109 ص	الصدقة تدفع البلاء	.115
145 ص	خدمة الإيمان فوق كل شيء	.116
201 ص	خدمة رسائل النور تشعر بالانبساط والفرح	.117
205 ص	رسائل النور سانحات قلبية	.118

ملحق أميرداغ

259 ص	إنفاذ الايمان أعظم إحسان	.119
308 ص	مسلك النور يحقق فوائد الطريقة	.120
344 ص	وظيفة المسلم العمل والتوفيق من عند الله	.121

صيقل الإسلام

337 ص	الحياة الحقيقية هي الآخرة	.122
505 ص	اليأس داء قاتل	.123
506 ص	الصدق أساس الإسلام	.124

السيرة الذاتية

165 ص	السنة النبوية مصابيح الهدى	.125
244 ص	مهمة الداعية لا تنتهي	.126
365 ص	إنقاذ الإيمان أعظم إحسان	.127
423 ص	قراءة الرسائل لا تورث السأم	.128

. إن ثمن رحمة الله ونعمته هو الشكر.
. الحرية بالنسبة للإنسان تنتج العبودية أمام الله (صيقل الإسلام ص 394)
. من كان عبدا لله حقا لا يكون عبدا للغير (صيقل الإسلام ص 44)
. شأن الحرية ألا يضر الإنسان نفسه ولا غيره.
. إذا كان الطمع سببا للحرمان، فالتوكل والقناعة وسيلة للرحمة (صيقل الإسلام ص 403).
. كما يرى النور نارا أحيانا فكذلك ترى شدة البلاغة مبالغة.
. النحل يشرب الماء ويفرز العسل، والحية تشرب الماء وتفرز السم.
. كما أن زوال اللذة ألم فكذلك زوال الألم لذة (الكلمات).
. من وجد الله فقد وجد كل شيء ومن فقد الله فقد كل شيء.
. إنه لو كان لي ألف روح فإنني مستعد للتضحية بها جميعا في سبيل الإيمان والآخرة. (الشعاعات ص 426).
. إن السعادة الحقيقية والسرور الخالص والنعمة اللذيذة واللذة الصافية ليست إلا في محبة الله ومعرفته.
. من جعل اتباع السنة السنوية عادة فإنه يستطيع أن يحول عاداته إلى عبادة، وطول عمره إلى ثواب.
. الإسلام كالشمس لا ينطفئ بالنفخ.
. المساواة ليست في الفضيلة والشرف ولكنها في الحقوق وإذا كانت في الحقوق فالسيد والعبد واحد.
. إذا كان الإيمان والعبودية منبعا لكل الحسنات والشجاعة، فإن الضلالة منبع لكل السيئات والجبن.
. الموت فرس وبراق مسخر للمؤمن يخرج من سجن الدنيا على بساطين الجنة وحضرة الرحمن.
. كما أن الكذب قد هوى بمسيلمة إلى أسفل سافلين فإن الصدق والاستقامة هو الذي رفع محمد الأمين صلى الله عليه وسلم إلى أعلى عليين.
. إن رضا الله عز وجل يكتسب بالإخلاص وليس بكثرة الاتباع ولا بكثرة النجاح والتوفيق.
. إن في كل ذنب طريق إلى الكفر.
. رسائل النور هي شعبة من منهج الصحابة.
. إن العجز كالعشق طريق موصل إلى الله... (الكلمات 558).
. لئن كان للخوف من الله لذة فكيف بمحبة الله سبحانه (الكلمات 411).
. من كان عبدا لله لا يكون عبدا للعباد (صيقل الإسلام 421).
. بمقدار الإيمان قوة الإيمان تتلأأ الحرية وتسقط (صيقل الإسلام 395).
. إن الحرية الخارجة من دائرة الشرع إنما هي استبداد وأسربيد النفس الأمانة بالسوء (صيقل الإسلام ص 538).

. التوكل يسهل الطريق إلى سعادة الدارين (الكلمات ص 353).

. التوحيد يقود إلى التسليم (الكلمات ص 353).

. الإيمان يقتضي التوحيد (الكلمات ص 353)

. إن الأمل يبعث الحياة في الناس واليأس يقتلهم.

. إذ الشكر مثلما يزيد النعمة فالشكوى تزيد المصيبة. (اللمعات).

. أعلمو إن الشكوى اعتراض على القدر والشكر تسليم له. (الشعاعات).

. "بسم الله" رأس كل ذي خير (الكلمات ص 6)

. "بسم الله" بدئ كل أحد ذي بال (الكلمات ص 6).

. إن وسيلة الرزق الحلال ليس الاقتدار والاختيار بل العجز والضعف (الكلمات).

. أن زوال الألم لذة، كما أن زوال اللذة ألم.

. إن منبع الشجاعة ككل الحسنات الحقيقية هو الإيمان والعبودية وأن منبع الجبن كل السيئات هو الضلالة والسفاهة (الكلمات ص 13).

. روح البشر العاجزة الضعيفة الفقيرة تحتاج إلى حقائق العبادة والتوكل (الكلمات ص 14).

. سعادة الدنيا أيضا كالأخرة هي في العبادة وفي الجندية الخالصة لله (الكلمات ص 14).

. بيع النفس والمال لله تعالى والعبودية له و الجندية في سبيله أريح تجارة (الكلمات ص 21).

. الموت إنقاذ للإنسان من أعباء وظائف الحياة الدنيا ومن تكاليف المعيشة المثقلة (المكتوبات ص 9).

. إن الشيخوخة وأمثالها من الأسباب لجعل الحياة صعبة ومرهقة تبين مدى كون الموت نعمة تفوق نعمة الحياة. (المكتوبات ص 9).

. إن التوكل والقناعة والاقتصاد خزينة عظيمة، وكثر ثمين لا يعوض بشيء، (المكتوبات ص 16).

. إن في طريق الضلال مشكلات لا نهاية لها (المكتوبات ص 22).

. إن الإخلاص واسطة الخلاص ووسيلة النجاة من العذاب (المكتوبات ص 350).

. العداة والعدا يزعزعان حياة المؤمن المعنوية فتتأدى سلامة عبوديته لله (المكتوبات ص 350).

. الغيبة مذمومة عقلا وقلبا وإنسانية ووجدانا وفطرة وملة. (المكتوبات ص 358).

. الغيبة ذكرك أخاك بما يكره، فإن كان فيه ما تقول فقد أعتبته وأن لم يكن فيه فقد بهتته (المكتوبات ص 358).

. قسم من سادة الطرق هم من المجتهدين أيضا (المكتوبات ص 362).

. الحرص سبب الحرمان (المكتوبات ص 362).

. الصبر يحل المشاكل (المكتوبات ص 362).

. إن كنت تريد وليا فكفى بالله وليا، المكتوب (365).

. إن كنت تريد أنيسا فكفى بالقرآن الكريم أنيسا، (المكتوب 365).

. أن كنت تريد ما لا فكفى بالقناعة كنزا (نفسه).

. إن كانت تريد عدوا فكفى بنفسك عدوا (نفسه).

.القناعة شكران رايح (المكتوبات ص 369).
.الحرص كفران خاسر، (المكتوبات 369).
.الإسراف استخفاف بالنعمة (نفسه).
.إذا أردت الشكوى لا محالة فاشك نفسك إلى الله. فإن القصور منها، (نفسه).
.القرآن كنز عظيم لا ينفذ (المكتوبات ص 501).
.الحياة تصفى بالمصائب والبلايا، وتتركى بالأمراض والنوائب (اللمعات ص 12).
.الدنيا دار اختبار وابتلاء، وعمل ومحل عبادة، وليست محل تمتع وتلذذ (اللمعات ص 13).
.الشكريزيد النعمة (اللمعات ص 15).
.الشكوى تزيد المصيبة (اللمعات ص 15).
.المصيبة الحقيقية هي التي تصيب الذين (اللمعان ص 16).
.ترديد "يا باقى أنمت الباقي" يجرّد القلب مما سوى الله، (اللمعات ص 21).
.يا باقى أنت الباقي كالمهم الشافي والبلسم الناجع (اللمعات ص 22).
.لا خير في الإفراط والتفريط في كل شيء (اللمعات ص 37).
.لإبليس دسيسة كبرى هي أن يجعل الذين اتبعوه ينكرون وجوده (اللمعات ص 125).
.النفس الامارة و بالسوء لا تميل إلى الحسنات (نفسه 129).
.النفس الإنسانية لكونها هي المسببة للسيئات فهي التي تستحق الجزاء. (اللمعات ص 130).
.إن ما يفسد الحياة الاجتماعية للإنسان هي الدسيسة الشيطانية (اللمعات ص 134).
.ارتكاب الآثام والسيئات سهل ويسير ووسائلها كثيرة.
.إن القرآن الكريم يمنع تلاميذه نماء ساميا للروح وانبساطا واسعا لها. (اللمعات ص 182).
.جميع القلوب النورانية السليمة تتوافق فيما بينها (الشعاعات ص 161).
.جميع القلوب النورانية السليمة تتطابق في التوحيد، رغم تباعد مسالكها وتباين مشاربها.
(الشعاعات ص 161).
.اعلموا أن الشكوى اعتراض على القدر والشكر تسليم له (الشعاعات).

المبحث الثاني: تحليل لبعض القواعد المهمة

قواعد في الأمراض الاجتماعية والنفسية

. العداوة:

. عدااء الإنسان لأخيه الإنسان ظلم

. العدااء ظلم في نظر المحكمة

. تعميم العدااء على سائر الصفات ظلم

. عدااء المؤمن لأخيه المؤمن ظلم

. عدااء الإخوة المؤمنين ظلم لنفس والأخوة.

. العدااء يفسد الإخلاص والعدالة معا.

. أعدى عدوك نفسك.

. العدااء والعناد يززعان حياة المؤمن المعنوية فتتأدى سلامة عبوديته لله.

. إن كنت تريد عدوا فكفى بنفسك عدوا.

. اليأس:

. اليأس داء قاتل.

. إن الأمل يحث الحياة في الناس اليأس يقتلهم.

. إن القرآن الكريم يمنع تلاميذه نماء سياسيا للروح وانبساطا واسعا لها.

. النفس:

. النفس المقلدة لأهل السفاهة والكفرهالكة.

. القناعة كنز لا يغني والحرص سبب الحرمان.

. الإسراف استخفاف بالنعمة.

. لا إسراف في الفطرة.

. لنغنم شبابا خالدا.

. النفس تريد الربوبية.

. النفس لا تريد رقيبا عليها.

. الشهرة عين الرياء.

. بسيئاتك لا تضر إلا نفسك.

. النفس تطلب البقاء.

. بيع النفس والمال لله تعالى والعبودية به والجندية في سبيله أريح تجارة.

. الغيبة مذمومة عقلا وقلبا وإنسانية ووجدانا وفطرة وملة.

. النفس الأمانة بالسوء لا تميل إلى الحسنات.

. النفس الإنسانية لكونها هي المسببة للسيئات فهي التي تستحق الجزاء.
. إذا أردت الشكوى لا محالة، فاشك نفسك إلى الله.
. الأمراض الاجتماعية:
. إن نما يفسد الحياة الاجتماعية هي الدسيسة الشيطانية، فإن القصور منها.
. الحياة تتصفى بالمصائب والبلايا، وتتزكى بالأمراض والنوائب.
. الدنيا دار اختبار وبلاء.
. الصبر يحل المشاكل.
. إن الإخلاص واسطة الخلاص ووسيلة النجاة من العذاب.
. الغيبة مذمومة عقلا وقلبا وإنسانية ووجدانا وفطرة وملة.
. الغيبة ذكرك أخاك بما يكره.
. إن التوكل والثقافة والاقتصاد خزينة عظيمة، وكثر ثمين لا يعوض بشيء.
. الفسق خسارة جسيمة.
. وظيفة الإنسان هي العبودية واجتناب الكبائر.
. الصبر على المصائب يرقى إلى مرتبة الشكر.

أولاً . قواعد المداوة عند النورسي:

1- معنى العدوان لغة واصطلاحاً:

أ . العدوان لغة:

قال الجوهري: (العدوان الظلم الصراح، وقد عدا عليه، وتعدى عليه واعتدى كله بمعنى).⁹³⁵
قال ابن منظور: العدوان: الظلم ... وعدا عليه عدوا وعداء وعدوا أو عدوانا وعدوانا وعدوى وتعدى واعتدى، كله ظلمة.⁹³⁶

وقال الفيومي: (وعدوانا وعداء بالفتح والمد: ظلم وتجاوز الحد).⁹³⁷

ب . العدوان اصطلاحاً:

. قال الراغب الأصفهاني: (العدوان الإخلال بالعدالة في المعاملة).⁹³⁸

. وقال المناوي: (العدوان : سوء الاعتداء في قول أو فعل أو حال).⁹³⁹

. وقال أبو البقاء الكفوي: (العدوان: تجاوز المقدار المأمور به بالانتهاء إليه والوقوف عنده).⁹⁴⁰

⁹³⁵ - انظر الصحاح للجوهري ج 6 ص 2421.

⁹³⁶ - انظر لسان العرب لابن منظور 15/31.

⁹³⁷ - المصباح المنير للفيومي 397/2.

⁹³⁸ - انظر مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص 553.

⁹³⁹ - انظر (التوقيف على مهمات التعاريف) للمناوي ص 508.

وقال الشوكاني: (والعدوان: الظلم المعنوي إلى الغير أو مجاوزة الحد في الذنوب).⁹⁴¹

ج - التفسير النفسي للعدوان:

عرف علماء السلوك العدوان بتعريفات عدة خلاصتها:

(إن العدوان سلوك عمدي بقصد إيذاء الغير أو الإضرار بهم، ويأخذ صورا وأشكالا متعددة، منها العدوان البدني واللفظي).⁹⁴²

وقيل أيضا بأنه: (شعور داخلي بالغضب والأستياء، ويعبر عنه ظاهريا في صورة فعل أو سلوك يقربه شخص أو جماعة بقصد إيقاع الأذى لشخص ويأخذ صور العنف الجسدي متمثلا في: الضرب والتشاجر كما يتخذ صور التدمير وإتلاف الأشياء، والعدوان اللفظي متمثلا في: (الكيد والتشهير، الفتنة التهديد الغمز، اللمز الإيذاء النفسي).⁹⁴³

2 - الفرق بين العدوان وبعض الصفات:

أ - الفرق بين العدوان الإثم:

. قال أبو هلال العسكري (الإثم الجرم كائنا ما كان والعدوان الظلم قاله الطبري وعلى هذا فقوله تعالى: (يسارعون في الإثم والعدوان) ⁹⁴⁴ من عطف الخاص على العام.⁹⁴⁵
. قال الراغب (الإثم أعم من العدوان).⁹⁴⁶

ب - الفرق بين العدوان والطغيان:

قال أبو البقاء الكفوي: (الطغيان هو تجاوز الحد الذي كان عليه من قبل، وعلى ذلك: (لما طغى الماء)⁹⁴⁷ ، والعدوان تجاوز المقدار المأمور به بالانتهاء إليه والوقوف عنده، وعلى ذلك: (فمن اعتدى عليكم فاعتدول عليه)⁹⁴⁸ .⁹⁴⁹

ج - الفرق بين العدوان والبغي:

. قال أبو البقاء الكفوي: (العدوان تجاوز المقدار المأمور به بالانتهاء إليه والوقوف عنده، وعلى ذلك: (من اعتدى عليكم فاعتدول عليه)⁹⁵⁰ والبغي: طلب تجاوز قدر الاستحقاق . تجاوزه أو لم يتجاوزه . ويستعمل في المتكبر).⁹⁵¹

⁹⁴⁰ - انظر الكليات لابي البقاء الكفوي ص 922.

⁹⁴¹ - انظر فتح القدير للشوكاني 64/2.

⁹⁴² - سيكولوجية العدوانية وترويضها . لعصام عبر اللطيف العقاد ص 99.

⁹⁴³ - سيكولوجية العدوانية وترويضها . لعصام عبد اللطيف العقاد ص 97.

⁹⁴⁴ - الكائدة الآية 62.

⁹⁴⁵ - أخطر الفروق اللغوية للعسكري ص 16.

⁹⁴⁶ - مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص 64.

⁹⁴⁷ - سورة الحاقة الآية 11.

⁹⁴⁸ - سورة البقرة الآية: 194.

⁹⁴⁹ - الفروق اللغوية للعسكري ص 16.

⁹⁵⁰ - سورة البقرة الآية: 194.

د - الفرق بين العدوان والظلم:

قال ابن رجب: (وقد يفرق بين الظلم والعدوان: بأن الظلم ما كان بغير حق بالكلية كأخذ حال بغير استحقاق لشيء منه ، وقتل نفس لا يحل قتلها، وأما العدوان: فهو مجاوزة الحدود وتعدبها فيما أصله مباح مثل أن يكون له على أحد حق من حال أو دم أو عرض فيستوفي أكثر منه فهذا هو العدوان وهو تجاوز ما يجوز أخذه فيأخذ ماله أخذه وما ليس له أخذه).⁹⁵²

3 - دم العدوان و التحدير منه في القرآن الكريم و السنة الشريفة و أقوال السلف و

العلماء

أ- القرآن الكريم:

حذر الإسلام من العدوان، لأنها صفة مذمومة ومقيته، ونهى عن التعاون عليها، وقد وردت آيات تحذر من العدوان منها قوله تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدون).⁹⁵³ قال الطبري: والعدوان: يقول: ولا على أن تتجاوزوا ما حد الله لكم في دينكم، وفرض لكم في أنفسكم وفي غيركم).⁹⁵⁴

- قال تعالى: (وترى كثير منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون)⁹⁵⁵ قال ابن كثير: أي يبادرون إلى ذلك من تعاطي المآثم والمحارم والاعتداء على الناس وأكلهم أموالهم بالباطل: (لبئس ما كانوا يعملون) أي لبئس العمل كان عملهم وبئس الاعتداء أو اعتداؤهم.⁹⁵⁶ وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا لهيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين)⁹⁵⁷ قال: السعدي: (والله قد نهى عن الاعتداء فقال: (ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) بل يبغضهم ويمقتهم ويعاقبهم على ذلك.⁹⁵⁸

قال تعالى: (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين)⁹⁶⁰ قال السعدي: (إنه لا يحب المعتدين) أي المتجاوزين للحد في كل الأمور، ومن الاعتداء كون العبد يسأل الله مسائل لا تصلح له أو يتنطع في السؤال، أو يبابع في رفعه صوته الدعاء فكل هذا داخل في الاعتداء المنهي عنه.⁹⁶²

⁹⁵¹ - الفروق اللغوية للعسكري ص 16.

⁹⁵² - شرح حديث لبيك لابن رجب ص 103.

⁹⁵³ - سورة المائدة الآية: 65.

⁹⁵⁴ - انظر تفسير الطبري 490/9.

⁹⁵⁵ - سورة المائدة الآية: 65.

⁹⁵⁶ - تفسير ابن كثير (3/144).

⁹⁵⁷ - سورة المائدة الآية: 87.

⁹⁵⁸ - تفسير السعدي ص 242.

⁹⁵⁹ - سورة الأعراف الآية 55.

⁹⁶⁰ - تفسير السعدي ص 291.

⁹⁶¹ - رواه البخاري (6401) رواه مسلم (2165).

⁹⁶² - القاموس المحيط للفيروز أبادي ص 600.

ب . السنة الشريفة:

. فالسنة الشريفة كذلك حذرت من العداء:

عن عائشة أن المؤمنين قالت: (أتى النبي صلى الله عليه وسلم أناس من اليهود فقالوا السام عليك يا أبا القاسم، قال وعليكم، قالت عائشة قلت: بل عليكم السام والذام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، يا عائشة لا تكوني فاحشة فقالت ما سمعت ما قالوا: فقال: أو ليس قد رددت عليهم الذي قالوا؟ قلت وعليكم.⁹⁶³

قال الفيروزآبادي: (والفحش عدوان الجواب).⁹⁶⁴

- عن أنس رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (المعتدي المتعدي في الصدقة كمانعها).⁹⁶⁵

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (المستبان ما قالا فعلى البادئ ما لم يعقد المظلوم).⁹⁶⁶

قال النووي (معناه أن إثم السباب الواقع من اثنين مختص بالبادئ منها كله، إلا أن يتجاوز الثاني قدر الانتصار فيقول للبادئ أكثر مما قال له).⁹⁶⁷

ج - أقوال السلف والعلماء:

- عن ابن الحنفية قال: (دخل علينا ابن ملحم الحمام وأنا وحسن وحسين جلوس في الحمام، فلما دخل كأنهما أشمأزا منه، وقالوا: أ أجرك تدخل علينا! الحمام، فقال علي: إنه أسير فأحسنوا نزله وأكرموا مثواه، فإن بقيت قتلت أو عفوت، وإن مت فاقتلوه قتلي ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين.⁹⁶⁸

. عن الربيع قال: سمعت الشافعي يقول: أنفع الذخائر التقوى وأضرها العدوان).⁹⁶⁹

. كتب الفضل بن يحيى إلى عامل له: (بئس الزاد إلى الميعاد العدوان على العباد).⁹⁷⁰

. كتب عمر ابن عبد العزيز إلى أهل الموسم: (أما بعد فإني أشهد الله وابراً إليه في الشهر الحرام والبلد الحرام ويوم الحج الأكبر أني بريئ من ظلم من ظلمكم، وعدوان من اعتدى عليكم، أن أكون أمرت بذلك أو رضيته أو تعمدته إلا أن يكون وهما مني أو أمرا خفي علي لم أتعده، وأرجو أن يكون ذلك موضوعا عني، مغفورا لي إذا علم مني الحرص والاجتهاد).⁹⁷¹

⁹⁶³ - رواه البخاري (6401) رواه مسلم (2165).

⁹⁶⁴ - القاموس المحيط للفيروزآبادي ص 600.

⁹⁶⁵ - رواه أبو داود (1585). الترمذي (646)

⁹⁶⁶ - رواه مسلم (2587).

⁹⁶⁷ - شرح النووي على صحيح مسلم (16/140-141).

⁹⁶⁸ - رواه ابن سعد في (الطبقات الكبرى) 3/35.

⁹⁶⁹ - حلية الأولياء 9/123.

⁹⁷⁰ - "التذكرة الحمدونية" لابن حمدون 3/177.

⁹⁷¹ - "التذكرة الحمدونية" لابن حمدون (1/153-154).

. كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله: (إن قدرت أن تكون في العدل والإحسان والإصلاح كقدر من كان قبلك في الجور والعدوان والظلم فافعل ولا حول ولا قوة إلا بالله).⁹⁷²

4- العداة عند النورسي أنواعه، ودعوته على الأخوة والمحبة.

إن العداة مرفوض أصلاً ترفضه الحقيقة والحكمة ويرفضه الإسلام الذي يمثل روح الإنسانية الكبرى، فضلاً عن أن العداة ظلم شنيع يفسد حياة البشر، الشخصية والاجتماعية والمعنوية بل هو سم لحياة البشرية قاطبة.

وسأتحدث عن وجوه العداة عند الإمام النورسي:

الوجه الأول: قاعدة: إن عداة الإنسان لأخيه الإنسان ظلم في نظر الحقيقة.

فيا من امتلاً صدره غلاً عداة لأخيه المؤمن، يا عديم المروءة هب أنك في سفينة أو في دار ومعك تسعة أشخاص أبرياء ومجرم واحد، ورأيت من يحاول إغراق السفينة أو هدم الدار عليكم فلا مرأ أنك في هذه الحالة ستصرخ بأعلى صوتك محتجاً على ما يرتكبه من ظلم قبيح إذ ليس هناك قانون يصوغ إغراق سفينة برمتها. ولو كانت تضم مجرمين طالما فيها بريء واحد.

فكما أن هذا ظلم شنيع وغدر فاضح، كذلك انطواؤك على عداة وحقد مع المؤمن، الذي هو بناء رباني وسفينة إلهية لمجرد صفة مجرمة فيه *** منها أو تتضرر مع أنه يتحلى بتسع صفات بريئة، بل بعشرين منها: كالإيمان والإسلام والجوار.. الخ فهذا العداة والحقد يسوقك حتماً إلى الرغبة ضمناً في إغراق سفينة وجوده أو إحراق بناء كيانه وما هذا إلا ظلم شنيع وغدر فاضح.⁹⁷³

• الوجه الثاني: قاعدة: العداة ظلم في نظر الحكمة:

إذ أن العداة والمحبة نقيضان، فهما كالنور والظلام لا يجتمعان معاً بمعناهما الحقيقي أبداً، فإذا ما اجتمعت دواعي المحبة وترجحت أسبابها فأرست أسسها في القلب، استحالت العداة إلى عداة صوري، بل انقلب إلى صورة العطف والإشفاق إذ المؤمن يحب أخاه وعليه أن يوده، فأياً تصرف مشين يصدر من أخيه يحمله على الإشفاق عليه وعلى الجد وعلى محاولة إصلاحه باللين والرفق دون اللجوء على القوة والتحكم فقد ورد في الحديث الشريف: (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام).⁹⁷⁴

أما إذا تغلبت أسباب العداة والبغضاء وتمكنت في القلب فإن المحبة تنقلب عندئذ على محبة شكلية تلبس لبوس التصنع والتملق.⁹⁷⁵

ومن هنا جاءت دعوته إلى وحدة المجتمع الذي هو من مقتضيات وحدة العقيدة التي ترتبط بوحدة قلوب المؤمنين، يقول الإمام النورسي رحمه الله: (إن خالقكما واحد، مالككما واحد، معبودكما واحد، رازقكما واحد... وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ الألف، ثم أن نبيكما واحد، دينكما واحد، قبلتكما

⁹⁷² - "الطبقات الكبرى" 384/5.

⁹⁷³ - المكتوبات ص 340.

⁹⁷⁴ - أخرجه البخاري، كتاب الأدب 57 ومسلم 2560 عن أبي أيوب الأنصاري.

⁹⁷⁵ - المكتوبات ص 340-341.

واحدة، وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ المائة ثم إنكما تعيشان معا في قرية واحدة، تحت ضل دولة واحدة، في بلاد واحدة، وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ العشرة.⁹⁷⁶

.الوجه الثالث: قاعدة: إضرار العدا للؤمن والحقد عليه ظلم عظيم.

إن الآية الكريمة: (ولا تزروا زورا و زورا آخرى)⁹⁷⁷ تقييد العدالة المحضة، أي لا يجوز معاقبة إنسان بجريرة غيره، فترى القرآن الكريم ومصادر الشريعة الأخرى وآداب أهل الحقيقة والحكمة الإسلامية كلها تنهك إلى أن إضرار العدا للؤمن والحقد عليه ظلم عظيم لأنه إدانة لجميع الصفات البريئة التي يتصف بها المؤمن بجريرة صفة جانبية فيه، ولاسيما امتداد العدا إلى أقاربه وذويه بسبب صفة تمتعض منها، فهو ظلم أعظم، كما وصفه القرآن الكريم بصيغة المبالغة (إن الإنسان لظالم)⁹⁷⁸ فبعد هذا تحد لنفسك مبررات وتدعي أنك على حق.⁹⁷⁹

إن المفاسد التي هي سبب العدا والبغضاء كثيفة في نظر الحقيقة كالتراب والشر نفسه، وشأن الكثيف أنه لا يسري لا ينعكس إلى الغير. إلا ما يتعلمه الإنسان من شر الآخرين . بينما البر والإحسان وغيرهما من أسباب المحبة فهي لطيفة كالنور والمحبة نفسها ومن شأن النور الانعكاس والسريران على الغير ومن هنا سار في عدا الأمثال: (صديق الصديق صديق)، وتجد الناس يرددون (الأجل عين ألف عين تكرم).⁹⁸⁰

.الوجه الرابع: قاعدة: العدا والعناد يززعان حياة المؤمن المعنوية فتتأدى سلامة عبوديته لله.

إن الإخلاص واسطة الخلاص ووسيلة النجاة من العذاب، فالعداء والعناد يززعان حياة المؤمن المعنوية فتتأدى سلامة عبوديته لله، إذ يصنع الإخلاص، ذلك لأن المعاند الذي ينحاز إلى رأيه وجماعته، يسعى للتفوق على خصمه حتى في أعمال البر التي يزاولها، فلا يوفق توفيقا كاملا إلى عمل خالص لوجه الله، ثم إنه لا يوفق أيضا إلى العدالة، إذ يرجح الموالين لرأيه الموافقين له في أحكامه ومعاملاته على غيرهم. وهكذا يضيع أساسا مهما لبناء البر "الإخلاص والعدالة" بالخصام والعداء".⁹⁸¹

.الوجه الخامس: قاعدة: عدا الإخوة المؤمنين ظلم للنفس والأخوة.

إن الذي يملأ قلبه بالحقد والعداوة تجاه إخوانه المؤمنين إنما يظلم نفسه أولا، غلاوة على ظلمه لإخوانه، فضلا عن تجاوزه حدود الرحمة الإلهية، حيث يوقع نفسه بالحقد والعداوة في عذاب أليم. ويرى الإمام النورسي أن هذه العداوة تنشأ الحسد، حيث يرى أن الحاسد في حسده يسخط على قدر الله، لأنه يحزن من مجيء فضل من الله ورحمته على محسوده ويرتاح من نزول المصائب عليه،

⁹⁷⁶ - المكتوبات ص 341.

⁹⁷⁷ - سورة الأنعام الآية 164.

⁹⁷⁸ - سورة إبراهيم الآية 34.

⁹⁷⁹ - مكتوبات ص 341.

⁹⁸⁰ - مكتوبات ص 342.

⁹⁸¹ - المكتوبات ص 347.

أي كأنه ينتقد القدر الإلهي، ويعترض على رحمته الواسعة، ومعلوم أن من ينتقد القدر كمن يناطح الجبل، ومن يعترض على الرحمة الإلهية يحرم منها.⁹⁸²
لذا فلا ينبغي للمؤمن أن يحمل في قلبه عداوة لأخيه المؤمن، وعلى المؤمن أن لا يرضى بامتلاء صدره بالغيظ والحقد، على أخيه المؤمن.

. الوجه السادس: قاعدة: أعدى عدوك نفسك.

يقول النورسي: (إن الذي يحب نفسه الأمانة بالسوء، ويعجب بها، هو في الحقيقة لا يحب أحدا غيرها، وحتى لو أبدى للغير حبا فلا يحبه من صميم قلبه، بل ربما يحبه لمنافعه، ولما يتوقع منه من متاع، فهو في محاولة دائمة لتحيب نفسه للآخرين، وفي سعي متواصل لاثارة إعدائهم به، يصرف كل قصور عن نفسه فلا يحملها أي نقص كان، بل يدافع جفاح المحامي المخلص لأبراء ساحتها، ويمدحها بمبالغات بل بأكاديب لينزماها عن كل عيب أو قصور، حتى يقربها إلى التقديس بل يبلغ به الأمر أن يكون مصداق الآية الكريمة: (من اتخذ إلهه هواه)⁹⁸³. عندها تتوالى عليه صفعات هذه الآية الكريمة، فينقلب مدحه إلى أعراض الناس عنه، ويتحول تحبيب نفسه إليهم إلى استئثارهم له، فيجد عكس ما كان يروم، فضلا على أنه يضيع الإخلاص، لما يخلط من ياء وتصنع في أعماله الأخروية، فيكون مغلوبا على أمره أمام شهواته وهواه ومشاعره تلك التي لا تبصر العقبي ولا تفكر في النتائج والمغرمة بالتلذذ الآني، بل قد تبرر له أهواؤه الضالة أمورا يرتكبها لأجل متعة لا تدوم ساعة يفضي به أن يلقي في السجن لسنة كاملة، وقد يقاسي عشر سنوات من الجزاء العادل لأجل تسكين روح الثائر لديه، وشهوة الغرور التي لا تستغرق دقيقة واحدة.⁹⁸⁴

إذا أراد أحد أن يعادي أحدا، فليعادي ما في قلبه من العداوة وليجتهد في إطفاء نارها واستئصال شأفتها، وحاول أن تعادي من هو أعدى عدوك وأشد ضررا عليك، تلك هي نفسك التي بين جنبيك، فقاوم هواها واسعة إلى إصلاحها، ولا تعادي المؤمنين لأجلها وإن كنت تريد العداة فعادي الكفار والزنادقة.

إذا أراد الإنسان أن يهزم خصمه فعليه شهادتها ومحاسبتها فإذا ظلمك أحد فادفع سيئته بالحسنة، تخمد في عدوك نار الخصومة. أما إذا رددت خصومته بمثلها فالخصومة سوف تزداد، فمقابلة الخصم بالأحسن تسوقه إلى النوم وقد يكون صديقا جميعا لك، إذ من شأن المؤمن أن يكون كريما، فإن أكرمه فقد ملكته، وجعلته أخا لك، ولا يمكن للإنسان أن يعامل أخاه هكذا إلا إذا كان قد حارب نفسه الأمانة بالسوء، وغلب هواه.

⁹⁸² - المكتوبات ص 344.

⁹⁸³ - سورة الفرقان الآية: 43.

⁹⁸⁴ - اللمعات ص 447.

من خلال هذه القواعد حارب الإمام النورسي ونبد جميع أنواع العداوة التي تحطم الحياة الاجتماعية وتجعل الهوية بين الأفراد، ودعا دعوة صريحة للأخوة والمحبة حتى يجتمع شمل المجتمع المسلم، وتداوى جراحه فديتنا الحنيف يدعو إلى الأخوة ونبد العداوة وما يحمله معه.

ثانياً - الصبر

قاعدة : الصبر يحل المشاكل

الصبر على المصائب يرقى إلى مرتبة الشكر

1- تعريف الصبر لغة واصطلاحاً:

أ. الصبر لغة: الصبر حسب النفس عن الجزع، وقد صبر فلان عند المصيبة يصبر صبراً.⁹⁸⁵
وقال في اللسان: (الصبر نقيض الجزع صبر يصبر صبراً، فهو صابر وصبار وصبير وصبور والأنثى صبورة أيضاً بغير هاء وجمعه صبر وأصل الصبر الحبس وكل من حبس شيئاً فقد صبره).⁹⁸⁶
ب. الصبر اصطلاحاً: عرفه ابن القيم بقوله: (هو خلق فاضل من أخلاق النفس يتمتع به من فعل ما لم يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها).⁹⁸⁷
وقيل هو: (ترك الشكوى من ألم البلوي لغير الله لا إلى الله) وقيل الصبر (حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان حبسها عنه).⁹⁸⁸

2- فضل الصبر: الحث عليه من القرآن الكريم والسنة الشريفة وأقوال السلف والعلماء.

أ - القرآن الكريم: الصبر من أكثر الأخلاق التي اعتنى بها القرآن الكريم وهو من أكثر ما تكرر ذكره في القرآن، قال الإمام أحمد رحمه الله: (ذكر الله سبحانه الصبر في القرآن في تسعين موضعاً).⁹⁸⁹
وقد سبق الصبر في القرآن في عدة أنواع ذكرها ابن القيم في كتابه (عدة الصابرين) وسأذكر بعضها:

- أحدها: الأمر به كقوله تعالى: (**واصبر وما صبرك إلا بالله**)⁹⁹⁰ وقال: (**واصبر لحكم ربك**).

991

⁹⁸⁵ - " الصحاح" للجوهري ص 706.

⁹⁸⁶ - " لسان العرب" لابن منظور 4/437.

⁹⁸⁷ - " عدة الصابرين" لابن القيم ص 34.

⁹⁸⁸ - " مفردات ألفاظ القرآن الكريم" للراغب الأصفهاني ص 474.

⁹⁸⁹ - " عدة الصابرين" لابن القيم 113.

⁹⁹⁰ - سورة النحل الآية: 127.

⁹⁹¹ - سورة الطور الآية: 48.

. الثاني: النبي عما يضاده كقوله تعالى: (ولا تستعجل لهم) ⁹⁹² وقوله تعالى: (ولا تكن كصاحب الحوت). ⁹⁹³

. الثالث: تعلق الفلاح به كقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) ⁹⁹⁴. فعلق الفلاح بمجموع هذه الأمور.

. الرابع: الإخبار عن مضاعفة أجر الصابرين على غيره كقوله تعالى: (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) ⁹⁹⁵ وقوله: (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب). ⁹⁹⁶

. الخامس: تعليق الإمامة في الدين به وباليقين قال تعالى: (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) ⁹⁹⁷ ⁹⁹⁸.

ب . السنة الشريفة:

جاء في السنة الشريفة، أن من فضائل الصبر أن من يتصبر يصبره الله، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، (أن ناسا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفذ ما عنده، فقال: ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر). ⁹⁹⁹

قوله صلى الله عليه وسلم لا ومن يتصبر" أي يطلب توفيق الصبر من الله، لأنه تعالى قال: (واصبر وما صبرك إلا بالله) ¹⁰⁰⁰ أي يأمر نفسه بالصبر ويتكلف في التحمل من مشتاقه وهو تعميم بعد تخصيص لأن الصبر يشتمل على صبر الطاعة والمعصية والبلية، أو من يتصبر على السؤال والتطلع إلى ما في أيدي الناس بأن يتجرع مرارة ذلك ولا يشكو حاله لغير ربه. " يصبره الله" بالتشديد: أي يسهل عليه الصبر فتكون الجمل مؤكداً، ويؤيد إرادة معنى العموم قوله " وما أعطى أحد من عطاء" أي معطى أو شيئاً ، " أوسع" أي أشرح للصدر، " من الصبر" وذلك لأن مقام الصبر من أعلى المقامات لأنه جامع لمكارم الصفات والحالات. ¹⁰⁰¹

⁹⁹² - سورة الأحقاف الآية: 46.

⁹⁹³ - سورة القلم الآية: 48.

⁹⁹⁴ - سورة آل عمران الآية: 3.

⁹⁹⁵ - سورة القصص الآية: 54.

⁹⁹⁶

⁹⁹⁷ - سورة الزمر الآية: 10.

⁹⁹⁸ - سورة السجدة الآية: 24.

⁹⁹⁹ - رواه البخاري: (1469)

¹⁰⁰⁰ - سورة النحل الآية: 127.

¹⁰⁰¹ - " عون المعبود شرح سنن أبي داود" لشمس الحق أبادي (5/59).

. وعن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عجباً لأمر المؤمن أن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سواء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له).¹⁰⁰²

ج . أحوال السلف والعلماء:

. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إن أفضل عيش أدركنا . بالصبر، ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريماً).¹⁰⁰³

. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (ألا إن الصبر من الإيمان بمنزله الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس باد الجسد ثم رفع صوته فقال: (ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له)¹⁰⁰⁴. وقال: (الصبر مطية لا تكبر والقناعة سيق لا ينبو).¹⁰⁰⁵

وقال عمر بن عبد العزيز وهو على المنبر: (ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضة مكان ما انتزع منه الصبر إلا كان ما عوضه خيراً مما انتزع منه ثم قرأ: (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب).¹⁰⁰⁶

. قال أبو حاتم: (الصبر على ضروب ثلاثة: فالثبر في المعاصي والصبر على الطاعة والصبر عند الشدائد، فأفضلها الصبر من المعاصي فالعقل يدبر أحواله بالثبوت عند الأحوال الثلاثة التي ذكرناها بلزوم الصبر على المراتب التي وضعناها قبل حتى يرتقي بها إلى درجة الرضا من الله وزجل في حال العسر واليسر معاً.¹⁰⁰⁷

. وقال زياد بن عمرو (كلنا نكره الموت وألم الجراح، ولكننا نتفاضل بالصبر).¹⁰⁰⁸

3. فوائد الصبر:

من فوائد الصبر أن الصبر.

. دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام.

. يورث الهداية في القلب.

. يثمر محبة الله ومحبة الناس.

. سبب للتمكين في الأرض.

. الفوز بالجنة و النجاة من النار.

. محبة الله للصابرين.

¹⁰⁰² - رواه مسلم (2999) لابن أبي الدنيا ص 23.

¹⁰⁰³ - الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا ص 23.

¹⁰⁰⁴ - الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا ص 24.

¹⁰⁰⁵ - أدب الدنيا والدين للماوردي ص 294.

¹⁰⁰⁶ - سورة الزمر الآية: 10.

¹⁰⁰⁷ - روضة العقلاء لابن حباب البستي ص 162.

¹⁰⁰⁸ - الصبر والصواب عليه لابن أبي الدنيا ص 44.

.الأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة.
.مظهر من مظاهر الرجولة الحقة وعلامة على حسن الخاتمة.
. صلاة الله ورحماته وبركاته على الصابرين.¹⁰⁰⁹

4- الوسائل المعينة على الصبر:

من الوسائل التي تعين على الصبر:
. أن يتدبر المرء القرآن الكريم وينظر إلى آياته نظرة تأمل.
. أن يستعين بالله في مصابه.
. أن يعلم أن ما أصابه مقدر من الله.
. أن يتجنب الجزع وأنه لا ينفعه بل يزيد من مصابه.
. أن يتيقن بأن نعم الدنيا فائتة، ولا تستقر لأحد فلا يفرح بإقبالها حتى لا يحزن بإدبارها عنه.
. أن يتأسى المصاب بمن هم أشد منه مصيبة.
. أن يعلم المصاب بأنه لله وأن مصيره إليه.
. أن يعلم أن ابتلاء الله له هو امتحان نصير.
. أن يعلم أن مرارة الدنيا هي حلاوة الآخرة. (وهذه كذلك من القواعد النورية
. أن يشهد أن الله بحانه وتعالى خلق أفعال العباد، حركاتهم وسكناتهم، وإرادتهم، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

. أن يشهد ذنوبه، وأن الله إنما سلطهم عليه بذنبه، كما قال تعالى: (ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير)¹⁰¹⁰.

. أن يشهد العبد حسن الثواب الذي وعده الله لمن عفا وصبر كما قال تعالى: (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله أنه لا يحب الظالمين)¹⁰¹¹.
. أن يعلم أنه إذا اشتغلت نفسه بالانتقام وطلب المقابلة ضاع عليه زمانه وتفرق عليه قلبه، وفاته من مصالحه ما لا يمكن استدراكه.

. أن يشهد أن صبره حكم منه على نفسه وقهر لها وغلبة لها.

. الصبر على من آذاك غالباً ما يحمله على الرجوع عن ظلمه.¹⁰¹²

5 - نماذج من صبر سيد الصابرين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

لقد صبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وبلغ صبره مبلغاً عظيماً ولا يعلم أحد ما مر به من المصائب والمصاعب والمشاق والأزمات كل ذلك مر عليه وهو صلى الله عليه وسلم صابر محتسب.

¹⁰⁰⁹- (نظرة النعيم) لمجموعة المؤلفين (6/2472.2471)

¹⁰¹⁰-سورة الشورى الآية:30.

¹⁰¹¹- سورة الشورى الآية:40.

¹⁰¹²- ملخص كتاب (جامع المسائل لابن تيمية (من ص 11 إلى 28).

صبر صلى الله عليه وسلم على اليتيم والفقر والعوز والجوع والحاجة والتعب والحسد والشماتة وغلبة العدو أحيانا، وصبر على الطرد من الوطن وإخراج من الدار، والإبعاد عن الأهل وصبر على قتل القرابة و الفتك بالأصحاب، وتشريد الأتباع وتكالب الأعداء، وتحزب الخصوم، وكبر الجبارين، وجهل الأعراب، وجفاء البادية، ومكر اليهود، وعتو النصارى، وخبث المنافقين، صبر على تجهم القريب، وتكالب البعيد، وصوله الباطل وطغيان المكذبين.

صبر عن الدنيا بزینتها وزخرفها وذهبها وفضتها فلم يتعلق منها بشيء وصبر على إغراء الولاية وبريق المنصب وشهوة الرئاسة فانصرف عن ذلك كله طلبا لمرضاة الله.

فهو صلى الله عليه وسلم الصابر المحتسب في كل شأن من شؤون حياته، فهو مضرب المثل في سعة الصدر، وجليل الصبر، وعظيم التجمل وثبات القلب، وهو إمام الصابرين وقودة الشاكرين صلى الله عليه وسلم.

. صبر صلى الله عليه وسلم على المشركين حيثما أذوه ورموه بالكذب والكهانة والسحر والجنون.

. صبر على المنافقين.

. صبر صلى الله عليه وسلم على مشاق الحياة وشدتها.

. صبر صلى الله عليه وسلم على فقدان الأولاد والأحاب.

6- الصبر عند النورسي:

يقول الإمام النورسي (الحرص سبب الحرمان والصبر يحل المشاكل حتى إذا من مضرب الأمثال: " الحريص صائب خاسر" و "البر مفتاح الفرج، بمعنى أن عنايته سبحانه وتعالى وتوفيقه مع الصابرين، إذ البر على أنواع ثلاثة.

. الأول: الصبر على المعصية وتجنّبها فهذا الصبر هو التقوى ويجعل صاحبه محظيا بقوله تعالى: (إن الله

مع المتقين) ¹⁰¹³.

. الثاني: الصبر عند المصيبة، وهذا هو التوكل وتسليم الأمر إليه سبحانه، مما يدفع صاحبه إلى

التشرف بقوله تعالى: (إن الله يحب المتوكلين) ¹⁰¹⁴، (والله يحب الصابرين). ¹⁰¹⁵

أما عدم الصبر فهو يتضمن الشكوى فهو من الله الذي ينتج انتقاء أفعاله واتهام رحمته ورفض حكمته... إن الإنسان الضعيف العاجز يتألم ويبكي من ضربات المصيبة ويشكو، ولكن يجب أن تكون الشكوى إليه لا منه، كما قال سيدنا يعقوب عليه السلام (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) ¹⁰¹⁶ أي شكوى المصيبة إلى الله وليس الشكوى من الله إلى الناس والتأفف والتحسر وقوله: ماذا عملت حتى جوزيت بهذه المصيبة " لإثارة رقة قلوب الناس العاجزين فهذا ضرر ولا معنى له.

¹⁰¹³ - سورة البقرة الآية: 194.

¹⁰¹⁴ - سورة آل عمران الآية: 159.

¹⁰¹⁵ - سورة آل عمران الآية: 146.

¹⁰¹⁶ - سورة يوسف الآية: 86.

الصبر الثالث: الصبر على العبادة الذي يمكن أن يبلغ صاحبه مقام المحبوبة، فيسوق إلى حيث العبودية الكاملة التي هي أعلى مقام.¹⁰¹⁷
أ. النورسي وصبره على المحن.

الإمام بديع الزمان النورسي يرى أن الصبر والشكر ذروة الإيمان وأشرف ما فيه، لأن الابتلاء من الله، وبالابتلاء يختبر المؤمن، ليسمو إيمانه إلى أسى منزلة وأشرف مكانة.
وإذا ما تتبعني سيرة الداعية بديع الزمان النورسي عملنا أن حياتنا، كلها محن ومتاعب ومشاق ولكنه لم ييأس ولم يضجر، بل زادته عزيمة وإرادة، ومحن الإمام النورسي كثيرة وهي متنوعة، ومهما بلغت شدتها فإنه كان يجد لها طعاماً خاصاً يحولها إلى منح فمن المنح العصبية التي ابتلي بها رحمه الله.
أولاً: جهاده وأسره: عندما كان يجاهد في سبيل الله دفاعاً من دينه ووطنه وقع أسيراً في يد الجنود الروس في الحرب العالمية الأولى، أسروه ومصاب، وجلس في الأسر مدة سنتين ونصف السنة تقريباً.
دخل سجون في بلاده في أوقات مختلفة ومن هذه السجون.

* سجن أسكى شهر سنة (1935-1963م).

* سجن دنيزلي سنة (1943-1944م).

* سجن أفيون سنة (1948.1949م).¹⁰¹⁸

وقد تعرض فيها رحمه الله إلى كثير من أنواع الإهانات والمضايقات والسجن الانفرادي وقد كان رحمه الله يسمي السجن بدار الضيافة وبالمدرسة اليوسفية نسبة على نبي الله يوسف عليه السلام كان رحمه الله ينظر إلى السجن مدرسة لتكوين الأجيال وتقوية الإيمان وانتشار سر الإخلاص، ووسيلة لنشر وسائل النور.

ثانياً: النفي: كان هدف الإمام النورسي في دعوته أن يثبت الناس على حقائق الإيمان كان لا يدخل نفسه في الصراعات السياسية والعصيان ضد الدولة رغم ذلك حاربوه لجعله لواء الإسلام لهذا فبالإضافة إلى سجنه كانت الحكومة تلجأ إلى النفي لأن المحاكم التي كان يقدم فيها كانت غير قادرة على إثبات التهم عليه فمن الأماكن التي نفي إليها.

• بوردور سنة 1926م.

• أسبارطة في نفس السنة.

• بارلا من سنة 1927 إلى سنة 1935م وهذا المنفى كان من أصعب المنافي ثضى فيها ثماني سنوات كاوا يمنعونه من إقامة الصلاة باللغة العربية ومن رفع الأذان سرا.

• منفى قسطموني من سنة 1936-1943م.

• منفى أميرداغ 1944-1948م.¹⁰¹⁹

¹⁰¹⁷ اللغات ص 362-363.

¹⁰¹⁸ -الشعاعات ص 557-السيرة الذاتية ص 426.

¹⁰¹⁹ - اللغات ص 68 والسيرة الذاتية ص 210-211.

كان رحمه الله يسمي المنفى بالمدرسة النورية نسبة على رسائل النور ورغم قساوة المحن التي مرت به فإنه لم يكن يضيع شيئاً من وقته فإما ذاكرة وإما متأملاً في ملكوت الله أو يكتب رسائل النور.

ثالثاً: التسمم: لقد كان أعداء الإسلام يحاولون التخلص منه بكل الوسائل وذلك بعد أن عجزوا من إسكاته، لأنهم لما عزلوه عن الناس بالسجون والنفي الطويل ابتز رحمه الله طريقة وسائل النور التي كان يتواصل بها مع الناس.

ومن جملة المكائد التي كادوا بها لأستاذ عملية التسميم فقد تعرض رحمه الله للتسمم خمس عشرة مرة، ولكن الله عزوجل حفظه وسفاهه في كل تلك المرات.

رابعاً: المضايقات المستمرة: كثيراً ما نص الإمام النورسي على المضايقات التي كان يتعرض لها سواؤا كان في السجن أو في المنفى أو خارجهما، فقد كانت الحكومة تخاف من تأثيره في الناس، لذلك استمر الحصار عليه طيلة حياته وسيرته الذاتية مليئة بمعاناته من مضايقات الحكومة له.

ب . مسائل كانت تهون على الإمام النورسي محنه:

* الإخلاص وشدة التعلق بالله تعالى: من أعظم الأسباب لاكتساب القوة الخارقة التي يواجه بها المؤمن المصائب والمحن، فإذا كان الإخلاص موجوداً فإن المضايقات والمحن لا أهمية لها عنده.

* النظر على ما أصاب الأئمة السابقين والاعتبار بهم وبأحوالهم.

* الثبات على الحق خير من إظهار الضعف أمام الأعداء.

* النظر إلى عدالة القدر أكثر من النظر في ظلم الانسان.

* النظر إلى الأجر والثواب المترتبين على المحنة والعقاب.

ثالثاً: اغتنام فترة الشباب.

قاعدة : لننعم شباباً خالداً.

صح في الحديث الشريف أن النبي صلى عليه وسلم قال لرجل وهو يعظه: اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك. وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك.¹⁰²⁰

سؤال يطرح نفسه بقوة كيف يغتنم الشباب شبابيه؟ هناك أمور تغتنم بها الشاب شبابيه وتجعله يفوز في الدنيا والآخرة من هذه الأمور:

1. التعرف إلى الله تعالى: ويكون ذلك من خلال النظر في آياته الكونية (خلقه) وآياته القرآنية (كلامه) وآياته التكوينية وأفعاله.

. أما النظر في خلقه فلأن الله تعالى يقول: (قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون)¹⁰²¹.

¹⁰²⁰ - أخرجه الحاكم في المستدرک رقم (7846) ج4/341 وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

. وأما تدبر كلامه فلانه جل جلاله يقول: (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)¹⁰²².
. وأما النظر في أفعاله فلقوله تعالى: (قل سيروا في الأرض ثم انصروا كيف كان عاقبة
المكذبين).¹⁰²³

2 - طلب العلم الشرعي:

فالعلم الشرعي علم نافع وممتع ومسعد وهو السبيل إلى الاستقامة على أمر الله تعالى والتزام
منهجه، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له
الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع).¹⁰²⁴

3 - الاستقامة على أمر الله:

الاستقامة على أمر الله تعالى نتيجة حتمية لمن تعرف إلى الله تعالى وتعرف إلى أمره ونهيه قال صلى الله عليه
وسلم (استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن)¹⁰²⁵.
والاستقامة بواعث وأسباب منها:

• أنها طريق النجاة في الدنيا والآخرة وهي المنجية من الخسارة في الدنيا والآخرة قال تعالى: (إن
الدين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا ألبشروا بالجنة
التي كنتم توعدون).¹⁰²⁶

• أن الاستقامة على الدين هي مطلب واجب على العبد قال تعالى: (ومن يتبع غير الإسلام
دنيا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين).¹⁰²⁷

• التربية الصالحة، لأن التربية الصالحة هي البذرة الأولى للاستقامة العبد على دين الله، هنا
تدخل كذلك الزوجة الصالحة الاستقامة على الدين، وكما يقال فإن صاحب صاحب
فالجليس الصالح لا يدعو إلا إلى الخير.

• الاستغفار، التوبة، ومحاسبة النفس، وكلها عوامل تبعث في النفس دوام الاتصال العبد بالله
تعالى، مما يؤدي إلى استمرار العبد على الاستقامة على هذا الدين، فالاستغفار يجعل العبد
متصلا بربه، والتوبة تجدد العهد مع الله، ومحاسبة النفس تحفظ المسلم من الميل عن طريق
الاستقامة.

• الحذر من وساوس الشيطان ، ونزواته وامثال قول الله.

¹⁰²¹ - سورة يونس الآية: 101.

¹⁰²² - سورة محمد الآية: 24.

¹⁰²³ - سورة الأنعام الآية: 11.

¹⁰²⁴ - سورة آل عمران الآية: 85.

¹⁰²⁵ - أخرجه مالك كتاب الصلاة الباب الأول فضل الصلاة (2/175)

¹⁰²⁶ - سورة فصلت الآية: 30.

¹⁰²⁷ - سورة آل عمران الآية: 85.

• العلم الكامل بأن الجنة حفت بالمكاه، وأن النار حفت بالشهوات وأن الشيطان قد توعد أن يضل العباد أجمعين.

• دعاء الله . عزوجل . بالثبات والاستقامة على هذا الدين وتبعده عن طريق الغواية والضلال.

ثمرات وفوائد الاستقامة:

. امتثال لأمر الشرع الذي أمر الله تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم.

. هي التي تقي العبد من الوقوع في المعاصي والذنوب وتبعث في نفس العبد النشاط في طاعة الله، وكسب مرضاته وأجره.

. الرزق العاجل في الحياة الدنيا.

. الأمن من الخوف.

. تجعل العبد دائم الصلة بالله عزوجل.

. احترام الناس وتقديرهم له.

4. العمل الصالح:

فالمؤمن باستقامته على أمر الله يسلم لكنه لا يسعد ولا ترتفع درجته عند الله تعالى إلا بعمل صالح يفعله ابتغاء وجه الله الكريم.

وعمل المؤمن لا يقبل منه، إلا إذا تحقق فيه شرطين أساسيين:

. الأول: إخلاص النية لله تعالى: وهو أن يكون مراد العبد بجميع أقواله أعماله الظاهرة والباطنة ابتغاء وجه الله تعالى دون غيره.

. الثاني: موافقة الشرع الذي أمر الله تعالى أن لا يعبد إلا به، وذلك كون بمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به وترك مخالفته وعدم إحداث عبادة جديدة لم تثبت عنه عليه الصلاة والسلام.

والدليل على هذين الشرطين قوله تعالى: (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً).¹⁰²⁸

. كيف يعرف الإنسان أن عمله قد قبل؟

ذكر علماءنا أن لقبول العمل إمارات، فإذا تحققت فعلى العبد أن يستبشر منها:

• عدم الرجوع إلى الذنب (إذا كره العبد الذنوب وكره أن يعود إليها فليعلم أنه مقبول، وإذا تذكر

الذنب حزن وندم وانعصر قبله من الحسرة، فقد قبلت توبته.

• زيادة الطاعة.

• الثبات على الطاعة.

• طهارة القلب (أن يتخلص القلب من أمراضه).

• تذكر الآخرة، (تذكر الآخرة، وتذكر موقفه بين يدي الله تعالى).

¹⁰²⁸ - الكهف الآية: 110.

• إخلاص العمل لله تعالى.

5. تسخير كل الطاقات والإمكانات لخدمة المسلمين فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال بينما نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ طلع علينا شاب من الثنية فلما رأيناه بأبصارنا قلنا لو أن هذا الشباب جعل شبابه ونشاطه وقوته في سبيل الله، قال فسمع مقالتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وما سبيل الله الا من قتل؟! من سعى على والديه ففي سبيل الله ومن سعى على عيال ففي سبيل الله ومن سعى على نفسه ليعفها في سبيل الله ومن سعى على التكاثر فهو في سبيل الشيطان.¹⁰²⁹

. أهمية خدمة المسلمين:

من النعم الإلهية الكبرى أن يوفق الإنسان بخدمة أو معروف اتجاه إخوانه، لأنه لو اطلع على ما أعد الله تعالى له من عطاء أبدي لا ينفذ، لأدرك أن الأمر بالعكس، بمعنى أن المحتاج والمخدوم هو الذي يسدي خدمة للخادم والباذل لأنه السبب في حصوله على هذه الهبة الربانية، وعليه ليس من الصواب أن تتاح فرصة لأحدنا كي يقوم بتقديم مساعدة للآخرين وقضاء حوائجهم فيفوت تلك الفرصة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عليه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، من ستر مؤمنا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة..).¹⁰³⁰

. خدمة الناس هي خدمة الله تعالى:

إن الإنسان إذا خدم أخاه المسلم أو قضى له حاجة كمن خدم الله تعالى ونال رضاه.

. خدمة الناس أفضل الأعمال:

خدمة الإسلام والمسلمين ثورة أمور كثيرة منها:

• الأمن يوم القيامة

• كان الله عز وجل في حاجته.

• قبول الأعمال.

. النورسي والشباب:

لقد وهب الإمام بديع الزمان النورسي حياته لأجل إصلاح الأمة الإسلامية، ولأجل إنقاذ ما خربه عدو الإسلام من علمائين ويهود... ولقد أضحى الإمام شبابه في تحصيل العلم الشريف الذي ينفعه جينا ودين فكان كتاب الله عز وجل هو الذي ينور طريقه.

¹⁰²⁹ - أخرجه البزار في المسند (9879) والطبراني في الأوسط (4214) وأبو نعيم في الحلية (6/196). والبيهقي في الكبرى (17824).

¹⁰³⁰ - واه مسلم

لقد دافع الإمام النورسي خلال جميع مراحل حياته خاصة ***** عن القرآن الكريم وعن الإسلام والمسلمين وهاجم أعداء القرآن وأعداء الإسلام، وعانة من السجن والنفي الت*** لكي تبقى راية الإسلام عالية.

يقول بديع الزمان عن الشباب:

" إن الشباب ذاهب وأفل وسيزول لا محالة، إذ كما أن الصيف يخلفه الخريف والشتاء، والنهار يعقبه المساء والليل، فالشباب كذلك سيتحول إلى مشيب، وإلى الموت، بمثل هذه الحقيقة المحتمة. فإذا ما يذل الشباب ما يملك من طاقة مؤقتة في سبيل الخير والصلاح ضمن دائرة الظهر والعفة الاستقامة، فإن الأوامر السماوية كلها تبشره بأنه سيختم به شبابا باقيا لا زوال له، وكما أنمه غضب دقيقة واحدة، قد يدفع الانسان إلى ارتكاب جريمة قتل فيقتضي مقاسات ملايين من الدقائق في مقاسات من عذاب السجن، كذلك نسوة الشباب وسفاهته وأذواقه العابرة في غير ما أحل الله تسبب له آلاما أكثروا عمق في ذات اللذة نفسها فضلا عن العقاب الرهيب في الآخرة، والعذاب الميرير في القبر، وعلاوة على معاناة الحشرات العميقة المبنعثة من زوال اللذة والعقاب في الدنيا المترتب على الذنوب والآثام، يشهد بصدق وجود هذه الآلام في اللذة نفسها كل شاب حصين بما يسر عليه من تجارب فمصلا: إن الحب المحرم أو العشق لغير وجه الحق، فيه من الآلام ما ينغص اللذة الجزئية فيه، منها شعور الآلام بلذة الغيرة والحسد، ومنها آلام فراق المعشوق، ومنها ألم عدم مقابلة المحبة بالمثل، وغيرها كثير من المنقصات التي تجعل تلك اللذة الجزئية بحكم عمل سموم.¹⁰³¹

ويقول النورسي أيضا: (إن كنت تريد أن تفهم أن سوء تصرفات الشباب وإسرافهم في أمرهم يسبب فيهم من الأمراض ما يسوقهم إلى المستشفيات أو المقابر.

إن كنت تريد أن تفهم أن غرور الشباب وطيشهم يدفعهم إلى السجنون".

إن كنت تريد أن تفهم ما يصيبهم من آلام معنوية وهموم نفسية. من الخواء الروحي والجوع القلب والفراغ. يسوقهم إلى أبواب الحانات والملاهي.¹⁰³²

ويقول الإمام النورسي: (إذا ما قضى الشباب عهد شبابه بما أمره الله به واتبع الصراط السوي واستقام عليه، فإنه يجعله أحلى نعمة إلهية وأجمل هبة رحمانية. ويتخذ سبيلا قويا ممهدا إلى الصالحات من الأعمال ولا تمر له كذلك شابا ناضرا، وفتوة خالدة دائمة في الآخرة بدلا من هذا الشباب الفاني الزائل.¹⁰³³

¹⁰³¹ - الشعاعات ص: 255.

¹⁰³² - الشعاعات ص: 255.

¹⁰³³ - الشعاعات ص: 256.

رابعا : قاعدة: بيم النفس والمال لله عز وجل تجارة رابحة:

إن هذه الدنيا التي تعيش فيها مختلفين ما بين غني وفقير، أو عزيز وذليل، أو شريف ووضيع ، ما هي إلا مرحلة عابرة والكثير يغفل عن هذه الحقيقة أو بالأحرى يتجاهلها أو يتأساها وهي حقيقة جاءت من عند الخالق عز وجل لتنظيم الحياة وضمان مضمها على نظام محكم بديع لا مجال فيه للتخبط. إن ما ضلت فيه الإفهام وانحرفت، قضيت التفاوت بين العباد في الأرزاق، وإخلاف حظهم من الأموال، حيث اتخذت مقياسا أقدار الناس وميزانا لمكانتهم، ومن م صارت ميدانا لاستعراض ما تنطوي عليه النفوس من صفات قبيحة وأخلاق مردولة، فأحب من أجل المال وأبغض وأقرب وابتعد وأعطي أمنع، مما يعني أن هناك انحراف عن الحق، وجهل، لذا يجب تصحيح المفاهيم وإعادة الأمور إلى نصابها. لذا فإذا رجحنا إلى القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة وتدبرنا ووعينا، لتغيرت نظرتنا تجاه حبنا لأنفسنا وللمال، قال تعالى: (**ولله ملك السموات والأرض وما بينهما خلق ما يشاء والله على كل شيء قدير**).¹⁰³⁴ وقال جل وعلا: (**والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم أن علمتم فيهم خيرا وآثرهم من مال الله الذي أتاكم**).¹⁰³⁵

فالمال إذا مال الله تعالى، والمالك الحقيقي له هو الله عز وجل وأما وجوده بأيدي الناس وملكهم له فإنما كل ذلك مجرد دوافع، أمانات، استخلفوا فيها، لا ينصفوا فيها تنصرفا مطلقا وجسما يشتهون، ولكن ينتفعوا بها ويستعملوها وفق ما شرع لهم بالكسب الحلال والاستثمار الحلال، ثم الأفاق الرشيد وإعطاء كل ذي حق حقه، وصولا إلى تحقيق مصلحتهم ومصلحة مجتمعاتهم، وبلوغا لسعادتهم وسعادة ن حولهم قال تعالى: (**آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير**).¹⁰³⁶

فكثيرا ما نرى اليوم إضرارا بالنفوس بالبحث عن المال بطرق غير شرعية، أو إضرار بالآخرين بالتسلط عليهم به، أو يجبسه عن لتداول وكثرة، أو امتهان كرامتهم ببخسهم حقوقهم، ثم إنفاقه بعد ذلك تبعا لهوى النفوس في الحرام، أو سلوك مسلك من مسالك الإسراف والتبذير فيه، قال صلى الله عليه وسلم: " **إن رجلا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة**".¹⁰³⁷ وهذا التصرف الباطل في المال إنما هو ناتج عن شعور *** بأنه المال الحقيقي للمال، وإلا لو شعر أنه مجرد مؤتمن عليه ومستخلف فيه لكبح ذلك من جماحه، ولقال من تسلطه على الناس ولحال بينه وبين الإفساد في الأرض.

من طبيعة النفس البشرية، ميلها إلى محبة المال وجمعه قال سبحانه وتعالى: (**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناصير المقنصرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام**

¹⁰³⁴ - سورة المائدة الآية: 17.

¹⁰³⁵ - سورة النور الآية: 34.

¹⁰³⁶ - سورة الحديد الآية: 7.

¹⁰³⁷ - رواه البخاري.

والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب¹⁰³⁸ . وقال سبحانه: (وتحبون المال حبا جما)¹⁰³⁹ . وقال عز وجل: (وإنه لحب الخير لشريفاً)¹⁰⁴⁰ . وقال صلى الله عليه وسلم: " لو أن لابن آدم واديا من ذهب أحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا التراب، ويتوب الله على من تاب"¹⁰⁴¹ .

كل إنسان يحب المال، وكل نفس تميل إلى الاستكثار منه، وما من أحد يرضى أن ينقص حقه فيه، فلا ينبغي أن تجاهل غني فقير، أو يؤخرها صاحب عمل أجر أجير، أو يعتدي احد على مال أحد ولذا فقد أكد الإسلام حرمة المال وحرمة العدوان عليه قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة على تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما)¹⁰⁴² . وقال صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع " فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا"¹⁰⁴³ . وقال صلى الله عليه وسلم: " من اقتطع أرضا ظالما لقي الله وهو عليه غضبان"¹⁰⁴⁴ .

وأما أبلغ التشديد وأعظمه فقد جعل على الاعتداء أو على أموال الضعفاء من الأيتام والنساء والإجراء. قال سبحانه: (وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالكم إلى أموالكم إنه كان حويلا كبيرا)¹⁰⁴⁵ . وقال جل وعلا: (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا)¹⁰⁴⁶ . وقال عليه الصلاة والسلام: "إني أخرج حق الضعيفين: اليتيم والمرأة".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال تعالى: ثلاثة أنا خصيمهم يوم القيامة، رجل أعطى به ثم غدر، ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ول يعطه أجره.¹⁰⁴⁷

- ضوابط إنفاق المال في الإسلام:

إذا جمع المسلم ماله بطريق الحلال وطبقا لضوابط الشريعة وأراد أن ينفقه فإن الإسلام يحضه على إنفاقه في الحلال كأن ينفقه على نفسه وعلى زوجته وعلا أولاده، وأقاربه المعسرين والذين يجب عليه نفقتهم، وأن يؤدي حق الله في هذا المال فيخرج زكاته ويصرف عنه على الفقراء والمساكين ويشارك

¹⁰³⁸ - سورة آل عمران الآية 14.

¹⁰³⁹ - سورة الفجر الآية: 20.

¹⁰⁴⁰ - سورة العاديات الآية: 8.

¹⁰⁴¹ - رواه البخاري.

¹⁰⁴² -

¹⁰⁴³ - متفق عليه.

¹⁰⁴⁴ - رواه مسلم.

¹⁰⁴⁵ - النساء: الآية: 2.

¹⁰⁴⁶ - النساء الآية: 10.

¹⁰⁴⁷ - رواه البخاري.

بجزء منه في المشروعات الخيرية النافعة، والإسلام بضع مجموعة من الضوابط الآداب لإنفاق المال منها:

1. أن يكون المسلم معتدلاً في إنفاقه للمال، فلا يضل إلى حد النحل والإقتار بحيث يضيع حقوق أهله وذويه ويظلم نفسه، ولا يصل إنفاقه إلى حد التبذير والإسراف في هذا المال، فالإسلام دين الوسطية في كل شيء وهو يدعو إلى الاعتدال في كل شيء، قال تعالى: (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً).¹⁰⁴⁸ وفي آية أخرى: (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً).¹⁰⁴⁹

فالتبذير والترف والإسراف في المال جدير بأن يحول الإنسان من أقصى الغنى إلى أدنى الفقر في فترة وجيزة هذا إلى جانب ما يصاحب البذخ والترف من ارتكاب المحرمات والتني في الشهوات والشهوات.

2. حرمة الاكتناز: ألا يكتنز المسلم ماله ويحبسه عن الاستثمار وإنشاء المشروعات المفيدة، والنافعة فالحق سبحانه ينهي عن الاكتناز في قوله تعالى: (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعباب آليم، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون).¹⁰⁵⁰

3. إنفاق المال على المحرمات: ألا يبدد المسلم ماله وينفقه في المحرمات وأخطرها في هذا المخدرات والسموم البيضاء التي تشتري بأثمينة خيالية تحول مستعملها من غني إلى فقير، وتقضي على عقله وصحته وتخرسه آخرة ودينه.

ولا يفوتني هنا أن أذكر عادة التدخين التي تعتبر تبديداً للمال فيما يضر الإنسان صحياً ومالي، وحكم الإسلام في التدخين أصبح واضحاً الآن حيث أفتى الكثير من العلماء بحرمته بعد أن أثبت الطب الأضرار الصحية المتسببة عنه والتي لا تحصى، وقد اعتمد العلماء وفي فتواهم على ثلاث آيات من كتاب الله تعالى:

. الآية الأولى: (ويحل لهم الصبيات ويحرم عليهم الخبائث).¹⁰⁵¹ إذا أضفنا التدخين بين طيب وخبث لاشك أنه خبيث بكل المقاييس.

. الآية الثانية: (لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة).¹⁰⁵²

. الآية الثالثة: (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين).¹⁰⁵³، والمدخن يعتبر بلا شك مبذراً لماله، فيما لا يعود عليه بخير ولكن بضرر شديد.

¹⁰⁴⁸ - سورة الفرقان الآية: 67.

¹⁰⁴⁹ - سورة الإسراء الآية: 29.

¹⁰⁵⁰ - سورة التوبة الآية: 34-35.

¹⁰⁵¹ - سورة الاعراف الآية: 157.

¹⁰⁵² - سورة البقرة الآية: 195.

¹⁰⁵³ - سورة الإسراء الآية: 27.

4. الضروريات قبل الكماليات: أن ينفق المسلم ماله أولاً على الضروريات والحاجيات قبل الكماليات ولا يقدم الكماليات على الضروريات التي تتوقف عليها حياة الإنسان الأكل والشرب واللباس والمسكن والزواج فإذا اكتفى في جانب الضروريات والحاجيات فلا مانع أن ينفق على الكماليات التي لا تتنافى مع الشريعة.

5. أن يغتنم المسلم غناه ويعلم أن هذا الغنى نعمة من الله وأنه قد يأتي من وراءه فقروا واغتنام الغنة بأن يستغل ما معه من أموال استغلالاً حسناً لمنفعته الدنيوية والأخرية.
محاسبة النفس.

النفس بطبيعتها كثيرة التقلب والتلون، تؤثر فيها المؤثرات وتعصف بها الأهواء، فتجرح لها وتنفاذ إليها، وهي في الأصل تسير بالعبد إلى الشرك كما قال تعالى: (أن النفس لأمارق بالسوء إلا ما رحم ربي)¹⁰⁵⁴. ولذا فإن لها خطراً عظيماً على المرء إذا لم يتوقفها عند حدها ويلجمها بلجام التقوى والخوف من الله، ويأطرها على الحق.

. أهمية محاسبة النفس: لمحاسبة النفس فوائد متعددة منها:

1. الإصلاح على عيوب النفس ونقائصها ومقاليها، ومن ثم إعطاؤها مكانتها الحقيقية إن جنحت إلى الكبر والتغطرس ولاشك أن معرفة العبد لقدر نفسه يورثه تذلاً لله، فلا يدل بعمله مهما عظم ولا يستقر ذنبه مهما صغر.

2. أن يتعرف على حق الله تعالى عليه وعظيم فضله ومنه، وذلك عندما يقارن نعمة الله عليه وتفريطه ف جنب الله، فيكون ذلك رادعاً له عن فعل كل مشين وقبيح، فيحل أن النجاة لا تحصل إلا بعفو الله ورحمته.

3. تزكية النفس وتطهيرها وإصلاحها وإلزامها أر الله عز وجل: قال تعالى: (قد أفلح من زكاهها وقد خاب من دساها)¹⁰⁵⁵.

4. أنها تربي عند الإنسان الضمير داخل النفي، وتنسي في الذات الشعور بالمسؤولية ووزن الأعمال والتصرفات بميزان دقيق هو ميزان الشرع.
كيفية محاسبة النفس:

في الحقيقة لبيت هناك وسيلة محددة في كيفية محاسبة النفس، وذلك لأن النفوس البشرية متباينة الطبائع والسجايا، ولكن هناك خطوط عريضة يمكن الإشارة إليها والاستفادة منها، والأمر الذي يجب أن يفقهه كل مسلم ومسلمة أنه لا بد من الجدية في المحاسبة، والحرص الشديد على أخذ النتائج والقرارات التي يتوصل إليها بعد ذلك بماخذ العزيمة والجد.

¹⁰⁵⁴ - سورة يوسف الآية: 53.

¹⁰⁵⁵ - سورة الشمس الآية: 9-10.

والمحاسبة على نوعين:

. النوع الأول: محاسبة النفس قبل العمل: هي أن يقف عند أول همه وإرادته ولا يبادر بالعمل حتى يتبين له رجحانه على تركه.

. النوع الثاني: محاسبة النفس بعد العمل وهي على أقسام ثلاثة.

- 1/ محاسبتها على التقصير في الطاعات بأن يديم سؤاله نفسه: هل أدت هذه الفريضة على الوجه الأكمل مخلصا فيها لله.
- 2/ محاسبتها على معصية ارتكبتها.
- 3/ محاسبتها على أمر كان تركه خيرا من فعله.

خامسا : الإيمان

1- قاعدة: 1/ الإيمان سعادة ونعمة: الكلمات ص9.

2 / الإيمان بالآخرة يحقق سعادة بالذنيا: ص26.

- أثر الإيمان بالآخرة في سعادة الفرد والأسرة والمجتمع.

إن عقيدة الإيمان بالآخرة هي أعظم أساس لسعادة الإنسان في حياته الفردية والأسرية والاجتماعية وهي أصل جميع فضائل الإنسان وكرامته وكمالاته.

فالأطفال الذين يمثلون نصف البشرية تقريبا لا يمكنهم أن يتحملوا تلك الحالات التي تبدو أمامهم مؤلمة ومفجعة من الأمراض الشديدة والفراق للأحبة، إلا بما يجدونه في أنفسهم من القوة المعنوية الناشئة عن الإيمان بالآخرة والجنة، ذلك الباب الذي يفتح لهم باب الأمل المشرق أمام طبائعهم الرقيقة التي لا تتمكن من المقاومة والصمود، وتبكي لأدنى سبب، فيتمكنون بالإيمان بالآخرة من العيش بهناء وفرح وسرور، فيحاور الطفل نفسه، أو يحاوره والده " إن أخاك الصغير أو صديقك الحميم الذي توفي قد أصبح الآن طيرا من طيور الجنة، فهو فرح، ويعيش أفضل من حياته هنا، وتراه بإذن الله عندما تنتقل إليها.

فعلى المرءي أما وأبا وأخا وعمما وجدا وخالا... أن يحدث الأطفال عن الآخرة والجنة.

أما بالنسبة للشباب المراهقين الذين يمثلون محور الحياة الاجتماعية وعمودها الفقري، لا يهدف مشاعرهم ، ولا يمنعهم من تجاوز الحدود إلى الظلم والتخريب والعبث والفوضى لا يمنع طيش أنفسهم والانطلاق وراء نزواتها، ولا يدفعهم إلى السير الأفضل في علاقتهم الاجتماعية إلا الخوف من نار جهنم، وغضب الله تعالى وحلول نقمته، ولولا هذا الخوف لقلبوا الدنيا إلى جحيم من الشر والفوضى البغي والأذى ولحولوا الحياة الإنسانية الكريمة إلى حياة حيوانية شاملة.

. والشيوخ والعجائز الذين أدبرت عنهم مباحج الدنيا ومنع الحياة، وأصبحوا كل يوم من أيام حياتهم القليلة الباقية على موعد مع الآلام والأمراض ويحسون بالاغتراب عن الدنيا، وأنهم ينتقلون من ضعف إلى ضعف. ويقتربون من قبورهم رويدا رويدا، وهم في هذه الحال أحوج إلى الرحمة والشفقة والطمأنينة والسكينة والشعور بالحياة الهادئة الهانئة... وقد يصبحون مثل الأطفال في ضعف القوى وفتور الإرادة مرهفي الحس والشعور، ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وربما تمادى بهم الضعف إلى درجة من المرض واليأس والتفكير في الانتحار للتخلص مما هو فيه، لكن الإيمان بالآخرة وما عند الله من التنعيم والتكريم وجزاء المومنين، وهذا ما يقوي رجاءهم بالله تعالى ويسمو بأرواحهم عن هذه الدنيا المدبرة الفانية، ويوطد علاقتهم بالآخرة المقبلة المزدهرة، ويعقد آمالهم بالله تعالى، فيقوي تعلقهم بالله سبحانه وتعالى وتوكلهم عليه.

. والأسرة التي هي دائرة الفرد وحصنه الحصين ومحور المجتمع وركنه المتين لا سعادة لأحد فيها إلا بالاحترام الجاد والمتبادل والمحبة الصادقة والرحمة الدائمة والمودة التي يلقاها من الطرف الآخر، ولا أمل في ذلك إلا أن تقوم علاقة إيمانية تتصل بالله تعالى ودينه وشرعه بأوثق العرى وأزكاها، وأن تتصل بالآخرة دار النعيم المقيم والجزاء العظيم، مثلا يحدث الزوج زوجته هذه زوجتي رفيقة حياتي وستكون زوجتي في عالم الخلد والأبد فلا ضير إن أصبحت الآن عجوز ضعيفة ما دامت تزداد بالله إيماننا وعملا صالحا فإنها تستوجب مني كل رعاية وتكريم ووفاء ورأفة، وكذلك الزوجة بالمثل، وهكذا لا تزداد العلاقة بين الزوجين على تطاول الأيام والسنين إلا وثوقا ورسوخا. لخف أولئك الهائمين الذين لا يعرفون قيمة العلاقة الزوجية ولا يرونها سوى علاقة جنسية شهوانية، فإذا مرض أحد الطرفين أو مرض تخلى عنه الطرف الآخر. إنها الأنانية التي تفرضها الحياة المادية.

الحياة الأسرية المتعلقة بالآخرة تدعو إلى المودة والرحمة في أرجاء المجتمع المسلم.

- تفسير النورسي للقاعدة: الإيمان سعادة ونعمة.

لتفسير هذه القاعدة يروي لنا الإمام النورسي حكاية قصيرة فيقول: " خرج رجلان في سياحة ذات يوم، من أجل الاستجمام والتجارة فمضى أحدهما وكان أنانيا شقيا إلى جهة ومضى الآخر وهو رباني سعيد إلى جهة ثانية. فالأناني المغرور الذي كان متشائما لقي بلدا في غاية السوء والشؤم في نظره، جزاء وفاقا على تشاؤمه، حتى أنه كان يرى . أينما اتجه . عجة مساكين يصرخون ويولولون من ضربات أيدي رجال طغاة قساة ومن أعمالهم المدمرة فرأى هذه الحالة المؤلمة الخزينة في كل ما يزوره من أماكن، حتى اتخذت المملكة كلها في نظره شكل دار مآتم عام فلم يجد لنفسه علاجا لحاله المؤلم المظلم فرمى نفسه في نشوته لكيلا يشعر بحاله، إذ صار كل واحد من أهل هذه المملكة يتراءى له عدو يتربص به، وأجنبيا يتنكر له، فل في عذاب وجداني مؤلم لم يرى فيما حوله من جنائز مرعبة ويتامى بيبكون بكاء يائسا مريرا.

أما الآخر الرجل الرباني العابد له، والباحث عن الحق، فقد كان ذا أخلاق حسنة بحيث لقي في رحلته مملكة طيبة هي في نظره في منتهى الروعة والجمال، هذا الرجل الصالح يرى في المملكة التي دخلها احتفالات رائعة ومهرجانات بارعة قائمة على قدم وساق، وفي كل طرف سرورا وفي كل زاوية حورا، وفي

كل مكان محارِب ذكر، حتى صار يرى كل فرد من أفراد المملكة صديقا صدوقا وقريبا حسيبا له ثم يرى أن المملكة كلها تعلن هتافات الفرح بصيحة مصحوبة بكلمات الشكر والثناء.¹⁰⁵⁶

فالرجل الأول هو رجل ابتعد عن الإيمان ولجأ إلى الكفر فلم تكن لحياته معنى، يعيش على التعاسة واليأس. أما الرجل الثاني فهو المؤمن الصالح الصادق في أعماله مع ربه فإنه يعرف معنى السعادة والفرح، وإذا ما أراد الأول أن يصبح كالثاني فعليه أن يرجع إلى صوابه بالابتعاد عن الكفر والفسوق، وطلب المغفرة من الله عز وجل الثبات على الإنسان الذي يعطي للحياة معنى.

يقول الإمام النورسي رحمه الله: " فيا نفسي اعلمي أن الرجل الأول هو الكافر أو الفاسق أو الغافل فهذه الدنيا نظره بمثابة ماتم عام، وجميع الأحياء أيتام سيكون تألما من ضربات الزوال وصفعات الفراق... وأما الرجل الثاني فهو المؤمن الذي يعرف خالقه حق المعرفة ويؤمن به، فالدنيا في نظره دار ذكررحماني وساحة تعليم وتدريب البشر، وميدان ابتلاء واختيار الإنس والجان...."¹⁰⁵⁷

فالإيمان يضم بذرة معنوية منشقة من طوبى الجنة، أما الكفر فإنه يخفي بذرة معنوية قد بغثته وزقوم جهنم. فالسلامة والأمان لا وجود لهما إلا في الإسلام والإيمان"¹⁰⁵⁸.

يقول الإمام النورسي: " علينا إذا أن نردد دائما الحمد لله على الطاعة والتوفيق وان نشكره سبحانه وتعالى على أننا مسلمون"¹⁰⁵⁹.

سادسا : قول عن في التصوف :

قاعدة: قد يكون المريخ شيئا لشيخه:

الشيخ: هو الانسان الكامل في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة، البالغ إلى حد التكميل فيها لعلمه بأفات النفوس وأمراضها، ومعرفته بدوائها، وقدرته على شفائها والقيام بهداها إن استعدت ووفقت لاهتدائها.¹⁰⁶⁰

والشيخ هو الذي يطيب نفوس المريدين والمسترشدين والشيخ مرشد للمريد إذا رأى منه ميلا إلى الغضب والشهوة فالشيخ هو قدوة للمريد.

¹⁰⁵⁶ - الكلمات ص 9-10.

¹⁰⁵⁷ - الكلمات ص 11.

¹⁰⁵⁸ - الكلمات ص 14.

¹⁰⁵⁹ -

¹⁰⁶⁰ - موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي لرفيق العجم ص 518.

والمريد ينبغي له أن يسلم نفسه لخدمة شيخه، صدوقاً في صحبته، غير مفارق له، صبوراً على أمره ونهيه، ومجالساً له وقت الملالة والكلالة، بل وفي كل وقت وحين حتى لو فتحت له غوامض الأسرار والكرامات، فلربما قد يحصل إعجاب بذلك وغرور باعتقاد الكمال.

* آداب الشيخ والمريد:

1. آداب الشيخ:

يرى الامام الغزالي رحمه الله أنه على الشيخ عدم استعمال المريد أو أحد من تلامذته بطريقة استغلالية وأن يعمل على الاستفادة منهم بدافع أنه شيخهم، وعليه كذلك أن يخدر من كون المريدين والمسترشدين الذين يبعثهم الله إليه بدافع امتحان وابتلاء من الله تعالى له كما عليه أن يعلم مريده مما علمه الله، وأن يكلمهم كلام الناصح المشفق وعلى طريقة الوالد لولده بما ينفعه في دينه ودنياه، وكل مريد ساقه الله إلى الشيخ عليه أن يرجع الله في معناه ويكثر الملجأ إليه أن يتولاه فيه وفي القول معه.

كما أن الشيخ لا يتكلم مع المريد بالكلمة إلا وقلبه ناظر إلى الله ومستعين به في الهداية للصواب من القول وعليه أن يعطي الكلمة الصالحة لذلك المريد.

ومن آداب الشيخ كذلك النزول إلى حال المريدين ومعرفة مشاكلهم، والرفق بهم ومحاولة البسط معهم.

ومن آداب الشيخ كذلك التنزه على حال المريد، والقيام بخدمته والعمل على الاتفاق من جانبه بوجه من الوجوه كذلك يجعل الله تعالى نفعه وإرشاده خالصاً لوجه الله تعالى فما يعطيه الشيخ للمريد يعتبر من أحسن الصدقات.

. على الشيخ الذي غلبت عليه الأمور المبعدة للمشايخة أن يعزل نفسه.

وعلى العموم فأخلاق المشايخ (الشيوخ الذين يتبعون التصوف السليم التصوف الذي لا تشوبه بدع ولا فتن ، التصوف الجنيدي السني) مهذبة وذلك لكونهم يقتدون بالرسول صلى الله عليه وسلم وهم يعتبرون من أحق الناس بإحياء سنته في كل ما أنكروا أمر ونذب وأوجب.¹⁰⁶¹

2. أدب المريد:

عندما نتحدث عن آداب المريد مع الشيخ فإننا نتحدث عن جانب الآداب وللناس الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله أن الله سميع عليم)¹⁰⁶² وروى أبو الدرداء فقال: " كنت أمشي أمام أبي بكر فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: تمشي من هو خير منك في الدنيا والآخرة".¹⁰⁶³

. ومن هنا يتبين لنا بأن آداب المريد مع شيخه في المجلس ينبغي أن يتسم بالاحترام وأن يلزم المريد السكوت ولا يقول شيء بحضرته، إلا بأخذ الإذن من شيخه.

¹⁰⁶¹ - الإمام أبو حامد الغزالي " إحياء علوم الدين ج5/205.

¹⁰⁶² - سورة الحجرات الآية: 10.

¹⁰⁶³ - أبو حامد الغزالي إحياء علوم الدين ج5/199.

. ومن حسن آداب المريـد مع شيخه أنه يتميز بالصمت والخمود حتى يبادؤه الشيخ بماله فيه من الصلاح قولاً وفعلاً لأن الشيخ يعلم بأن طلبته يتطلعون إلى كلامه ويمشون على منهج فكره، لذلك يعمل الشيخ على تنقية كلامه من شوائب الهوى، ويسأل الله عز وجل أن يعينه.

. لا ينبغي على المريـد أن يجمد نفسه على طلب منزله فوق منزلة شيخه بل عليه أن يحب لشيخه كل منزلة عالية وأن يتمنى له درجة عالية من العلم، وبهذا يظهر حسن الإرادة وإرادة المريـد للشيخ تعطيه فوق ما يتمنى لنفسه وتمكنه من الإقامة بآداب الإرادة.

وقد تصل درجة احترام المريـد لشيخه إلى عدم النظر في وجهه لدرجة تصل عند المريـد إلى عدم إشباع النظر فيه.

ومن الأفعال التي على المريـد القيام بها في اتجاه احترام شيخه: عدم الدخول على الشيخ لحجز أو مجلة إلا بإذن وعدم استعجال شيخه والصبر إلى أن يخرج الشيخ من موضعه أي من خلوته.

ملاحظة مهمة: خلال محاولتي جمع مادة أدب المريـد وجدت كثير من المسائل التي لا يتقبلها العقل وهذا راجع إلى أن هذا المجال دخله أهل البدع والفتن، فالتصوف الجنيدى السني بريء منهم، فلا أحد يمكن أن ينكر دور التصوف والمتصوفة عبر التاريخ الإسلامى.

- المريـد قد يصبح شيخاً لشيخه:

من بين الشروط التي وضعها الشيخ عبد القادر الجيلانى¹⁰⁶⁴ لشيخ في تأدبه مع المريـد: أن الشيخ الذي غلبت عليه الأمور المبعدة للمشيخة أن يعزل نفسه وينفرد عن المريـدين ويطلب لنفسه شيخاً يؤدبه ويقومه.

وكذلك فالمريـد مع ملازمته للشيخ ومصاحبته فإنه يرتقى في طريق السالكين فيصبح أكمل أهل زمانه في الإرشاد والتربية الصوفية.

فهذا الشيخ الذي غلبت عليه الأمور المبعدة للمشيخة قد يصبح مريداً، لذا هذا المريـد الذي ارتقى في طريق السالكين فأصبح أكمل أهل زمانه فيصبح المريـد شيخاً لشيخه.

- بديع الزمان النورسى والقاعدة.

إن الإمام النورسى على الرغم من إعلانه أنه ليس شيخاً صوفياً إلا أنه كان يحمل في جنباته روحاً صوفية خالصة لله وكلماته التي انتشرت في كل مكان إنما تنم عن أحاسيس ووجدان ومشاعر فياضة تعلن انضمامه لطائفة كبار المتصوفة الذين يحيون بأنوار القرآن وينهلون من تعاليم وأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم المهتدين بسنته والعاملين بأفعاله والمتلهفين طريق أحواله صلى الله عليه وسلم.

¹⁰⁶⁴- إحياء علوم الدين ص 201-199.

- التصوف في أدب النورسي

لم يستوعب التصوف - باعتباره سبيلاً لتهديب النفس وتحريها من العلائق الدنيوية وصولاً إلى معرفة الله تبارك وتعالى وقدره حق قدره. لم يستوعب التصوف بهذه المثابة كل طاقات النورسي الروحية وإمكاناته الذهنية والوجدانية. والتصوف لديه يختلف عنه لدى كثير من المنتسبين للتصوف من متصوفة اليوم فهو ليس كل شيء ولا هو آخر المراقي ولا أعلاها ولا يعتبر لديه غاية المراد، بل هو فقط يضع قدم السالك على عتبة القرآن ويوقفه عند حضرته وأسراره وتجلياته، ويعينه على التلمذ عليه والأخذ منه واعتبار القرآن على حد تعبير بديع الزمان "شيخه الأكبر والأعظم والذي يقصر عن مداه كل شيوخ الأرض".¹⁰⁶⁵

إذن لم يكن في منهج النورسي الصوفي ما يشاع لدى كثير من متصوفة اليوم من عبث لا تستوعبه أذواق العقلاء كقول بعضهم للمريد ناصحاً: "كن بين يدي شيخك كالملت بين يدي مغسله".

وليس الفناء لديه كما ينعى ذلك العقاد: هو التصوف الجانح إلى الفناء وفقدان وعى الوجود.¹⁰⁶⁶ بل الفناء عند النورسي لا يكون في الله بل هو تماماً كما يقول جمال الدين الأفغاني: الفناء في خلقه بتعليمهم وتنبههم إلى وسائل سعادتهم وما فيه خيرهم.¹⁰⁶⁷

وهو نفس منهج الإمام محمد عبده تلميذ الأفغاني: "ألزم خلائق الصوفي المطبوع أنه يستخف بعظمة الدنيا بحيث تهون عليه رهبتها ورغبتها فلا يهابها ولا يتهالك عليها، وأزهد من الصوفي الذي لا يملك الدنيا ذلك الصوفي الذي لا تملكه الدنيا ولا يدخله الوجل ممن يملكونها.¹⁰⁶⁸ وهكذا كانت حياة النورسي وزهده في الدنيا وفي مناصبها وبهرجها حتى إنه ليعيش في منفاه بالجبل شهوراً على كسرات من الخبز اليابس والماء.

إنها أخلاقيات الصوفية ومنهجها الشديد في أخذ النفس بوسائل تهذيب سلوكها فغاية الصوفية لدى النورسي أسمى من رغائب هذه النفس وعروض دنياها وهي أن تجعل المريد تلميذاً للقرآن راتعاً في أجوائه مستظلاً بظلاله مقتبساً من أضوائه وأنواره متخلقاً بأخلاقه - ولعمري إنها السبيل التي سلكها رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم الذي لخصت عائشة رضی الله عنها صفاته وأخلاقه تلخيصاً بليغاً حين قالت: "كان خلقه القرآن".

والقرآن هو نفسه المعين الذي غرف منه النورسي حين يقول:

"إن رسائل النور برهان باهر للقرآن قيم له وهي لمعة براءة من لمعات إعجازه المعنوي، ورشحة من رشحات ذلك البحر وشعاع من تلك الشمس وحقيقة ملهمة من كثر علم الحقيقة وترجمة معنوية نابغة من فيوضاته".¹⁰⁶⁹

¹⁰⁶⁵ - الملاحق ص 246

¹⁰⁶⁶ - الإسلام دعوة عالمية - عباس محمود العقاد.

¹⁰⁶⁷ - عبقري الإصلاح محمد عبده ص 85 - العقاد.

¹⁰⁶⁸ - عبقري الإصلاح محمد عبده ص 88 - العقاد.

¹⁰⁶⁹ - ملحق قسطوني ص 220.

وهو يتكلم هنا عن الولي والولاية في تسعة تلويحات مفسراً قوله تعالى: [ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. الذين آمنوا وكانوا يتقون. لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك الفوز العظيم].¹⁰⁷⁰

سابعا : قواعد في الابتلاءات:

- المرض:

إن العافية في البدن من نعم الله عز وجل على العبد التي يلزم عليه شكر الله عليها وسؤاله تمامها ودوامها، وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك فقال: " إن الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة، قالوا ماذا نقول يا رسول الله : قال سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة"¹⁰⁷¹ ، فالمؤمن إذا أعطي العافية في الدنيا والآخرة كان من أهل الفلاح.

والعافية نعمة من أجل نعم الله على العبد بعد الإيمان والاستقامة على الهدى يقول صلى الله عليه وسلم " من أصبح آمنا في سربه معافا في جسده عنده قوت يومه وليلته فكأنما حيزت له الدنيا بحذافرها."¹⁰⁷²

ولكن هذه الدنيا دار ابتلاء وامتحان واختبار للعبد لابد فيها من منغصات ومكدرات ومن تلك المنغصات المرض، فالمرض من أعظم البلاء لاسيما أن استعصى علاجه وطال أمده، ولكن للمسلم في هذا البلاء مع الصبر والاحتساب مصالح تعود عليه بالخير في عاجل أمره وأجله فمن تلك المصالح: المرض سبب لتكفير الذنوب والسيئات يقول الله تعالى : (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير).¹⁰⁷³

. علو منزلته قال تعالى: (وأبوب) إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين، فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين).¹⁰⁷⁴

. المريض يزيد العبد قربة من الله عز وجل قال تعالى: (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون).¹⁰⁷⁵

.ومن مصالح المريض للبعد أيضا الهناء والسعادة بقضاء الله عز وجل وقدره قال جل وعلا مبينا ذلك : (فمسر أن تكرر هولا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا).¹⁰⁷⁶

¹⁰⁷⁰ - سورة يونس الآيات 62 - 64

¹⁰⁷¹ - رواه أبو داود.

¹⁰⁷² - أخرجه الترمذي (2346).

¹⁰⁷³ - سورة الشورى الآية: 30.

¹⁰⁷⁴ - سورة الأنبياء الآية: 83-84.

¹⁰⁷⁵ - سورة البقرة الآية: 150.

¹⁰⁷⁶ - سورة النساء الآية: 19.

.ومن مصالِح المرض أيضا: توفر الأعمال الصالحة، واستمرار ثواب العمل الصالح وانتظار الفرج من الله عز وجل.

. للمريض آداب ينبغي أن يلتزم بها ، منها:

. صبره على قضاء الله وقدره، فعواقب الصبر عظيمة قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر

والصلاة إن الله مع الصابرين).¹⁰⁷⁷

. أن يكون محسن الظن بربه وأن الله عز وجل أرحم به من أمه الشفيقة عليه يرحمه فلا يعذبه ويعفو عنه فلا يعاقبه فيحسن الظن بربه ويرضى بقضاء الله ويطمأن بذلك.

. أن يكون في مرضه جامعا بين خوف الله وبين رجاء الله يكون في قلبه تعظيما لله ورجاءا لله وخوفا من ذنوبه ومعاصيه.

.ومن آداب المريض أن يكثر من دعاء الله ويكثر من التداوي.

- حكم المرض وفوائده:

1/ استخراج عبودية الضراء وهي الصبر: إذا كان المرء مؤمنا حقا فإن كان أمره خيرا كما قال عليه الصلاة والسلام : " عجا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن إصابته سرء شكر فكان خيرا له وإن إصابته ضراء صبر فكان خيرا له.

2/ تكفير الذنوب والسيئات.

3/ كتابه الحسنات ورفع الدرجات.

4/ سبب في دخول الجنة.

5/ النجاة من النار.

6/ رد العبد إلى ربه وتذكيره بمعصيته وإيقاظه من غفلته.

7/ البلاء يشتد بالمؤمن بحسب إيمانهم.

- أخطر الأمراض : حب الدنيا

معنى حب الدنيا:

حبُّ الدنيا: أن تستولي الدنيا على قلبك، على تفكيرك، فتجعلها أكبر همِّك، ومبلغ علمك، وغاية اهتمامك، ومحور سعيك، فلا تعمل إلا لها، ولا تُفكِّر إلا فيها، ولا تحرص إلا عليها، ولا تسعى إلا إليها، ولا تفرح إلا بالحصول عليها، ولا تحزن إلا بفواتها، ولا تحبُّ ولا تكره، ولا تصل ولا تقطع، ولا توالي ولا تعادي، ولا تسالم أو تحارب، إلا من أجل الدنيا.

هذا هو معنى حبِّ الدنيا، أن تُسيطر الدنيا عليك، أن تتخذ الدنيا لك ربًّا، فتتخذك لها عبداً، أن تعيش في الدنيا وكأنك مخلدٌ فيها، أن تحيا في هذه الدار وكأنها هي الدار الوحيدة، ألا تفكِّر في الموت وما بعد الموت، أن تعيش في الدنيا بهذه الرُّوح، بهذا التفكير، بهذا الاهتمام، هذا هو معنى حبِّ الدنيا

¹⁰⁷⁷ - سورة البقرة الآية: 159.

- نتائج حب الدنيا :

حبُّ الدنيا من أسباب الوقوع في المعاصي:

وحبُّ الدُّنيا هو وراء كلِّ ما نرى من مصائب وكوارث، حبُّ الدُّنيا هو الذي يجعل الإنسان يستحلُّ الحرام، يأكل المال بالباطل، لا يُبالي ما دخل بطنه من طعام، ولا ما دخل جيبه من دراهم، أحلال هي أم من حرام، حرامٌ أكلناه، حرامٌ أكلناه.

حبُّ الدُّنيا من أسباب العداوة بين النَّاس:

حبُّ الدُّنيا هو الذي يجعل النَّاس يخاصم بعضهم بعضًا، ويعادي بعضهم بعضًا، ويكيد بعضهم لبعض، ويمكر بعضهم ببعض، حبُّ الدُّنيا هو الذي يجعل الابن يكيد لأبيه، والأبُّ يجعل أعداءه من بنية، والأخ يمكر بأخيه، ويحقد على أخيه.

حبُّ الدنيا يمزق الأسرة الواحدة:

حبُّ الدنيا هو الذي يمزق الأسرة الواحدة، يجعل أبناء الأب الواحد، بل ربما كانوا أبناء أب واحد وأمٍّ واحدة، يكيد بعضهم لبعض، من أجل ميراث، من أجل دنيا، من أجل مال، من أجل أن كلَّ واحد يريد أن يكون أغنى من الآخر، حبُّ الدنيا هو الذي يمزق الناس بعضهم من بعض، هذه هي الدنيا، هذا هو حبُّ الدنيا.

ثامنًا :

قاعدة : الدنيا مزرعة تنتج محاصيل تلائم سوق الآخرة.

على المسلم أن يحرص على تحصيل الأجر والثواب وأن يقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم، ولا يفرط في مثل هذه الأمور بناء على أنها سنن لا عقاب عليها، ونرى بعض الناس يصلي الفريضة ثم تقام الصلاة على الجنابة ولا يصلي لماذا؟ يقول فرض كفاية قام به من يكفي، هكذا الحرمان كم فرط مثل هذا، وصلاة الجنابة على كل جنازة قيراط . إذا علينا اكتساب الحسنات ولا نفرط في مثل هذه الأمور.

فالدنيا مزرعة ، مزرعة للآخرة فالسعادة كل السعادة أن يوجد في ميزانك حسنات، وكثرة الثواب من جراء فعلك لهذه المستحبات، هذه الموازين التي يستعملها بعض الناس في أمور الدين، يقول الفرائض وكفى، يقول تعالى: (يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا)¹⁰⁷⁸ المنة لله عز وجل أنه وفقك لأن تكون مسلمًا، فالمنة لله عز وجل وأن وفقك لفعل الطاعات واكتساب الحسنات .

في أمور الدنيا تجد الإنسان يلهث وراء الحطام ليل نهار، هل هو يسعى لاكتساب القدر الواجب مما يلزمه ويلزم من يمونه ؟ أو تجده يسعى جادا ليل نهار في اكتساب ما يشغله عن دينه ، ولو لم يكن بحاجته، بعض الناس يسعى لكسب الدنيا وعنده من الأموال ما يكفي لعشرة أجيال من ولده ولا

¹⁰⁷⁸ - سورة الحجرات الآية:17.

يقول. كفاني بالواجد، الموازين انتكست، يعني في أمور الدنيا فينظر إلى ما هو دونه فيقول: الحمد لله نحن نصلي الفرائض، وغيرنا لا يصلي أبداً، يمن بعمله في أمور الدين، لكن في أمور الدنيا فلا، ينظر إلى من هم أعلى منه، ويقول الناس ملكوا وفعلوا. قصور واستراحات ومزارع ونحن مساكين ما عندنا مثلهم مع العلم أنه مأمور بأن ينظر إلى من هو دونه، لئلا يزدري نعمة الله عليه، والدنيا مهما طالست بشيء بالنسبة للآخرة، " ركعتي الصبح خير من الدنيا وما فيها".

على الانسان أن ينظر إلى من هو دونه في أمور دنياه، ويشكر الله عز وجل ، ولا يزدري نعمته الله عليه، أما في أمور الدين فالعكس، فإذا أردت أن تحصد حصداً جيداً من هذه الدنيا الفانية للحياة الآخرة الباقية فعليك أيها الانسان باتباع ما أمر الله عز وجل به من عمل بأوامره وابتعاد من نواهيه، والثبات على الدين حتى آخر العمر وطلب رحمة الله عز وجل دائماً فهي الكفيلة بفوز المؤمن بالآخرة إن شاء الله (اللهم اجعلنا ممن شملتهم برحمتك).

والدنيا قد يصيبك منها الحلو وقد يصيبك المر، فكما تحمد الله على الحلو يحب الصبر على الألم والحزن، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما يصيب المسلم من نصب ولا صوب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها".¹⁰⁷⁹ هناك بعض الناس يظنون أن الذي يصاب بالمرض مغضوب عليه من الله عز وجل، والأمر ليس كذلك فإنه قد يبتلى بالمرض والمصائب وهو من أعز الناس عند الله وأحبهم إليه كالأنبياء والرسل وغيرهم من الصالحين.. فالله عز وجل يبلبهم ليرفع شأنهم ويعظم أجورهم وليكونوا إسوة صالحة لمن بعدهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر".¹⁰⁸⁰

هناك من الناس من يكره الدنيا لا لأجل الآخرة!! بل لأنه يرى أن حظها فيها قليل وأن غيره خيراً منه ولاشك أن هذا نوع من التسخط على أقدار الله تعالى ، فإن الله عز وجل وحده مقسم الأرزاق. والفائدة المهمة هنا والتي يجب أن نتذكرها دائماً هي: أن هموم الدنيا وإن كانت عظيمة وكثيرة فإن هم الآخرة لا أعظم منه.

.الدنيا دار عمل والآخرة دار أجر وثواب:

الدنيا والآخرة مفردتان مترادفتان تؤدي الأولى إلى الأخرى، فالدنيا دار عمل وزوال والآخرة دار قرار وجزاء وتبعاً لهذين المفهومين تعرف أن الدنيا محطة للاختبار والعمل والامتحان فهي مرحلة معنية بتحديد العاقبة وتعيين المصير، أما الآخرة فهي نتيجة للعمل، إن كان العمل صالحاً فالعاقبة صالحة، وأن كان خلاف ذلك فالعاقبة سيئة.

ومن هذا نخلص إلى أن جوهر الحياة الدنيا هو العمل وجوهر الحياة الآخرة هو الجزاء، فإما ثواب وإما عقاب ومن خلال هذا التواصل السببي بين المعنى الأول والثاني، ينشأ عامل الإيمان والتصديق، فعندما يقر الإنسان بمفهوم الدنيا وفقاً لهذه المعادلة القائمة على التواصل والاستمرار ويكون بناءً على ذلك ملتزماً بعناصرها وضوابطها وشروطها فهو مؤمن ومن لم يرى في نفسه ما يسوغ له القبول

¹⁰⁷⁹ - رواه البخاري.

¹⁰⁸⁰ - رواه مسلم.

والاعتقاد فهو الكافر الضال الذي جحد هذه الضوابط والشروط ورضي أن تكون الدنيا هي بغيته والآخرة موضع جهله وضلالته.

والعمل الموصل إلى الفوز بالآخرة، كثير، وفرصه متعددة وكل عمل بأجره وثوابه بحسب طبيعته ، ومن أهم هذه الأعمال القيام بالفرائض كالصلاة والصوم والزكاة... والابتعاد عن الحرام والمساورة إلى فعل الخيرات، نصرة الإسلام، صدق الحديث وأداء الأمانة الوفاء بالعهد، بر الوالدين، صلة الرحم، قراءة القرآن ، الجهاد في سبيل الله... الخ.

- التوفيق بين الدنيا والآخرة:

إن حب الدنيا والانشغال بها وجعلها أكبرهم ، وأبلغ علم فإنه ينسي الدار الآخرة، والعمل لها، قال بعض السلف (من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنيته فأثروا ما يبقى على ما يفنى).¹⁰⁸¹ فالإنسان عليه أن يبدأ بحظه من الآخرة ، حتى يأتيه ما قدر الله له وما يحتاج إليه من الدنيا.

فالإنسان يشتغل بحضه من الدنيا في الأوقات التي يجد فيها سعة ومع ذلك لا ينسي الدار الآخرة، فإذا اشتغل في تجارته أو حرثه أو حرفته، أو ماشيته ، لم يغفل عن ذكرربه ولا عن دعائه، واشتغل بالتسبيح والتكبير والتوبة والاستغفار، فحصل التوفيق بين الدنيا والآخرة، وإذا دخل وقت العبادة كأوقات الصلوات ترك ما كان فيه من الدنيا وقام إلى العبادة.

الكثير لما فتحت عليهم الدنيا ، طغوا وبغوا كما قال تعالى : (كلا إن الإنسان ليطغى، أن رآه استغنى)¹⁰⁸² فأقول لهؤلاء اقنعوا من الدنيا بما تيسر، ولا تشغلكم دنياكم عن العمل للدار الآخرة، دار البقاء والخلود، لا تكن عبداً لدنياك الفانية.

فكثير من أهل الدنيا جعلوا شغلهم الشاغل، وقطعوا في متابعتها أعمارهم ، فجاءهم الأجل وهم غافلون عن الأخرى فخرجوا من الدنيا مفاليس، لأنهم لم يتفكروا في نهاية الدنيا وصدق عليهم قوله تعالى: (بل توترون الحياة الدنيا ، والآخرة خير وأبقى).¹⁰⁸³

. تحليل النورسي للقاعدة:

يقول الإمام النورسي رحمه الله: " إذ كما أن أعمال الجن والإنس ترسل إلى سوق الآخرة، كذلك تؤدي باقي الموجودات في الدنيا أعمالاً كثيرة أيضاً في سبيل الآخرة وتندثئ محاصيل وفيرة لها، بل تجري كرة الأرض لأجل تلك الأعمال بل يصح القول ثم أن هذه السفينة الربانية تقطع مسافة أربعة وعشرين ألف سنة في سنة واحدة لتدور حول ميدان الحشر. مثلاً: لاشك أن أهل الجنة يرغبون أن يتذكروا خواطهم في الدنيا ويتحاوروا فيما بينهم حول ذكرياتها وربما يتلهفون لرؤية ألواح (مشاهد) تلك

¹⁰⁸¹ - المستدرک للحاکم . کتاب الرقاق: 3251 من أحب دنياه أضر بآخرته.

¹⁰⁸² - سورة الفلق : الآية: 6-7.

¹⁰⁸³ - سورة الأعلى الآية: 16-17.

الذكريات والحوادث ومناظرها، إذ يستمتعون كثيراً بمشاهدة تلك الحوادث وتلك الألواح كمن يستمتع بمشاهدة المناظرة على شاشة السينما.

فما دام الأمر هكذا فالجنة التي هي دار اللذة ومنزلة السعادة توجد فيها لا محالة المناظر السرمدية لمحاورة الأحداث الدنيوية ومناظر أحداثها كما تشير إلى ذلك الآية الكريمة : (على سرر متقابلين)،¹⁰⁸⁴ وهكذا فإن فناء هذه الموجودات الجميلة بعد ظهورها في آن واحد، وتعاقت بعضها بعضاً ويبين كأنما هي أكدت معمل لتشكيل المناظر السرمدية.¹⁰⁸⁵

. حياة النورسي: نموذج لمن باع دنياه ليشتري آخرته:

إن المتتبع لسيرة الإمام بديع الزمان النورسي يتضح له جلياً أن هذا الإمام الجليل ضحى بدنيه من أجل الفوز برضى الله عز وجل، ونيل جنانه، لقد دافع عن الإسلام والمسلمين جاعلاً القرآن الكريم سلاحه فلقى من جراء ذلك العذاب والسجن والتسميم والنفي، لكنه بقي صابراً ثابتاً على مبدأه فنصرة الله عز وجل حياً وميتاً.

حياً: بكرمات كثيرة، وبتلاميذه الكثر وبمحبته الناس.

ميتاً: أن أفكاره المدونة في رسائل النور ما زال ينتفع بها ليومنا هذا وستبقى إنشاء الله تعالى.

تاسماً : قاعدة : مهمة الداعية لا تتمم

من هو الداعية؟

يتصور كثيرٌ من الناس أن الداعية هو الذي يعتلي المنابر خطيباً، أو الذي يجوب البلدان ناصحاً، أو الذي يظهر في وسائل الإعلام متكلماً في أمور الدين ومبيناً، أو الذي يحرر الفتاوى دالاً الناس بها على حكم الله عز وجل وموضحاً، أو الذي يقوم بالكتابة والتأليف مرشداً، أو الذي يقوم بتنظيم الناس في هيئات أو جمعيات ذات أهداف متعلقة بخدمة الدعوة. فمن هذا التنوع في التصور تبرز حاجة إلى معرفة حقيقة الداعية

فمن هو الداعية؟ أهو العالم الفقيه، أم المحدث المفسر، أم الأصولي الذي أتقن علم الأصول، أم الخطيب البليغ المصقع الذي يهز المنابر، أم صاحب الخلق الحسن الذي يجذب الناس بحسن تعامله إلى ما هو عليه أو ما يدعوهم إليه .

إن الداعية الكفاء هو ذاك الإنسان الذي أحس بالمسؤولية تجاه أمته، وشعر بالمخاطر التي تهدد دينه ومجتمعه، ونهى قدراته، وعمل على التحلي بالصفات الأساسية التي تعتبر أساساً للدعوة بمفهومها التبليغي الإيجابي.

¹⁰⁸⁴ - الحجر الآية: 47.

¹⁰⁸⁵ - المكتوبات ص: 380.

وهو في مجتمعه الإسلامي الذي أصابه ما أصابه من الانحراف عن الجادة، لا بد له أن يتعامل معه معاملة شرعية - لأنه بمنزلة الطبيب والمداوي لهذا المجتمع - حتى يوفق بعون الله- عز وجل- إلى ما يحقق صلاح الأمة والمجتمع.

من صفات الداعية الأساسية:

- 1- إيمان الداعية العميق بدينه وسلامته منهجه.
- 2- معرفة الداعية لأصول فكرته ووسائلها العامة.
- 3- تطبيق ما يدعو إليه على نفسه؛ حتى تكون حياته الشخصية وسلوكه موافقين لما تقتضيه دعوته.

- 4- تدريب متواصل على الأساليب الناجحة في الدعوة والأخذ بالوسائل المعينة على قبول دعوته.
- 5- الوعي لواقعه وعصره وبيئته ، وربط هذا الوعي بوسيلة الدعوة.
- 6- توفر الأخلاق الإسلامية في الداعية مثل: الصبر، والإخلاص والقناعة والشجاعة والثبات وغيرها.

- 7- التفاهم بينه وبين إخوانه الدعاة إلى الله -تبارك وتعالى- وتنسيق الخطوات في الدعوة حتى يكمل بعضهم جهود بعض، وحتى يكونوا قدوةً صالحةً في المجتمع الإسلامي.
- هذه من أهم الصفات التي لا بد من توافرها في الداعية، لكي يكون قادراً على القيام بواجبه، وينجح فيه النجاح المطلوب.

- خطورة اختلاف قول الداعية المرموق المنظور إليه عن فعله:
- إذا اختلف قول الداعية عن فعله فالناس إزاءه فريقان: فإما أن يكونوا واثقين به وهؤلاء صنفان، أولهما: حسن الظن يؤول عمله قائلاً: إن فعله دال على الجواز، وقوله منصرف إلى الكمال. والصنف الثاني: تنعدم ثقته به عندما يطلع على هذا الازدواج المقيت وتزلزل ثقته بدعوته.
- وإما أن يكونوا غير واثقين به أصلاً، فيهاجمونه وفكرته ويقولون فيه: إنه يريد أن يضع الناس في أقفاص من الأوهام لمصالح يجنيها هو وشركاؤه!
- الوسائل الدعوية للداعية في مجتمعه، أهمها:

- الخطابة والمحاضرة.
- الصحافة.
- النشر.
- الإذاعة والتلفزيون، والإنترنت، والجوال، والكمبيوتر.
- الصلات الشخصية: الود، النصيح، الهدية، التوجيه، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- التخصص: التخصص في نطاق الدعوة مهم جداً، فينبغي أن يتخصص نفر لدعوة العوام من الناس، ويتخصص نفر لدعوة المثقفين. وإن زاد التخصص كان أحسن فائدة، فمثلاً في دعوة العامة: يختص نفر بدعوة التجار، ونفر بدعوة العمال، وآخرون بدعوة الفلاحين.

فهذا تكتمل الصورة الملائمة بين العنصرين: الداعية والمجتمع.1086

- اساليب الدعوة النورية

جاء في القرآن الكريم آيات كثيرة تبين كيفية دعوة الناس ، حفظها الدعاة وجعلوها نبراسا لهم يستنيرون بضوئها، منها قوله تعالى: { ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن }¹⁰⁸⁷

وقال أيضا: { ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه

عداوة كأنه ولي حميم. }¹⁰⁸⁸

وفي رسائل النور نجد اراء كثيرة حول كيفية نشر الدعوة الاسلامية. وفيما يلي اقدم بعضاً من الامثلة العديدة التي تتضمنها رسائل النور حول الدعوة وخاصة بالنسبة للانسان الغربي:

“عليك ان لا تحيد عن الحق في اية كلمة تنطق بها ، غير انه ليس من حقل ان تذكر كل حقيقة.

يجب ان يكون كل ما تقوله صدقاً ولكن ليس من الصواب ذكر كل ما هو صائب”¹⁰⁸⁹

“ان من الممكن اقامة تحالفات بين المسلمين من مختلف العقائد والمشارب واضعين نصب

الاعين وشائج المحبة والاخوة والروابط العديدة المشتركة بينهم”¹⁰⁹⁰

ان سرد مثل هذه الأقوال سهلة ولكن تطبيقها في غاية الصعوبة.

الآراء المدرجة اعلاه يمكن تلخيصها في جملة واحدة وهي وجوب مشاركة الأمة الاسلامية وتعاونها

جميعاً في مجال نشر الدعوة كما تقول الآية الكريمة { ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً

كأنهم بنيان مرصون }

ان الاقناع هو الاسلوب الأمثل للنشاط العملي في الدعوة كما ان اكثر الامثلة تأثيراً هي الامثلة

العملية. ويجب ان يكون هذا هو الرمز الوحيد لوحداية الله ووحدة الاتحاد الاسلامي. ومع الاسف فان

المنازعات والخلافات القائمة بين المسلمين من شأنها عرقلة الجهاد. وبإذن الله فان خیر امة اخرجت

للناس ستعود الى احضان التوحيد مجدداً في المستقبل، وهذه العودة هي اهم شرط بل وحتى الشرط

الوحيد للنجاح في نشر الدعوة الاسلامية.

- ملائمة رسائل النور للدعوة في الغرب وحظها في النجاح.

ليس هناك من ينكر الشهرة العريضة لبدیع الزمان سعيد النورسي في تركيا لانه قدم طوال

حياته خدمات جلی للعثمانيين والدولة التركية.

ومع ان قيمة مؤلفاته تظهر جلياً حتى بتصفحها فحسب فان هذه المؤلفات غير معروفة تماماً

على المستوى الدولي. فعلى الرغم من الجهود المبذولة في هذا المجال فان عدم تواجد تراجمها في

البلدان الغربية او عدم القيام بتوزيعها حال دون تعرف الاساتذة والمثقفين عليها، وكذلك فان

¹⁰⁸⁶ - انظر (صفات الداعية/ لمحمد الصباغ) بتصرف.. وكذلك (وصايا للدعاة / عبد الرحمن العقود).

¹⁰⁸⁷ - سورة العنكبوت الآية 46

¹⁰⁸⁸ - سورة فصلت الآية 34 - 35

¹⁰⁸⁹ - مکتوبات المکتوب 22

¹⁰⁹⁰ - اللغات ص 20

الخدمات التي قدمها بديع الزمان سعيد النورسي لتركيا لا تعتبر دليلاً على ملائمتها للبلدان الغربية. وسأدرج هنا عدداً من الاسباب التي تبين وتثبت ملائمة بديع الزمان سعيد النورسي وعظمته كمفكر خارج تركيا.

- يثبت وبأمثلة وادلة لا تقبل الشك امتزاج الايمان التام بالعلم الحديث وتصديق الحقائق العلمية وتعزيزها للدين.

- يحدد ويشخص بدقة لا مثيل لها مساوئ الثقافة العلمانية الغربية الحديثة ومناوئة التطورات الثقافية الغربية للدين والايمان بالله.

- كل من يطلع على ردوده للاستئلة الدينية الصادرة من اشخاص يتبنون طرز الحياة العصرية لا يملك نفسه من التصديق عليها. ورغم التجديدات العديدة التي جاء بها بخصوص اثبات الايمان فلم يحد قيد انملة عن احكام الكتاب المبين والسنة السنوية.

- يقوم بتشذيب وتعديل مواقف المؤمنين بشكل خاص تجاه الديمقراطية والسياسة والروح القومية يضع بعدها نظماً فكرية جديدة لها.

- يقوم بديع الزمان سعيد النورسي باكتشاف طرق واساليب النشاطات التي بُرهن قبلاً على نجاحها وي طرحها على بساط البحث مجدداً في مجال الاصلاح المعنوي للمؤمنين خارج نطاق الطرائق الدينية.

- الى جانب قبول الجوانب الايجابية للحضارة والتكنولوجيا والعلوم الحديثة فان سعيد النورسي يضع اساليب جديدة لاحياء الدين وتعزيز العالم الاسلامي والوقوف بوجه الهجمة الشرسة للعلمانية الغربية وتيار المستحدثات.

ومن الجلي والواضح ملائمة هذه الآراء ماهيتها في مجال نشر الدعوة الاسلامية في الغرب.

عاشرا: قاعدة العلوم تقربنا من خالقنا

إن البشرية تمر اليوم بعصر نهضة علمية هائلة توصل فيها الإنسان إلى كثير من الأسرار التي كانت مجهولة من قبل، وفسر كثير من الظواهر والشواهد التي لم يستطع أن يفسرها أسلافه. بل وحقق الكثير من العجائب التي كانت تمثل خيالات منذ زمن قريب.

وهذه الحقائق الكثيرة التي كشفتها التقنيات الحديثة وأزاحت الستار عن شيء من حفاياها تصدق وتوافق ما جاء به القرآن الكريم والسنة الشريفة من حقائق علمية غاية في الدقة.

نعم مهما تطور العلم، وأيما نتيجة وصل إليها العلم الحديث لا تشكل إعجازاً لمن تدبر القرآن الكريم وفهم معانيه. فنجد حقائق كثيرة في الطب وعلم الفلك والفيزياء والبيولوجيا وغيرها من العلوم قد ذكرها القرآن الكريم وتوصلت إليها العلوم في زماننا. وسأحاول عرض بعض النماذج.

النموذج الأول: وهو آخر حقيقة علمية توصل إليها الغربيون وكشفوا أضرارها عليهم إنها مسألة الربا.

فالربا هو السبب الرئيسي للأزمة المالية العالمية، وعلماء الاقتصاد عندهم يحاولون إيجاد حلول بديلة لإلغاء الربا التي حرمها القرآن الكريم منذ أزيد من 1400 سنة.

. الربا هو سبب رئيس للأزمة المالية العالمية، وإن تفضي المصارف والمعاملات الربوية وتعامل الناس معها وعدم توافر البدائل لها، هو الذي فاقم من الأزمة المالية العالمية وزاد نسبة الفقر، والبطالة بين الناس، ولا مجال لمحاربة الربا إلا بالرجوع والالتزام بقواعد وضوابط الاقتصاد الإسلامي للخروج من الأزمة المالية العالمية.

ونحن كمسلمين إذا استثمرنا هذه الأزمة المالية في مخاطبة الناس في الغرب ، بأن الإسلام حرم الربا وأن هذه الأزمة سببها الربا، لكان في تحريم الربا ورقة دعوة إلى الدين بشرح الآيات القرآنية الكريمة التي تحرم الربا والأحاديث الشريفة التي عرض بها الرسول صلى الله عليه وسلم الحكمة من تحريم الربا.

. النموذج الثاني: تحريم الخبائث، قال تعالى: (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث)¹⁰⁹¹

وقد جمع القرآن الكريم معظم الخبائث بالآية التالية: (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به، والمنخنقة والموقودة والمتردية والنهيضة وما أكل السبع إلا ما ذكيتتم وما ذبح على النصب).¹⁰⁹²

إن الله عز وجل لم يحرم هذه الخبائث عبثا ولكن حرمها لعل معلومة، أو لعل علمها وعرفناها مع تقدم العلم.

وسأحاول عرض الحكمة الطيبة من تحريم هذه الخبائث اعتمادا على نتائج البحوث العلمية، التي تؤكد أن الله عز وجل ما حرم على البشر شيء إلا لضرر كبير علموه أو جهلوه.

1. الميتة:

الميتة باصطلاح الفقهاء هي ما فارقت الحياة من غير ذكاة والذكاة الشرعية هي ذبح حيوان مباح للأكل أو نحره أو عقره.

حكمة التذكية الشرعية:

إن الدم بعد فقدان الحياة يصبح بحكم تركيبه من أصلح الأوساط لنمو الجراثيم بعد أن كان وسيلة الدفاع الكبرى ضدها أثناء الحياة، فالتذكية الشرعية تؤمن استنزاف دم الحيوان على أحسن وجه، بقطع أوردة الرقبة وشرابينها الكبيرة.

واللحم الذي لا يصفى منه الدم جيدا لا يكون صالحا والسبب يرجع لوجود السائل الزلالي في الأوعية الذي يسير للجراثيم انتشارها بسرعة وسط اللحم.¹⁰⁹³

¹⁰⁹¹ - سورة الأعراف: الآية: 157.

¹⁰⁹² - سورة المائدة الآية: 3.

¹⁰⁹³ - مع الطب في القرآن الكريم لعبد الحميد دياب وأحمد قرقوز 134.

بالإضافة إلى الميتة هناك المنخقة يلحق بها ما مات بكثم النفس أو غرقا أو ردما أو استنشاق غازات خانقة فهي كلها حرام لأنه ما سال دمها.¹⁰⁹⁴

2. الدم: قال تعالى: (لا أجد في ما أوحى إلي محرما على لحمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا).¹⁰⁹⁵

. حكمة تحريم الدم: الدم يحمل سموما وفضلات، لأن من وظائفه حمل فضلات الجسم وسمومه ونتائج أفعال الهدم لطحها. أما عن طريق الكلية أو التعرق. وأكل كمية معتدلة من الدم عن طريق الفم يؤدي إلى امتصاص نتائج الدم الاستقلابية وهذا يؤدي لارتفاع كبير في نسبة البولة الدموية، وهذا يؤدي إلى اعتلال دماغي. الدم وسط صالح لنمو شتى الجراثيم، وتستفيد معامل علم الجراثيم من هذه الناحية في صنع مزارع دموية للحصول على مستعمرات جرثومية للدراسة. أما تلوث الدم المسموح بالجراثيم فمنها: أداة الذبح أو الآنية التي وضع فيها أو الأيدي، أو الهواء أو الذباب...

. الدم لا يعتبر غذاء بشريا، فهناك من يدعي أن الدم يؤكل لما فيه من عنصر الحديد لمعالجة فقر الدم، فكلامهم مردود، لأن الحديد الموجود في الدم هو حديد عضوي، ومعروف بأن الحديد العضوي أقل وأبطئ امتصاصا في الأمعاء من الحديد اللاعضوي.¹⁰⁹⁶

. دم الكبد والطحال: من الجدير بالذكر أنه قد يرد بلسان الشرع تسمية الكبد والطحال باسم الدم، وهذا من قبيل التشبيه لا الحقيقة، لاحتوائها على كمية من الدم والواقع أنهما نسيجان عاديا لهما وظائفهما الخاصة.¹⁰⁹⁷

3. لحم الخنزير:

الخنزير حيوان قدر في طراز حياته اليومية يلتهم الأقدار والنجاسات والجيف وحتى جيف أقرانه، وقد حرم القرآن الكريم أكل لحمه واعتبره نجسا فما هي الحكمة في ذلك؟

. الحكمة في تحريم لحم الخنزير:

إن ما كشفه العلم من أضرار لحم الخنزير والأمراض التي يسببها للإنسان كثيرة، ولا يعلم أحد الأضرار التي قد تكتشف بعد اليوم، وعلينا أن لا ننسى أن ما سأعرضه من مقاصد صحية في تحريمه لم تكن معروفة منذ مئات السنين، ويمكن تصنيف الأمراض التي يسببها الخنزير إلى:

* أمراض ينقلها الخنزير بمقدراته وهي:

. الزحار الزقي: تسببه طفيليات تعيش في أمعاء الخنزير.

¹⁰⁹⁴ - نفسه.

¹⁰⁹⁵ - سورة الأنعام الآية: 145.

¹⁰⁹⁶ - مع الطب في القرآن الكريم ص 143-144.

¹⁰⁹⁷ - مقال للدكتور حسن هويدي في حضارة الإسلام.

. الداء اليرمسي اليرقاني: ينتقل إلى الإنسان عن طريق الماء الملوث ببول الخنازير أو الكلاب أو الجرذان.

وهناك أمراض كثيرة غير هذه.¹⁰⁹⁸

• أمراض يسببها أكل لحم الخنزير وهي:

. شريطية لحم الخنزير: تصيب الإنسان لتناوله لحم الخنزير غير المطهى جيدا من أعراضه اضطرابات في الهضم، ضعف شهية وآلام الجوع، وإسهال أو إمساك.

. الشعرية الحلزونية وهي دودة شعرية صغيرة طولها بين 3 و1 ملم تصيب الإنسان نتيجة تناول

لحم الخنزير النيء أو غير مطهى جيدا، وهذه الدودة تسبب الامراض الآتية:

*تخريب والتهاب جدار الأمعاء.

* صعوبة التنفس.

* قد تسبب الموت بسبب شلل العضلات التنفسية أو إصابة القلب.

* تصلب الشرايين.¹⁰⁹⁹

4- الخمر: أم الخبائث.

بالإضافة إلى الأضرار المعنوية التي تلحق بالسكران من جراء فقدان الوعي:

. التعرض لحوادث.

. الاعتداءات والمشاجرات.

. الغيبوبة.

. الازمان.

. عدم التركيز في أمور الحياة.

هناك أضرار صحية أخرى للخمر.

. الخمر يؤدي إلى مرض السرطان: لذا تجد الغربيين يحاولون محاربته لعلمهم بالخطر الكبير

الذي يسببه.

. الخمر يؤثر على الدورة الدموية والجهازين المناعي والعصبي والعظام وعلى عملية الإخصاب

والقدرة الإنجابية.

بسبب هذه الأمراض التي تسببها هذه الخبائث فقد رفع الغرب شعارات لمحاربة هذه الخبائث،

ونحن أخبرنا القرآن الكريم بهذه الحقائق منذ 1400 سنة، والكثير من الغرب عندما يدركون هذه

الحقائق القرآنية، يجدون أنفسهم مقتنعين بالإسلام فيدخلونه ويحسن إسلامهم.

النموذج الثالث: في مسائل طبية.

هناك العديد من الحقائق التي توصل إليها الطب في السنوات الأخيرة، بعد مشقة وعناء وبحث

طويل، في حين أنها موجودة ومذكورة في القرآن الكريم الذي نزل منذ أزيد من 14 قرن وكثير من

¹⁰⁹⁸ - مع الطب في القرآن الكريم ص: 144.

¹⁰⁹⁹ - نفسه.

العلماء في مجال الطب أسلموا، لمعرفتهم بذلك. وللأسف نحن كمسلمين غيورين على ديننا لا نحاول أن نوضح للغرب أن لدينا كتاب لا يفارق صغيرة ولا كبيرة ، كتاب كلما زاد الزمن، كلما عرفنا قيمته الحقيقية.

عموما من هذه الحقائق الطبية وهي كثيرة جدا، قوله تعالى: (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة)¹¹⁰⁰ . وقوله تعالى: (ووصينا الإنسان بالغيرة إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا)¹¹⁰¹

حقيقة هي أن أقل مدة للحمل هي ستة أشهر حيث يكون الجهاز العصبي قد اكتمل تكوينه تقريبا ويمكن للجنين عندها أن يعيش وهذا ما ذكرته الآيتان، حيث ذكرت الأولى أن مدة الرضاعة الطبيعية حولين كاملين أي 24 شهرا، أما الثانية فقد حددت مدة الرضاعة الكاملة مع الحمل 30 شهرا أي أن مدة الحمل قد تكون 6 أشهر.

كما حث الآية الكريمة على أهمية الرضاعة الطبيعية للجنين فهي تقيه الكثير من الأمراض كما كشفت العلوم الحديثة بأن الرضاعة الطبيعية مفيدة جدا للأم فهي تقيها من أمراض الثدي.

قال تعالى: (وبعثنا خلق الإنسان من نطفة من ماء مهين)¹¹⁰² .

وقال أيضا: (فلينبصر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق)¹¹⁰³ . وقال عز وجل: (أولم ير الإنسان أنا

خلقناه من نطفة)¹¹⁰⁴ ، وقال أيضا: (مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا)¹¹⁰⁵ قال تعالى:

(خلق الإنسان من نطفة) (أحسب الإنسان أن يترك سدى ، ألم يك نطفة من منى يمنى)¹¹⁰⁶

وقال أيضا: (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من هين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم

خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضفة فخلقنا المضفة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا

آخر فتبارك الله أحسن الخالقين).

هذه جملة من الآيات التي بينت لنا منذ أزيد من 14 قرنا الأطوار التي يتكون منها الجنين، كما

بينت وصف مكونات المنى المماثل للماء حقائق احتاج العلم معها سنوات كثيرة ليتوصل إليها.

. ومن هذه الحقائق الطبية قوله تعالى: (ناصية كاذبة خاطئة) فقد اكتشف العلماء حديثا

أن المنطقة المسؤولة عن الكذب هي مقدمة الدماغ أي الناصية واكتشفوا أيضا أن منطقة الناصية

تنشط بشكل أثناء الخطأ، وبذلك خلصوا إلى نتيجة أو حقيقة علمية هي أن عمليات الكذب وعمليات

¹¹⁰⁰ - سورة البقرة الآية: 233.

¹¹⁰¹ - سورة الأحقاف الآية: 15.

¹¹⁰² - سورة السجدة الآية: 7 و8.

¹¹⁰³ - سورة الطارق الآية: 5 و6.

¹¹⁰⁴ - سورة ياسين الآية: 77.

¹¹⁰⁵ - سورة نوح الآية: 13-14.

¹¹⁰⁶ - سورة النحل الآية: 4.

الخطأ تتم في أعلى ومقدم الدماغ في منطقة اسمها الناصية، والقرآن الكريم تحدث عن وظيفة الناصية منذ قرون.

قال تعالى: (ومن يرع أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء).¹¹⁰⁷

الإنسان كلما ركب طائرة وطار به إلى الأعلى، إلا شعر بضيق في الصدر.

قال تعالى: (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب)¹¹⁰⁸. وقد

أثبت العلم الحديث أن الجسيمات الحسية المختصة بالألم والحرارة تكون موجودة في طبقة الجلد وحدها ومع أن الجلد يحترق مع ما تحته من العضلات وغيرها إلا أن القرآن الكريم لم يذكرها لأن الشعور بالألم تختص به طبقة الجلد وحدها.

. النماذج كثيرة على أن العلم يقربنا إلى الإيمان بخالفنا، فليس هناك مجال من مجالات العلوم

إلا ونتأججه مذكورة في القرآن الكريم سواء في الفيزياء أو الكيمياء أو الفضاء أو البيولوجيا أو الجيولوجيا وغيرها من العلوم، ومن هذه الحقائق بدون تفصيل.

- مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان.

- أن الماء هو أصل حياة كل شيء. وغيرهما من الحقائق العلمية الكثيرة .

- بديع الزمان النورسي والعلوم:

بالإضافة إلى الاطلاع الواسع للنورسي في العلوم الشرعية من حديث وقرآن وتفسير وفقه وأصول وغيرها من العلوم الشرعية فقد كان كذلك على علم بالعلوم الحديثة الفيزياء والرياضيات والكيمياء وهو يرى كغيره من المجددين ضرورة معرفة هذه العلوم . يقول النورسي: ضياء القلب هو العلوم الدينية ونور العقل هو العلوم الحديثة فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة فتتربى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيل والشبهات في الثانية".¹¹⁰⁹

قواعد في دور مهمة رسائل النور :

-الإشتغال برسائل النور يزيل الضجر

-الإشتغال برسائل النور يخفف الضيق

-الرسائل تجرد صاحبها من المشاعر الهابطة

-الرسائل قوت و غذاء

-الرسائل تجمع القلب و العقل

إن رسائل النور تلميذ نجيب للقرآن الكريم ، فالإمام بديع الزمان النورسي لم يكن عنده أي كتاب عند تأليفه لها سوى القرآن الكريم وقد كفاه ووفاه ، لأن كل ما يحتاج إليه موجود فيه .

¹¹⁰⁷ - سورة الأنعام الآية: 125.

¹¹⁰⁸ - سورة النساء الآية: 56.

¹¹⁰⁹ - صيقل الإسلام ص: 428.

لذا فإن دور رسائل النور هو نفس دور القرآن الكريم ، دعوة الناس إلى اتباع ما هو جيد لهم و نهيمهم عن ترك المنكرات و الخبائث ، فالقرآن الكريم أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم ليدعو الناس و يرشدهم و يصلح أحوالهم ، لأن الناس كانوا يعيشون في كفر مدقع ، و رسائل النور كتبت في وقت كانت تركيا خالية من الدين و من الكتب الدينية و اللغة العربية لغة القرآن الكريم ، و من تهديم المساجد ... إلى غير ذلك من الأمور التي تذل على ضياع الدين الإسلامي فيها .

فنجحت رسائل النور نجاحا باهرا في الدعوة الإصلاحية ، هذا النجاح مازال مستمرا إلى يومنا هذا و هذا راجع إلى صدق و فعالية رسائل النور .

عند تتبعنا لكلام النورسي عن مهمة رسائل النور ، نجده يذكر كثيرا أن مهمتها الأساسية هي إنقاذ الإيمان و يرى أنها الوسيلة العصرية الفعالة في التعريف بحقائق القرآن لأجل إنقاذ الإيمان و من هنا فالواجب يحتم العناية بالحقائق القرآنية المتضمنة في رسائل النور وهي أهم أهداف مشروع الرسائل لهذا عد الأستاذ العناية بشخصه خطأ يجب تلافيه بالتركيز على الحقائق الإيمانية القرآنية التي عرضتها في رسائل النور .

بذلك يكون الإمام النورسي قد كون جيل ملتف حول رسائل النور التي تعرض الحقائق الإيمانية القرآنية و تبرهن على صدقها ، جيل يحمل فكر فكر رسائل النور الناجح حتى يومنا هذا و الدليل وصولها إلى قلوب قرائها و توزيعها في كل أنحاء العالم و بمختلف اللغات .

- الإشتغال برسائل النور يزيل الضجر :

يرى بديع الزمان النورسي أن الإشتغال برسائل النور قراءة و كتابة يخفف عنه الكثير من الضيق و الضجر و يورث الفرح و الإنشراح ، ز أنه في الوقت الذي لا ينشغل بها يشعر بالملل و أمور عادية تؤلمه .

فالإشتغال برسائل النور نفس عن الإمام النورسي كربة النفي و السجن ، فكتابة رسائل النور و قرائتها كما ينسيه الظلم الذي يتعرض له من الحكومة الضالمة ، فكل مسلم ملئ و قته بقراءة القرآن الكريم أو قراءة كل ما يفيد في دنياه و آخرتهم مثل رسائل النور لن يشعر بالضجر و الضيق بل سيشعر بالفرح و البهجة و السرور .

- الرسائل قوت و غداء :

إن رسائل النور قوت و غداء للروح لأنها مستقاة من القرآن الكريم فكما يرى الإنسان الحاجة إلى الغذاء يوميا فهو كذلك سيستشعر الحاجة إلى هذا الغذاء الروحاني أيضا فلا يسأم من القراءة .

فكما أن المتذوق لمعاني القرآن الكريم و العارف لقيمته الذي لا يسأم من المداومة على النهل منه و التغذي بمعانيه و عباراته ، فكذلك القارئ لرسائل النور لأنها مرآة عاكسة لحقائق القرآن الكريم و تفسير قيم أصيل له .

الختمة

إن حياة بديع الزمان ودعوته هي ترجمة صادقة لعصر من أشد العصور قساوة على الأمة الإسلامية ، بل إن هذه الدعوة لم تكتسب أهميتها إلا من صعوبة الظروف التي شهدها العالم الإسلامي ، وكان أثناءها هدفاً لهجوم غربي شرس حاقده .

لذا ، كان همّ النورسي الأكبر خلال مسيرته الطويلة الشاقة في الدعوة والإصلاح ، هو تنبيه الأمة إلى ما يحيط بها من أخطار ، واستنهاض همتها ، للدفاع عن سلامة عقيدتها ، ووحدتها شعوبها ، واستقلال أراضيها .

وهذه الأهداف الكبرى التي حددها النورسي لدعوته ، هي التي تفسر معاناته السجن ، والنفي ، والمطاردة طيلة حياته ، وعزوفه عن حياة الراحة والدعة - التي عُرضت عليه في أكثر من مناسبة إلى حياة كلها مشقة ، ونصب ، وجهاد .

لقد كان النورسي مؤمناً إيماناً صادقاً بما كان يدعو إليه ، وصدق إيمانه هذا هو الذي بث الحياة في كلماته ، ومنحها حرارة سرت إلى أرواح سامعيه وقارئيه رسائله .
وأصداء نجاح فكره ودعوته مازلنا نعيشه حتى يومنا هذا .

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم
- بديع الزمان النورسي : الكلمات ترجمة إحسان قاسم صالحى شركة سوزلر للنشر الطبعة الثانية .
- بديع الزمان النورسي : المكتوبات ترجمة إحسان قاسم صالحى شركة سوزلر للنشر الطبعة الثانية .
- بديع الزمان النورسي : اللمعات ترجمة إحسان قاسم صالحى شركة سوزلر للنشر الطبعة الثانية .
- بديع الزمان النورسي : الشعاعات ترجمة إحسان قاسم صالحى شركة سوزلر للنشر الطبعة الثانية .
- بديع الزمان النورسي : إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز تحقيق إحسان قاسم صالحى شركة سوزلر للنشر الطبعة الثانية .
- بديع الزمان النورسي : المثنوي العربي النوري تحقيق إحسان قاسم صالحى شركة سوزلر للنشر الطبعة الثانية .
- بديع الزمان النورسي : الملاحق ترجمة إحسان قاسم صالحى شركة سوزلر للنشر الطبعة الثانية .
- بديع الزمان النورسي : السيرة الذاتية ترجمة إحسان قاسم صالحى شركة سوزلر للنشر الطبعة الثانية .
- بديع الزمان النورسي : صيقل الإسلام ترجمة إحسان قاسم صالحى شركة سوزلر للنشر الطبعة الثانية .
- البلاد العربية و الدولة العثمانية , لساطع الحصري الطبعة الثانية بيروت .
- تاريخ العرب الحديث المعاصر, ليلى الصياغ , مطبعة ابن حيان دمشق 1401 هـ .
- تاريخ الدولة العثمانية و حضارتها , محمود السيد , مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 1999 م .
- الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا حاضرها ومستقبلها , أحمد نوري النعيمي . دار البشير - عمان - الأردن , ط 1 - 1993
- تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث, عبد العزيز نوار. دار النهضة العربية بيروت 1973 م .
- سهيل صابان الأوضاع الثقافية في تركيا في القرن الرابع الهجري - دراسة وتقويم - رسالة دكتوراه - جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض - 1415هـ/1994م .

- الإمام سعيد النورسي رائد الحركة الإسلامية في تركيا وأوضاع الدولة التركية شكري أصلان - 1415هـ/1995م .
- سعيد النورسي رجل القدر في حياة الأمة , أورخان محمد علي , شركة النسل اسطنبول 1416 هـ .
- تاريخ الدولة العثمانية , علي سلطان . مكتبة طرابلس العلمية العالمية .
- تاريخ الدولة العلية العثمانية , محمد فريد بك المحامي .
- التيارات القومية و الدينية , أحمد السعيد سليمان , دارالمعرفة القاهرة 1961
- منهج الإصلاح و التغيير عند بديع الزمان النورسي و أثره في الفكر و الدعوة , عبد الله محمد الطنطاوي , دار القلم دمشق , الدار الشامية بيروت الطبعة الأولى 1418هـ
- زكريا فايد: العلمانية النشأة والأثر في الشرق والغرب , الزهراء للإعلام العربي القاهرة , ط 1, 1988م .
- السلطان عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسة (1891/1908م) مترجم إلى اللغة العربية
- سمير رجب: الداعية الإسلامي بديع الزمان , دار الهاني - القاهرة , 1986 م .
- محب الدين الخطيب: أنقرة والدين الإسلامي: مجلة الفتح , عدد 69/
- الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى, أحمد الناصري , تحقيق جعفر الناصري و محمد الناصري . دار الكتاب الدار البيضاء - 1956 م .
- تاريخ الأقطار العربية , لوتسكي, ترجمة عفيفة البستاني . دار الفرابي - بيروت - ط 8 - 1985 م .
- موسوعة السياسة , عبد الوهاب الكيالي. كلية الدعوة الإسلامية - طرابلس ط 1 - 1993 م .
- الإسلام وحركات التحرر العربية شوقي أبو خليل. دار الفكر - دمشق - 1401هـ / 1988 م .
- دراسة في الوحدة الوطنية في السودان أحمد الطريفي .
- جهاد الليبيين ضد فرنسا في الصحراء الكبرى , محمد سعيد القشاط .
- موسوعة التاريخ الإسلامي , أحمد شلبي . مكتبة النهضة المصرية - القاهرة .
- عبد الوهاب بن الحاج كيا: مسلمو ماليزيا بين الماضي والحاضر
- أنور الجندي: اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار, دار الأنصار القاهرة 1979 م .
- عبد الوهاب بن الحاج كيا: مسلمو ماليزيا
- عمار جيدل: بديع الزمان وإثبات الحقائق الإيمانية
- محمد الغزالي: نظرات في القرآن
- زياد خليل: منهج بديع في بيان إعجاز القرآن
- مفهوم الصحابة عند النورسي لإبراهيم جنان, المؤتمر العالمي الثالث
- التبريزي ولي الدين بن عبد الله , مشكاة المصابيح

- حلول من بديع الزمان للقضايا الإنسانية للعالم الإسلامي
- بديع الزمان النورسي وإثبات الحقائق الإيمانية، عمار جيدل
- بديع الزمان سيماء الشكل والصميم
- النورسي متكلم العصر الحديث. محسن عبد الحميد
- نجم الدين شاهين، حياة بديع الزمان.
- المنهج الصوفي المعرفي والسلوكي في حياة الإمام النورسي . محاضرة أُلقيت في ندوة (الإدراك الروحي بين التصوف والنورسي) اسطنبول 2005.
- الصقات التي أنضجت دعوة النورسي وفكره لمحمد بن موسى الشريف.
- التطور والتجديد في دراسة العقيدة الإسلامية (أحمد محمد أحمد الجلي)، مؤتمر تجديد الفكر الإسلامي، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، الأردن، 3-5 يوليو 2001
- النورسي الرائد الإسلامي الكبير (محمد عبد الحميد
- بديع الزمان النورسي وإثبات الحقائق الإيمانية (عمار جيدل
- آراء النورسي حول مذهب الوحدة (بلال فوشبنار) المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان النورسي (تحديد الفكر الإسلامي في القرن 20 وبه مع الزمان النورسي).
- بديع الزمان والتصوف (جعفر بن الحاج السليمي المؤتمر العالمي الرابع لبديع الزمان النورسي 1998).
- لسان العرب . لابن منظور
- مفردات الراغب الأصفهاني
- العولمة والأخلاق في ضوء رسائل النور مؤتمر.
- الأخلاق الإسلامية وأسسها . عبد الرحمان حنبكة الميداني
- الكونية الأخلاقية بين علوم القرآن وعلوم الإنسان دراسة نظرية الأخلاق عند الأستاذ بديع الزمان النورسي لفريد الأنصاري.
- الإعداد الروحي والخلقي للمعلم والمعلمة: الدكتور محمد جميل علي الخياط
- الموافقات العلامة الإمام الشاطبي
- المصباح المنير.
- القاموس المحيط
- مختصر منتهى الأصول معه شرح القاضي عضه الملة والدين
- شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول للقرافي
- قيمة العدل في الانضباط السلوكي عند النورسي انظر فكر بديع الزمان النورسي في العدالة في الإسلام في ضوء رسائل النور لعبد الرحيم شلبي.
- العدالة الاجتماعية في الإسلام من فكر بديع الزمان النورسي لعلاء الدين زعتري.

- عشراقي سليمان: النورسي في رحاب القرآن الكريم
- أصول الدعوة: عبد الكريم زيدان
- أثر الربانية والنفحات القرآنية في كتابة النورسي لمحمد الروكي
- المؤتمر العالمي السابع لبيدع الزمان سعيد النورسي/ العالم الإسلامي والغرب والحاجة إلى الحوار والفهم المتبادل
- عبد الفتاح أبو غدة . العلماء العزاب
- بيدع الزمان فكره ودعوته إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي مكتب الأردن ومركز بحوث رسائل النور.
- نجم الدين قادر كريم الزنكي (قيمة العدل في الوصل بين قوانين الوحي والكون)
- سمير رجب، الفكر الأدبي والديني عند الداعية الإسلامي
- محمد رشدي عبيد(ملامح تربوية في رسائل النور
- نجم الدين شاهينز " آخر الشهود اسطنبول 1988
- الغزو الفكري أهدافه ووسائله، لعبد الصبور مرزوق
- الغزو الفكري وأثره على منهج سعيد النورسي. ليث سعود جاسم والزمخشري بن حسب الله.
- علوم الحديث ومصطلحة , لصبحي الصالح
- سقوط الدولة العثمانية لمجدي عبد الحميد الصاقوري
- أحمد النعيمي الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا
- الفروق اللغوية للعسكري
- التذكرة الحمدونية" لابن حمدون
- عدة الصابرين" لابن القيم
- نظرة النعيم, لمجموعة المؤلفين
- روضة العقلاء لابن حباب البستي
- موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي لرفيق العجم
- الإمام أبو حامد الغزالي " إحياء علوم الدين
- الإسلام دعوة عالمية - عباس محمود العقاد.
- صفات الداعية/ لمحمد الصباغ
- وصايا للدعاة / عبد الرحمن العقود
- مع الطب في القرآن الكريم لعبد الحميد دياب وأحمد قرقوز
- مقال للدكتور حسن هويدي في حضارة الإسلام.
- من روائع القرآن ، عمر سعيد رمضان البوطي.
- أسلوب الإرشاد في القرآن الكريم، المؤتمر العالمي الرابع لبيدع الزمان النورسي اسطنبول 1998

- الصحاح للجوهري.
- المصباح المنير للفيومي.
- مفردات القرآن للراغب الأصفهاني.
- التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي.
- الكليات لابي البقاء الكفوي.
- فتح القدير للشوكاني.
- سيكولوجية العدوانية وترويضها . لعصام عبر اللطيف العقاد
- الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا.
- أدب الدنيا والدين للماوردي

الأطروحات :

- بديع الزمان سعيد النورسي وأثره في الفكر والدعوة , حسن عبد الرحمان بكير
- منهج بديع الزمان النورسي في بيان إعجاز القرآن الكريم من خلال رسائل النور , مراد قمومية , سنة 2005 .
- الفكر الاقتصادي عند الإمامين النورسي والصدر , علاء الخطيب , روتردام 2006 م .

الفهرس:

الصفحة

الموضوع

- مقدمة
- خطة البحث.....
- توطئة:.....
- 1- نبذة عن الدولة العثمانية نشأة ونمو وتطورا.....
- 2- الحالة العامة للمرحلة التي عاصرها منها.....
- 3- واقع العالم الإسلامي في عصرالإمام بديع الزمان سعيد النورسي.
- الباب الأول : مصادر الفكرالإصلاحي عند النورسي
- الفصل الأول: الأدلة النقلية.....
- المبحث الأول: القرآن الكريم.....
- المبحث الثاني : السنة الشريفة:.....
- المبحث الثالث: الصحابة رضي الله عنهم.....
- 1- أسباب فضل الصحابة:.....
- 2- الفرق بين الصحابي والولي.....
- الفصل الثاني: المؤثرات الاجتماعية والثقافية.....
- المبحث الأول: المؤثرات الاجتماعية.....
- 1- أسرته:.....
- 2- قرينته.....
- 3- تنقله في طلب العلم:.....
- 4- النورسي في المنفى.....
- المبحث الثاني: المؤثرات الثقافية.....
- 1 . شيوخ النورسي:.....
- 2- الكتب:.....
- 3 - أسفاره:.....
- 4 . المؤثر الأكبر (القرآن الكريم).....
- 5 . التصوف:.....
6. الحالة العامة لتركيا (تمزق تركيا أرضا وشعبا وحضارة).....
- الفصل الثالث : صفات خلقية ساعدت في إنضاج الفكر النورسي.....
- المبحث الأول: قوة الإيمان وعظم اليقين وحسن الصلة بالله عزوجل..

- 1- قوة الإيمان:.....
- 2- حسن الصلة بالله تعالى.....
- المبحث الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....
- 1- نهيه عن الظلم.....
- 2- نهيه عن المنكر.....
- المبحث الثالث: العفة عن أموال الناس.....
- المبحث الرابع: الذكاء والحافضة العجيبة.....
- المبحث الخامس: عزته وصبره.....
- 1- عزته.....
- 2- صبره:.....
- الباب الثاني : أسس ووسائل و منهج الإصلاح عند النورسي..
- الفصل الأول: أسس الإصلاح عند النورسي.....
- المبحث الأول: الأساس الأول: خدمة المجتمع.....
- تقديم:.....
- المطلب الأول: الفرد.....
- الفرع الأول: المشكلات النفسية التي تصيب الفرد.....
- 1- حب الدنيا والخوف من الموت:.....
- 2- الإحساس بالضيق والشعور بالاغتراب.....
- 3 - عجز الإنسان في مواجهة الحزن والألم
-
- 4 - الخوف من الجوع وفوات الرزق
-
- 5 - الوسوسة- الحسد- القلق النفسي- الأنانية السلبية اليأس.
-
- 6 - حب التقليد
-
- 7 - موت الصدق والإخلاص
-
- 8 - العجلة وعدم الصبر

- المحور الأول: تربية الفرد.....
- النقطة الأولى: رسائل النور مدرسة للتربية.....
- النقطة الثانية: أهداف التربية عند النورسي.....
- النقطة الثالثة: أساليب التربية عند النورسي.....
- أولاً: أسلوب الإرشاد والتوجيه.....
- ثانياً: أسلوب القدوة الصالحة.....

- ثالثا: أسلوب القصص.....
- رابعا: أسلوب ضرب الأمثال.....
- خامسا: أسلوب الترغيب والترهيب.....
- النقطة الرابعة: أسس التربية عند النورسي.....
- الأساس الأول: تربية الفرد.....
- الأساس الثاني: تربية البيت (الأسرة).....
- الأساس الثالث: تربية المجتمع.....

المبحث الثاني: خدمة الدين.....

المطلب الأول: العقيدة.....

- 1- أهمية العقيدة في منهج النورسي التجديدي.....
- 2- مناهج دراسة العقيدة وموقف النورسي منها:.....
- 3- منهج النورسي في تناول قضايا العقيدة:.....
- 4- آثار العقيدة في النفس الإنسانية.....

المطلب الثاني: الأخلاق.....

1. تعريف الأخلاق:.....

2. أهمية الأخلاق:.....

3. مصادر الأخلاق عند النورسي:.....

المطلب الثالث: العدالة.....

1 - تعريف العدالة:.....

2 - مفهوم العدالة عند النورسي:.....

3. أبعاد العدالة عند النورسي.....

الباب الثاني

الفصل الثاني: وسائل الإمام النورسي في الإصلاح.....

المبحث الأول: التبليغ والإرشاد (الدعوة).....

المطلب الأول: صفاة الداعية.....

1- الإيمان العميق.....

2- العلم الدقيق.....

3- الخلق المتين.....

المطلب الثاني: وسائل ومنهج التبليغ عند النورسي.....

1- وسائل التبليغ:.....

أ- التبليغ بالقول:.....

ج- التبليغ بالسيرة الحسنة:.....

- 2- وسائل التبليغ عند النورسي.....
- منهج التبليغ.....
- العوامل المؤثرة في التبليغ.....
- الغاية من التبليغ.....

المبحث الثاني: الكتابة:.....

- 1 - كيف وصف الإمام النورسي رسائل النور.....
- 2 - كيف ظهرت رسائل النور؟.....
- 3 - السبيل إلى نشر رسائل النور:.....
- 4- ترجمة رسائل النور:.....
- 5 - أهمية رسائل النور:.....

الباب الثالث:

الفصل الثاني: وسائل الإصلاح.....

المبحث الثالث: الإخلاص.....

- 1 . ما أفاض الله على إمامنا من ثمار الإخلاص:.....
- 2 . ثمار إخلاص النورسي.....

المبحث الرابع: التفاؤل.....

المبحث الخامس: الحوار.....

- 1 - تعريف الحوار:.....
- 2 - أهمية الحوار:.....
- 3 - أهداف الحوار:.....
- 4 - مادة الحوار:.....
- 5- المدعوون إلى الحوار.....
- 6 . المبعدون من الحوار.....
- 7 . أخلاقية الحوار غير النورسي.....

الباب الثاني

الفصل الثالث : منهج النورسي في الإصلاح.....

المبحث الأول: التدرج في الإصلاح والدعوة إلى التغيير والوسطية وعدم التعصب والشمولية والعالمية خصائص ميزت منهج النورسي الدعوي.....

1 - التدرج في الإصلاح والدعوة إلى التغيير.....

2 - الوسطية وعدم التعصب:.....

3 . الشمولية:.....

4 – العالمية.....

المبحث الثاني: منهج معاصر لتحقيق مفهوم العالمية القرآنية.....

المبحث الثالث: منهج نوري أخلاقي ينفي البعد الشخصاني.....

المطلب الأول: نزع الصفة الشخصية عن الذات العاملة.....

المطلب الثاني: نزع الصفة الشخصية عن موضوع الدعوة.....

المبحث الرابع: منهج نوري يفيد الوعي بالمنظور الكوني للقرآن الكريم..

المبحث الخامس: منهجه في التعامل مع الخلافات الفكرية.....

المبحث السادس: منهج الإمام النورسي في إصلاح الفرد والمجتمع.....

المبحث السابع: منهج النورسي بين الأخلاق والسياسة.....

الباب الثالث: مقاصد وقواعد الإصلاح عند النورسي

الفصل الأول: مقاصد الإصلاح عند النورسي.....

المبحث الأول: إنقاذ الإيمان والاعتصام بالقرآن الكريم.....

1 . أهداف إنقاذ الإيمان.....

2 . الاتحاد بين أهل الإيمان:.....

3 . الإيمان يدفع الأمراض الاجتماعية:.....

4 . الحقائق الإيمانية.....

5 – الإيمان والكفر.....

المبحث الثاني: (الجهل) القضاء على الجهل والفقر. والفرقة.....

1 - الجهل:.....

2 - البؤس:.....

3- الإختلاف أو الفرقة

الفصل الثاني: المقاصد.....

المبحث الثاني: محاربة الغزو الفكري.....

1 - أثر الغزو الفكري على النورسي وعلى تفسيره القرآن الكريم..

2- طريقة النورسي في التعامل مع أحداث الغزو الفكري.....

3 - أساليب النورسي في التصدي للغزو الفكري.....

المبحث الرابع: الدعوة إلى الوحدة الإسلامية ونبد القومية.....

المبحث الخامس: إصلاح التعليم.....

1 - التعليم في عصر النورسي:.....

2- دور النورسي في إحياء حركة التعليم:.....

الفصل الثاني : قواعد الإصلاح.....

تقديم :.....

الباب الثالث : مقاصد وقواعد الإصلاح عند النورسي

الفصل الثاني : قواعد الإصلاح.....

المبحث الأول: جرد القواعد.....

المكتوبات.....

الكلمات.....

اللمعات.....

الشعاعات:.....

المثنوي العربي.....

- الملاحق ملحق بارلا.....

- ملحق قسطموني.....

- ملحق أميرداغ.....

- صيقل الإسلام.....

- السيرة الذاتية.....

*- أقوال وحكم نورسية:.....

المبحث الثاني: تحليل لبعض القواعد المهمة.....

قواعد في الأمراض الاجتماعية والنفسية.....

أولا - قواعد العداوة عند النورسي:.....

ثانيا - قاعدة : الصبر يحل المشاكل:.....

ثالثا: اغتنام فترة الثبات.....

قاعدة : لنعتم شبابا خالدا.

قاعدة: بيع النفس والمال لله عز وجل تجارة رابحة:.....

- قاعدة: 1/ الإيمان سعادة ونعمة: الكلمات.....

- 2/ الإيمان بالآخرة يحقق سعادة بالدنيا

قواعد في التصوف :.....

قاعدة: قد يكون المرید شیخا لشیخه

قواعد في الابتلاءات.....

قاعدة : الدنيا مزرعة تنتج محاصيل تلائم سوق الآخرة.....

قاعدة : مهمة الداعية لا تنتهي.....

قاعدة: العلوم تقريننا من خالقنا.....
الخاتمة.....
لائحة المصادر والمراجع.....
فهرس الموضوعات.....